نزهة المجالس

ومنية المذيب الأنيس

تأليف

العلامة السيد الفاضل الكامل الحسيني الموسوي

المتوفى حدود سنة ١١٨٠ هـ

انتشارات مكتبة الحيدرية

نزهة الجليس

ومنية الأديب الأنيس

تأليف

سماحة العلامة المتضلع السيد

العباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوى المكى

المتوفى حدود سنة ١١٨٠ هـ

وضع المقدمة

السيد محمد مهدى الخرسان

جمعداری اموال

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ش-اموال: ۵۰۱۹۱

الجزء الأول

منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف

١٣٨٧ - ١٩٦٧ م

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۲۳۲۴۹
تاریخ ثبت:

بسم الله الرحمن الرحيم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هوية الكتاب

اسم الكتاب : نزهة الجليس

المؤلف: السيد العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

المطبعة : امير ـ قم

الطبعة : الاولى في ايران

تاريخ الطبع : ١٤١٧ هـ. ق ـ ١٣٧٥ هـ. ش

سعر الدورة : ٢٠٠٠ ريال

عدد الصفحات والقطع : ٦٥٦ صفحة وزيري المجلد الاول

حياة المؤلف والتعريف بالكتاب

بقلم : السيد محمد مهدي الخرسان

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على محمد المصطفى ، وعلى آله الطيبين الشرفا . وبعد : فهذا كتاب « نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس » الذي سجل فيه مؤلفه العلامة الأديب المؤرخ النسابة : السيد عباس المكي ما شاهده في اسفاره من العجائب في البلدان ، وحيث ان ذهن رحالتنا المكي لم يقف فيه عند ذكر ذلك فحسب ، بل تجاوزه إلى أبعد من ذلك مما يشهد له بعلو كعبه في مقام الفضل ، فبينا يترجم الشخصية الاسلامية الفذة من أئمة المسلمين ، يعرض تاريخ علم من أعلام الأدب ، ويستشهد بالبيت العربي النادر ، والمثل السائر ، والنكتة الأدبية ، والطرفة النادرة ، والحادثة التاريخية ، والبحوث اللغوية ، مضافاً الى إيضاح ابعاد المسافات بين تلك الأقطار التي زارها أحيانا ، الى غير ذلك مما أفادنا به وحفل به كتابه الذي طابق اسمه مسماه فهو (نزهة الجليس) ، وقد طبع سنة ١٢٩٣ هـ فما ظنك بكتاب كهذا ويمر على طبعه ما يقرب من قرن كيف لا تعز نسخته بل تندر حتى تكون من نفائس المكتبات التي حوتها .

لذلك انبرى الأخ محمد كاظم الكتبي ـ سلمه الله ـ الى إعادة طبعه تيسيراً له وخدمة للقراء ، وقد طلب إلي ان أقدم للكتاب بما يعرّف المؤلف عند القارىء ولو بصورة موجزة ، وحيث ان في ذلك خدمة للمؤلف وهو من أعلام الأدب الافذاذ ، ولكتابه وهو من الكتب الممتعة التي تستحق التقديم ، وللقراء وهم اهل لذلك ، فأجبته داعياً بالموفقية والتسديد والله ولي ذلك انه سميع مجيب .

السيد المكي مؤلف النزهة

نسبه :

هو السيد عباس بن السيد علي بن نور الدين على بن علي نور الدين بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن العاملي الموسوي (١) ابن محمد بن عبد الله بن احمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة ابن محمد بن محمد بن عبد الله (٢) بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن الحسين (بن موسى) بن ابراهيم بن الامام موسى بن جعفر عليه السلام (٣) .

والى (علي) وهو خير أرومة نسب تبلج كالسماء الضاحية

---

(١) الى هذا السيد ترجع انساب كثير من العلويين العامليين كآل شرف الدين وآل الصدر وآل المرتضى وآل نور الدين وغيرهم ، ولا تزال اليوم في جبل عامل من ينتسب اليه فيقال لهم آل (أبي الحسن) .

(٢) هو ابو محمد كان بالكرخ انتقل الى الحائر وصار عقبه بالحائر .

(٣) نقلنا نسبه عن صورة خط السيد حسين بن السيد محمد ـ صاحب مدارك الأحكام ـ وهو ابن عم ابيه ، كما حكاه الشيخ الحر العاملي في كتابه امل الامل ج ١ ص ٧٩ طبع النجف الأشرف . وقد سقط منه ما ذكرناه بين قوسين وهو مذكور في نسب الامام الحجة شرف الدين الذى ختم به رسالته (الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء) ص ٤٠ طبع صيدا سنة ١٣٤٧ هـ . ويؤيده ما ذكر في كتب الأنساب ان ابراهيم بن الامام موسى « ع » وهو المرتضى لا يصح له عقب إلا من موسى ابي سبحة ، وهو الذي ذكرناه بين قوسين ، ومن جعفر ، وزاد ابن ـ

أسرته :

لا يسعني استيفاء جميع افراد اسرته العلمية ولا استقصاء اخبارهم واستقراء آثارهم فان ذلك يحتاج الى وقت طويل وجهد بالغ ، مع قلة فائدة بعد ان استوفى ذلك بعض احفادهم وهو الحجة السيد شرف الدين في كتابه (بغية الراغبين) واستعرض كثيراً منهم السيد الحسن الصدر في كتابه (التكملة) .

ولكن من الخير عرض شيء عن آباء المترجم له خاصة اولئك الذين ورث عنهم المجد والفضل ، وأثنت عليهم المعاجم ، بما يكشف عن جوانب الخير فيهم . مقتبساً منها ما يسعني ـ بهذه المناسبة ـ اقتباسه وهم :

١ ـ الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن ابي الحسن العاملي ،

كان عالماً فاضلاً فقيهاً جليلاً مقدما ، معاصراً للشيخ الشهيد الثاني ، وكان الشهيد مصاهراً له على ابنته ، من اجلة سادات العلماء ، وله كتب الشيخ الشهيد رسالة عدم جواز تقليد الميت .

ترجمه الميرزا عبد الله الأفندي في رياض العلماء (مخطوط) والشيخ الحر العاملي في امل الامل ج ١ ص ٦٨ والسيد الامين في اعيان الشيعة ج ٢٥ ص ٣٠ واطراه الشيخ علي الحفيد في الدر المنثور كما حكي عنه بقوله : الامام السيد البدر اوحد الفضلاء وزبدة الاتقياء السيد المرحوم المبرور عز الدين . . الخ .

ـ طباطبا النسابة: اسماعيل ايضاً ، وقيل بانقراض ذرية اسماعيل ، وأين من هؤلاء الحسين والد طاهر اذا لم تثبت الزيادة . مضافاً الى تصريح النسابين ان والد طاهر هو الحسين القطعي ابن موسى ابي سبحة .

٢ ـ السيد علي نور الدين بن الحسين الآنف الذكر .

كان فاضلا عالماً كاملا محققاً وصفه المحقق الداماد بالسيد الثقة الثبت المركون اليه في فقهه المأمون في حديثه وذلك في روايته عنه وقد قرأ عليه وسمع منه واجازه سنة ٩٨٨ في المشهد الرضوي على صاحبه السلام .

وذكره المحقق البحراني في اللؤلؤة ص ٥٢ فقال : كان من اعيان العلماء والفضلاء في عصره ، جليل القدر من تلامذة شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله ولد سنة ٩٣١ في جبع من ابوين كريمين فوالده هو الحسين المتقدم الذكر وأمه بنت الشيخ شمس الدين محمد بن مكي العاملي الشامي احد شيوخ الشهيد الثاني .

قرأ اولا على ابيه ثم لازم الشيخ الشهيد وكانت شقيقته زوجة الشهيد الثاني فرباه كالوالد لولده ، ورقاه الى المعالي بمفرده ، وزوجه ابنته ـ من غير العلوية بنت الحسين ـ رغبة فيه ، وجعله من خواص ملازميه ، قرأ عليه جملة من العلوم الفقهية والعقلية والأدبية وغيرها واجازه اجازة عامة ويروي عنه جماعة من علماء عصره كالأمير فيض الله التفريشي والمحقق الداماد والشيخ حسن صاحب المعالم وولديه السيد محمد صاحب المدارك والسيد نور الدين علي ـ وهو اخ الشيخ حسن صاحب المعالم لأمه ـ واستجازه الشيخ محمد بن فخر الدين الاردكاني فأجازه وكتب له الاجازة بخطه على نسخة من مصباح المتهجد تاريخها سنة ٩٩٩ .

تشرف بحج بيت الله الحرام وزيارة الرسول (ص) سنة ٩٥٢ وفي سنة ٩٨٨ تشرف بزيارة الرضا « ع » ترجم له الشيخ علي الحفيد في الدر المنثور وابن العودي العاملي في تاريخه في احوال الشهيد واثنى عليه ثناءاً بليغاً ومدحه مدحاً عظيماً (امل الآمل ج ١ ص ١١٩) والشيخ الحر العاملي في امل الآمل ج ١ ص ١١٨ والبحراني في لؤلؤة البحرين ص ٥٢ والمحدث النوري في خاتمة المستدرك ج ٣ ص ٣٩٢ والسيد الأمين في اعيان الشيعة ج ٤١ ص ١٢٣ .

٣ ـ السيد نور الدين علي بن علي نور الدين الآنف الذكر .

طود العلم المنيف ، وعضد الدين الحنيف ، ومالك ازمة التأليف والتصنيف الباهر بالروايـة والدراية ، والرافع لخميس المكارم اعظم راية ، فضل يعثر في مداه مقتفيه ، ومحل يتمنى البدر لو اشرق فيه ، وكرم يخجل المزن الهاطل ، وشيم يتحلى بها جيد الزمن العاطل ، وصيت حل من حسن السمعة بين السحر والنحر .

فسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر

وكان له في مبدأ أمره بالشام ، مكان لا يكذبه بارق العز اذا شام ، بين إعزاز وتمكين ومكان في جانب صاحبها مكين ، ثم قطن مكة شرفها الله وهو كعبتها الثانية ، يعتقد الحجيج قصده من غفران الخطايا ، وينشد بحضرته : تمـام الحج ان تقف المطايا (١) ، كان عالماً فاضلا اديباً شاعراً منشئاً ، جليل القدر ، عظيم الشأن ، قرأ على ابيه واخويه صاحبي المعالم والمدارك (٢) .

ووصفه البحراني في اللؤلؤة ص٤٠ بقوله : كان فاضلا محققاً مدققاً مشاراً اليه في وقته وقد توطن بمكة المشرفة .

تولد في جبع سنة ٩٧٠ وامه ام الشيخ حسن صاحب المعالم . فان والده كان قد تزوج بابنة الشهيد الثاني في حياته فولد له منها صاحب المدارك ، ثم تزوج ام الشيخ حسن بعـد شهادة ابيه التي هي غير ام زوجته فولد له منهـا صاحب الترجمة . فهو اخو السيـد محمد صاحب المدارك لأبيه . واخو الشيخ حسن صاحب المعالم لأمه .

رآه الشيخ الحر العاملي في عاملة وحضر درسه بالشام اياماً يسيرة قال : وكنت صغير السن ورأيته بمكة ايضاً اياماً وكان ساكناً بها اكثر من عشرين سنة .

ورآه السيد علي خان المدني صاحب السلافة قال فيها ـ ص٣٢ ـ : وقد رأيته

---

(١) سلافة العصر ص ٣٠٢ .

(٢) امل الآمل ج ١ ص ١٢٤ .

بها ـ بمكة ـ وقد أناف على التسعين ، والناس تستعين به ولا يستعين ، والنور يسطع من اسارير جبهته ، والعز يرتع في ميادين جدهته .

ورآه السيد ضامن بن شدقم صاحب تحفة الأزهار قال فيها بعد الثناء عليه : منشؤه في الشام ، ثم عطف عنان عزمه الى البيت الحرام تشرفنا برؤيته مراراً بمكة المكرمة له من التصانيف : الغرر الجامع على المختصر النافع قال في اللؤلؤة : وهو جيد قد أطال فيه البحث والاستدلال إلا انه لم يتم . وكتاب الفوائد المكية في الرد على الفوائد المدنية كتبه رداً على الملا محمد أمين الاسترابادي الاخباري . وشرح الأثنى عشرية في الصلاة للبهائي . ورسالة في تفسير قوله تعالى : (قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى) وغنية المسافر عن النديم والمسامر ، يشتمل على فوائد واخبار ونوادر واشعار ، وتعليقات كثيرة على كتب الفقه والاصول والحديث . واجوبة وسؤالات وغيرها .

يروي عن أخيه لأبيه السيد شمس الدين محمد صاحب المدارك .

وعن اخيه لأمه الشيخ حسن صاحب المعالم والمنتقى .

وعن السيد الفاضل الورع التقي السيد علي العلوي البعلبكي .

اما مشايخه من العامة فقد ذكر في اجازته للمولى محمد محسن بن محمد مؤمن المؤرخة يوم الجمعة ١١ ربيع الآخر سنة ١٠٥١ فقال: اني أروي جانباً من مؤلفات العامة في المعقول والفقه والحديث عن الشيخين الجليلين المحدثين اعلمي زمانهما ورئيسي اوانهما عمر العرضي الحلبي ، وحسن البوريني السامي بالاجازة منهما بالطرق المفصلة في اجازتهما إلي . . الخ (١) .

وروى عنه المولى الأمير محمد مؤمن الحسني الاسترابادي كما في اجازته للمجلسي (٢) .

---

(١) بحار الانوار ج ٢٦ ص ١٤١ .

(٢) بحار الانوار ج ٢٦ ص ١٦٤ .

وروى عنه المولى الفاضل محمد باقر الخراساني كما في اجازته للمولى محمد شفيع (١) .

وروى عنه المولى محمد محسن بن محمد مؤمن كما سلف .

وروى عنه الشيخ ابو عبد الله الحسين بن الحسن العاملي كما في اجازة الشيخ الحر العاملي للمجلسي الثاني (٢) وغيرها .

وروى عنه اجازة محمد طاهر القمي من مشايخ المجلسي رحمه الله .

وروى عنه اجازة وقراءة الشيخ علي بن الشيخ محمد سبط الشهيد الثاني من مشايخ المجلسي (٣) وغيرهم جمع كثير .

توفي في ١٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٠٦٨ ورثاه الشيخ الحر العاملي بقصيدة قال : نظمتها في يوم واحد وأولها :

على مثلها شقت حشاً وقلوب ... اذا شققت عند المصاب جيوب

لحا الله قلباً لا يذوب لفادح ... تكاد له صم الصخور تذوب

ومنها قوله :

ومن يجمع الدنيا مع الدين والتقى ... مع الجاه إن المكرمات ضروب (٤)

وذكره حفيده في نزهة الجليس ج ١ ص ١١١ ـ ١١٤ وقال : وله شعر يدل على علو محله وابلاغ هدى القول الى محله ، ثم ذكر نماذج من شعره ـ فلتراجع في محلها .

وذكره السيد الأمين في اعيان الشيعة ج ٤١ ص ٣٥١ قال : ووجد على جامع

---

(١) بحار الانوار ج ٢٦ ص ١٥٦ .

(٢) » » » » » ١٥٩ .

(٣) » » » » » ١٦٥ .

(٤) امل الآمل ج ١ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

في جبسع ما صورته :

قـد وفق الله لهذا البنا ولم يكن في الوسع تيسيره
فهو بحمد الله قد تم في أحسن ما قد كان تصويره
من بدوه احكم بنيانه بالخير والتقوى وتفسيره
فجاء تاريخ به معبد كان لوجه الله تعميره

عمر هذا المسجد بعد اندراسه ، وجدده بعد انطماسه راجي عفو ربه وغفرانه نور الدين بن علي الحسين الشهير بابن ابي الحسن الموسوي تجاوز الله عن سيئاتهم بدء في ختامه سنة (١٠٢٩) تسع وعشرين بعد الألف من الهجرة .

تزجم سيدنا نور الدين في سلافة العصر ص ٣٠٢ وامل الآمل ج ١ ص١٢٤ وتحفة الأزهار (مخطوط) ولؤلؤة البحرين ص ٤٠ وقصص العلماء ص ٢٧٩ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ٣٨٩ ونزهة الجليس ج ١ ص ١١١ وغيرها .

٤ ـ السيد علي بن نور الدين علي المتقدم الذكر .

جهبذ نحرير فاضل ، فما الصاحب لديه وما الفاضل ، تفرد بعلم البديع والمعاني ففاق البديع الهمداني ، وتوحد بالنحو والصرف ، فلو عاصره سيبويه والتفتازاني ما نطقا في حضرته بحرف ، وتعزز في اللغة وعلوم الأوائل ، فبارز في حلبة الفصاحة والبلاغة قس بن ساعدة وسحبان بن وائل ، وتبحر في سائر العلوم ، وتفنن في المنطوق والمفهوم .

كان بمكة المشرفة . . . . . وما برح مشهوراً بكل فضل لدى البادي والحاضر ، وموقراً ومكرماً عند السادة آل الحسن وجميع الرؤساء والوزراء والأكابر (١) .

وذكره الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل ج ١ ص ١٢٨ وقال :

فاضل صالح شاعر أديب . . .

---

(١) نزهة الجليس ج ١ ص ٥٠

وذكره المحبي في خلاصة الأثر في ذيل ترجمة اخيه السيد جمال الدين (١) فقال : كما اخبرني بذلك اخوه روح الأدب السيد علي بمكة المشرفة (٢) .

ولد بمكة المعظمة سنة ١٠٦١ ولما مات ابوه كان عمره سبع سنين فكفله اخوه السيد زين العابدين فعلمه القراءة والكتابة ، ولما بلغ اثنى عشر عاماً توفي اخوه ايضاً فتولى تربيته جماعة من تلامذة أبيه ، فأخذ عنهم وعن غيرهم من علماء الخاصة والعامة .

توفي بمكة صبح ثامن عشر من ذي الحجة الحرام سنة ١١١٩ وارخ وفاته ولده السيد مصطفى بقوله (دخل الجنات) واعقب ثلاثة اولاد وهم السيد مصطفى والسيد سليمان (٣) والسيد عباس ـ مؤلف كتابنا هذا ـ .

وللمترجم له شعر مذكور في النزهة ووصفه بقوله: وله كل قصيدة تهزأ باللؤلؤ المنثور وتخجل بحسنها الورد والياسمين والمنثور ، ثم ذكر شيئاً من غزله وقصيدة له مصدراً ومعجزاً قصيدة ذي الوزارتين القائد ابو عيسى بن لبون (٤) وذكر له في ترجمة الشيخ البهائي قصيدة كافية عارض بها قصيدة البهائي (ره) وقد ذكر منها في الأعيان اربعة ابيات . وقد خلط السيد الأمين بين مشايخ السيد علي ـ المترجم له ـ وبين مشايخ أبيه السيد نور الدين علي ـ المترجم آنفاً . والعصمة لله وحده .

ترجم السيد علي المذكور الشيخ الحر العاملي في امل الآمل ج ١ ص ١٢٨ وولده في النزهة ج ١ ص ٥٠ والسيد الأمين في الاعيان ج ٤١ ص ٣٥٢ .

---

(١) المترجم في نزهة الجليس ج ١ ص ٧٨

(٢) خلاصة الأثر ج ١ ص ٤٩٥

(٣) المذكور في النزهة ج ١ ص ٢٧٥

(٤) ترجمه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان ص ٩٨

ولادته ونشأته :

ولد السيد المكي ـ مؤلف النزهة ـ بمكة في سنة ١١١٠ هـ ونشأ بها ولا نعرف عن نشأته شيئاً يعبأ به ، سوى أنه اصيب بفقد ابيه وهو ابن تسع سنين ، والمظنون قوياً ان الذي تولى تربيته وتوجيهه هما اخواه السيد مصطفى والسيد سلمان ، وقد ذكر المكي أخاه الثاني فأطراه بقوله : أخي الشقيق الشفيق وعضدي القوي وركني الوثيق ، ولعله الذي كفله .

دراسته وشيوخه :

لم نعثر على كل مشايخه الذين اخذ عنهم في جميع مراحل دراسته ، ولكننا نذكر من صرح هو بأخذه عنهم وتلمذه عليهم وهم :

١ ـ السيد نصر الفائزي الحائري المدرس المستشهد فقد صرح بتلمذه عليه وهو ابن عشرين سنة فقال :

كنت مغرماً بفن القريض ، راتعاً في روضه الأريض ، مولعاً بانشائه وانشاده . . . . لكني لم اظفر بمن يشقف قناتي ، ويجلو صدأ مرآتي ، فلذا كان يخفى تارة وتارة يستبين . . . . . حتى ظفرت بجهينة الاخبار ، ونادرة الفلك الدوار . . . السيد نصر الله . . .

ظفرت بالكنز فاحمل من تفائسه وقد وقفت ببحر الفضل فاغترف

فسقاني بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، وناولني راية الأدب ، فتناولها عرابة فكري باليمين .

فاشتغلت بالطلب لديه . . . . ففتح الفتاح ومنح ، وجاد في الوقت ببغيتي وسمح ونلت الأدب . . . . فكان اجتماعي به بمكة المشرفة عام ١١٣٠ هـ .

واستاذه هذا هو الذي اشار عليه بالسفر معه الى العراق وحفزه على ذلك بما أنشده من ابيات تنسب الى الامام امير المؤمنين « ع » أولها :

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

وكان سفره هذا مع استاذه أول اسفاره المتتابعة التي تمخضت عنها رحلته ـ نزهة الجليس ـ .

٢ ـ السيد عبدالله بن جعفر باعلوي الملقب بمدهر وقد وصفه بقوله: شيخنا واستاذنا العالم العلامة الحبر الفهامة .

٣ ـ السيد بدر بن السيد غالب الرفاعي ووصفه بقوله عندما اجتمع به ببلاد كوندو الهندية : السيد الكريم صاحب الفضل العميم والخلق العظيم والخلق الوسيم الرئيس الأجل ، الكهف الأظل شيخي واستاذي ، وعمدتي وملاذي ، دليلي الى الله في طريقة الرفاعية وكذلك القادرية . مولانا الذي لم ازل لاحسانه شاكرا ولجنابه بالدوام داعي . . .

٤ ـ السيد علي نقيب القادرية ببغداد ، أخذ على يديه الطريقة وألبسه استاذه المذكور خرقة التصوف وقلده الخلافة القادرية .

٥ ـ الشيخ محمد بن احمد عقيلة الاحمدي الشناوي الصوفي الحنفي المكي ووصفه بقوله: شيخنا إمام اهل العرفان وخلاصة الصوفية اولياء الرحمن ، المحقق المدقق العلامة الفهامة ...

٦ ـ السيد يوسف بن عبدالرحيم الرفاعي ووصفه بقوله وقد صحبه الى بلدة عالي جهان من بلاد الهند : السيد السند ، الصدر المعتمد ، شيخي في علوم الشريعة والطريقة ، ودليلي الى الوصول لعلم المعرفة والحقيقة ، من هو لنهج السلوك ساع وراع . . . .

٧ ـ العلامة الشيخ عبد اللطيف وهو نجل ابن عمته ، حضر دروسه في شرح الملا جامي على الكافية في اصفهان .

الرحلة واسبابها، مبدؤها ومنتهاها:

لم يكن رحالتنا المكي من اولئك الذين استهواهم حب الاستطلاع على المسالك والممالك فشد الرحال ، وركب الأهوال ، وجاب البلاد ليسجل مشاهداته الشخصية وملاحظاته الخاصة فيبين حدود الاقاليم وخططها وطبائع اهلها وخصائص تربتها ، باحثاً ناقداً يتحرى التمحيص في ذلك السبيل شأن الجغرافيين الذين جابوا البلاد ، فانهم وان اختلفت اهواؤهم والدواعي التي حدت بهم الى ذلك ولكل منهم شأن إلا أنهم جميعاً دونوا الأبعاد بين البلدان ووصفها وخصائصها من صناعة وزراعة وتجارة وقد لايغفلون الاشارة الى اخلاق الناس وعاداتهم وتقاليدهم وغير ذلك مما دونوه اعتماداً على مشاهداتهم الخاصة في الغالب ، وان توسع بعضهم فدوّن ما سمعه من أفواه النقلة والرحلة عن البلاد التي لم يطأ ثراها ولم تبلغه اليها الركائب .

فان رحالتنا لم يكن كاولئك الجغرافيين ، بل انه سجل مشاهداته الخاصة وملاحظاته الشخصية في البلاد التي ساقته اليها المقادير فدوّن ما استهواه من نوادر وآثار ، ولم يستهدف من رحلته معرفة الاقاليم ولا مشاهدة المسالك والممالك ، لذلك كانت رحلته لا تشبه رحلات الرحالين في كثير من النواحي .

اما الاسباب التي حدت به الى تلك الرحلة والتي استدامت ردحاً من الزمن فقد اوضحها في مقدمة كتابنا هذا ـ النزهة ـ ويجمل بنا الاشارة الى بعض تلك الاسباب ، ولعل اقواها وأبلغها اثراً هو الضغط المادي الذي كان يعانيه حتى اضطره الى الاعلان به تبريراً لهجره وطنه ومسقط رأسه ومهبط آبائه مستشهداً لذلك بأحاديث وآثار ، واخبار واشعار كلها تبيح لأمثاله هجر الوطن مع الذل والغربة مع العز ، ولم يقصد بالذل الذي سامه الزمان به إلا الضائقة المالية التي كان

يعاني ألمها وحده مضافاً الى ما حاطت به من عوامل أخرى من يتم مبكر ، ومحاربة اخوان حسدا ، واعداء بغضا كل ذلك مما ألهب في نفسه جذوة تستعر ، تركته يفكر في الخلاص من ذلك الأسر الاجتماعي الذي لا يستساغ لأمثاله . وكيف تستساغ حياة الجحيم لانسان أخذ من اطراف العز أعلاها وأغلاها ، فنسب وضاح ومواهب جمة وسن فتية . وقوى متكاملة . كل ذلك مما يأبى له الاقامة بدار تظن عليه بلماظ العيش ، ولعل أصرح شاهد على ذلك قوله :

ولم اغترب إلا لأكتسب الغنى فاستي منه كل ذي ظمأ سجلا
ويعلو الغمام الارض من أجل انه يسوق اليها وهي لن تبرح الوبلا
اذا ما قضت نفسي من العز حاجة فلست ابالي الدهر أملي لها أم لا .

فهو مرغم على رحلته التي دامت اثنتي عشرة سنة يسيح في ارض الله العريضة طلباً للقوت ونيل النوال ، ويكفينا دليلاً على ذلك قوله :

وكان يعز علي سفري من بيت الله الحرام ، ومفارقتي لتلك المآثر العظام :

بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول ارض مس جلدي ترابها

لكن لي برسول الله (ص) اسوة فانه خرج منها وهي احب البقاع اليه حين آذاه اهل الشرك والطغيان ، فهاجر منها الى طيبة واقام بها الى ان كان من امره ما كان :

وان صريح الحزم والمجد لامرىء اذا بلغته الشمس ان يتحولا

فاني لحقت فيها وقتاً قليل الانصاف ، ينتصب السفلة ويخفض الاشراف ، ويرفع فيه الجاهل وينحط العالم ، ويتدنى فيه سهيل وتستعلي النعائم :

هذا الزمان على ما فيه من كدر حكى انقلاب ليال ليه باهليه
غدير ماء تراءى في اسافله خيال قوم عشوا في نواحيه
فالرجل تنظر مرفوعاً اسافلها والرأس ينظر منكوساً اعاليه

وبليت فيه بأقارب ، هم في الحقيقة كالمقارب ، واصحاب واخوان ، اشد اذية من الثعبان .

واخوان اتخذتهم دروعاً فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب لقدصدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سمينا كل سمي لقد صدقوا ولكن في فسادي

فهؤلاء الذين ظلموني ببعدي عن بلد الله الأمين المأمون ، (وي كأنه لا يفلح الظالمون) .

اما مبدؤ رحلته فكان في سنة ١١٣١ هـ وذلك بعد اجتماعه باستاذه العلامة الجليل السيد نصرالله الحائري في سنة ١١٣٠ فهو الذي شجعه على السفر والاغتراب. ولعل السر في مطاوعة التلميذ المكي لاستاذه الحائري هو ما كان يلمسه لديه من عطف وحنان غمره بهما ذلك السيد الجليل ، كما كفل تربيته ادبياً مدة اقامته بمكة . فقد كان مؤلفنا وهو ابن عشرين سنة في عنفوان شبابه يدفع به طموحه الأدبي الى نظم القريض متردداً بين اغواره وانجاده ، ومولعاً بانشائه وانشاده ، لكنه لم يظفر بمن يثقف قناته ، ويجلو صدأ مرآته ، فبقي على ذلك حتى ظفر بحاجته عند السيد الحائري الذي انشد عند بلوغ قصده يحكي حاله :

ظفرت بالكنز فاحمل من نفائسه وقد وقفت ببحر الفضل فاغترف

ولما انقضى موسم الحج من عام ١١٣١ هـ تأهب السيد الحائري للسفر مع الحاج العراقي قاصداً العودة الى بلاده كربلا ، وكان صحبة والده السيد حسين الحائري ، فأشار على تلميذه بالسفر وانشده ابياتاً لا ح له منها الظفر كما يقول في النزهة ، فامتثل أمر استاذه واكترى له جملا وصمم على السفر صحبة استاذه ، تاركاً أهله على الله كما يشعر بذلك قوله :

ان الذي وجهت وجهي له هو الذي خلفت في اهلي
فانه اشفق مني بهم وفضله اوسع من فضلي

وفي عصر ثامن من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة خرج الركب الى الأبطح

ومعهم مؤلفنا الرحالة المكي وهذا اول رحلته التي زار فيها كثيراً من الأقطار الاسلامية وافداً على ملوكها وامرائها . واول قطر اسلامي بلغته اليه الركائب هو العراق ، كما ان اول بلد زاره من بلدانه هو النجف الأشرف وكان ذلك بتاريخ ٣ صفر سنة ١١٣١ وقد وصف زيارته تلك وما لاقاه فيها من حفاوة واكرام من اهالي البلد وعلمائها بكل فخر واعجاب ولسانه ينشد فيهم :

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم يسلو عن الأهل والاصحاب والوطن

وكان نزوله في دار العالم العامل النحرير الفاضل مولانا الشيخ ابراهيم الخميسي (خميس) . وكانت مدة اقامته في النجف الاشرف شهراً تاماً اجتمع خلالها باقطاب العلم والفضيلة ذكر منهم الولي الشهير ، المجتهد الكبير ، العابد الزاهد ، بحر المعارف والفوائد ، تاج السادة الاكارم ، مولانا السيد هاشم (١) وبالعالم العامل الفاضل ، التقي النقي الكامل ، الشيخ محمد يحيى الخميسي . وبالفاضل الاديب العاقل الكامل الاريب ، الشاعر الماهر اللطيف ، المؤنس الظريف ، الشيخ يونس بن أنسى . كما اجتمع بحاكم النجف يومئذ السيد مراد (٢) وقد اكرم الجميع وفادته .

(١) هو العلامة السيد هاشم الحطاب الذي اطراه الشيخ الكبير شيخ مشايخ المسلمين الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء كثيراً في رسالته المسماة ايضاً كشف الغطاء عن معائب ميرزا محمد عدو العلماء وارسلها الى السلطان فتحملي شاه القاجار حتى عبر عنه بالسيد السند الواحد الأوحد واحد عصره وفريد دهره العابد الزاهد والراكع الساجد العالم العامل والفاضل الكامل . . . روضات الجنات ص ١٥٣ .

(٢) هو السيد مراد بن السيد احمد ، واحتمل بعضهم انه من العميديين . وكان نقيب النجف وحاكمها تولى حكومة النجف ونقابة كربلا كما حكي عن ذيل روضة الصفا وكان حياً الى سنة ١٢٠٠ وكان اديباً كاملا شاعراً وهو ممن خمس بيتي ابي الحسن التهامي اللذين استشهد بهما السلطان مراد العثماني عند زيارته ـ

وزار كربلا بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١١٣١ وأقام بها شهرين موضع عناية استاذه واجتمع بها بالسادن السيد حسين (١) واخيه السيد مرتضى وبالعالم العلامة المولى ابي الحسن وهذا الأخير هو الذي جمع بين مؤلفنا وبين الأمير حسين أوغلي بيك ايشك اغاسي باشي الحرم ، وكان هذا الأمير قد تشرف بالزيارة ذلك العام فأشار على المترجم له ان يذهب معه الى اصفهان حيث مقر السلطنة لكي يجمعه مع السلطان الشاه حسين الصفوي . ويظهر ان اشارة الامير صادفت من المترجم له رغبة تامة ، فأجاب شاكراً وسافر صحبته بعد ان زار بقية المشاهد الشريفة في بغداد والكاظميين وسامراء والمدائن ، واجتمع فيها ببعض العلماء واخذ عن بعضهم

ـ للنجف سنة ١٠٤٧ وغيره من آبائه، وقد خمسهما اكثر من عشرين شاعراً كما في سمير الحاضر وانيس المسافر للعلامة الشيخ علي كاشف الغطاء المتوفى سنة ـــ وعد منهم السيد مراد حاكم النجف واليك الاصل مع التخميس :

علي امير النحل عالي جنابه شفاء من الأسقام مس ترابه
ومن اجل سر مودع في رحابه تزاحم تيجان الملوك ببابه
ويكثر عند الاستلام ازدحامها

إمام قناه للأعادي تنصلت وكم نقمة منه لهم قد تعجلت
لهيبته صيد الملوك تذللت اذا ما رأته من بعيد ترجلت
وإن هي لم تفعل ترجل هامها

وقد مدح السيد مراد كثير من الشعراء كصاحب نشوة السلافة الشيخ محمد علي موحي كما انه كتب له بخطه (بحر الانساب) ، وكالسيد محمد زيني وله فيه شعر كثير في شتى مناسباته ، وكالشيخ علي بن احمد القصير العاملي وغيرهم .

(١) ذكره السيد محمد حسن مصطفى في كتابه مدينة الحسين ج ١ ص ٧٦ واشار الى اجتماع مؤلفنا به .

وقد قال في سفره ذلك :

اذا اذن الله في حاجة　　اتاك النجاح على رسله

وقرب ما كان مستبعداً　　ورد الغريب الى اهله

ووصل الى اصفهان في ١١ رجب ١١٣١ فأنزله الأمير الذي اصطحبه معه في داره فكان موضع تجلة الامراء وعناية الاعلام واجتمع في اصفهان بابن عمه السيد المرتضى ، وبنجل ابن عمه السيد بدر الدين بن كمال الدين ، وبابن عمته الشيخ زين الدين ، وبنجل ابن عمته الشيخ عبد اللطيف وحضر دروسه في شرح الملا جامي على الكافية ، ووصف هؤلاء كلهم بما يشعر بمقامهم العلمي خصوصاً ابن عمته الشيخ زين الدين الذي اطراه كثيراً . وذكر شيئاً من شعره كما سيقرؤه القارىء في كتابنا هذا ـ النزهة ـ .

والذي يظهر ان الحظ لم يحالف رحالتنا في سفره هذا كما ينبغي، او انه حالفه ولكن لم يحسن هو مداراته ـ كما يقولون ـ ولعل قوله بعد وصفه النعمة التي صادفها والخير الوفير الذي حازه :

لكني لم اقم لتلك النعمة بأداء بعض الشكر ، فلهذا خلعت من ملك النعيم واعتضت عن حلاوة الاقبال ، مرار تقلب الاحوال بالبؤس والضر :

رزقت ملكاً فلم أحسن سياسته　　وكل من لا يسوس الملك يخلعه

ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا　　شكر عليه فعنه الله ينزعه

كل هذا يشعر انه لم يكن موفقاً في سفره هذا لذلك عاد ايام الموسم مع الحاج وصحبة امرائه الى بلاده وصادف في رجوعه من المزعجات ما اتعبه وكان آخرها الحرب التي دارت بين جند امير الحاج وبين عبيد شرفاء مكة وكادت ان تصد الناس عن اداء المناسك ، وقد خرج لاستقباله الى الابطح اخوه السيد سليمان المتوفى سنة ١١٣٤ في غيبة رحالتنا الى الهند وقد رثاه بأبيات لما بلغه خبر موته .

وكانت رحلته هذه مفتاحاً لرحلات متوالية ففي سنة ١١٣٢ خرج مع الحاج العراقي متوجهاً الى العراق مرة ثانية وزار المشهد العلوي على صاحبه السلام ، وزار الحلة وحدث عن مشاهدته لمنارة مسجد الشمس المشهور فقال :

ورأينا المنارة التي هي من عجائب الدهور ، فانها تهتز بقوة اذا حلفتها بعلي ابن ابي طالب اسد الله المنصور ، فصعدنا فوقها وحلفناها أن تهتز بعلي ، فاهتزت حتى خشينا ان تقع من عل ، بل نقول ان هذه المنارة ليست من العجائب ، فكم مثلها من معجزات وغرائب وهذا قليل من كثير من معجزاته وبراهينه وآياته .. الخ .

وتوجه من العراق الى اصفهان ثانياً فدخلها في ٢٤ جمادى الاولى من تلك السنة ونزل بدار السيد سعد بن السيد جعفر نقيب السادة الحسينية فأكرم مثواه .

وخرج من اصفهان في ٢٤ ج ١ الى شيراز ودخلها في ٦ ج ٢ ونزل فيها بدار الأمير ميرزا محمدتقي وزير شيراز ، واجتمع بها بالسيد محمد النجفي وابنه السيد علي النجفي وشيخ الاسلام السيد مهدي ، وزار قبور جماعة من الملويين هناك كقبر السيد احمد بن الامام موسى بن جعفر المعروف شاه جراغ وقبر السيد عليخان المدني صاحب السلافة .

ثم أنهى رحلته في البلدان الايرانية في ١٨ رجب حيث خرج من بندر ابي شهر الى الحسا ومنها الى البصرة ، وقد دخل بندر الريق فنزل في دار أميره الأمير سليمان بن مسفر ، وجمع الأمير بينه وبين صهره حاكم البندر الامير عبدالرحيم . وفي ٦ شعبان خرج من البندر على ظهر سفينة الأمير سليمان بن مسفر الى البصرة فدخلها في ١٢ شعبان . وقد أطنب في كتابه النزهة ـ هذا ـ في وصف البصرة . وكان نزوله في دار الحاج محمود القندي ، وسرد اسماء من اجتمع بهم من ذوي الشأن من أعلام سواء كانوا من العلماء او التجار او الزعماء او غيرهم من ذوي النباهة ، ومن الطريف انه كلما ذكر اسم واحد منهم ذكره محفوفاً بالألقاب المشعرة بالتعظيم وختم ذلك ببيت شعر يمدحه به ، وهم تسعة عشر رجلاً وقد حصل له من

هؤلاء القبول والاكرام فشكرهم على ذلك واختتم حديثه بقوله :

لو كنت اعلم فوق الشكر منزلة أعلى من الشكر لاستقصيتها لهم

ومن البصرة صح عزمه على التوجه الى بلاد الهند فغادرها عصر ٦ صفر سنة ١١٣٣ في مركب كان قد استأجره الأمير فارس خان امير سورت لنفسه خاصة وسمح له بصحبته فيه ، فدخل في غرة ربيع الأول بندر كنح وهناك اجتمع بالعلامة الشيخ محمد بن ماجد البحراني .

وفي صبح ٢٧ منه دخل بندر سورت واجتمع بأميرها فارس خان فأكرمه وكذلك اجتمع بحاكم سورت شيخ الاسلام خان فذمه كثيراً لأنه كان اعمى البصيرة والبصائر . وقد مدح من اجتمع بهم من اعيان وتجار واشراف لأنهم اكرموا مثواه .

ودخل من بلاد الهند بلدة عالي مهان وكان ذلك في ١٥ شعبان سنة ١١٣٣ كما انه تولى الحسبة في قرية (ديوهي) وذلك ايام عظمة السلطان مهر علي خان .

ودخل من بلاد الهند بلدة برها نبور ونزل بدار الامير السيد احمد الدمشقي (كنوال البلاد) اي محتسبها . ودخل ايضاً بلاد كوندواند ، ونزل بدار سلطانها الراجه بخت بلند ، وفيها اجتمع بشيخه السيد بدر الرفاعي فتقدم الى السلطان بنقل المؤلف من منزل الراجة الى منزله ، فنقله اليه ، وقد اصطحبه استاذه المذكور الى بعض البلدان فكان موضع حفاوة امرائها وسلاطينها كما حدث بذلك عن سفرهم الى بلدة باكرة وخروج سلطانها الراجة علي شاه لاستقبالهم على بعد نصف مرحلة وكان في جمع كثير وموكب كبير بالخيل والجنود والرايات والبنود وصنع لهم وليمة عظيمة ، وامر بانزالهم بدار الأمير شير خان وكان صاحب الديوان .

ودخل من بلاد الهند الشهيرة في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١١٦٣ هـ واجتمع بحاكمها وهو عم الوزير نظام الملك الأمير حامد خان وبجماعة من الامراء وغيرهم .

كما انه وصل الى شاه جهان آباد وذلك بصحبة شريف مكة الشيخ احمد

علان وكان على طريقه على احمد اباد فشهد الحرب الضروس بين الراجات حتى سئمت نفسه فصحب عمة الأمير قمر الدين خان وزير السلطان وكانت قاصدة للحج فسار معها الى سورت فدخلها في ٢٨ رمضان ١١٣٨ واقام بها حتى غرة جمادى الآخرة سنة ١١٣٩ . ثم خرج منها متوجهاً الى عدن فوصلها في ١٨ من الشهر المذكور .

ووصل بندر المخا في ٢٠ ج ٢ وحاكمها يومئذ الأمير احمد بن يحيى خزندار وهو الذي كتب برسمه هذا الكتاب ، والشيء الذي يلفت النظر في هذا الكتاب ان المؤلف كان يرعى الجميل بلسان الثناء والشكر لكل من أولاه احساناً واكرم مثواه ، ولما كان اهالي بندر المخا وحاكمهم قد بالغوا في اكرامه فقد اطنب في مدحهم بكل جميل وأثنى عليهم بشعره كما يلاحظ ذلك عند ذكر بندر المخا وذلك في الجزء الثاني من الرحلة فراجع .

ولقد اقام في المخا حتى ١٢ ربيع الأول سنة ١١٤٠ ثم توجه الى جدة قاصداً للحج فنزلها غرة ج ١ ومنها توجه الى المدينة فدخلها ٢٢ ج ١ سنة ١١٤٠ وقد ارخ ذلك شعراً . فاجتمع فيها بجماعة الاشراف والعلماء وقدسماهم ومدح بعضهم شعراً ، واقام بينهم الى ١٥ شعبان حيث توجه تلقاء البيت الحرام فدخل مكة المكرمة في ٢٨ شعبان ، وارخ ذلك بشعره ، وكان نزوله في دار ابن عمه السيد نور الدين ابن السيد احمد وقد ترجمه ، واجتمع بآخرين من الاعلام والتجار والحكام . وفي ٦ شوال رحل الى الطائف ويبدو انه كان يروم الاجتماع بالامير الشريف باز ابن الشريف شبير بن مبارك وقد ترجمه في كتابه ومدحه بقصيدة مثبتة في كتابه هذا . وفي ذي الحجة سنة ١١٤٠ قفل راجعاً الى مكة صحبة الأمير الآنف الذكر . وبعد انقضاء مناسك الحج عاد معه الى الطائف في ٦ محرم سنة ١١٤١ وبقي حتى ٩ شوال خرج منها متوجهاً الى بندر اللحية . وقد فصل في رحلته وارتحاله وذكر زعماء القبائل الذين نزل عليهم في طريقه حتى وصوله الى بند اللحية في ٩ محرم سنة ١١٤٢ وخرج منها الى بيت الفقيه ومنه الى صنعاء فدخلها غرة صفر سنة ١١٤٢

وقد مدح حاكمها ابراهيم بن المهدى بقصيدة ، ولم يطل مكثه بها حيث لم يجد مايؤمل فيها فقفل الى بندر المخا فدخله في٨ ربيع الاول سنة ١١٤٢ ، وما زال متردداً بينه وبين مكة الى سنة ١١٤٥ حيث نوى الاقامة بالبندر المذكور . وتزوج هناك وولد له بها ابنه عبد الله سنة ١١٤٦ وابنه الآخر محمد وكان ذلك آخر تطوافه في البلاد فبقى حتى سنة ١١٤٧ وسنة ١١٤٨ حيث أرخ دخول الأمير عبد الله بن احمد الخزندار إلى المخا قادماً من صنعاء .

وفي هذه ختم كتابه الرحلة ـ النزهة ـ في ٤ شوال سنة ١١٤٨ وذلك ببندر المخا المذكور حيث وجد فيه ضمان عيشه وتقدير مواهبه ، وقد صرح بذلك في ختام رحلته حيث تزوج هناك واقام مدة ست سنوات .

مؤلفاته :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لم يذكر مترجموه له من التآليف سوى كتابه (نزهة الجليس) وهو هذا الذي نقدمه للقراء كما انه الأثر الوحيد المنتشر من آثاره الفكرية .

اما كتابه الآخر (ازهار الناظرين في أخبار الأولين والآخرين) فقد ذكره المؤرخون استناداً الى تصريح المؤلف نفسه بذلك في كتابه النزهة الآنف الذكر حيث أحال كثيراً على كتابه الأزهار ، والذي يظهر من حوالاته الكثيرة عليه انه مؤلف ضخم جامع . وقد ذكر الحجة الخبير الرازي في كتابه الذريعة للمؤلف (ازهار بستان الناظرين في سيرة رسول رب العالمين واخباره وآثاره) ووصفه بأنه مجلد كبير ، وكانت نسخته في خزانة الحاج شيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد رحيم البروجردي المشهدي . ولعل الذي ذكره الرازي دام ظله هو بعض كتابه الازهار حيث صرح بأن المجلد المذكور في سيرة النبي (ص) وكتابه الازهار

في اخبار الأولين والآخرين كما في النزهة وغيرها فلاحظ .

وللمؤلف تأليف ثالث لم يذكره مترجموه وقد ذكره هو نفسه في كتابه النزهة . هو مؤلفه الذي جمع فيه شعر ونثر صديقه السيد عبد المطلب الحسيني المكي في ديوان مفرد ، ولعل السر في عدم ذكر مترجميه لذلك ضياع نسخته منذ عهد مؤلفه كما صرح بذلك حيث قال :

(وكنت قد جمعت كثيراً من رقيق شعره وأنيق نثره فلم أدر أين ضاع مني ؟) .

شعره :

كان المؤلف شاعراً متفنناً في ضروب الشعر ، حتى التخميس والمسلسل والدوبيت المستزاد وغيره ، وشعره متوسط قليل الجيد ، يغلب عليه طابع عصره من التزام الصناعة اللفظية ، وكثرة استعمال المعاني البديعية .

والغالب على اغراضه الشعرية شكوى الزمان الذي حاربه وامثاله من الموهوبين حتى طغت تلك الظاهرة حتى على مدحه لذوي اليسار والمعروف الذين استرفدهم بحكم ظروفه القاسية ، والتي اضطرته الى ان يجوب شرق البلاد وغربها وبرها وبحرها . ويجد القارىء في ثنايا كتابه النزهة ـ هذا ـ نماذج كثيرة لذلك كما يجد له متفرقاً في اغراض اخرى ، وجميعها تكشف عن ذهنية خصبة وحس مرهف . ونماذج شعره في كتابه هذا مبثوثة تكشف عن قابليته الشعرية وقوته الأدبية والتي يطغى عليها أثر ما قلناه من تعقيد في شؤون الحياة ، وربما يكون لذلك كبير الأثر في إلهاب الجذوة الشعرية في نفسه .

ولم يكن مقتصراً في نظمه على اللغة العربية الفصحى فحسب ، بل كان

ينظم باللغة العربية الدارجة ، فقد روى له السيد الأمين في الاعيان وقبله الشرواني في الحديقة بيتاً على طريقة (الموالیا) العراق الأعرج وذلك قوله :

دموع عيني بما تخفي الجوانح وشن وعلي غار الهوى من كل جانب وشن
وانت يا من شحذ اسياف لحظه وسن تروم قتلي بهـا بالله بيّن إلي
من جوّز القتل في شرع المحبة وسن

ولقوته الأدبية ومعرفته ببعض اللغات الحية غير العربية كالفارسية والهندية والتركية والتي أجادها بحكم اسفاره الى بلادها واقامته بين ظهراني أهلها فقد كان يحسن النظم ببعضها كما انه استفاد ادبياً من جميعها حيث قرأ لشعرائها وأطلع على لغاتهم وبدائع افكارهم فاستحسن منها ما جعله يترجم بعضه الى لغته الأصليـة ـ العربية ـ كما صنع ذلك مع شعر (سورداس) الشاعر الأعمى الهندي الشهير فانه ترجم بعض شعره .

اما نظمه بغير العربية فقد ذكر لنفسه قصيدة بالفارسية وعظية تناهز الأربعين بيتاً أولها :

بشنو از گنجشك اين نقل خبر يا سليمـان نبي خير البشر

كما ان له قصيدة اخرى ملمعة عربية وفارسية وتركية تنوف على الثلاثين بيتاً عارض بها قصيدة السيد علي المهري الملمعة والتي أولها :

لي دلبر آب الحياة معتـق بدهـانه
الماء طرة وجهه والدر من دندانه

فعـارضه المؤلف بقصيدة وأولها :

لي شادن أضنى الحشا بالسحر من چشمانه
أصمى الفؤاد وصادني بالتير من مچكانه

كما ان له في المعارضة قوة عارضة فقد يطيل الحديث عن ذلك ويروي الكثير من الشواهد ، فمن ذلك عند ذكره لقصيدة المرحوم الشيخ الحسين بن عبد الصمد والد

الشيخ البهائي الكافية والتي أولها :

لست أسلو هواك لا وأبيك يا حبيبي وطرفي الفتيك

فقد استعرض كل من عارضها وذكر شعرهم وعد منهم والده السيد علي المكي واول قصيدته :

من لصب قضى غراماً فيك يا غزالاً بالحسن صار مليك

ثم ذكر تسعة آخرين منهم السيد عليخان المدني والشيخ البهائي وغيرهم وختم ذلك بقصيدته التي عارض بها قصيدة والده والحسين بن عبد الصمد وأولها :

فاح نشر الصبا وصاح الديك فانتبه وأنف عنك ما ينفيك

وفي ثنايا كتابه شواهد اخرى لا نطيل الحديث عنها .

مدح المؤلف والثناء عليه :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ذكر المؤلف كثير من أعلام الفضيلة والأدب واثنوا عليه بما يكشف عن علو مقامه ولعل اقدمهم استاذه الروحي وموجهه الأدبي السيد نصر الله الحائري فقد كتب اليه حين ارسل المؤلف الى استاذه مشطين احدهما ابيض والآخر اصفر :

ايا عباس السباق بالاعذار للجاني

ويا من جود راحته جنى جناته داني

بعثت لنا بعاجي ابـ ـيض وباصفر ثاني

كجبهة فاتن غنج وجبهة مغرم عان

هلالا افق كل ندى ولكن لا يغيبان

فكني معهما ابداً لها شان من الشان

(فامساك بمعروف وتسريح باحسان) (١)

وذكره الشرواني اليماني صاحب حديقة الأفراح حيث قال :

السيد عباس بن علي الموسوي المكي صاحب (نزهة الجليس) المحتوي على كل معنى نفيس ، فصيح البسه الله حلة الكمال ، وبليغ نسج القريض على احسن منوال .

ثم ذكر نماذج من شعره ومنها تخميسه للبيتين المشهورين :

دع الدنيا الدنية مع بنيها وطلقها الثلاث وكن نبيها
ألم ينبيك ما قد قيل فيها هي الدنيا تقول لساكنيها
حذار حذار من بطشي وفتكي
فلم يسمع لها فيهم كلام وتاهوا في محبتها وهاموا
وكم نصحت وقالت يا نيام فلا يغركم مني ابتسام
فقولي مضحك والفعل مبكي

وذكره الشيخ علي بن محمد السبيتي العاملي الكفراوي المتوفى سنة ١٣٠٣ في كتابه (العقد المنضد في شرح قصيدة علي بك الأسعد) فقال :

كعبة اهل الأدب ، وجهبذ الجهابذة في لغة العرب ، العباس بن علي . . . .

ثم ذكر شيئاً من احواله من ولادته حتى وفاته .

وترجمه المرحوم السيد الأمين في الاعيان ج ٣٧ ص ٧١ الى ص ٧٤ .

كما ترجمه المرحوم السيد شرف الدين في بغية الراغبين (مخطوط) على ما حكي عنه.

وذكره الحجة الشيخ اغا بزرك الطهراني سلمه الله في الكواكب المنتثرة (مخطوط) فقال :

العالم الفاضل الكامل الناظم الناثر الجامع لكل الفضائل المؤرخ النسابة المفسر المحدث . . . .

---

(١) ديوان السيد نصر الله الحائري ص ٢١٣ .

وذكرته بقية المعاجم المعنية بفهرسة اسماء المؤلفين او المؤلفات ، فورد ذكره في :

١ ـ الذريعة ج ١ ص ٥٣٣ وص ٥٣٦ .

٢ ـ معجم المطبوعات ص ١٢٦٦ .

٣ ـ معجم المؤلفين ج ٥ ص ٦٥ .

٤ ـ الاعلام للزركلي ج ٤ ص ٣٦ .

٥ ـ فهرس المكتبة الازهرية ج ٦ ص ٢٨٥ .

٦ ـ فهرس المكتبة البلدية ـ الادب ص ١٧٤ .

٧ ـ فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ .

٨ ـ بروكلمان : الملحق الثاني ص ٥١٢ طبع ليدن .

وفاته :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر الشيخ علي السبيتي في رسالته (العقد المنضد والجوهر المجرد في شرح قصيدة علي بك الأسعد) : ان المؤلف رحمه الله رجع في آخر أيامه الى مسقط رأسه مكة المكرمة ، فلبث فيها الى موسم الحج تلك السنة ، ثم جاء مع الحاج الشامي الى بلادنا فقطن جبشيت وتوفي فيها هو وولده زين العابدين في سنة واحدة وله سبعون سنة تقريباً ، أما ولده فلم يتجاوز العشرين .

وبناءاً على ذلك فتكون وفاته في حدود سنة ١١٨٠ هـ إذ سبق ان ذكرنا ولادته في سنة ١١١٠ هـ فلاحظ .

ذريته :

ذكر المؤلف في حديثه عن صاحب بندر المخا الفقيه احمد بن يحيى الخزندار وما شمله به من عطف واكرام حتى رتب له من بيت المال مرتباً ضمن له الحياة الهادئة فصمم على الاقامة بالبندر المذكور وذلك في سنة ١١٤٥ هـ قال :

فلما رأيت توجههم إلي وبرهم بي واحسانهم علي استخرت الله تعالى ونويت الاقامة ببندر المخا ، ومجاورة اهل الكرم والسخاء ، المعتمد عليهم في الشدة والرخاء واقمت والحمد لله في ظلال عدلهم ، وتزوجت وذلك من فضل الله وفضلهم ، ورزقت ولداً بقدرة الله وسميته عبد الله وذلك وقت الشروق يوم الاثنين غرة ذي القعدة الحرام سنة ١١٤٦ . . . . . وارخت ولادته بقولي :

قد حباني خالق رب السما بغلام طاب أصلا ونما
وهو عبد الله قد سميته راجياً من فضله أن يسلما
فلربي الحمد والشكر فكم عمني فضلا وكم قد انعما
واتى إلتاريخ في مولده بيت شعر مثل در نظما
(أبقه يارب لي طول الزمان في سعود وصعود قد سما)

ثم توفي ذلك المولود في صبح ١٤ صفر من تلك السنة .

ثم رزقني الله بعد ذلك الولد ولداً وسميته محمداً وكانت ولادته في نصف الليل من ليلة الاربعاء ، عندما ذكر المذكر في السحر ودعا ، في ١٦ محرم الحرام سنة ١١٤٨ . . . .

وهذا كله من فضل ربي توكلت عليه ، وفضل مولانا الفقيه احمد المشار اليه لا زال لواء الدولة والاقبال منشوراً عليه وعلى اولاده وكل من لديه .

وهذا دعاء لا يرد لأنه اذا ما دعونا امنته الملائك

وذكر الشيخ علي السبيتي ـ فيما حكي عن كتابه ـ ان له زين العابدين ـ التوفى هو وابوه في سنة واحدة ـ ومنه عقبه في السيد عبد السلام المولود في حدود سنة ١١٧٩ وكان من الفقهاء والمحدثين ، وقد ذكر في تكملة الأمل للصدر والبغية والاعيان وغيرها .

ومن عبد السلام بقي عقب جده ـ المؤلف ـ فان عبدالسلام بن زين العابدين ابن المؤلف اعقب اربعة وهم : السيد عيسى ، والسيد موسى ، والسيد ابراهيم ، والسيد محمد . والسيد عيسى هو والد السيد عباس المؤرخ الثقة وقد شافه الشيخ السبيتي بتاريخ آبائه .

وللسيد عباس خمسة اولاد : السيد امين سم بمصر ومات بها ، والسيد محمد نزيل بلاد الفرس صاحب الرياضيات والكرامات مات في النجف الأشرف ، والسيد محمود ، والسيد علي ، والسيد قاسم .

والسيدموسى بن عبدالسلام كان فاضلاً اديباً شاعراً ووصفه السبيتي بالثقة .

وقال : وذريتهم ميمونة صالحة تعرف ببيت عباس ـ نسبة الى جدهم الأعلى السيد عباس المكي مؤلف النزهة ـ وفيهم الفقهاء والادباء .

نزهة الجليس :

كتابنا هذا الذي نقدمه للقراء اسماه مؤلفه بـ (نزهة الجليس ومنية الاديب الأنيس) وهو كاسمه ، حيث يجد القارىء فيه الطرفة الممتعة والنادرة الأدبية ، والحادثة التاريخية ، والنكتة اللغوية ، فهو كمن ينتقل بين الرياض المونقة ، ويستاف منها مختلف الروائح الذكية . ولقد وصفه مؤلفه واطراه بقوله :

جميع الكتب يدرك من قراها ملال او فتور او سئآمه
سوى هذا الكتاب فان فيه بدائع لا تمل الى القيامه

وقد جعل تأليفه لكتابه هذا جزاءاً للاحسان الذي غمره به الفقيه عبد الله بن احمد الخزندار فقال :

وجعلته باسم مولانا الفقيه المشار اليه .... ولم اجعله باسم احد غيره لما ترادف علي من وافر إحسانه وخيره .... فكم له علينا من فضل وأيد وكم اغنانا عن بذل ماء الوجه لعمرو وزيد .... فلهذا ختمت هذا الكتاب بذكر جنابه ....

وكان الفراغ من تأليفه ببندر المخا في رابع شوال سنة ١١٤٨ هـ

هذا ما تيسر لنا عرضه من حديث عن المؤلف وكتابه ، وارجو ان اكون قد أفدت القارىء بشيء عن حياة المؤلف رحمه الله . والحمد لله بدءاً وختاماً .

النجف الأشرف
١١ ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ

محمد مهدي السيد حسن الخرسان

كلمة شكر و تقدير

لا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى سماحه العلامة المحقق السيد أحمد الحسيني دامت بركاته ؛ حيث تفضل علينا باعطائنا نسخة من هذا الكتاب الذى بين يديك ـ أيها القارئ الكريم ـ و هو « نزهة الجليس ، و منية الأديب الأنيس » و على أثر ذلك أعدنا طباعته مرة أخرى ؛ لما فيه من الفائدة .

و السيد أحمد الحسيني ـ أيده اللّه تعالى ـ غنى عن التعريف و البيان ؛ إذ عرف بالخلق الرفيع ، و الورع أولاً ،

و هو أحد وجوه الشيعة المحققين البارزين ثانياً .

كما عرف بغيرته و حرصه الشديد على إحياء تراث أهل البيت «عليهم السلام » ثالثاً .

و انطلاقاً من ذلك فقد تصدى لمهمة التأليف و التحقيق فى تراث أهل البيت « عليهم السلام » و ما خلفه السلف الصالح من الأصحاب و العلماء الاعلام رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين منذ اكثر من ثلاثين عاماً .

و كل ذلك كان بدأب وجد متواصلين حتى بلغ مجموع ما قدمه من إنتاج الى المكتبة الإسلامية اكثر من ثمانين مؤلفاً و محققاً ، و لا زال منكباً على التراث خدمة و عطاء .

و اللّه تعالى نسأل أن يطيل عمره الشريف فى خير و عافيه ، و أن يسدد خطاه ، و يبارك فى قلمه الثرإنه سميع مجيب .

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إبتدأت كتابي هذا ﴾ بالبسملة ، اقتداء بالكتاب العزيز ، وعملا بقوله ﷺ : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالبسملة ، وفي رواية بالحمد له ، فهو أقطع ، وفي رواية فهو أجذم ، وفي رواية فهو أبتر . والمعني انه ناقص قليل البركة . والباء في بسم الله للملابسة ، وقيل للمصاحبة ، وقيل للاستعانة . والأول أقوى ، ومعناه ألا بس كتابي هذا ببركة بسم الله تعالى .

وأما قول من قال انها للمصاحبة ، فمردود لأن المصاحبة تقتضي استمرار المصاحبين من ابتداء الفعل إلى آخره . كما في قولك : جئت بزيد ، فزيد مصاحب لفاعل المجيء من ابتدائه إلى انتهائه . والتأليف لا تصاحبه البسملة ، إذ ينقطع بالشروع في الكتاب ، وقول من قال انها للاستعانة مردوداً أيضاً لان الاستعانة لا تكون إلا بآلة ، كما في قولك ضربت بالسيف .

وأسماؤه تعالى يجب تنزيهها عن جعلها آلة يستعان بها ، كما انه يجب تنزيه ذاته تعالى .

والاسم مشتق من السمو ، أي العلو ، على رأي البصريين ، ومن السمة ، أي العلامة على رأي الكوفيين .

وباسم : جار ومجرور متعلق بألابس ، والله اصله إله ، كامام ادخلت عليه ال ، فصار الاله ، وقمت الهمزة بين متماثلين فحذفت فصار أل لاه ، ادغمت اللام الاولى في الثانية ، فصار اللاه ، ثم فخم ، فصار : الله .

والرحمن الرحيم : صفتان بنيتا للمبالغة ، فمعنى الرحمن هو المنعم بجلائل النعم والرحيم هو المنعم بدقائقها ، انتهى .

اللهم يا من قصرت عن ادراك حقيقة كنه ذاته الفكر ، وسافرت فيه العقول فما ربحت إلا أذى السفر ، فرجعت حسرى ، وما وقعت على عين ولا أثر . لان الذي تطلبه خارج عن قوة البشر :

فيك يا اغلوطة الفكر حار فكري وأنقضى عمري
سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقعت لا على عين ولا اثر
فلحا الله الأولى زعموا انك المشهود بالنظر
كذبوا ان الذي طلبوا خارج عن قوة البشر

﴿شرح﴾ أصل اللهم عند الخليل يالله ، حذف حرف النداء وعوض عنه الميم ولذلك لا يجمع بينهما إلا ضرورة ، كقول الراجز :

انى إذا ما حدث ألما أقول ياو اللهم يا اللهما

وانما أخرت الميم تبركا باسمه تعالى ، وخصت بذلك دون غيرها ، لان الميم عهد زيادتها آخراً كميم زرقم ، لشديد الزرقة ، هـــذا مذهب البصريين ، وذهب الكوفيون إلى ان الميم ليست عوضاً ، بل بقية من جملة محذوفة ، وهى آمنا بخير .

قال الرضى : وهذا ليس بوجه ، لأنك تقول : اللهم آمنهم بخير .

وقال ابو على : ولانه لو كان كما ذكر لما حسن اللهم آمنا بخير ، وفي حسنه دليل على ان الميم ليست مأخوذة منه إذ لو كان كذلك لكان تكراراً ، انتهى .

وقصر : بالضم من القصر ، كعنب خلاف الطول فيكون من باب الاستعارة التبعية . وأما القصور بمعنى العجز ، ففعله قصر السهم عن الهدف إذا لم يبلغه والله سبحانه أعلم .

رافع السموات وباسط الارضين ومرسي الجبال ومفجر العيون ، وخالق البحر المسجور ، ومجري فيه الجوار المنشآت كالاعلام لمصالح عباده ليعلم الشكور

منهم والكفور . اوجد بحكمته الخلائق ، وهداهم إلى احسن الخلائق ، وبين لهم اوضح الطرايق ، وأرشدهم إلى انجح الامور ، وجعل لهم الارض ذلولا ، وأمرهم بالمشى فى مناكبها لاكتساب الارزاق الدنيوية والأخروية ، طبق مقتضى حكمته ، وقدره المقدور . فقال عز من قائل : (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) فنحمده من حكيم قادر حليم ساتر عظيم قاهر كريم غافر ، اشرق شموس البلاغة في افلاك سماء الخواطر ، وأطلع بدور الفصاحة في افق روية كل ناظم وناثر

﴿ شرح ﴾ الحمد : ينقسم إلى معنيين ، لغوى واصطلاحي ، فاللغوي هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم والتبجيل سواء تعلق بنعمة أم لا ، والاصطلاحي هو فعل ينبيء عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره ، فبينهما عموم وخصوص من وجه ، فاللغوي أعم باعتبار المتعلق ، وال في الحمد للجنس ، كما قال المحققون ، واللام في لله للاختصاص ، فمعناه جنس الحمد مختص بالله تعالى .

ونشكره من جليل جبار لاتدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وبرأ بقدرته الليل والنهار ، والفلك الدوار ، وخلق الشمس والقمر آيتين لأولى الالباب والافكار ، وجعل الأدب روضاً ناضراً لازهار عطر النسائم تقطف منه أنامل البصائر والابصار ، ومنهلا صافياً ترده هيم الافكار .

﴿ شرح ﴾ الشكر حالة نفسانية تنشأ من العلم بالمشكور وصفاته وانعامه وتثمر العمل بالقلب واللسان والاركان وهم بالنظر إلى تلك الثمرة عرفوه بانه فعل دال على تعظيم المنعم قولا وعملا واعتقاداً ، وما احسن قول محمود الوراق :

شكر الاله نعمة موجبة لشكره
وكيف شكري بره وشكره من بره

ونصلي ونسلم على حبيبه وصفيه سيدنا محمد النبي المختار الذي نظم عقود الدين بالاسمر الرديني ، ونثر رؤس الجاحدين بالابيض البتار الصادع بتبليغ الرسالة

المنقذ العالم من الجهالة، اشرف المرسلين فضلا وقدراً ، القائل ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا :

الله فضل قدر جاه محمد وأناله شرفا لديه عظيما
في محكم التنزيل قال لخلقه صلوا عليه وسلموا تسليما

﴿ شرح ﴾ اختلف العلماء في اشتقاق الصلاة ، فقيل : انها مأخوذة من صليت العود بالنار إذا لينته وقومته ، لان المصلي يلين بالحنو والعطف ويسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يعرض على النار .

قال النووي : وفي هذا القول غباوة من صاحبه ، لأن الصلاة واوية وصليت العود من ذوات الياء ، فكيف يصح الاشتقاق .

قال الزركشي: وهو عجيب فان المشدد تقلب منه الواو ياء ، كما في زكيت المال والظاهر ان النووي توهم انه ماخوذ من صليت المخففة ذاهلا عن كون الثقيلة وهي التصلية كالتزكية مصدر صلى المشددة ، لا المخففة ، انتهى .

وهذا التعجب أعجب فان كلا من صليت العود ، وصليته المخففة والمشددة من ذوات الياء ، فلم تقلب الواو في المشددة ياء ، كما زعمه الزركشي بل الياء فيهما من صنخ الكلمة بخلاف التزكية ، فانها واوية ، فقلبت الواو ياء مع التشديد ، وهذا ظاهر ، وقيل : ان الصلاة مشتقة من الصلوين ، وهما عرقان من جانبي الذنب وعظمان ينحنيان عند الانحناء، فناسب ان يراد بهما الحنو والانعطاف المعنويين .

وقال الزمخشري : الصلاة فعلة من صلى ، كالزكاة من زكى ، وكتبت بالواو على لفظ المفخم ، وحقيقة صلى حرك الصلوين ، لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ، انتهى .

فان قلت هذا الاشتقاق انما يناسب معنى الصلاة ذات الركوع والسجود لا المعنى المراد منها هنا .

قلت : اجيب بأن المصلي لما كان ينعطف في ركوعه وسجوده ، فكانت

الصلاة ذات الاركان مشتملة على التعطف صيرت للتعطيف على الغير حنواً وترؤفاً

وقيل : بل اصل الصلاة اللغوي بمعنى الدعاء ويؤيده ان الصلاة بهذا المعنى في اشعار الجاهلية كثيرة الاستعمال .

وقال الجمهور الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ، ومن الآدميين الدعاء واستبعد هذا من جهات ، احدها اقتضاؤه الاشتراك ، والاصل عدمه لما فيه من الالباس حتى ان قوماً ينفونه ، ثم المثبتون له يقولون متى عارضه غيره مما يخالف الاصل كالمجاز قدم عليه ولذلك تسمعهم يقولون المجاز خير من الاشتراك .

الثانية : إنا لا نعرف في العربية فعلا واحداً يختلف معناه باختلاف المسند اليه إذا كان الاسناد حقيقياً .

الثالثة : ان الرحمة فعلها متعد والصلاة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدي .

الرابعة : انه لو قيل مكان صلى عليه دعا عليه انعكس المعنى وخفي المراد بين صحة حلول كل منهما محل الآخر .

وقال شيخ الطائفة الشيخ زين الدين في بعض مصنفاته : الصلاة هي الدعاء من الله ومن غيره ، لكنها منه تعالى مجاز في الرحمة وهو اولى مما قيل من انها منه تعالى بمعنى الرحمة ، ومن غيره الدعاء بطلبها او انها منه كذلك ، ومن ملائكته الاستغفار ، ومن المؤمنين الدعاء لاستلزام الاشتراك والمجاز خير منه والمعنى الاصلي اولى من النقل وعطف الرحمة على الصلاة في قوله تعالى : (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) لا يقدح في كونها بمعناها لجواز عطف الشيء على مرادفه ، كقوله تعالى : (انما اشكو بثي وحزني إلى الله ولا ترى فيها عوجا ولا إمتاً) وهو كثير ، انتهى كلامه رفع مقامه .

وقال المحققون : انهما لغة بمعنى واحد ، وهو العطف بالنسبة إلى الله تعالى الرحمة اللائقة به تعالى، وإلى الملائكة الاستغفار، وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض

قال السهيلي في نتائج الفكر : الصلاة كلها وان اختلفت معانيها راجعة إلى اصل واحد فلا تظنها لفظ اشتراك واستعارة ، انما معناها العطف ، ويكون محسوساً ومعقولا ، انتهى .

والحاصل: ان الاختلاف على هذا القول في افراد معنى الصلاة ، وعلى قول الجمهور في نفس معنى الصلاة ، ومعنى الصلاة على رسول الله ﷺ تعظيمه في الدنيا باعلاء كلمته وابقاء شريعته ، وفي الآخرة بتضعيف مثوبته والزيادة في رفع درجته وغاية الدعاء بذلك عائد إلى المصلي ، لان الله تعالى قد اعطاه من اعلاء الكلمة وعلو الدرجة ، ورفع المنزلة ما لا يؤثر فيه صلاة مصل ، ولا دعاء داع ، وقيل : بل غايته طلب زيادة كماله وقربه من الله إذ مراتب استحقاق نعم الله تعالى غير متناهية

وأما الصلاة عليه في غير الصلاة وعند عدم ذكره فمستحبة عند جميع أهل الاسلام ولا نعرف من قال بوجوبها غير الكرخي ، فانه اوجبها في العمر مرة كما في الشهادتين .

وأما في الصلاة فهي واجبة عند الامامية في التشهدين معاً .

وقال الشافعي : هي مستحبة في الأول واجبة في الثاني .

وقال ابو حنيفة ومالك : مستحبة فيهما .

وأما عند ذكره ﷺ فظاهر في كثير من الاخبار ، كقوله ﷺ : من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار ، ومن ذكرت عنده فنسي الصلاة علي خطىء به طريق الجنة .

وقوله من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار وأبعده الله ، دليل على انها تجب كلما ذكر وكلما سمع ذكره لان الوعيد امارة الوجوب ، ومنهم من اوجبها في العمر مرة ، صلى الله عليه وعلى آله خير آل ، عليهم سلام الله مالمع آل :

يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى انه نار قبس
لا أوالي الدهر من عاداكم انه آخر حرف في عبس

أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فمن والاهم فقد نال نعيما وملكا كبيرا في جنة لا يرى فيها شمساً ولا زمهريرا . ومن عاداهم فسوف يصلى سعيراً :

يا أهل بيت النبي من بذلت ... في حبكم روحه فما غبنا

من جاء عن بيته يحدثكم ... قولوا له البيت والحديث لنا

أقول: قال في القاموس في باب اللام فصل الهمزة أهل الرجل عشيرته وذووقرباه إلى ان قال : وللرجل زوجته كأهلته ، وللنبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره علي او نساؤه ، والرجال الذين هم آله ، ولكل نبي امته .

قال المحقق المدقق الحبر العلامة عمي السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه الطاهرة الآتي ذكر ترجمته ان شاء رب الدنيا والآخرة في حاشيته المسماة برجل الطاوس إذا تبختر القاموس ، وهي حاشية عليه مفيدة عزيزة ، ما هذا لفظه .

أقول : قد قال في مادة أول الآل ما أشرف من البعير إلى ان قال : وأهل الرجل وأتباعه وأولياؤه ولا يستعمل إلا فيما فيه شرف غالباً فلا يقال آل الاسكاف كما يقال اهله واصله ، أهل أبدلت الهاء همزة فصارت أ أل توالت همزتان فأبدلت الثانية الفاً تصغيره اويل وأهيل ، انتهى .

ومقتضى قوله وأهل الرجل ان يصدق الآل على ما يصدق عليه الاهل وهو عشيرة الرجل وذو قرباه ، وعلى زوجته أيضاً لانه بذلك فسر الأهل ، ثم نص على ان الآل بمعنى الاهل لكن قيد الآل بما فيه شرف غالباً .

(وفي الصحاح) وآل الرجل اهله وعياله وآله ايضاً اتباعه ، وقال في الأهل أهل الرجل واهل الدار ، وكذلك الأهلة ، انتهى . وهي عبارة تؤدي مؤدى عبارة القاموس ، لكن لم يفيد بما فيه شرف وتفيدان المؤنث بالهاء لا يختص بالزوجة بل يطلق على غيرها ممن يصدق عليه الاهل ويكون التأنيث بمعنى الجماعة فتأمل ذلك .

وعندي في اطلاق الآل على الزوجة في كلام العرب توقف لعزة شاهد يدل عليه والله تعالى اعلم .

وقوله : وللنبي ﷺ أزواجه إلى قوله ولكل نبي امته ، لا يخفى ان هـذا المعنى المختص بالنبي ﷺ على الخلاف فيه ليس هو بمقتضى الاطلاق اللغوي . وانما الاطلاق شرعي ان ثبتت الحقائق الشرعية . وإلا فهو اطلاق في عرف المتشرعة أي حقيقة عرفية ، وكذلك القول في قوله : ولـكل نبي امته وذلك لان مقتضى اطلاق الحقيقة اللغوية ان اضافة اهل إلى نبينا ﷺ مثل اضافته إلى غيره فى احتمال المعانى المشتركة فيها لفظ الاهل فانه حسبما نص عليه مشترك بين العشيرة وذي القربى وبين الزوجة ، ثم ان هذين المعنيين اللذين ذكرهما في كل منهما استعمال المشترك في معنييه فان تناوله للازواج لان زوجة الرجل اهل وتناوله لبناته وصهره علي لان العشيرة وذوي القربى اهل وكذا القول في قوله اونساؤه والرجال الذين هم آله ، فما لم يكن هذا المعنى حقيقة شرعية او عرفية لم يصح من حيث اللغة إلا مجازاً ، لأن استعمال المشترك في معنييه يمنعه الـكثيرون ، ومن يجيزه من المحققين يجيزه مجازاً لا حقيقة على ان المعروف في هـذا المعنى الذى قلنا انه شرعي او عرفي هو اضافة اهل إلى بيت المضاف إلى النبي (ص) لفظاً والمنوي فيه اضافته اليه حسبما هو في قوله تعالى (ليذهب عنكم الرجس اهل البيت) وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم: وعترتى اهل بيتي ، وغيره من الاحاديث وهى كثيرة ومقتضى عبارة القاموس تقرر هـذا المعنى في اضافة اهل الى النبي (ص) وليس كذلك وان كان الآل في الاضافتين واحـداً هذا والشأن في اثبات كون هذين المعنيين حقيقة شرعية او عرفية فضلاعن ان تكون لغوية ، ومن اطلع على اختلاف العلماء في المراد بأهل بيت النبي (ص) فى آية التطهير وفي الاحاديث رجح عدم الحقيقة الشرعية او العرفية وان بناءهم انما هو على اللغوية (ونحن) نشرح الخلاف في هذا المعنى الذي قلنا انه شرعي اوعرفي، ثم نتكلم فيه .

قال فاضل الشافعية السيد علي السمهودى في جواهر العقدين في آية التطهير

وقد اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى في هذه الآية (أهل البيت) فقالت فرقة منهم ابو بكر النقاش : هم نساء النبي (ص) لانهن في بيت سكناه ، ولقوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) والرجال الذين هم آله يعني أهل بيت نسبه وهم من حرم الصدقة كما سيأتي، والألف واللام في البيت لشمول بيت السكنى وبيت النسب ، قال السيد: وهذا القول هو المعتمد الذي رجحه جماعة ، وقالت فرقة اخرى منهم الكلبي: هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة للاحاديث المعتمدة ، قال ابو بكر النقاش في تفسيره : اجمع اكثر اهل التفسير انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين ، انتهى .

واستدلوا بتذكير الضمير في قوله تعالى : (ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) ولو كان لنسائه خاصة كما هو ظاهر السياق وذهب اليه فرقة اخرى لقال عنكن ويطهركن إلا ان يقال التذكير لرعاية لفظ اهل ، والمراد بيت سكناه إلى ان قال السيد : وذهب الثعلبي ان المراد من اهل البيت في الآية بنو هاشم بناء على ان المراد بيت النسب فقط ، انتهى .

المراد من كلامه وقد أفاد ان في المراد بأهل البيت في الآية الكريمة اربعة اقوال ، من جملتها القولان اللذان ذكرهما صاحب القاموس زاعماً انهما حقيقة لغوية إذ لا يذكر في كتب اللغة إلا هي ولا خفاء في ان مرجع كل من الاقوال الاربعة بنوع اعتبار إلى معنى الاهل ، ومعنى البيت لغة وليس شيء منها حقيقة شرعية ولا عرفية وبيان مرجعها إلى المعنى اللغوي ان الآل والأهل في اللغة مشترك بين الزوجة وسكان الدار ، وبين عشيرة الرجل وذوي قرباه ، كما نص عليه هو وغيره ، والبيت مشترك بين بيت السكنى والعيال وبيت الشعر وبيت النسب ، والاخير عبر عنه في القاموس بقوله والشرف ولم يذكره في الصحاح .

وقال ابن الاثير في النهاية: بيت الرجل داره وقصره وشرفه إلى ان قال : وفي

شعر العباس رضي الله عنه يمدح النبي (ص) (وهو) :

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

أراد شرفه فجعله في اعلى خندف بيتاً والمهيمن الشاهد ، أي الشاهد بفضلك ، انتهى ما في النهاية .

فمقتضى اللغة انه حيث قيل اهل بيت النبي ، او اهل النبي (ص) كان محتملا لعشيرته وذوي قرباه ، ولمن يعد من عياله وسكان داره واخصهم الزوجات وبخصوص الزوجات لايتعين لاحدالمعانى المذكورة إلابالقرينة فالمفسرون المتكلمون في الآية الشريفة رجع كل ذي قول منهم إلى معنى لغوي حسبما دل عليه الدليل عنده ، فمن قال المراد نساء النبي (ص) رجع إلى معنى الزوجة وأهل الدار ، أي سكانه بدليل السباق والسياق لان ماقبل الآية وما بعدها في زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقوله لانهن في بيت سكناه وكأنه يريد ان معنى بيت السكنى أظهر عند اطلاق لفظ البيت والزوجات أهل البيت بهذا المعنى ، ومن قال المراد بنوهاشم رجع إلى معنى بيت النسب بدليل تذكير الضمير من قوله (عنكم ويطهركم) وبذلك يستدل ايضاً من قال علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة ، وله ان يرجع إلى معنى بيت النسب وان يرجع إلى معنى اهل الدار ، أى سكانه لان المذكورين رضى الله عنهم من اهل دار رسول الله (ص) فان فاطمة بنته ، والبنت اخص بأهلية الدار وسكنه من الزوجة والصنو بذلك ، وعلي من اهل داره صلى الله عليه وآله لم يفارقه منذ اخذه من والده ابى طالب في القحط الذي وقع لقريش وكفله وهو صغير السن إلى ان زوجه فاطمة واسكنه في داره ايضاً ، وهذه دار فاطمة تعد من من داره صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ان صاحب هذا القول استدل على ارادة خصوص هؤلاء من بين اهل بيت النسب وسكان الدار بالاحاديث الصحيحة الكثيرة ، وقد اوردها السيد في جواهر العقدين ، ومن جملتها احاديث وضع الكساء على اربعة ، ثم تلاوته صلى الله عليه وآله وسلم للآية ، وقوله : هؤلاء

أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قالوا : وهي عبارة تفيد قصر أهل البيت في الآية على المذكورين ، ثم طلبت أم سلمة رضى الله عنها الدخول معهم فمنعها صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال: انك إلى خير وذلك في صحيح مسلم وهو دليل على عدم تناول الآية للازواج ، ولا يخفى ان هذا القول مبني على اطلاق العام وارادة الخاص ، كما في قوله تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم) الآية ، قالوا : المراد شخص مخصوص من الصحابة ، وهذا في القرآن كثير وهو غير ذكر العام ثم تخصيصه ، واجاب اهل هذا القول عن دليل السباق والسياق بمعارضته بدليل تذكير ضمير عنكم ويطهركم ، وبانه كثير في القرآن الكريم الخروج من مقصد إلى مقصد ، ثم الرجوع إلى المقصد الأول ومن أبلغ ذلك قوله تعالى (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه) فخرج عن هذا بقوله (ووصينا الانسان بوالديه) وما بعدها من الآيات ، ثم عاد إلى كلام لقمان لابنه ، ولئن كان ذلك لمناسبة ذكرها البيضاوي ، فالمناسبة فيما نحن فيه ظاهرة وهي حث الزوجات على امتثال الاوامر التي في آياتهن قبل هذه الآية وبعدها بذكر عناية الله العظيمة بهؤلاء حتى حصر ارادته تعالى اذهاب الرجس والتطهير فيهم ، وليس ذلك إلا لقوة امتثالهم أوامر الله تعالى ، وإذا تقرر ذلك علم ان القول بان المراد من الآية نساء النبي ﷺ والرجال الذين هم آله أي اهل بيت نسبه ضعيف لانه مبني على استعمال المشترك في معنييه ، لان اللفظ مشترك كما علمت بين الزوجة وبين العشيرة وذوي القربى ، وقد علمت ان كثيراً من المحققين يمنعونه مطلقاً ومن المحققين من يمنعه حقيقة ويجوزه مجازاً والمجاز يتوقف على القرينة ، ولا قرينة في الآية الكريمة على ذلك وانما الموجود قرينة ارادة الزوجات فقط وهي قرينة السياق والسياق وقرينة ضد ذلك وهي تذكير ضمير عنكم ويطهركم فلا محيص عن تقوية احد القرينتين والبناء في معنى الآية عليها والنقل من السنة الشريفة عاضد للقرينة الثانية وهو احاديث الكساء التي اشرنا اليها ، وناهيك باخراج ام سلمة ، وهي بعض الزوجات

رضى الله عنهن ، وانما ذكرنا الاقوال في هذه الآية ، ودليل كل منها ونحو ذلك من كلام العلماء في لفظ اهل البيت الوارد في الاحاديث الشريفة وفي لفظ آل محمد الوارد في الصلاة عليهم في التشهد وغيره ، وراجع كتاب جواهر العقدين في ذلك تعرفه لتعلم ان القولين المذكورين بقوله ، وللنبي ﷺ ازواجه وبناته وصهره الخ انما هما مذهبان للعلماء المتكلمين في هذه الآية وفي الاحاديث تبعاً للحقيقة اللغوية للفظ الاهل والبيت وليسا بحقيقة لغوية بل ولاعرفية في عصره ﷺ ومما يستظرف من الجهل الواضح والكذب الفاضح زعم بعض من عاصرنا من العلماء ، ان العترة أهل البيت في قوله ﷺ : انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى اهل بيتي ، وان اللطيف الخبير اخبرنى ان لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بم تخلفونى فيهما ، هذا لفظه في مسند الامام احمد والاوسط للطبرانى وكتاب ابى يعلى ونحوه في الترمذي ، وقال حسن غريب ونحوه فى صحيح مسلم وغيره ، كما ذكر في جواهر العقدين ، المراد بهم علماء الامة مطلقاً ، وصنف في ذلك رسالة سماها اقالة العثرة ببيان معنى العترة اونحو هذا اللفظ ، وهذا يكذبه اولا عبارة القاموس التي نحن بصددها ، ويضاف اليه عبارته في تفسير العترة هى : وقوله والعترة بالكسر قلادة ، إلى ان قال : ونسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ، انتهى .

وفي الصحاح : وعترة الرجل نسله ورهطه الأدنون ، انتهى .

وعبارته في تفسير الأهل ، وتفسير البيت نحو عبارة القاموس ، ومثله عبارة ابن الأثير فى النهاية وفي جامع الاصول ، وعبارة كل كتاب مصنف في اللغة او في الغريبين ، ويكذبه ثانياً كلام العلماء الذين صنفوا في فضائل أهل بيت النبي (ص) والآيات والاحاديث الواردة فيهم ، كالمحب الطبري في ذخائر العقبى ، والسخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف ، والسيد علي السمهودي في جواهر العقدين ، والجلال السيوطي في احياء الميت ، والجمال الحافظ الزرندي في درر السمطين ، وابن طلحة

الشافعي في غاية السؤول ، وابى الحسن علي السفاقسي ثم المالكى في الفصول المهمة والعلامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق ، وفي شرح همزية الابوصيري وغيرهم فجميعهم فسروا لفظ العترة ولفظ اهل البيت بنحو ما ذكرناه ولم يحتج احد إلى ما ذكره هذا الرجل . (وانما) جاء قول في لفظ آل محمد الوارد في تشهد الصلاة انهم امته صلى الله عليه وآله وسلم وهو خلاف ما عليه المحققون وقد ردوه كما في جواهر العقدين ، وحسبك في رده حديث الحاكم في مستدركه (ولفظه) فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم اهل البيت ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، تمام الحديث .

قال في جواهر العقدين : اخرجه الحاكم في مستدركه وأشار إلى ان ما استدركه مع كونه فى الصحيحين من هذا الوجه لافادة ان اهل البيت هم الآل إلى آخر كلام صاحب جواهر العقدين ، والله تعالى اعلم وعلى اصحابه السادة الكرام البررة سيوف الله المسلولة على اعدائه الكفرة ، السالكين نهج الخلافة الراشدة والدين القويم ، والباذلين مهجهم واموالهم في حبه عليه افضل الصلاة وازكى التسليم :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ماذا رأى منهم في كل مصطدم
وسل حنيناً وسل بدراً وسل أحداً فصول حتف لهم ادهى من الوخم

وعلى سائر التابعين والاتباع والتبع ، صلاة تأمن بها من هول يوم الفزع ، ما عطرت الرياض نوافح الازهار وغردت على الافنان الاطيار ، وغنت بصوتها المغني عن الناي والاوتار وساح السائح في الاقطار ، وشاهد عجائب ملكوت الواحد القهار .

﴿ فائدة ﴾

الصحابى : من صحب النبي ﷺ ، والتابعي : من رأى الصحابى ولم ير النبي ﷺ ، والتباع : من رأى التابعي ولم ير الصحابى ، والتبع : من رأى الاتباع ولم ير التابعي ، بيان ذلك عبد الله بن عمر صحابى ، ونافع روى الحديث عنه وهو

من التابعين ، ومالك بن انس روى الحديث عن نافع وهو من الاتباع ، والشافعي روى الحديث عن مالك فهو من التبع .

وبعد : فيقول المستمسك بحبل اصحاب الصراط السوي العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي غفر الله له ولوالديه ، واحسن اليهما واليه وجعل سحائب بره هاطلة عليه ، لايخفى على كل ذي نفس ابية وهمة علوية ان الاقامة بدار الذل والهوان بين الاعداء والحساد ابناء هذا الزمان هو الداء العضال ، بل الموت الاحمر ، وان التنقل منها إلى غيرها وارتكاب شدائد الاسفار أجمل له واستر :

سأعمل نص العيس حتى يكفني عن المال يوماً او عن الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها على المرء بالاقلال وسم هوان

كيف وقد قيل من الكلم النوابغ والحكم ، إذا لم تكن ذا عرنين اشم لريح الذل اشم :

ولم اغترب إلا لاكتسب الغنى فأسقي منه كل ذي ظمأ سجلا
ويعلو الغمام الارض من اجل انه يسوق اليها وهي لن تبرح الوبلا
إذا ماقضت نفسي من العز حاجة فلست ابالي الدهر أملي لها ام لا

وقال بعض بلغاء الزمان ، صعود الآكام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان :

لا يمنعنك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى اهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها ارضاً بأرض وجيراناً بجيران

وقيل من كلام الحكمة التي لا تستغني عنها الامة ، ان الله لم يجمع منافع الدنيا في ارض ، بل فرقها واحوج بعضهم إلى بعض ، فمن ساح في الاقطار ، وتنقل بين القرى والامصار كان حريا ان يرى العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب:

ان مقام المرء في بيته مثل مقام الميت في لحده
فاستغنم الرحلة نحو الغنى فالسيف لايقطع في غمده

والنار لا يحرق مشبوبها إلا إذا ما طار عن زنده

وقال النبي الشفيع في العصاة: العباد عباد الله ، والبلاد بلاد الله ، فاينما وجدت الخير فأقم واتق الله .

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيـــه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

وقال من قوله الصدق ، الاصح سافروا تصحوا :

سافر إذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ان جرى طيباً ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

وفي التوراة مكتوب ، من كلام علام الغيوب ، الذي افنى وابقى ، واسعد واشقى ، ابن آدم احدث سفراً أحدث لك رزقا :

أما تريني على بغي العلاء لاعباء العناء حمولا دائم النصب
فما استوى شرف إلا على كلف ولا صفا ذهب إلا على لهب

والاسفار مما تدعو إلى شكر نعمة الكريم الغفار ، وتزيد علما بقدرة الواحد القهار وحكمة الحكيم الستار :

قالوا تراك كثير السير مجتهداً في الارض تنزلها طوراً وترتحل
فقلت لو لم يكن في السير فائدة ما كانت الشمس في الابراج تنتقل

وكنت كثيراً اقضي ليالي وأيامي بالآمال ، لان فيها راحة للنفوس ، واتمنى الاسفار في الاقطار والانتقال ، لما قاسيت في وطني من المشقة والبؤس :

ان كنت تبغي وطناً من العلا فاغترب
فالسمر في غاياتها معدودة في القصب
والشمس لا ترقب في المشرق لو لم تغرب

فما برحت اقطع اوقاتي بصارم الامل ، واعلل نفسي بحتى ولعل ، قال من به

ارجو غفران زلتي الامل راحة لامتي :

أماني من ليلي حساناً كأنما سقتني بها ليلى على ظمأ بردا
مني ان تكن حقاً تكن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

وقال سيد الخلائق بلا امترا ، لو لا الأمل ما أرضعت والدة ولدا ولا غرس غارس شجرا :

لو لا ثلاث هن أقصى المنى لم اهب الموت الذي يردي
تكميل ذاتي والعلوم التي تنفعني ان صرت في لحدي
والسعي في رد الحقوق التي لصاحب نلت بها قصدي
فبعدها اليوم الذي حم لي عندي استوى في القرب والبعد

ثم من بعد ليتما وليت ، بلغني الله ما تمنيت ، فسافرت من بيت الله ، وسحت اثنتي عشرة سنة في ارض الله :

أقول لجارتي والدمع جاري ولي عزم الرحيل من الديار
ذريني ان اسير ولا تنوحي فان الشهب اشرفها السواري

وكان يعز علي سفري من بيت الله الحرام ومفارقتي لتلك المآثر العظام :

بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول ارض مس جلدي ترابها

لكن لي اسوة برسول الله ﷺ فانه خرج منها وهي احب البقاع اليه حين آذاه اهل الشرك والطغيان ، فهاجر منها إلى طيبة وأقام بها ، إلى ان كان من امره ما كان :

وان صريح الحزم والمجد لامرىء إذا بلغته الشمس ان يتحولا

فاني لحقت فيها وقتاً قليل الانصاف ، ينصب السفلة ويخفض الاشراف ، ويرفع فيه الجاهل ، وينحط العالم ، ويتدنى فيه سهيل وتستعلي النعائم :

هذا الزمان على ما فيه من كدر حكى انقلاب ليالية بأهليه
غدير ماء تراءى في اسافله خيال قوم تعشوا في نواحيه

فالرجل تنظر مرفوعا اسافلها والرأس ينظر منكوساً اعاليه

وبليت فيه بأقارب ، هم في الحقيقة كالعقارب ، وأصحاب وأخوان ، اشد أذية من الثعبان :

واخوان اتخذتهم دروعا فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب لقدصدقواولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي لقد صدقواولكن في فسادي

فهؤلاء الذين ظلموني ببعدي عن بلد الله الامين المأمون . وي كأنه لا يفلح الظالمون .

﴿ فائدة ﴾

وي : منفصلة عن كأن عند البصريين.

قال سيبويه : وي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم يستعملها النادم لاظهار ندامته

قال الثعلبي : اختلفوا في هذه اللفظة ، فقال الكسائي : معناها ألم تر أن الله يبسط الرزق ، ثم يبتدىء فيقول كأنه يعني انه لا يفلح .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : وي كأن أي او لا يعلم ان الله يبسط الرزق ، وهذا شاهد لقول الكسائي ، وذكر الخليل انها مفصولة وي ، ثم يبتدىء فيقول كأن .

وقال ابن عباس في رواية صالح : كأن الله يبسط الرزق كأنه لا يفلح الكافرون . وقال : وي صلة في الكلام وهذا شاهد لقول الخليل .

وقال الزجاجي: الذي قاله الخليل اجود وهو أن قوله وي مفصولة عن كأن لأن من ندم على شيء يقول وي ، ولما رأيتهم لايتغيرون ولا يحولون عن هذا الحال ، كرهت الاقامة بينهم واخترت الترحال :

فكل امرىء يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وكنت في مدة هـذه الاسفار اسطر كل ما شاهدته من العجائب في تلك البلدان والاقطار وأثبت اسم كل من اجتمعت به من العلماء الاحبار ، والصلحاء الابرار والرؤساء ذوي الافتخار والامراء والوزراء والادباء والشعراء ، وادون كل ما سمعته منهم ، من شعر لطيف ، وخبر ظريف ، ومسائل علمية ، ونكت ادبية فلما رأيت قد اجتمع عندي من ذلك شيئاً كثيرا استخرت الله سبحانه واهتديت به في كل الامور ، وكفى بربك هادياً ونصيرا ، وجعلت هذه الرحلة موافقة لحالي لائقة لمثلي وامثالي ، وسهرت على تأليفها الليالي ، وان كان جرابي من زاد الآداب خالي ، واثبت فيها هذا الذي نقلته ، وجمعته وحررته ، رجاء ان تكون تذكرة من بعدي للاصحاب ، ذوي البلاغة والآداب ، وتبصرة لمن تهزه نفسه لركوب غارب بعير الاغتراب ، وان يستفيد بمطالعتها الاصدقاء والاحباب ، فقد قيل :

أعز مكان في الدنا ظهر سابح وخير جليس في الزمان كتاب

ولم اسلك فيها طريق السلف اهل الرحل ، الذين بأحاديث فضلهم ، وكمالهم وادبهم يضرب المثل ، بل اخترعت لها جادة غير تلك الجادة ، ومادة ليست كتلك المادة ، معترفا بعجزي عن ادراك شأو اولئك الذين لهم في كل علم مصنف ، وفي كل فن مؤلف ، وايضاً من أقر بعجزه ، فقد انصف ، وعملا بقول القائل : خالف تعرف ، فجاءت على كل حال ، بعون المعين المتعال ، رحلة لطيفة ، انيسة ظريفة ، بليغة مفيدة ، وحيدة فريدة ، جميل معناها والبيان ، بثنية الحسن بلا دهان ، قد راقت الفاظها ورقت ، وحسنت معانيها البليغة ودقت ، فأتت بعون الخبير اللطيف على وضع بديع لطيف ، محتوية على توابخ وتراجم ، يهش لمعانيها الرائقة كشاجم وفوائد ادبية ، يشتاق لها ابن القرية ، واجوبة وايرادات ، والغاز ومعميات ، ورسائل انيسة ، وانشاءات نفيسة ، ومواعظ وتفاسير ، وتحارير وتقارير ، وعلوم غريبة ، وشواهـد عجيبة ، وأحاديث واخبار ، ونثر واشعار ، ونكت ولطائف ، وحكايات وظرائف ، ومسائل ومباحث ، يعجز في حلبتها كل مناضل ومنافث ،

فاذ أتت بعون القريب المجيب ، على هذا الاسلوب الظريف العجيب ، الذي يشتاق اليه الاديب ، شوق المحب إلى الحبيب ، وبرزت في حلية الكمال ، واسفرت عن وجه الجمال ، وتنزهت عن الزور والمحال وفاح عرف ازهارها ، واشتاقت الاعين إلى مشاهدة حسنها وانوارها .

سميتها بـ(نزهة الجليس) ومنية الاديب الانيس، واسأل الرب العلام، ان يبلغني المرام ، ويوفقني للاتمام ويحسن مبدئي والختام (وخدمت) بها حضرة المخدوم الاعظم ، الرئيس المعظم ، رفيع الرتبة والقدر ، الذى اغنانى في غربتى عن بذل ماء وجهي لزيد وعمرو ، وخالد وبكر ، الفقيه النبيه الذي لسان حالي ينشد فيه :

ولو ان لي في كل منبت شعرة لساناً يبث الشكر كنت مقصرا

احمدي الخلق ، حيدري الشجاعة ، كسروي العدل ، مأموني الفضل ، معتصمي الهمة ، عصامي النفس ، حاتمي الكف ، احنفي الحلم ، قيسى الرأي ، اياسى الذكاء، اصمعي الرواية والدراية ، العاقد لمكارم المحامد ، ومحامد المكارم اشرف راية معدن الصلة ، والمائدة والافادة :

الذي طالما شقيت ولكن ادركتني على يديه السعادة

صاحب القلم والسيف ، حامي الجار ، ومقري الضيف ، درة تاج وزراء اليمن ، وغرة جبهة وجه الزمن ، الحاكم العادل ، الثقة المؤتمن ، كامل السؤدد والفخار ، سامى الرتبة والمقدار ، صاحب الكرم الهاطل ، والجود المدرار ، الخير نسل الاخيار ، عزيزنا ومولانا ، وعمدتنا ومقتدانا ، الفقيه احمد بن المرحوم يحيى خزندار ، عصمه الله تعالى من شر كل غاشم وطارق آناء الليل واطراف النهار بحرمة البيت ذي الاستار ، والحجر والحجر والمستجار ، والشفيع الحبيب محمد المختار ، وآله واصحابه الاكرمين الاطهار ولا زال محروساً في الأهل والمال والولد من شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد ، بحرمة قل هو الله احد :

ما قلت في وصفه شيأ لامدحه إلا وجدت ثناه فوق ما اصف

غيره :

فسأثني بكل خير عليـه ان ترحلت او اردت مقاما

كيف لا وهو الذي غمرني بنواله ، وجبرني بافضاله ، وكملني بكماله ، حتى خلت انني من آله ، فالله تعالى يجزيه عني افضل جزائه ، ويزيده من اوفر نعمائه ومن الله المسؤل والمأمول ان يلاحظ تأليفي هذا بعين القبول ، فان لسان حالي ينشد ويقول :

إذا صح منك الود يا غاية المنى فـكل الذى فوق التراب تراب

* * *

غيره :

اوصافنا لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها

وحسبي الله وكفى ، وصلى الله على نبيه المصطفى ، وآله وصحبه الشرفا اهل الفضل والجود والوفا .

ثم انه دعاني للسفر والاغتراب داع آخر ، به قويت بالجد عزمتي ولم تمل لقول من ساخر ، وذلك انني كنت في عنفوان الشباب ، وعصر المرح والتصاب كنت مغرما بفن القريض راتعاً في روضة الاريض ، مولعاً بانشائه وانشاده ، مترددآ بين اغواره وانجاده ، مستنشقاً نسائمه العاطرة ، مجتلياً بدوره الزاهرة ، لـكنني لم اظفر بمن يثقف قناتي ، ويجلو صدأ مرآتي ، فلذا كان يخفق تارة وتارة يستبين ، وينزو مرة والأخرى يلين ، حتى ظفرت بجهينة الاخبار ، ونادرة الفلك الدوار ، من هو من غير الفضائل والمـكارم بري ، مولانا ابى الفتح السيد نصرالله ابن السيد حسين الحسيني الحائري ، فانشدني لسان الحال ، على سبيل الاستعجال:

ظفرت بالـكنز فاحمل من نفائسه وقد وقفت ببحر الفضل فاغترف

فسقاني بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، وناولني راية الادب ،

فتناولها عرابة فكري باليمين :

ومن كان الهزار له دليلا يمر به على ورد نضيد

فاشتغلت بالطلب لديه ، اسبل الله ستره الضافي عليه ، ففتح الفتاح ومنح ، وجاد لي الوقت ببغيتي وسمح ، ونلت الادب بعون رب الملا ، وان كان قد انقضى زمانه ، فلا ولا ، وكان اجتماعي به بمكة المشرفة ، اعز الله قدره السامي وشرفه ، عام الف ومائة وثلاثين ، من تاريخ هجرة خاتم النبيين .

﴿ فائدة ﴾

التاريخ سنة ماضية ، وطريقة راضية ، امر بها رسول الله ﷺ حين كتب إلى نصارى نجران ، فأمر علياً رضي الله عنه ان يكتب فيه كتب لخمس من الهجرة

وقال ابن شهاب : التأريخ من يوم قدم النبي (ص) مهاجراً ، وقيل اول من كتب التاريخ فى الاسلام عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته كتب اليه ابوموسى الاشعري انه يأتينا من قبلك كتب ليس لها تاريخ فاستشارهم في التأريخ فاجمعوا على الهجرة بعد ان اختلفوا في جعل مبدئه هل هو مولد النبي اومبعثه اوهجرته ثم قالوا بأي شيء نبدأ فنصيره اول السنة؟ فقال بعضهم رجب وقال بعضهم: رمضان وبعضهم قال : الحجة ، وبعضهم قال الشهر الذي خرج فيه من مكة ، وبعضهم قال : الشهر الذي قدم فيه المدينة ، وقال عثمان ارخوا من محرم فانه اول السنة وهو شهر حرام ، واول الشهور في العدة وتنصرف فيه الناس عن الحج فاجتمعوا على ذلك .

وقال ابن عساكر وغيره: انه لم يزل الناس كانوا يؤرخون في الدهر الاول من هبوط آدم عليه السلام فلم يزل كذلك حتى بعث الله نوحا عليه السلام فارخوا من الطوفان ، ثم لم يزل كذلك حتى حرق ابراهيم عليه السلام فارخوا من تحريقه ، ثم اختلفوا فارخ بنو اسحاق من نار ابراهيم إلى مبعث يوسف عليه السلام ، ومن مبعث يوسف إلى ملك سليمان عليه السلام ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى عليه السلام ، ومن مبعث عيسى

إلى مبعث سيدنا رسول الله ﷺ ، وأرخ بنو اسماعيل من بنيان الكعبة إلى موت كعب بن لؤي ، ومن موت كعب بن لؤي إلى عام الفيل ، فارخوا منه .

وكانت النصارى تؤرخ بعهد اسكندر ذي القرنين ، وكان الفرس يؤرخون بعهد ملوكهم .

﴿ فائدة ﴾

روى عبد الله بن قتيبة في كتاب المعارف : ان آدم عليه السلام عاش الف سنة ، وكان بين موته والطوفان الفا سنة ومائتا سنة واثنان واربعون سنة ، وبين الطوفان وموت نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة وخمسون سنة وبين نوح وابراهيم الفا سنة ، وبين ابراهيم وموسى تسعمائة سنة ، وبين موسى وداود خمسمائة سنة ، وبين داود وعيسى الف سنة ومائتا سنة ، وبين عيسى ونبينا محمد ﷺ ستمائة سنة وعشرون سنة فكان من عهد آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ سبعة آلاف سنة وثمانمائة سنة .

﴿ فائدة ﴾

وفاة الجوهري سنة ٣٩٢ ، ابن سينا سنة ٤٢٨ ، ابو العلا المعري سنة ٤٤٩ ابو نصر الفارابي سنة ٣٣٩ ، امام الحرمين سنة ٣٨٥ ، الوزير ابن العميد سنة ٣٦٥ جار الله الزمخشري سنة ٥٤٨ ، الصاحب بن عباد سنة ٣٨٥ ، ومحمد الشهرستاني سنة ٥٤٨ ، السيد المرتضى سنة ٤٣٦ ، اخوه السيد الرضى سنة ٣٣٩ ، ابو حامد الغزالي سنة ٥٠٥ ، محيي الدين بن العربي سنة ٤٣٨ ، البيضاوي سنة ٦٦٣ ، العلامة الشيرازي سنة ٦١٠ ، اخوه ابو الفتح سنة ٥٤٠ ، الشيخ عبد الرزاق الكاشي سنة ٧٣٥ ، العلامة الحلبي سنة ٧٤٦ ، ابن الجوزي سنة ٥٩٧ ، ابو البقاء سنة ٦١٦ ، النووي سنة ٦٧٦ ، الشيخ المقتول سنة ٥٨٧ ، الامام الرازي سنة ٦٠٦ ، ابن الحاجب سنة ٦٤٦ ، ابن البيطار سنة ٦٤٤ ، المحقق الطوسي سنة ٤٧٢ ،

الجارودي سنة ٦٤٦ ، المحقق التفتازاني سنة ٦٩٢ ، قاسم البحراني سنة ٤٧٩ ، الشاطبي سنة ٥٦٠ ، جلال الدين القزويني سنة ٧٣٩ ، البديع الهمداني سنة ٣٩٦ ، الآمدي سنة ٦٣١ ، الجمدي سنة ٩٨٧ .

ثم انه دخل علينا شهر الحج واقبل الناس إلى مكة المشرفة يهرعون من كل فج ، فاشتغلنا بعضنا عن بعض ، إلى ان ادينا مناسك الفرض ، وكان استاذي إمام الفضل على الاطلاق ، قد تأهب للسفر مع حج العراق ، وقصد التوجه إلى بلده ، وتجديد العهد بأهله وولده ، صحبة والده الجناب الكريم السيد حسين ، لا زال به قرير العين :

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ... يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

وكان قاطناً بأرض كربلا ، حماه الله من كل ضيم وبلا :

من كان بكربلا نزيل الاعتاب ... لا يدركه الضيم ولو صار تراب

لا بد وان يجعل منه سج ... للذكر تقلبها اكف الانجاب

فأشار علي بالسفر ، وانشدني ابياتاً لاح لي منها الظفر :

تغرب عن الاوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

وان قيل في الاسفار ذل وغربة ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد

فموت الفتى خير له من حياته ... بدار هوان بين واش وحاسد

فسمعت منه ما قال ، واكتريت لي جملا من الجمال :

ان الذي وجهت وجهي له ... هو الذي خلفت في اهلي

فانه اشفق مني بهم ... وفضله اوسع من فضلي

فلما كان عصرنا من عشر من ذي الحجة الحرام ، عام الف ومائة وأحد وثلاثين من هجرة خير الانام ، خرجنا إلى الابطح واقمنا به اربعة ايام ننتظر وصول من بقي في مكة من اهل العراق والاعجام .

﴿ فائدة ـ ذكر مكة ، حدودها وعيونها ﴾

سمي الابطح أبطحاً لان آدم عليه السلام امر ان ينبطح في بطحاء جمع ، فانبطح حتى فجر الصبح ، ومكة المشرفة هي البلد الامين شرفها الله ، وهي مدينة في واد والجبال مشرفة عليها من جوانبها وبناؤها بالحجارة السود ، وهي حارة في الصيف جداً، وليلها أطيب من نهارها ، وكان أول من سكنها في مبدأ الزمان شيث بن آدم عليهما السلام ، وكانت مدينة جرداء ليس فيها بئر ولا نهر ولا عين ، وانما ماؤها من الامطار وليس بها شجرة مثمرة ، وانما الاشجار والآبار حولها وليس بها مزارع ، وبها الحرم المكي ومساحته بريد في بريد والبريد منتهى البصر .

وأما حدوده : فمن جهة المدينة المنورة ثلاثة اميال ، ومن جهة العراق سبعة اميال ، ومن اليمن مثلها ، ومن جهة جدة عشرة ، ومن الجعرانة تسعة ، ومن جهة الطائف سبعة كالعراق واليمن ، ونظمها بعض علماء التاريخ فقال :

وللحرم التحديد من ارض طيبة ثلاثة اميال إذا رمت اتقانه
وسبعة اميال عراق وطائف وجدة عشر ثم تسع جعرانه
ومن يمن سبع بتقديم سينه وقد كملت فاشكر لربك احسانه

وعلى هذا التحديد اجماع مؤرخي مكة المشرفة ، وعلى الحدود المذكورة من جميع الجهات ابنية قديمة في غاية الشهرة ، ذكر ذلك في منسكه ابن عمي السيد رضي الدين الآتي ذكر ترجمته ان شاء مالك يوم الدين ، وفي الحرم بيت الله الشريف واول من عمره بالحجارة ابراهيم الخليل عليه السلام وكان يستعين على بنائه بولده اسماعيل عليه السلام وكان حول الحرم غوطة مشتبكة باشجار ذات شوك فقطعها عبد مناف ابن قصي احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم وهو اول من بنى داراً بمكة ولم تبن بمكة دار قبلها بل كان بها مضارب للعرب من الشعر الاسود. واما الحرم فاول من بنى عليه الحائط عمر بن الخطاب ، ثم زاد فيه عبد الله بن الزبير ، ثم ان عبد الملك بن مروان زاد

في ابوابه وارتفاع حيطانه ، فلما ولي ابو جعفر المنصور العباسي زاد في الحرم وجعل طوله ثلاثمائة وسبعين ذارعا بذراع العمل وعرضه ثلاثمائة وخمسة عشر ذراعا وأما اعمدة الحرم فكانت اربعمائة وثلاثين عموداً ، وصار كل من ولي من الخلفاء والسلاطين يزيد في اتساع الحرم ، حتى صار على ما هو عليه الآن ، وابو جعفر المنصور هو الذي عقد القبـــة على بئر زمزم وفرش ارضها بالرخام وجعل بها الشبابيك النحاس .

قال اسماعيل السدي : ان الله تعالى أظهر بئر زمزم على يد عبد المطلب جد رسول الله ﷺ بعد ما كانت قد طمست وتناسى امرها ، وأما الكعبة زادها الله تعالى شرفا فهي بيت الله الحرام ، وقد ورد في الاخبار ان اول ما خلق الله الارض من زبد الماء ، كان مكان الكعبة حشفة بيضاء ، فهي سرة الارض ، ثم امتدت تلك الحشفة حتى صارت ارضاً متسعة ، ولهذا يقال لمكة ام القرى ، ثم بنى ابراهيم الخليل عليه السلام مكان تلك الحشفة في وسط الحرم بيتاً مربع الشكل وله باب مرتفع عن الارض قدر قامة ، ثم هدم هذا البيت في زمن رسول الله (ص) وذلك قبل النبوة بمدة ، وبنته قريش ، فاستمر على ذلك حتى هدمه عبد الله بن الزبير وعمره وأدخل الحجر في البيت ، ثم لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير هدم ما كان بناه ، وجدد بناء الكعبة الشريفة على ما هي عليه الآن وذلك بعد وفاة رسول الله (ص) باثنين وسبعين سنة في خلافة عبد الملك بن مروان فاستمر على ذلك إلى الآن وجعل طول البيت اربعة وعشرين ذراعا وعرضه من كل جهة خمسة وعشرين ذراعا واخرج الحجر عن البيت وزخرف حيطان الحجر مع ارضه بالرخام الملون وجعل على حائط الكعبة من جهة الشام ميزابا قد البس بالذهب فيصب منه ماء الامطار في الحجر ، وجعل على البيت بابا على قدر قامة من البيت ، وهو مصفح بصفايح من الفضة المطلية بالذهب وكسا البيت الشريف بالديباج وهو اول من كساه به ، وجعل حول البيت شاذر وانا مجصصاً بالرخام ارتفاعه عن الارض ذراع وعرض مثله وهو

وقاية للبيت من السيل ، وباب البيت في وجهه الشرقي وطوله ستة اذرع وعشرة اصابع ، وعرضه ثلاثة اذرع وثمانية عشر اصبعاً

وأما الحجر الاسود فقد اظهره الله تعالى على يد قصي احد اجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما نسي امره ، وكانت قبيلة اياد دفنته في جبال مكة فرأتهم امرأة حين دفنوه فلم يزل قصي يتلطف بتلك المرأة حتى دلته على مكانه فاخرجه من الجبل واستمر عند جماعة من قريش يتوارثونه حتى بنت قريش الكعبة فوضعوه بركن البيت بازاء باب الكعبة في آخر الركن الشرقي وارتفاعه عن الارض ذراعان بالعمل ونصف ذراع وثلاثة اصابع ، وانما يقبل الحجر ويستلم ليؤدي إلى الله عزوجل العهد الذي اخذه على بني آدم والميثاق ، وانما وضع الله عز وجل الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضعه في غيره لانه تبارك وتعالى حين اخذ الميثاق اخذه في ذلك المكان وجرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر لان آدم عليه السلام لما نظر من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبر الله عز وجل ، وهلله ومجده وانما جعل الميثاق في الحجر ، لان الله عز وجل لما اخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة اصطكت فرائص الملائكة ، فاول من اسرع إلى الاقرار بذلك الحجر ، فلذلك اختاره الله عز وجل وألهمه الميثاق ، وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق ، وعين ناظرة يشهد لكل من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق ، وانما اخرج الحجر من الجنة ليذكر آدم ما نسي من العهد والميثاق ، وقد كان الحجر اشد بياضاً من اللبن فاسود من خطايا بني آدم ، ولو لا ما مسه من ارجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا بريء .

وسمي الحطيم حطيما لان الناس يحطم بعضهم بعضاً هنالك ، وصار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين لان الحجر الاسود والركن اليماني عن يمين العرش ، وانما امر الله عز وجل ان يستلم ما عن يمين عرشه وأما مقام ابراهيم عليه السلام فهو حجر اسود اللون كان ابراهيم عليه السلام يقف عليه حين

بنى البيت ، وكان فيه أثر قدم ابراهيم عليه السلام ، ولكن محي ذلك من تقادم السنين والايام ، وانما صار مقام ابراهيم عليه السلام عن يسار البيت ، لان لابراهيم عليه السلام مقاماً في القيامة ، ولمحمد صلى الله عليه وآله مقام ، فمقام محمد صلى الله عليه وآله عن يمين عرش ربنا عز وجل ومقام ابراهيم عن شمال عرشه ، فمقام ابراهيم في مقامه يوم القيامة ، وعرش ربنا عز وجل مقبل غير مدبر .

وسميت الكعبة بكة لانها تبك اعناق الجبابرة ، اي تدقها او لازدحام الناس بها او لان الناس يبك بعضهم بعضاً فيها بالايدي ، او لبكاء الناس حولها وفيها ، والقرية مكة ، وبها الصفا والمروة ، وهما من شعائر الله تعالى ، وانما سمي الصفا صفا لان المصطفى آدم عليه السلام هبط عليه فقطع للجبل اسم من اسم آدم ، لقوله عز وجل : (ان الله اصطفى آدم ونوحا) وهبطت حواء على المروة فسميت مروة ، لان المرأة هبطت عليه فقطع لها اسم من اسم المرأة ، وانما صار المسعى احب البقاع إلى الله عز وجل لانه يذل فيه كل جبار .

وبمكة جبل ابي قبيس سمي برجل من مذحج حداد لانه اول من بنى فيه ، وكان يسمى الامين لان الركن كان مستودعا فيه ، وزعموا انه من أكل عليه الرأس المشوي أمن من صداع الرأس .

ويروى ان اول جبل نصب على وجه الارض جبل ابى قبيس ، وهو مطل على مكة وبها بئر زمزم التي انبعها الله تعالى لاسماعيل عليه السلام ، وهي تجاه باب الكعبة وذرعها من اعلاها إلى اسفلها اربعون ذراعاً ، وفي قعرها ثلاث عيون تنبع وذرع دورها احد عشر ذراعاً ، وسعة فمها ثلاثة اذرع وثلثا ذراع ، وعليها اثنتا عشرة بكرة تسحب منها الماء ، وماؤها مبارك جداً ، وانما لم يعذب ماء زمزم لانها تكبرت وتفاخرت على المياه ، وانما صار ماء زمزم يعذب في وقت دون وقت لانه يجري اليها عين من تحت الحجر ، فاذا غلب ماء العين عذب ماء زمزم .

وبها قبر اسماعيل عليه السلام وامه هاجر ، وهما في الحجر تحت الميزاب

وفي الطواف بالبيت يقول القائل :

خزياً لابليس فقد نلنا الخلاص من يديه
فان في طوافنا دائرة السوء عليه

وبها المقام الشريف مولد النبي ﷺ وهو بسوق الليل ، ومقام لعلي بن ابي طالب ، وهو بشعب علي ، ومولد فاطمة الزهراء ام الحسنين ، وهو بيت خديجة الكبرى بنت خويلد بزقاق الحجر ، ومقام ابى بكر الصديق بزقاق الحجر أيضاً ، وبها جبل ثور ، وبه الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ وصاحبه حين اخرجه كفار قريش من مكة ، وبها جبل حرا ، وبه الغار الذي كان يتعبد فيه النبي (ص) ، ومن مشاعرها منى ، وسميت بذلك لان جبرئيل « ع » اتى ابراهيم « ع » فقال له : تمن يا ابراهيم .

وروي انها سميت منى لان ابراهيم « ع » تمنى هناك ان يجعل الله مكان ابنه كبشاً يأمره بذبحه فدية له ؛ وبها مسجد الخيف المأثور .

روى انه صلى في مسجد الخيف بمنى سبعمائة نبي ، وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده عند المنارة التي فى وسط المسجد ، وفوقها إلى القبلة نحو ثلاثين ذراعا عن يمينها ، وعن يسارها ، وخلفها نحو ذلك ، وسمي الخيف خيفا لانه مرتفع عن الوادي وكل ما ارتفع عن الوادي سمي خيفا ، وبها المشعر ، ويسمى مزدلفة ، سمي بذلك لان جبرئيل « ع » قال لابراهيم « ع » بعرفات : يا ابراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام أي اقترب ، وبها عرفة وبينها وبين مكة اربعة فراسخ وبها جبل صغير وعلى رأسه قبة يقال ان آدم وحواء تعارفا به ، فسمي بذلك ، وقيل ان جبرئيل « ع » قال لابراهيم « ع » هناك اعترف بذنبك ، واعرف مناسكك فلذلك سميت عرفة ، ولا يتم للحاج الوقوف إلا بها وبها تنزل الرحمة على الحجاج وأما مكة المشرفة الآن فقد صار بها القصور والبدور والبساتين والرياحين والزهور مثل بستان الوزير المعان الجلبي عثمان حميدان ، وبستان الوزير عين الاعيان الجلبي

ابراهيم حميدان ، وبستان الشريف صاحب الطالع والسعد، ملك مكة المشرفة سعيد ابن سعد ، وبستان الشريف ابي نمي ، وبستان موسى اغا ، وزاوية الشيخ محمد بن احمد عقيله ، وبستان مصطفى الناظر ، وبستان الارض رومي ، والدرويشية والبخارية ، وقد عمرتها والدة المرحوم الشريف عبد الله بن سعيد والخشخان ، والدفتردار ، والزمانية ، والبشناقية ، والسرداريه ، والحافظية ، وسبيل فرهاد ، والمنشية انشأها عين الرؤساء الشيخ سالم بن المرحوم المقدس الشيخ عبد الله البصري امام الحديث ، وزاد فيها حاكم بندر جده بكر باشا لانه ابتاعها منه وصارت اليه ، وهذه الاماكن كلها منتزهات لطيفة في نهاية الشراحة وبها بركه ماجن وبها حمامان لطيفان مبنيان بأحجار الرخام الملونة ، وبالزجاج الملون ، احدهما ، وهو الاكبر بباب العمرة ، والآخر بسوق الليل ، وبها عين حنين المشهورة ، وماؤها عذب لطيف وهي من عمل ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هارون الرشيد واسمها امة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهي طفلة ، وكان يقول لها زبيدة فاشتهرت به ، وكانت من اهل الخيرات ، ولها مآثر كثيرة عظيمة ، منها اجراء عين حنين هذه إلى مكة المشرفة ، وانفقت عليها خزائن اموال حتى اوصلتها إلى مكة المشرفة وهي بواد قليل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات ، وصفها الله تعالى انها بواد غير ذي زرع وقد تقدم ذكر ذلك ، فنقبت ام جعفر زبيدة الجبال إلى ان سلك الماء من ارض الحل إلى ارض الحرم ، وانفقت على عملها الف الف مثقال من الذهب الاحمر ، فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها واخرجوا دفاترهم لاخراج الحساب فيما صرفوه لكي يخرجوا من عهدة ما تسلموه من خزائن الاموال ، وكانت في قصر عال مشرف على دجلة ، فاخذت الدفاتر منهم ورمتها في بحر الفرات ، وقالت : تركنا الحساب ليوم الحساب ، فمن فضل عنده شيء من بقية المال فهو له ، ومن بقي له شيء عندنا اعطيناه ، ثم البستهم الخلع رحمها الله تعالى واسكنها الفردوس في اعلى عليين ، وكانت هذه العين ترد إلى مكة وينتفع بها الناس

ومنبع هذه العين في جبل شامخ شاهق يقال له (طاد) بالطاء المهملة والالف بعدها دال مهملة ، من جبال الثنية من طريق الطائف ، وكان يجري الماء إلى ارض يقال لها حنين يسقى بها مزارع مملوكة للناس واليها ينتهي جريان هذا الماء ، وكان يسمى حائط حنين ، يعني بستان حنين وهو موضع غزا فيه النبي (ص) المشركين ، ويقال لتلك الغزوة غزوة حنين ، مذكورة في سير النبي (ص) فاشترت زبيدة هذا الحائط ، وابطلت تلك المزارع والنخيل ، وشقت له القناة في الارض ، وجعلت له الشحاحيذ في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الامطار ، وجعلت فيها قناة متصلة إلى مجرى هذه العين ، في محاذاتها يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل شحاذ عيناً يساعد عين حنين ، ومنها عين مشاش ، وعين ميمون ، وعين الزعفران ، وعين البرود ، وعين الطارفي ، وعين ثقبة ، وعين الجريبات ، وكل هذه العيون تنصب في ذيل عين حنين ويبطل بعضها ، وبعضها يزيد والبعض ينقص بحسب الامطار الواقعة على ام تلك العيون او على ام احدها إلى ان وصلت على هذه الصورة إلى مكة المشرفة ، ثم انها امرت باجراء عين وادي نعمان إلى عرفة .

قال القطبي : وعين نعمان منبعها ذيل جبل كرا ، وهو جبل شامخ عالٍ جداً اعلاه ارض الطائف مسيرة نصف نهار من اسفله إلى اعلاه من صعد فيه او نزل منه مرة لا يعود اليه لوعورة مرقاه وصعوبته ، وينصب من ذيل جبل كرا في قناة إلى موضع يقال له الاوجر من وادي نعمان ، ثم يجري منه إلى موضع بين جبلين شاهقين ، في علو ارض عرفات فيها مزارع ، ولشعراء العرب تشوقات وتغزلات في وادي نعمان ، وفيه يقول القائل :

أيا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يهدي إلي نسيمها

فعملت القنوات ، إلى ان جرى ماء عين نعمان إلى عرفات ، ثم اديرت القناة بجبل الرحمة ، محل الوقوف الشريف الاعظم في الحج وجعل منها الطرف إلى البرك التي في ارض عرفات ، فتمتلىء ماء يشرب الحاج في يوم عرفة ، ثم استمر عمل القناة

إلى ان خرجت إلى ارض عرفات إلى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار العائد من عرفات . ويقال له طريق ضب ـ بالضاد المعجمة المفتوحة بعدها باء موحـــدة مشددة ـ وتسمى الآن عند اهل مـكة المظلمة ـ بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث ـ ثم تصل منها إلى مزدلفة ، ثم تستمر إلى جبل خلف منى ، ثم في قبليها تنصب إلى بتر عظيمة مطوية باحجار كبار جداً تسمى بئر زبيدة . ينتهي عمل هـذه القناة اليها ، وهي من الابنية المهولة مما يتوهم انه من بناء الجن ، ثم صارت عين حنين ، وعين عرفـة تنقطع لقلة الامطار وتنهدم قنواتها وتخربها السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين إذا بلغهم ذلك ارسلوا وعمروها مع انتظام سلطنتهم وقوة مكنتهم فتجري تارة وتنقطع تارة اخرى واستمر الحال على هذا المنوال ، فممن عمرها صاحب اربل ، وهو الملك الجليل مظفر الدين كجك كوكبوري بن علي في سنة اربع وتسعين وخمسمائة وكوكبوري معناه بالتركى الذئب الازرق ، وكان كثير الخير والاحسان جداً ، وله ترجمة واسعة في وفيات الاعيان ، لقاضي القضاة احمد بن خلـكان ، رحمهما الله تعالى . ذكر له اوصافاً كريمة ، ومكارم عظيمة ، ذكر منها عين عرفات ، وغيرها من جزيل الخيرات ، ثم عمرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور ايضاً في سنة خمس وعشرين وستمائة ، ثم في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، كما وجدت ذلك مكتوبا في نصب حجارة في قرب الموقف الشريف في عرفات ، ثم بعد مائة عام تقريباً عمر عين حنين الامير جوكان نائب السلطنة بالعراقين فى ايام السلطان ابى سعيد خـدا بنده في سنة ست وعشرين وسبعمائة ، فاجرى عين حنين إلى مكة ، وعم نفعها لأهل مكة فانهم كانوا في جهد عظيم لقلة الماء ، فرحمهم الله بذلك ، رحم الله اهل الخير .

ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد حسن بن عجلان ، جـد ساداتنا اشراف مكة الآن ، ابقاهم الله تعالى وأدام عزهم مدى الازمان ، وكان من اهل الخير والاحسان ، اجزل الله ثوابه في الجنان ، وكان تعميره لها في سنة احدى عشرة

وثمانمائة فجرت ، وانفجرت ، ونفعت وابلجت ، وكثر الدعاء له من اهل البلاد والحجاج والعباد ، وتقبل الله منه عمله ، ثم انقطعت ولقي الناس لذلك شدة شديدة إلى ان عمرها صاحب مصر من ملوك الشراكسة المؤيد ابو النصر شيخ المحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، هكذا ذكره التقي الفاسي رحمه الله تعالى ، ثم عمرها وعمر عين عرفات أيضاً بعد ذلك من ملوك الشراكسة السلطان الملك الاشرف قايتباي رحمه الله تعالى ، فعمر عين عرفات وأجراها إلى ارض عرفات وعمر عين حنين حتى جرت إلى مكة ، وعمر عين خليص وحصل منها الرفق للحجاج وأهل البلاد ودعوا له وأثنوا عليه بذلك ، وعم احسانه ، وكثرت خيراته ، ضاعف الله اجره ومثوباته ، وذلك بمباشرة الامير يوسف الجمالي وأخيه الامير سنقر الجمالي رحمهم الله اجمعين ، وذلك في سنة خمس وسبعين وثمانمائة . ثم عمر عين حنين آخر ملوك الشراكسة ، السلطان قانصوه الغوري رحمه الله تعالى حتى جرت وملأت برك الحجاج في المعلاة ، ثم جرت إلى بازان وإلى بركة ماجن في درب اليمن من اسفل مكة ، وارتفق الناس بذلك ، ثم انقطعت في اوائل السلطنة العثمانية بهذه الاقطار الحجازية ، وبطلت العيون لقلة الامطار ، وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة ، وصار اهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة من آبار يقال لها المسيلان في علو مكة قريب من المنحنى ، ومن آبار في اسفل مكة في مكان يقال له الزاهر ، في طريق التنعيم ، وكان الماء غالباً قليل الوجود ، وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها ، وكان الحجاج يحملون الماء إلى عرفات من الامكنة البعيدة وصار فقراء الحجاج في يوم عرفة لا يطلبون شيئاً غير الماء لعزته ، ولا يطلبون الزاد ، وربما جلبه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة للبيع فيحصلون اموالا لغلو ثمنه .

قال القطبي : واني اذكر ان في سنة ثلاثين وتسعمائة قل الماء في الآبار البعيدة أيضاً ، فارتفع سعر الماء جداً في يوم عرفة وكنت يومئذ مراهقاً في خدمة

والدي رحمه الله تعالى ، وفرغ الماء الذي كنا حملناه من مكة إلى عرفات وعطش اهلنا فتطلبت قليلا من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم ، فاشتريت قربة ماء صغيرة جداً يكاد يحملها الانسان بأصبعه بدينار ذهب ! والفقراء يضجون من العطش ويطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف ، فشرب اهلنا بعض تلك القربة ، وتصدقوا بباقيه على من كان مضطراً من الفقراء وعطشنا عقيبه ، وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاشى يلهثون ، فأمطرت السماء ، وسالت السيول من فضل الله ورحمته ، والناس واقفون تحت جبل الرحمة ، فصاروا يشربون من السيل من تحت ارجلهم ويسقون دوابهم ، وحصل البكاء الشديد والضجيج من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم ، واحسانه اليهم ، وتكرمه عليهم ، ولا أزال اتذكر تلك الساعة ، وما حصل فيها من اللطف العظيم ، من كرم الله العميم ، وأرجوانه الرب الكريم ، واتيقن انه الغفور الرحيم ، ذو العرش المجيد ، الذي ينزل الغيث على عباده من بعد ما قنطوا ، وينشر رحمته وهو الولي الحميد . ثم برزت الاوامر السلطانية الشريفة السليمانية باصلاح عين حنين ، وعين عرفات ، وعين لهما ناظراً اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة ، فبذل جهده في عمارتهما ، واصلح قنواتهما ، إلى ان جرت عين حنين ودخلت إلى مكة ، وخرجت من اسفلها ، من بركة ماجن ، وأصلح عين عرفات وأجراها حتى صارت تملأ البرك بعرفات ، وذلك في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ، وصار الحجاج يرتوون من ذلك الماء العذب الفرات ، بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات ، ويدعون لمن كان سبباً لاجراء هذه الخيرات ، ثم اشترى ناظر العين عبيداً سوداً من مال السلطنة ، وجعل لهم من خزائن السلطنة جرايات وعلوفات ، لأجل خدمتهم العين ، واخراج اتربتها من الذيول والقنوات ، وهذه خدمتهم دائماً ، وصاروا يتوالدون ، وهم إلى الآن باقون ، طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة ، ثم توجه مصطفى ناظر العين إلى الابواب الشريفة السلطانية وعرض في امر العين أحوالا يجب عرضها ، فاجيب إلى

ما سأل فيه ، وعاد مجبوراً إلى مصر ، ثم ركب من بندر السويس إلى مكة ، فغرق في بحر القلزم شهيداً ، وما غرق إلا في بحر رحمة الله تعالى ، وما مات بل هو حي عند الله ، وكانت وفاته في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ، واستمرت عين حنين جارية إلى مكة المشرفة ، لكنها تقل تارة وتكثر تارة بحسب قلة الامطار وكثرتها ، وعين عرفات تجري من نعمان إلى عرفات إلى ان صارت بساتين وغروس ، وصارت مرجة خضراء تتجلى كالعروس ، إلى ان قلت الامطار ، ويبست العيون ، ونزحت الآبار في سنين متعددة ، من سنة خمس وستين وتسعمائة وما بعدها ، وكانت تشبه سنين يوسف عجافا ، وانقطعت العيون إلا عين عرفة ، فانها لم تنقطع إلا انها قل ماؤها وخف جريانها في تلك السنين ، ولما عرضت احوال العيون إلى الابواب الشريفة السلطانية السليمانية ، التفت الخاطر الخاطر السليماني ، وتوجه العطف الشريف السلطاني إلى تدارك ذلك بأي وجه كان ، وأمر بالفحص عن احوال العيون ، وكيف يمكن اجراؤها إلى بلد الله الامين المأمون ، واجتمع المرحوم عبد الباقي بن علي العربي قاضي مكة يومئذ والامير خير الدين خضر سنجق جده يومئذ وغيرهما من الاعيان ، وفحصوا وداروا وتأملوا وتشاوروا ، فاجتمع رأيهم على ان اقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة وذيولها إلى بئر زبيدة خلف منى ، وان الذي يغلب على الظن ان ذيولها من بئر زبيدة إلى مكة مبنية أيضاً وانها مخفية تحت الارض وانها تحتاج إلى الكشف عنها والحفر إلى ان تظهر لأن زبيدة لما بنت الذيول من عرفة إلى بئرها المشهورة خلف منى الذي جميعها ظاهر على وجه الارض فالباقي ايضاً من ذلك إلى مكة مبني ايضاً واستغنى عنها بعين حنين ، وتركت ونسيت وطمست وغفل عنها ، هكذا ظنوا وخمنوا انهم إذا تتبعوا ذلك في عين عرفات من اولها إلى الاوجر إلى عرفة ، ثم إلى مزدلفة ثم بئر زبيدة ، واصلحوا هذه الذيول الظاهرة وكشفوا عن الباقي احتاجوا إلى ثلاثين الف دينار ذهباً ليبنوا ما وجدوا منها منهدما ويرمموا الباقي ، ثم انهم ذرعوه وقاسوه فكان من الاوجر إلى مكة

خمساً واربعين الف ذراع ، بذراع البنائين الآن وهو اكبر من الذراع الشرعي بقدر ربعه ، وهذا الذي تخيلوه من وجود بقية الديول تحت الارض لم يوجد في كتب التأريخ ، وانما أداهم إلى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك إلى الباب الشريف في اوائل سنة تسع وستين وتسعمائة ، فلما وصل علم ذلك إلى المسامع الشريفة السلطانية ، التمست صاحبة الخيرات ، اكليلة المخدرات ، تاج المحصنات ملكة الملكات ، علية الذات ، قدسية الصفات ، ذات العلى والسعادات ، حضرة خاتم سلطان ، كريمة حضرة السلطان الاعظم سليمان ، سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان ، ان يأذن لها في عمل هذه الخيرات ، فاذن لها في ذلك ، فاستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانها الشريف العالي فيمن يصلح لهذه الخدمة ، فاتفق رأيهم على ان هذه الخدمة لا يقوم بها إلا دفتردار مصر الامير الكبير المعظم ، فائض الجود والكرم ، صاحب السيف والقلم ، والعلم والعلم ، الامير ابراهيم بن تغرى بردى المهمندار ، بوأه الله جنات تجري من تحتها الانهار ، وسقاه من حوض الكوثر زلالا بارداً يطفيء الاوام والاوار ، وكان يومئذ قد عزل عن منصب الدفترداريه وامر بالتفتيش عليه عن ايام الدفترداريه فاعفى عن التفتيش ، واعطته السلطنة خمسين الف دينار ذهباً ، بزيادة عشرين الف ذهب على ما خمنوه ليصرفها في عمل هذه العين المباركة فتوجه من البحر إلى مكة المشرفة بتجمل عظيم ، وبرزق كثير ، وترتيب يعجز عنه كبار البكلاربكية ، وكان ذا همة عليه ، واقدام عظيم ، واهتمام تام ، وكرم نفس ، وشهامة ، وحسن تدبير ومعرفة ، وحذاقة وفطنة .

قال القطبي : وكان بيني وبينه سابقة اجتماع وما رأيت احداً من الامراء والوزراء والبكلاربكية مع كثرة من اجتمعت به منهم اجمل نظاما ولا احسن ترتيباً وانتظاما ، ولا ادق فكراً ، ولا اعلى همة ولا اصدق وفاء منه رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وغفرله مغفرة جامعة ، وبوأه الفردوس الاعلى ، وأرضى عنه خصماءه يوم القيام ، وكان وصوله إلى بندر جدة المعمورة في يوم الجمعة لثمان بقين من

ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة فتوجهت إلى ملاقاته لسابق احسانه إلي فرأيته نزل بوطاقة خارج جدة من الجهة الشامية ، فقابلني بالاجلال والاكرام وركب من جدة إلى سيدنا ومولانا الشريف العالي نجم الدنيا والدين محمد بن ابى نمى خلد الله تعالى سيادته ، وأبد دولته ورياسته ، وكان يومئذ نازلا في مر الظهران فقابله بالاجلال والتعظيم ، والترحيب والتكريم ومد له سماطاً عظيما ولاطفه وواكله ، واكرمه وباسطه وجابره ، فعرض على حضرته الشريفة ما جاء بصدده ، فقوبل بامتثال الامر الشريف السلطانى ، وبذله الهمة والجهد في اتمام المهم المنيف الخاقانى ، وانه يقوم بذلك بنفسه وولده ، واتباعه وخدمه ، ثم ركب من عنده مجبور الخاطر ، مسرور الفؤاد ، وتوجه إلى مكة المشرفة ، فلاقاه عند دخوله اليها سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين السيد حسن بن ابى نمى صاحب مكة أدام الله عزه وسعادته وضاعف نصره ، وتأبيده وسيادته وابدى له الاجلال والاكرام ، وقابله بالترحيب والاحترام ، وجابره ولاطفه ، وباسطه ووالفه وأقبل كل منهما على الآخر كمال الاقبال ونحادثا بغاية الادب والاجلال ، واستمر معه إلى ان فارقه من باب السلام ، ودخل المسجد الحرام ، وطاف طواف القدوم ، وكان محرما بالحج وسعى ما بين الصفا والمروة ، وعاد إلى مجمع قايتباي ، وهو المحل الذي عين لنزوله فيه ، ومد فيه من قبل مولانا السيد حسن مد الله ظلال سعادته ، سماط عظيم جميل كبير ، فجلس عليه واكل منه وخاصته وأذن لأهل الرباط والفقراء والفقهاء وعامة الناس ، فاكلوا وابقوا شيئاً كثيراً فأمر بتفريقه على الفقراء والبس الذي مد السماط قفطاناً من الصراصر العال واعطاه ذهباً كثيراً ، ثم جاء للسلام عليه سيدنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين ، وكبير البلدين المنيفين السيد الحسيني القاضى حسين أدام الله عزه واقباله ، وخلد دولته وسعادته واجلاله ، ففرح به الامير ابراهيم ، وقابله بالاجلال والتعظيم ، وعرض عليه اموره واحواله ، واستشاره في سائر ما بدا له ، فاشار عليه بالآراء الصائبة ، واعلمه بما ينبغي رعايته ، ويرعى

جانبه ، وما يجب عليه ملاحظته من الامور اللازمة الواجبة ، فاول ما بدأ الامير ابراهيم بتنظيف بعض الآبار التي يستقي الناس منها ، واخراج ترابها وزيادة حفرها ليكثر ماؤها وحصل للناس بذلك رفق كبير ، ثم شرع في تحصيل ما يحتاج اليه في عمله وتوجه للكشف عنه إلى اعلى عرفات وكثر تردده اليه وتفطنه لمجاريها ومثاقبها ومشاربها ومساربها والفحص عن احوالها إلى ان وصل الركب المصري وكان امير الحاج يومئذ افتخار الامراء الكرام ، عثمان بك بن بكلاربكي اليمن ثم بكلاربكي الحبشة ازدمر باشا ، وصار هذا عثمان بك بعد وفاة أبيه بكلاربكي اليمن ، واظهر اليد البيضاء في افتتاح مدينة تعز ، ثم صار بكلاربكي الحسا ، وهو من البكلاربكية الكرماء العظام ، المتجملين المشهورين بالكرم والشجاعة ، ابقاه الله تعالى ، ووصل إلى مكة المشرفة قاضيها في ذلك الموسم مع الركب الشامي ، وهو اعلم العلماء الموالي ، وأفضل الفضلاء الاهالي ، مولانا فضيل افندي بن مولانا علي جلبي الجمالي ، وهو من اصل العلماء العظام ، له التصانيف الحسنة المقبولة ، وهو الآن اوتورق في الباب العالي ، امد الله تعالى في افضاله ، وأدام مودة عظمته واجلاله ، وفاض على الطلاب سحائب فضله وكماله ، وحج الناس حجة هنية ، وحج الامير ابراهيم فرض حجه ، وعاد الحجاج إلى اوطانهم فائزين بالغفران والقبول حائزين لكل مطلوب ومسول ، وشرع الامير ابراهيم في الكشف عن ذيول عين عرفات ، وضرب وطاقه من الاوجر من وادي نعمان في علو عرفات ، وشرع في حفر قفرها وتنظيف ذيولها بهمة عالية جداً ، وكانت مماليكه القائمون في خدمته نحو اربعمائة مملوك في غاية الجمالة والرشاقة ، والحذاقة واللباقة ، اقامهم في هذا العمل من الاوجر إلى عرفات ومزدلفة وكتب نحو الف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحفارين ، وجلب من مصر والصعيد وبلاد الشام وحلب واسلامبول ومن طوائف بعد المهندسين وخدام العيون والآبار والحجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليهم ، وجاء بآلات العمارة ، صحبها معه من مصر ، من مكاتل لوماحي

ومساحي ومجاريف وحديد وبولاد ونحاس ورصاص ، وغير ذلك من الهمة القوية والاقدام التام والاهتمام .

وعين لكل طائفة قطعة من الارض لحفرها وتنظيف ما فيها من الذيول ، ليظهر فيها سعيه واجتهاده .

وكان يظن انه يفرغ من هذا العمل الذى جاء بصدده فيما دون عام ويعود إلى الابواب السلطانية ، لينال المناصب العلية ، ويظفر بالمراتب السمية ، ويأبى الله إلا ما أراد ، وما كل ما يتمنى المرء يدركه من المراد ، وألسنة الاقدار تناديه من وراء الحجاب ، كيف الخلاص واليه الذهاب .

واستمر على هذا الجد والاجتهاد إلى ان اتصل عمله بعمل زبيدة إلى البئر الذي انتهى عملها اليها ، ولم يجد بعدها ذيلا ولا آثار عمل ، وضاق ذرعه بذلك ، وعلم ان الخطب كبير ، وان العمل كثير .

وتحقق ان القدر الباقي من هذا العمل ، انما تركته زبيدة اضطراراً لا اختياراً ، وعدلت عنه إلى عين حنين .

وترك العمل من عند البئر لصلابة الحجر وصعوبة قطعه ، وطول مسافته فانه يحتاج من بئر زبيدة إلى ذيل منقور تحت الارض في الحجر الصوان طوله الفا ذراع بذراع البنائين ، حتى يتصل بذيل عين حنين ، وينصب فيه ويصل إلى مكة ، ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الارض ، فانه يحتاج إلى النزول إلى خمسين ذراعا في العمق ، وصار لا يمكنه ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظاً لناموس السلطنة الشريفة ، فما وجد الامير ابراهيم حيلة غير ان يحفر وجه الارض إلى ان يصل إلى الحجر الصوان ، ثم يوقد عليه النار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة في مقدار سبعة اذرع من وجه الارض والنار لا تعمل إلا في العلو لكنها تعمل عملا يسيراً من جانب السفل مقدار قيراطين من اربعة وعشرين قيراطاً من ذراع فيكسر بالحديد ، إلى ان يوصل إلى الحجر الصلب الشديد ، فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة

اخرى وهلم جرا . . . إلى ان ينزل في ذلك الحجر مقدار خمسين ذراعا في العمق في عرض خمسة اذرع ، إلى ان يستوفي الفي ذراع ، ثم يقطع على هذا الحكم وذلك يحتاج إلى عمر نوح ، وخزائن قارون ، وصبر ايوب .

وما رأى من ذلك محيصاً فأقدم عليه حتى فرغ الحطب من جميع جبال مكة وصار يجلب من المسافات البعيدة ، وغلا سعره ، وضاق الناس بذلك وتعب الامير لذلك وذهبت امواله وخدامه وأولاده ومماليكه ، وهو يتجلد على ذلك إلى ان قطع من المسافة الف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل ، وصار كلما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفا آخر إلى ان صرف اكثر من خمسمائة الف دينار ذهباً من الخزائن العامرة السلطانية ، وغرق له مركب كان فيه باقي تجملاته وخزائن نقوده وفيه جملة من اسبابه وعبيده ، وكان يشرف على مائة الف ذهب في ابتداء امره .

ثم مات له ولد صغير نجيب كان خلفه بمصر ، فاحترق قلبه عليه كثيراً ، ثم مات له ولدان نجيبان مراهقان اخذا بمجامع قلبه وفتتا كبده ، ثم مات كتخداه وكان بمنزلة امراء الصناجق ، ثم مات اكبر مماليكه وهو يتجلد لتلك المصائب العظيمة ، ويتصبر عليها ويظهر الجلد فيها إلى ان ذهب قواه ، وما بقي رمقه ولا ذماه ، ونزفه الاسهال ورمته الاهوال ، وجاءه الاجل الذي لا يتقدم ولا يتأخر ، وان اجل الله إذا جاء لا يؤخر ، فمات غريباً شهيداً ، ومضى إلى رحمة الله وحيداً فريداً ، في ليلة الاثنين ثاني رجب المرجب سنة اربع وسبعين وتسعمائة ، وصلى عليه عند باب الكعبة ، وكانت جنازته حافلة جداً .

وأسف الناس عليه وعلى فقده لكثرة احسانه ، ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد إلى الابطح في تربة كان اعدها لنفسه تسمى الدفترداریة ، ودفن فيها ولديه قبله وخلف طفلاً صغيراً ، وحملا وبنتاً من اهل الخير ، كثيرة الصلاح والعبادة ،

وكان ذكر لي ان مولده سنة اثنين وعشرين وتسعمائة ، رحمه الله تعالى وأرضى عنه خصماءه يوم القيامة ، يوم الفزع الاكبر ، وسقاه من حوض الكوثر .

ثم اقيم بعده في هـذه الخدمة سنجق جده الامير قاسم بك باقامـة سيدنا ومولانا الشريف بدر الدين السيد حسن صاحب مـكة أدام الله تعالى دولته وسعادته وشيد عزه وسيادته ، فعرض ذلك إلى الباب الشريف العالي وأمره ان يباشر هذه الخدمة إلى ان يصل من تعينه الحضرة السلطانية الشريفة العظمى والخلافة العلية الـكبرى ، وكانت قد انتقلت من المرحوم السلطان سليمان خان ، إلى نجله السعيد الامجد السلطان سليم خان ، سقى الله عهدهما صوب الرحمة والرضوان ، فعين لها في الباب العالي دفتردار مصر محمد بك الجلجي زاده وكان متجملا من اعيان الامراء الصناجق الـكبراء ؛ وكان ذا رأى ثاقب تام ، واحسان وانعام ، وتلطف وتعطف واكرام ، فوصل إلى هذه الخدمة الشاقة ، وبذل فيها نفسه وماله ، وأظهر تجملاته وتحملاته واحتماله ، وقطع مسافة وما بلغ التمام ، إلى ان وافاه الحمام ، فانتقل إلى رحمة الملك العلام سعيداً شهيداً بمرض الاسهال ، وقدم على ربه الـكريم المتعال وذلك في ليلة الثلاثاء وقت السحر لاربع ليال بقين من جمادي الاولى سنة ست وسبعين وتسعمائة ، وصلى عليه عند باب الـكعبة الشريفة ودفن في المعلاة قبال تربة الامير ابراهيم الدفتردار على يسار الذاهب إلى الابطح .

وتأسف الناس على فقده وترحموا عليه وأثنوا عليه خيراً رحمه الله تعالى وخلف ولداً صغيراً اسمه بير احمد ، وبنتاً اسمها خديجة ، جبر الله قلوبهما ويتمهما وجعل وصيه عليهما عتيقه فرهاد كتخدا ، وفقه الله تعالى واعانه .

ثم اقيم بعده فى خدمـة عمل العين الامير قاسم المذكور اولا سنجق جـدة المعمورة اقامه فيها السيد حسن صاحب مكة أدام الله عزه ودولته وامره بمباشرة العمل ، وعرض ذلك إلى الابواب السلطانية السليمية فبرزا لامر الشريف السلطاني باستمرار قاسم بك المذكور في خدمة العين أميناً على مصارفها ، وان يكون سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ، قاضى القضاة ، وناظر المسجد الحرام ، بدر الدنيا والدين القاضى حسين الحسيني المالـكي خلد الله ظلال سيادته ، وأبد قيام سعادته ، ناظراً

على ما بقي من عمل عين عرفات إلى ان تصل إلى مكة المشرفة .

فاستمر الامير قاسم مباشراً لتعاطي هذه الخدمة ، ولا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقلال ، وبعض العناد وما اراد مولانا شيخ الاسلام معارضته ، فتركه على رأيه ، وما اراد الله ان يتم العمل الشريف على يد قاسم بك ، فكان ثالث الاميرين السابقين ، فطرقه الاجل وادركه الحين ، وفاز لغربته برتبة الشهادة وكان من شهداء العين ، وانتقل من دار الدنيا الفانية ، إلى دار الآخرة الباقية قرير العين ، لليلة خلت من رجب ، الفرد الاصب ، سنة تسع وسبعين وتسعمائة ، وصلى عليه عند باب الكعبة الشريفة ، ودفن بالمعلاة ، إلى جانب الامير محمد بك دفتردار مصر المتوفى قبله امين العين المبرور ، فاستوفت العين به ثلاثة من الامراء الصناجق سقاهم الله شرابا طهورا ، وكان بهم براً رؤوفاً رحيما غفورا .

ثم توجه سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضي حسين الحسيني المالكي مد الله ظلال افضاله ، وأقام خيام عزه وعظمته واجلاله ، توجها تاماً إلى تكميل ما بقي من عين عرفات ، باعتبار ما بيديه من النظر عليها حسب الاحكام الشريفة السلطانية النافذة في الجهات ، وجدّ في الاهتمام ، وبذل الجهد التام ، وعرض إلى الابواب الشريفة السلطانية بوفاة قاسم بك المرحوم وعدم تعطيل العمل إلى ان يصل امين لاكمال العمل من الباب العالي .

فبرزت الاوامر الشريفة السلطانية السليمية بأن يكمل ذلك العمل شيخ الاسلام القاضي حسين الحسيني المشار اليه آنفاً ، فأقدم بهمته العلية أتم اقدام إلى هذا العمل الشريف بالاهتمام التام ، فساعدته السعادة والاقبال على الاتمام والاكمال فكمل العمل المبارك ، فيما دون خمسة اشهر بعد ان عجزت عن اتمامه الامراء المذكورون قريباً من عشرة اعوام ، وهلكت نفوسهم وأموالهم وخدامهم ، وما ظفروا بهذا المرام ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فجرت عين عرفات وتفجرت ينابيعها الجاريات ، ووصل الماء وهو يجري في

تلك الذيول والقنوات ، حتى وصل مكة المشرفة لعشرة بقين من ذي العقدة الحرام سنة تسع وسبعين وتسعمائة ، وكان ذلك اليوم عيدا كبيرا عندالناس، وزال بوصول يوم ذلك الماء إلى البلد كل هم وباس ، وعمل ذلك اليوم مولانا المشار اسمطة عظمية في الأبطح ، وببستانه الواسع الافيح ، وجمع جميع الاكابر والاعيان ونصب لهم السرادقات والصيوان ، وذبح اكثر من مائة من الغنم ، ونحر عدة من الابل والنعم وخلع علي اكثر من عشرة من المعلمين والبنائين والمهندسين خلعاً فاخرة ، وإحسن إلى باقيهم بالاحسانات الوافرة ، ثم تصدق على الفقراء والمساكين ، وانعم على الكبراء والاسطائين شكراً لهذه النعمة الجزيلة ، وحمداً على هذه المنة الجميلة حيث أنعم الله بها على عباده واحيى بها وأخصب منها خير بلاده ، وكان يوما مشهوداً وساعة سعيدة وزمانا مسعودا ثم جهز اخبار هذه البشائر العظمى ، وحصول هذه النعمة الجزيلة الكبرى إلى الباب الشريف العالي السلطانى الاعظم الخاقانى ، الاكرم الافخم ، مولانا السلطان ، سليم خان ، سقاه الله كؤس الرحمة والرضوان ، من حوض الكوثر في اعلى غرف الجنان ، ثم إلى سرادقات ذات الحجاب الرفيع ، والستر السابغ المنيع ، صاحبة الخيرات مليكة الملكات ، بلقيس الزمان ، خانم خان ، أدام الله ظلال عفتها وعصمتها ، وأسبل استار عظمتها ورفعتها ، فانعمت بالصدقات الشريفة السلطانية ، والانعامات الجزيلة ، والترقيات الكثيرة الجميلة ، على سائر المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجليلة .

وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار اليه ترقيات عظيمة ، فصارت مدرسته السلطانية السليمانية بمائة عثماني وما عهد ذلك لاحد من الموالي العظام في مدارسهم ، وجهزت اليه انواعا من الخلع والتشاريف الفاخرة الشريفة ، وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانية ، بالخطابات العالية السامية الوفية ، المتضمنة لشكر الجميل منه ، وانه ادخل في جملة خواص السلطنة الشريفة ، المشمولين بنظر عواطفها المنيفة وانعاماتها الوريفة ، وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على صفحات الليالي

والايام والاعمال الصالحات التى لا يمحوها تكرر السنين والاعوام ، وما عند الله من الاجر والثواب فهو خير وأبقى عند اولي الالباب ، انتهى ما نقلته من تاريخ القطبي .

أقول : هذا كان في زمن اولئك السعداء الكرام ، ذوي الجود والفضل والاهتمام ، فمن اين لنا فى زماننا هذا بمثلهم ، أومن يفعل كفعلهم ، رحمهم الله تعالى ، وأفاض وابل غفرانه عليهم ووالى ، شعر :

رضى الله عن اناس تولوا فمضى الجود بعدهم والقوت
غمرونا جوداً وماتوا جميعاً فثناهم وذكرهم لا يموت

وأما عين حنين في هذا الزمان ، فقد انقطعت من مدة عشرين عاماً وصارت في خبر كان ، إلا ان ذيولها وآثارها باقية إلى الآن ، حتى يأذن الرحمن ، باللطف منه على جيران حرمه الشريف والاحسان .

وأما عين (عرفة) فتارة تزيد وتارة تنقص ، ومرة تمشى وأخرى تقف ، والسلطنة لم تلتفت إلى ذلك إلى اواخر عام الف ومائة وثلاث واربعين فانقطع ماؤها اجمع ، وفي ذلك العام توجهت من بندر المخا قاصداً للحج وصحبتي ابنا اخي فرأيت أهل مكة وسائر الحجاج والناس في اوفى تعب ، من قلة الماء وأشد باس ، وأغلب الناس صار من هـذا الامر متفكراً حائراً خائف ، وأختار السكنى بارض الطائف ، وصار الناس يستقون من آبار العسيلان والزاهر ، وباب السلام والشرشورة وبعضهم يأتى بماء كريه وخيم ، وغلا سعر الماء جداً ، إلى ان صار الوعل يباع بعشرة ديوانية ، ثم ارتفع سعره إلى خمسة عشر ديوانى ، وعشرين وثلاثين إلى قرش ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فعسى الله ان يأتى بالفتح أوامر من عنده ، وينظر إلى جيران بيته وسكان حرمـه ، ويشملهم بمزيد رحمته وكرمـه ويمطر عليهم سحائب ديمه ، ويرحم ضعفاء الأمة ، ويكشف عنهم هذه الغمة ، فانه

على كل شيء قدير ، وبالاجابة جدير ، وبعباده لطيف خبير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

عسى فرج يأتى به الله انه له كل يوم في خليقته امر

﴿ فائدة ﴾

قال النسفى في المدارك عند قوله تعالى : (وقيل يا ارض ابلعي ماءك) أي انشقي وتشربى ، والبلع النشف ، ويا سماء اقلعي ، اي امسكي ، وغيض الماء أي نقص من غاضه إذا نقصه ، وهو لازم ومتعد ، وقضي الأمر وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه ، واستوت على الجودي ، أي استقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها في ستة أشهر ، والجودى جبل بالموصل ، وقيل : بعداً للقوم الظالمين ، أي سحقاً لقوم نوح الذين غرقوا .

يقال بعد بعداً إذا أرادوا البعد ، البعيد من حيث الهلاك والموت ، ولذلك اختص بدعاء السوء .

والنظر في هذه الآية من اربع جهات : من جهة علم البيان ، وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتعلق بها .

فنقول: انه تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الارض إلى بطنها فارتد ، وان نقطع طوفان السماء فانقطع ، وان يغيض الماء النازل من السماء فغيض ، وان نقضى امر نوح ، وهو انجاز ماوعدناه من اغراق قومه فقضى ، وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الظلمة غرق بنى الكلام على ان المراد بالمأمور الذى لايتأتى منه لكمال هيبة العصيان ، وتشبيه تكوين المراد بالامر الحزم النافذ في تكون المقصود تصويراً لاقتداره العظيم ، وان السموات والارض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لارادته فيها تغييراً وتبديلا ، فكأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق العرفية ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره والاذعان

لحكمه ، وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ، ثم على تشبيه هذا نظم الكلام ، فقال عز وجل ، وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل ، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ، ثم قال مخاطباً لهما يا ارض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجارحة في المطعوم للشبه بينهما ، وهو الذهاب إلى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء تشبيها له بالغذاء لتقوى الارض في الانبات تقوي الآكل بالطعام ، ثم قال: ماءك باضافة الماء إلى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض، كاتصال الملك بالمالك ، ثم اختار لاحتباس الماء الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأتى ، ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعداً ، ولم يصرح بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر ، وسوى السفينة وقال بعداً ، كما لم يصرح بقائل يا ارض ويا سماء ، سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية لان تلك الامور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر ، وتكوين مكون قاهر ، وان فاعلها واحد لا يشاركه في فعله ، فلا يذهب الوهم إلى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ، وأن لا يكون الغائض والقاضى والمسوي غيره ، ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيهاً لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لأنفسهم اظهاراً لمكان السخط ، وان ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم، ومن جهة علم المعانى ، وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها . وذلك انه اختير يادون أخواتها لكونها اكثر استعمالا ، ولدلالتها على بعد المنادى الذي يستدعيه مقامه اظهار لعظمة والملكوت ، وابداء العزة ، والجبروت: وهو تبعيد المنادي المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارضى لزيادة التهاون إذ الاضافة تستدعي القرب ، ولم يقل يا ايتها الارض ، للاختصار ، واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف وأدور ، واختير ابلعي على ابتلعي لكونها اخصر وللتجانس بينه وبين اقلعي ، وقيل افلعي ، ولم يقل عين المطر ، وكذا لم يقل يا ارض ابلعي

ماءك فبلعت ، ويا سماء اقلعي ، فقلعت ، اختصاراً ، واختير غيض على غيض وقيل الماء ، دون ان يقال ماء الطوفان والامر ولم يقل امر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودى ، أي اقرت على نحو قيل وغيض اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله ، (وهى تجري بهم ارادة للمطابقة) ثم قيل بعداً للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلباً للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم .

وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل ، فذلك انه قدم النداء على الامر ، فقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي ، ولم يقل ابلعي يا ارض وأقلعي يا سماء ، جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادي قصداً بذلك لمعنى الترشيح ، ثم قدم امر الارض على السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ، ثم اتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ، ثم ذكر ما هو المقصود من القصة ، وهو قوله (وقضى الأمر) أي انجز الموعود من اهلاك الكفرة ، وانجاء نوح عليه السلام ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبروا من جهة الفصاحة المعنوية ، وهي كما ترى نظما للمعانى وتأدية لها ملخصة مبينة لاتعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشبك الطريق إلى المرتاد

ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية ، مستعملة سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذبات ، سليسة على الاسلاس ، كل منها كالماء في السلاسة ، وكالعسل في الحلاوة ، وكالنسيم في الرقة ، ومن ثم اطبق المعاندون على ان طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هـذه الآية ، ولله در شأن التنزيل ، ألا يتأمل العالم آية من آياته ، ألا ادرك لطائف لا تسع الحصر ، ولا تظنوا الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك اكثر من المسطور .

﴿ فائدة فى سفينة نوح ﴾

روي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين ، وكان طولها ثلثمائة ذراع ، أو الفاً ومأتي ذراع وعرضها خمسين ذراعا ، او ستمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا ، وجعل لها ثلاثة بطون ، فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والاوسط الدواب والانعام ؛ وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام ، وجعله معترضاً بين النساء والرجال ، وقوله تعالى (وما آمن معه إلا قليل) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم ، وقيل : كانوا عشرة ، خمسة رجال ، وخمسة نسوة ، وقيل: كانوا أثنين وسبعين رجلا وامرأة ، وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم ، فالجميع ثمانية وسبعون ، نصفهم رجال ، ونصفهم نساء ، والله تعالى بغيبه اعلم ، وأدرى واعز وأحكم .

﴿ مسألة ﴾ قوله تعالى : (ولو ان ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) قال الشيخ شهاب الدين احمد بن ادريس القرافي رحمه الله قاعدة لو إذا دخلت على ثبوتين ، كانا منفيين او على نفيين كانا ثبوتين او نفي وثبوت ، فالنفي ثبوت ، والثبوت نفي ، تقول لو جاءني لاكرمته ، فهما ثبوتان فما جاءك ولا اكرمته ، ولو لم يستدن لم يطالب ، فهما نفيان ، وقد استدان وطولب ، ولو لم يؤمن أريق دمه التقدير ان آمن لم يرق دمه ، وبالعكس لو آمن لم يقتل وإذا تقررت هذه القاعدة فيلزم ان تكون كلمات الله قد نفدت ، وليس كذلك ، لان لو دخلت على ثبوت اولا ونفي آخراً ، فيكون الأول نفياً ، وهو كذلك ، لان الشجرة ليست أقلاما ، ويلزم ان يكون النفي الاخير ثبوتاً فتكون نفدت ، وليس كذلك .

قال القاضي صلاح الدين الصفدي رحمه الله في شرح لامية العجم : ونظير

هذه الآية ، الحديث نعم العبد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصيه ، يقتضي انه خاف وعصى من الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذما ، لكن الحديث سيق للمدح ، أما الآية فعلى من يتفطن لها وذكر الفضلاء في الحديث وجوهاً ، أماالآية فلم ار لأحد فيها شيئاً ، ويمكن تخريجها على ما قالوه في الحديث .

قال الصفدي : غير انى ظهر لي جواب عن الآية والحديث جميعاً سأذكره .

قال ابن عصفور : لو في الحديث بمعنى ان لمطلق الربط ، وان لا يكون نفيها ثبوتاً ، ولا ثبوتها نفياً ، فيندفع الاشكال .

وقال الشيخ شهاب الدين الخسر وشاهى : ان لو في اصل اللغة لمطلق الربط ، وانما اشتهرت في العرف في انقلاب ثبوتها نفياً ، وبالعكس ، والحديث انما ورد بمعنى اللفظ في اللغة .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : الشيء الواحد قد يكون له سبب واحد فينتفى عند انتفائه ، وقد يكون له سببان لا يلزم من احدهما عدمه لان السبب الثانى يخلف الاول ، كقولنا في زوج هو ابن عم لو لم يكن زوجا ورث ، اي بالتعصيب فانهما سببان لا يلزم من عدم احدهما عدم الآخر ، وكذلك هاهنا الناس في الغالب انما لم يعصوا لأجل الخوف ، فاذا ذهب الخوف عصوا لاتحاد السبب في حقهم ، فأخبر عليه الصلاة والسلام ان صهيباً رضى الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه من المعصية الخوف والاجلال ، وهذا حد جميل ، وكلام حسن وأجاب غيرهم ان الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصمه الله ودل على ذلك قوله لم يعصه ، وهذه الاجوبة تأتى في الآية غير الثالث ، فان عدم نفود كلمات الله وانها غير متناهية أمر ثابت لها لذاتها ، وأما بالذات لا يعلل بالاسباب ، فتأمل ذلك فهذا الكلام الذى اتصل بى .

قال الصفدي : والذي يظهر لي ان لو اصلها ان تستعمل للربط بين شيئين كما تقدم ، ثم ايضاً تستعمل لقطع الرابط ، فيكون جوابا لسؤال محقق ومتوهم وقع

فيه ربطه فتقطعه أنت لاعتقادك بطلان ذلك الربط ، اي الربط بين عدم الزوجية وعدم الارث ليس بحق فمقصودك قطع ربط كلامه لا ربط كلامك ، وتقول لو لم يكن زيد عالماً لأكرمته، أي لشجاعته، جوابا لسؤال سائل تتوهمه، او سمعته يقول لو لم يكن زيد عالماً لم يكرمه، فيربط بين عدم العلم وعدم الاكرام، لان ذلك ليس بمناسب ولا من اغراض العقلاء ، ولا يتجه كلامك إلا على عدم الربط ، كذلك الحديث لما كان الغالب على الناس ان يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله تعالى ، وان ذلك في الاوهام ، فقطع رسول الله ﷺ هـــذا الربط وقال : لو لم يخف الله لم يعصه ، وكذلك لما كان الغالب على الاوهام ان الاشجار كلها إذا صارت أقلاما ، والبحر المالح مع غيره يكتب به الجميع ، يقول : ما يكتب بهذا الشيء إلا نقد ، وما عساه ان يكون ، فدفع الله تعالى هذا الربط .

وقال : ما نفدت كلمات الله ، وهـذا الجواب اصلح الاجوبة المتقدمة من وجهين ، احدهما شموله لهذين الموضعين وبعضها لم يشمل كما تقدم ، وثانيها ان لو بمعنى خلاف الظاهر ، وما ذكرته من الجواب ليس مخالفاً لعرف اهل اللغة ، فان أهل العرف يستعملون ما ذكرته ولا يفهمون غيره من تلك الموارد ، ويعم هـذا الجواب الواجب لذاته ، كصفات الله تعالى وكلماته ، والممكن القابل للتعليل كطاعة صهيب رضى الله عنه .

﴿ ترجمة والدى وسيدى جمال البلغاء وفاضل الزمن السيد على بن ﴾
(نور الدين بن أبى الحسن)

جهبذ تحرير فاضل ، فما الصاحب لديه وماالفاضل، تفرد بعلم البديع والمعانى، ففاق البديع الهمدانى ، وتوحد بالنحو والصرف ، فلو عاصره سيبويه والتفتازانى مانطقا في حضرته بحرف ، وتعزز في اللغة وعلوم الاوائل ، فبارز في حلبة الفصاحة والبلاغه قس بن ساعدة وسحبان وائل ، وتبحر في سائر العلوم ، وتفنن في المنطوق والمفهوم ، إلى كرم يخجل قطر المطر، واخلاق ألطف وأرق من نسمة السحر أفضل من نثر الدر من البلغاء ونظم وفضل علي اشهر من نار على علم ، كان بمكة المشرفة كالحجر الاسعد الاسود يستلمه تيمناً وتبركا به الابيض والاسود، ومابرح مشهوراً بكل فضل لدى البادي والحاضر ، وموقراً ومكرما عند السادة آل الحسن، وجميع الرؤساء والوزراء والاكابر، إلى ان دعاه إلى جواره الكريم، فنقله من دار الدنيا الفانية إلى جنة النعيم ، صبح يوم عشر من ذي الحجة الحرام، عام الف ومائة وتسع عشرة من هجرة خير الانام ، وارخ وفاته اخي السيد مصطفى نثراً بقوله : (دخل الجنات) رحمه الرحيم الرحمن ، وأسكنه بحبوحة الجنان ، وله كل قصيدة تهزأ باللؤلؤ المنثور وتخجل بحسنها الورد والياسمين والمنثور ، فمن شعره السهل الممتع الرقيق ، ونظمه المنسجم المنسبك الانيق ، قوله متغزلا :

أيا قلب بح مستشهراً بهوى دعد ... وخض جاسراً لج الصبابة والوجد
ولا تعدلن عن حبها ولو انها ... صلتك بنيران التجافي مع البعد
عليك بها عذراء معسولة اللمى ... معقربة الصدغين ممشوقة القد
مدملجة الساقين مهضومة الحشا ... موردة الخدين فاحمة الجعد
إذا ما بدت تختال في حلل البها ... فياخجلة السمر المثقفة الملد
عجبت لجسم كالحرير منعم ... يضم فؤاداً قد من حجر صلد

لها الله من رعبوبة سفكت دمي ... بمرهف ماضي اللحظ منها على عمد
تعشقتها أخت المهاة خريدة ... ثوى حبها في القلب مذ كنت في المهد
فعني اليك اليوم يا لائمي اتئد ... أتحسب ان اللوم في حبها يجدي
أتعذلني في حب دعد ضلالة ... وتزعم يا مغرور أنك ذو رشد
أيقبل فيها اللوم سمعي وقد سرت ... محبتها في الجسم بالعكس والطرد
وأقسم بالمسود من مسك خالها ... وبالشفق المحمر من صفحة الخد
وبالمقلة النجلاء والمبسم الذي ... تستر بالياقوت والمرشف الشهدي
لو انك تشكو ما بقلبي عذرتني ... وما لمت لكن ما بقلبك ما عندي

وقوله مصدراً ومعجزاً قصيدة ذي الوزارتين ، القائد عيسى بن لبون الذي ترجمه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان :

خليلي عوجا بي على مسقط اللوى ... أروي بصوب الدمع من مقلتي الثرى
قفا بي قليلا لا عدمت وفاكما ... لعل رسوم الدار لن تتغيرا
فأسأل عن ليل تولى بانسنا ... وعصر مضى كالحلم في سنة الكرى
وألثم آثار الأولى سكنوا الحشا ... وأندب اياما تقضت وأعصرا
ليالي إذ كان الزمان مسالماً ... وأمري عليه نافذ الحكم في الورى
إذ الخرد البيض الدمى تحت قبضتي ... وإذ كان غصن العيش فينان اخضرا
وإذ كنت اسقي الراح من كف أغيد ... أغن عفيف النفس بالروح يشترى
معتقة في الدن من عصر جرهم ... يناولنيها رائحاً ومبكرا
أعانق منه الغصن يهتز ناعماً ... وارشف منه الثغر شهداً وكوثرا
وأقطف من وجناته الورد يانعاً ... وألثم منه البدر يطلع مقمرا
وقد ضربت ايدي الامانى قبابها ... بساحتنا والهم ولى وأدبرا
ومدت لبيلات التهانى رواقها ... علينا وكف الدهر عنا واقصرا
فما شئت من لهو وما شئت من دد ... وما شئت من قد حكى الغصن مثمرا

وما شئت من وجه يروقك حسنه ومن مبسم يجنيك عذبا مؤثرا
وما شئت من عود يغنيك مفصحاً ومن غادة تشجيك صوتاً ومنظرا
تحرك منك الوجد ان هي انشدت سما لك مجد بعد ما كان قصرا
ولكنها الدنيا تخادع اهلها فتضحكهم يوما ويبكون اعصرا
وذو العقل لم يركن اليها لانها تغر بصفو وهي تنوي تكدرا
لقد اوردتني بعد ذلك كله موارد كم اردت اناساً ومعشرا
على الرغم مني كان قسراً ورودها موارد ما الفيت عنهن مصدرا
وكم كابدت نفسي لها من ملمة ومن حادث قد كان حتماً مقدرا
وكم محنة قضيتها متصبراً وكم بات طرفي من اساها مسهرا
خليلي ما بالي على صدق عزمتي إذا رمت من دنياي امراً تعسرا
الام ولي نفس تروم اقتنا العلا أرى من زماني ونية وتعذرا
ووالله ما ادري لأي جريمة اصر على كيدي وللغدر اضمرا
وما علمت نفسي بأي جناية تجني ولا عن أي ذنب تغيرا
ولم أك عن كسب المكارم عاجزاً إذا الغير ابدى عجزه وتأخرا
ولا كنت ممن تألف القبض كفه ولا كنت عن نيل انيل مقصرا
لئن ساء تعريق الزمان لدولتي فما كان إلا واعظاً لي ومنذرا
جزى الله هذا الدهر خير جزائه فقد رد عن جهل كثير وبصرا
وأيقظ من نوم الغرارة نائماً وأهلك قدما من طغى وتجبرا
ونبه من سكر الجهالة غافلا وأكسب علماً بالزمان وبالورى

أقول : ذو الوزارتين هذا المذكور ، ترجمه القيسي ايضاً ، ووصفه بعزة العظما ، وهزة الكرما ، والشغف بالجود ، والكلف بالوفود ، ونفاق بضائع البدايع في زمانه ، واشراق مطالع الصنائع باحسانه ، واتسقت مناظم سلكه ، في مراسم ملكه ، وجرى مدار فلكه ، على مراد فلكه ، وكانت مربيطة مربض جياده ،

ومنهض اجناده ، ومربط افراس بأسه ، ومسقط رأس ايناسه ، والدهر مساله ، والقدر مساعده ، والامل مساعفه ، والوطر معاضده ، فاخذها ابن درين ، وتركه على ارض الشليب حزين ، وانعكس حظه وانتكس لحظه ورابه الزمن ، والمكاره دون مكارمه وحار مهما في بحار مهامه محارمه ، وله نظم يظمأ إلى ورده ويجلي الحسن من مطالع سعده ، فمن ذلك قوله يعاتب بعض اخوانه ، ويخاطب بعض خلانه :

لحا الله قلبي كم يميل اليكم وقد بعتم حظي وضاع لديكم
إذا نحن أنصفنا كم من نفوسنا ولم تنصفونا فالسلام عليكم

وقال بعد التسلط عليه في سلطانه ، يحن إلى اوطاره في اوطانه :

يا ليت شعري وهل في ليت من ارب هيهات لا ينقضي من ليت آراب
وأين تلك الليالي اذيلم بها فيها وقـــد نام حراس وحجاب
أين الشموس التي كانت تطالعنا والجو من فوقه لليل جلباب
يهدي الينا لجيناً حشوه ذهب انامل العاج والاطراف عناب

قال بعض البلغاء : الدنيا ان اقبلت بلت او ادبرت برت او اطنبت نبت او اركبت كبت ، او بهجت هجت ، او اسعفت عفت ، او اينعت نعت ، او اكرمت رمت ، او عاونت ونت ، او ماجنت جنت ، او سامحت محت ، او صالحت لحت ، او واصلت صلت ، او بالغت لغت ، او وافرت فرت ، او زوجت وجت ، اونوهت وهت ، او ولهت لهت ، او بسطت سطت ، احتضر بالنزع بعض اهل الدنيا المترفين وكان كلما قيل له : لا إله إلا الله يقول هذا البيت :

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب

وسبب ذلك ان امرأة عفيفة حسناء خرجت إلى حمام معروف بحمام منجاب فلم تعرف طريقه ، وتعبت من المشي فرأت رجلا واقفاً على باب داره فسألته عن الحمام ، فقال : هو هـذا ـ وأشار إلى باب داره ـ فلما دخلت اغلق الباب عليها ، فلما عرفت مكره ، اظهرت له كمال الرغبة والسرور ، وقالت : اشتر لنا شيئاً من

الطعام وشيئاً من الطيب ، وعجل بالعود الينا ، فلما خرج لم يغلق الباب عليها واثقاً بها وبرغبتها فخرجت وتخلصت منه ، فانظر كيف منعته هـذه الخطيئة عن الاقرار بالشهادة عند الموت مع انه لم يصدر منه إلا ادخال المرأة في بيته وعزمـه على الزنا فقط من دون وقوعه منه ، نسأل الله الحماية ، ولله در من قال :

قواك وهت عند وقت المشيب وما كان من دأبها ان تهي
وباينت نفسك لما كـبرت فلا هى انت ولا انت هي
وما زلت مستغرقا في الذنوب وما قلت قـد آن ان انتهى
متى يشتهي الجائعون الطعام فما تشتهي غير ان تشتهي

ومثله قول ابى اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسي رحمه الله تعالى :

ألا قلت تنهى النفس يوماً عن الهوى أرانى وقد ولى الصبا لست انتهى
ولا انبذ الدنيا ورأى وقـد اتى لمرة حبـلى ان ترث وان تهى
وهلا وقـد واريت يوماً جنازة رأيت اعتباراً ثم انك انت هى

ويعجبني قوله ايضاً في هذا الباب ، عليه رحمة رب الارباب :

ان الفتى من إذا استوهبته وهبا وفاض جوداً وان احفظته انتهبا
وجردت سيفه نفس سجيتهـا ان لا تهاب وكف شاء ان تهبا
فقال يوم الوغى للسيف انت لظى يصلي ويوم الندى للمالـ انت هبا

﴿ في حسن التوكل ﴾

كتب رجل إلى شخص تخلى للعبادة وانقطع عن الناس ، بلغني انك اعتزلت عن الخلق وتفرغت لعبادة الحق ، فما سبب معاشك ؟ فكتب اليه : يا احمق يبلغك انى منقطع إلى الله سبحانه وتعالى وتسألني عن المعاش .

قال بعض العارفين: الوعد حق الخلق على الله فهو احق من وفى والوعيد حق الله على الخلق فهو أحق من عفا ، وكانت العرب تفتخر بوفاء الوعد ، وخلف الوعيد

قال الشاعر :

وانى إذا أوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

قال عيسى بن ابان : كنت عند المأمون فاستأذنته في الخروج إلى البصرة إلى عيالي ، فقال : انا اشوق منك إلى عيالي ولكن وجه اليهم فيحملوا ، ثم قال لخادم على رأسه : مرهم بالوصول ، فأقبل غلام كالبدر لانبات بعارضيه ، فسلم فقال له مرحباً ، واجلسه على فخذه الايمن ، واقبل آخر فأقعده على فخذه الايسر فجعلت انظر اليهما وإلى حسنهما ، فقال : يا عيسى بم ترى ان ابدأ ، فقلت أعيذ امير المؤمنين بالله ، فقد نزهه الله عن هذا وصانه ، فقال : يا عيسى ليس هذا الذي ذهبت اليه انهما جاريتان اشتهيتهما في زي الغلمان ، قلت امير المؤمنين اعلى عيناً ، فقالت الأولى : والله يا عيسى ما تحسن الحكومة ، ألم تسمع قول الله تعالى (والسابقون السابقون اولئك المقربون) ، قال فبقيت والله متعجباً وتمنيت انى كنت اهتديت إلى ما قالت بجميع ملكي ، ثم قالت الأخرى : والله ما تبصر في الحكومة شيئاً ألم تسمع قول الله تعالى (وللآخرة خير لك من الاولى) قال: فتركتهما معه وانصرفت . ذكر ذلك صاحب كتاب (الجليس والانيس) .

أقول : ومثل هذه الحكاية ما حكي ان الرشيد سأل جعفراً عن جواريه فقال : يا امير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعاً وعندى جاريتان وهما يكبسانى فتناومت عليهما لانظر صنعهما واحداهما مكية ، والاخرى مدنية ، فمدت المدنية يدها إلى ذلك الشيء ، فلعبت به فانتصب قائماً ، فوثبت عليه المكية وقعدت عليه ، فقالت المدنية : انا احق به لانى حدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ انه قال : من احيا ارضاً ميتة فهي له ، فقالت المكية : وانا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال ليس الصيد لمن اثاره ، انما الصيد لمن قنصه ، فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ، وقال : هل من سلوة عنهما ؟ فقال جعفر : هما ومولاهما بحكم امير المؤمنين وحملهما اليه .

وما أحسن قول عبد القدوس :

وليس رزق الفتى من حسن حيلته لكن حظوظ بارزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد يرمي فيرزقه من ليس بالرامي

فلما اسفر صبح ثانى وعشرين من ذي الحجة الحرام عام الف ومائة واحدى وثلاثين من هجرة خير الانام ، رحلنا من الأبطح بعون المعين في الشدة والضيق ، وسرنا إلى وادي المضيق ، فانخنا به العيس ، في ساعة التعريس :

سقاك الله يا وادي المضيق حياء في المساء وفي الشروق
فانك جالب الافراح حقاً ومؤنس كل ذي كرب وضيق
زهورك قد سكرنا من شذاها فوا شوقى لوردك والشقيق

وادحفت به الاشجار ، بانواع الثمار ، والوان الازهار ، وغنت عليها صنوف الاطيار ، ما بين شحرور ، وقمري وبلبل وهزار ، واشرقت فيه شموس الضحى وطلعت به الاقمار ، كأنه جنة عدن تجري من تحتها الانهار ، فاقمنا به يوماً وليلة ، ونحن في انس وسرور ، وغبطة وحبور ، سالمين من طوارق الدهر ، لم ندر فيه عن زيد ولا عمرو :

لا تفوت لذة قد امكنت انما الدهر سريع النقم

فلما اسفر وجه الصباح ، ونودى بحي على الفلاح ، عزمنا على الرحيل ، وسرنا خلف الدليل ، فمشينا إلى الزوالـ ، وإذا بعرب عتيبة ترصدنا على رؤس الجبال ، وقد قصدوا معنا الحرب ، وعزموا على الطعن والضرب ، وكان امير الحاج يومئذ الشجاع المقدام الهزبر الضرغام ، السيف الصمصام ، البحر القمقام حاكم مدينة الحلة يوسف باشا ، بلغه الله من الدنيا والآخرة ما شا ، فحين شاهد الاعراب قد رمتنا بالرصاص حتى خلنا ان ليس لنا من ايديهم خلاص ، امر الحجاج إذ ذاك بالوقوف ، وجيش الجيوش وصف الصفوف ، وما الطف قول الوزير ابن زيدون :

إذا جيش الاحباب جيشاً من الجفا بنينا من الصبر الجميل حصونا

وان ارسلوا خيل الصدود مغيرة جعلنا لهم خيل الخضوع كمينا
وان جردوا اسياف بين وفرقة صبرنا على احكامهم ورضينا
ولو قطعونا ما سلتهم قلوبنا لانا نرى حفظ المودة دينا

ثم ان الباشا اشار على من معه من الرجال الصناديد الابطال ، بصعود تلك الجبال ، وفتح باب القتال ، فوقع إذ ذاك الكر والفر ، والقتل والاسر ، من الظهر إلى العصر ، وحصر الباشا الاعراب بصمصامه البتار ، اشد حصر :

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

ثم ان البطل الغضنفر المشهور ، سلطان بك نجل الباشا المذكور ، الذي هو لأوصاف الكمال جامع ، اشار على ابيه بان يرمي الاعراب برصاص المدافع ، الذي ليس لهم به من دافع ، فصعدت الاقبال ، بالمدافع إلى رؤوس الجبال ، ومعهم بقية العسكر والرجال ، فابعدوا عتيبة وادنوا منهم الآجال ، وفرقوهم في تلك البراري والقفار ، وبعثروهم بين السهول ، والاوعار :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

وكان لنا يوم ، يا له من يوم ، لم نر فيه غير نقع ثائر ، واسد إلى الكفاح غائر ، وجبان خائف من برق السيوف ومن رعد المدافع والبنادق حائر ، ورصاص كالبرد على الفريقين مصبوب ، وقتيل اختطفته ايدي شعوب ، وفرس براكبه طائح وجمل بحمله طائح ، وذهب جمع الاعراب شذر مذر ، وغنم العسكر شيئاً كثيراً من الخيل والابل والغنم ، وليس لهم بقر واسروا أربعة من مشايخ عتيبة واذاقوهم كأس المذلة والخيبة ، وحصل الفتح بعون المجيب القريب ، كيف لا ومعنا نصر من الله وفتح قريب وخرجنا من بين ذاك المضيق وتلك الجبال بالسلامة وبلغ الله الباشا مطلبه ومرامه ، واجتمع الشمل بعد الشتات وسرنا وحثثنا اليعملات

فلم نزل نقطع البر الاقفر والمهمه الاغبر ، إلى ان اتينا بعد تسعة أيام سد عنتر وهو جبل ما اضيقه واوعره واطوله ، بينه وبين المدينة المنورة مرحلة ، وفي اسفله غار في نهاية السعة والكبر ، يزعم عرب تلك الجهات انه اصطبل عنتر ، وحوله غدير ماء كبير يصدر منه الجمع الكثير ، فاقمنا به يوماً وليلة ، ثم سرنا قاصدين زيارة الرسول ، ومفتاح ابواب المطالب والسؤل :

من زار قبر نبيه وجبت له منه الشفاعه
هى طاعة واخالها في الفضل تعدل الف طاعه

صلى الله عليه وآله وسلم ، وشرف قدره وكرم :

يا عين هذا السيد الاكبر وهذه الروضة والمنبر
فشاهدي في حرم المصطفى من نوره الساطع ما يبهر

فانخنا الركاب في الحرة ، وطاب وقتنا بالفرح والمسرة ، ثم دخلنا المدينة ، البرة الامينة ، الطيبة الحصينة ، مأوى صاحب الوقار والسكينة ، ومسكن الاخيار الابرار الكرام جيران الحبيب عليه افضل الصلاة وازكى السلام :

قسما بالبيت والركن الذي طاب تقبيلا ومسحا واستلاما
ان في طيبة قوما جارهم في محل النجم يعلوا ان يضاما
روضة الجنة في اوطانهم وثرى آثارهم يبري الجذاما
كل من لم ير فضلا حبهم فهو في النار وان صلى وصاما

صفوة الصفوة ، وخلاصة الخلاصة ، يؤثرون الغريب على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويحبون من هاجر اليهم ، اسبل الله ستره عليهم :

يا ساكني طيبة لا زلتم طول المدى في عيشة راضيه
لاتخشوا الضيم ولاتحزنوا فانتم في جنة عاليه
وفي جوار الطهر خير الورى رب العلا والرتبة الساميه

﴿ ذكر المدينة المنورة ﴾

فائدة ـ قال ابن أياس في نشق الازهار: مدينة يثرب سماها رسول الله ﷺ مدينة طيبة ، وبها دفن رسول الله ﷺ وهي مدينة حسنة في مستو من الارض ، وعليها سور مانع وقلعة منيعة ، وأرضها سبخة ، وقد طابت منذ دخل فيها رسول الله ﷺ وسكن فيها ، وفيها يقول القائل :

طيبة أطيب البلاد وأبهى لفؤادي من كل شيء وأشهى
روضة من رياض جنة عدن ليس تحت الزرقاء احسن منها

وأهلها أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وبها التمر الشلبي الذي لا يوجد في غيرها من البلاد في الحلاوة والطعم ، وبها حب البان الذي يعمل منه الغالية ، وهي ذات نخل كثير وزرع وأشجار ، وفواكه وثمار وعيون وآبار وبساتين مبسوطة بألوان الأزهار ، واليها ينسب الامام ابو عبد الله مالك بن أنس المدني الاصبحي صاحب الموطأ في الحديث ، وهو شيخ الامام الشافعي ولد في سنة ثلاث او اربع وتسعين من الهجرة ، وتوفي سنة تسعاً وسبعين ومائة ، واليها ينسب ابو هريرة ونافع والزهري وغير ذلك من رواة الحديث ، واليها ينسب عرقوب الذي يضرب به المثل في خلف الوعد ، قيل انه كان من العماليق ، ونشأ بمدينة يثرب ، وسبب شهرته بخلف الوعد قيل انه اتاه اخوه يسأله شيئاً بفتات به من التمر ، فقال له عرقوب إذا اطلعت هذه النخلة فأعطيك من طلعها شيئاً ، فلما اطلعت اتاه اخوه ، فقال له دعها حتى تصير رطباً ، فلما رطبت اتاه اخوه فقال له: دعها حتى تصير تمراً ، فلما اثمرت عمد اليها عرقوب في الليل واخذ ثمرها ورحل من المدينة ولم يعط اخاه شيئاً منها فصار مثلا عند العرب في خلف الوعد ، فقال في ذلك الاعشى الشاعر :

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال كعب بن زهير في البردة :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الاباطيل

حكي ان الوليد بن عبد الملك لما اراد ان يبنى مسجد رسول الله ﷺ ارسل إلى صاحب الروم يطلب صناعا لعمارة المسجد الشريف فبعث اليه اربعين رجلا من صناع الروم ، واربعين رجلا من صناع القبط وارسل معهم اربعين الف مثقال من الذهب ، فبنوا أساس المسجد بالحجارة ، وجعلوا في وسطها اعمدة من الحديد وركبوها بالرصاص ، وجعلوا سقف المسجد مزخرفاً بالذهب وجعلوا وجه الحائط القبلي من داخل المسجد بالرخام الملون من اساسه إلى قدر قامة وجعلوا المنبر الذي كان يخطب عليه رسول الله ﷺ غشاء لمنبر جديد من الخشب وجعلوا للمسجد اربعة ابواب : باب السلام ، وباب الرحمة ، وباب جبريل ، وباب النساء ، وبالمسجد قبر رسول الله ﷺ .

ذكر عروة بن الزبير قال : دفن رسول الله ﷺ في السهوة ، ودفن ابو بكر خلف رسول الله ، ودفن عمر عند رجلي ابى بكر ، وبقية السهوة الشرقية فارغة فيها موضع قبر يقال ـ والله اعلم ـ ان عيسى بن مريم عليه السلام يدفن فيه ، وكذا جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ ، وقالت عائشة : رأيت ثلاثة اقمار سقوطاً في حجرتي فقصصت رؤياي على ابى بكر ، فقال لي : ياعائشة ليدفنن في بيتك من هم خير اهل الارض ، فلما توفى رسول الله ﷺ ، ودفن في بيتي قال ابو بكر يا عائشة هـذا واحد من اقمارك وهو خيرهم ﷺ .

ذكر ذلك الامام ابو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي في دلائل الخيرات ومن خلف قبره ﷺ قبر فاطمة الزهراء على قول ، وسأذكر ترجمتها بالتفصيل ان شاء الرب الجليل في تاريخي ازهار الناظرين فى اخبار الاولين والآخرين وبازاء المسجد من خارج السور البقيع وبه قبر العباس عم النبي (ص) والحسن بن علي بن ابى طالب وعلي بن الحسين بن ابى طالب عليهم السلام ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق عليهما السلام

وسأذكر تراجمهم جميعاً مبسوطة في تاريخي ازهار الناظرين، وأسأل الله ان يوفقني على اتمامه ويعين، الجميع في ضريح واحد وعليهم قبة عظيمة ومقابلهم قبر فاطمة الزهراء على قول، وبه قبر عائشة وقبور أزواج النبي (ص) وقبر ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وبعض الاصحاب، وقبر الامام أنس بن مالك، ونافع، وقبر عثمان بن عفان، وعليه قبة عظيمة، وقبر فاطمة بنت اسد ام علي بن ابي طالب، وقبر حليمة السعدية مرضعة النبي (ص) وبالمدينة المنورة بئر بضاعة، يقال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتى إلى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردها إلى البئر وبصق فيها وشرب من مائها، وكان إذا مرض احد بالمدينة في ايامه، يقول: اغسلوه بماء بضاعة، فيغسل من مائها، فيقوم كأنما نشط من عقال.

قالت اسماء بنت ابي بكر: كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة ايام فيتعافون، وبها بئر ذروان.

روي ان النبي (ص) مرض في بعض السنين فبينما هو بين النائم واليقظان إذ رأى ملكين اتياه، فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما وجعه؟ قال: طب اي سحر، قال: ومن طبه؟ قال: ابن الأعصم اليهودي، قال: فأين طبه؟ قال: في كرنبة تحت صخرة في بئر ذروان فانتبه رسول الله (ص) وقد حفظ كلامهما فارسل علي بن ابي طالب وعماراً مع جماعة من الصحابة فأتوا إلى تلك البئر فنزحوا ماءها وانتهوا إلى الصخرة التي بها فقلبوه فوجدوا الكرنبة تحتها وفيها وتر فيه احدى عشرة عقدة فاخرجوها فزال وجعه، وانزل الله عليه المعوذتين وهما احدى عشرة آية على عدد العقد فجعل يقرأ آية ويحل عقدة بعد عقدة حتى حلها جميعها من ذلك الوتر، وبها مسجد قبا المشهور المأثور، وقبا هذه قرية على ميلين من المدينة المنورة وبها بئر غرس.

كان النبي (ص) يستطيب ماءها ويبارك فيها، وقيل انه تفل فيها، انتهى كلام ابن اياس في نشق الازهار وبها العين الزرقاء وماؤها عذب لطيف.

ولله در من قال :

مدينة خير الخلق تحلو لناظري فلا تعذلوني ان اموت بها عشقا
يقولون في زرق العيون شآمة وعندي ان اليمن في عينها الزرقا

قال العلامة المحقق المدقق السيد محمد كبريت المدني في رحلته : العين الزرقاء منسوبة إلى الازرق بن مروان لانه اجراها وهو وال على المدينة المنورة واصلها من غربي مسجد قباء ، وتجري إلى المصلى وعليها قبة يخرج الماء منها على وجهين شرقي وشمالي ، ولعل الزرقاء صفة للعين لان جميع مياه ذلك الوادي يرى كالنيل الازرق ، ولان ذلك الماء كان قبل مروان وآبائه ، وكانت في المدينة عيون متنوعة متعددة ، وقد صارت في خبر كان ، إلا ان ذيولها وآثارها باقية تشهد عليها .

قيل : وكان يجد بالمدينة وأعراضها مائة وخمسون الف وسق بعير من التمر ويحصد مائة الف وسق من الحنطة ، ويروى انه كان بالمدينة من عيون النبع غير الجارية ستة عشر الف سانية .

حكى السمهودي في الخلاصة : انه لما قدم المدينة تبع احصاها ، فكانت كذلك ، وهذه الخلاصة من احسن تواريخ المدينة الشريفة ، وأنشد في ذلك اجازة لنفسه للشيخ ابراهيم ابي الحزم سنة ١٠٢٤ :

من رام يستقصي معالم طيبة ويشاهد المعدوم كالموجود
فعليه باستيفاء تاريخ الوفا تأليف عالم طيبة السمهودي

انتهى كلامه رفع مقامه ، فاقمنا في طيبة اربعة ايام ، وبلغنا بزيارة الحبيب المرام ، وصاحبيه الكرام ، وبنته فاطمة الزهراء سيدة نساء الأنام ، ام الأئمة الاعلام ، وزرنا سكان البقيع وجميع من جاور الشفيع ، وزرنا عم النبي اسعد السعداء ، حمزة سيد الشهداء :

زرنا وفزنا بالهنا والثنا والحمد لله بلغنا المنا

﴿ ذكر مقامة الزرندى ﴾

أقول : لا بأس باثبات هذه المقامة اللطيفة ، وما حوت من المعانى البديعة الظريفة ، وانطوت عليه من الآيات والاحاديث الشريفة لانها قليلة الوجود ، وهى للفاضل العلامة المحقق النحرير الفهامة المدقق القاضى نور الدين علي بن يوسف الزرندي المدنى الأنصاري الناظر في امر الحسبة والحكم بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، قالها عام ثمان واربعين وسبعمائة ، وسماها المرور بين العلمين إلى المفاخرة بين الحرمين .

قال : رحمه الله تعالى: الحمد لله ماحكي من مناظرة الحرمين ، ومفاخرة المحلين المعظمين ، ذكر انهما اجتمعا في ميدان الفخر ، ومن دونهما حجاز ، وليس معهما لغيرهما في هذا المقام على الحقيقة مجاز ، فبرز حرم المدينة ، وتسنم شرفا من الشرف عال ، واستفتح المقام فقال : الحمد لله الذي فضلنى على سائر البلاد ، وجمع لي بين طريف الفضل والتلاد ، وشرفني بحلول خير العباد ، واشرف كل حاضر وباد والبسنى ملابس الفخر الفاخرة ، واعلى مقامى في الدنيا والآخرة ، وجعل تربتي شفاء من السقام ؛ وغباري دواء من الجذام ، فلى الشرف على كل اقليم ، والفضل في الحديث والقديم ، وباسمي ينوه كل خطيب ، وعرف تربتي اطيب من كل طيب :

لا تحسب المسك الذكى كتربها هيهات اين المسك من رياها

فالمقام بى من المكاره جنة ، إذ كانت في روضة من رياض الجنة ، وحسبي فخرا بالمنبر الذي علت مراقيه ، وحاز جميع الشرف براقيه ، فالى مسجدي تشد الرحال من كل قرية وفلاه ، والصلاة فيه كما علم بألف صلاه ، فلى الفخار الباذخ والشرف الذي هو بأرض المجد راسخ فلا غرو ان سبقت في هذا المضمار وركضت في ميدان الفخر فاحق الخيل بالركض الفرس المعار ، فلما سمع الحرم المكي هذه العبارة وفهم دلالة تضمنها والاشارة .

قالـ كانك تقولين : اياك اعنى واسمعي يا جارة ، ايها المدينة المسكينـة ، عليك بالسكينة إلي تعرضين ، ام لي تتعرضين ، ام علي تستظهرين ، ام مع وجودي تفتخرين ، تالله ما سال اليك إلا ما فاض منى ولا وصل اليك إلا ما فصل عنى ، أما علمت ان بنيتي افضل البنيات ، أما سمعت قوله تعالى (فيه آيات بينات) الك مثل الـكعبة ذات الستور ، او البيت المقابل بالبيت المعمور ، الذي هو عين الوجود ، ومطلع السعود ، أفي صفاتك كالصفا ام في نعيمك كالتنعيم ، ام هل قام لك مقام كمقام ابراهيم ، وهل حدا حادى مياهك مثل الصفا وزمزم ، ام تحققت كيمياء السعادة ، وظفرت بالحجر المـكرم الذي هو كالمقلة السوداء في البيت ، او كمشكاة فيها من الجنـة زيت ، فارفق بنفسك ، واياك ان تترفعي على ابناء جنسك ، فان كانت الصلاة في مسجدك بألف ، فهي في مسجدي مائة الف ، وحول بيتي من الملائكة المصلين والطائفين كم من صف ، وان فخرت بحلول الشفيع ، ففي كان مسقط رأسه الرفيع ﷺ :

بلاد بها نيطت على تمائمي واول ارض مس جلدي ترابها

فاقلى من هذا الفخر فربما ذم الفخور ، والمتشبع بما لم يؤت كلابس ثوبى زور فلما سمعت المدينة هذه المقالة ، اشتعلت ولا اشتعال الذبالة ، وبرزت بين انصارها واعوانها كالقمر وسط الهالة ، وقالت يا لله العجب ، من دفع الحق وقد وجب ، قول ولا معنى ، اسمع جمجمة ولا ارى طحنا ما هذا الفعل الذي اتيت ، لقد وقعت فيما ابيت ، وارتكبت ما عنه نهيت :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ويلك ارفعي ذيل اعجابك ، وخفى فقد آذتك بعض اثوابك ، هيهات اين النجم من البدر والقطر من البحر ، ولـكن اليوم خمر ، وغداً امر ، فان كان فيك مقام الخليل ، فعندي المقام الجليل وان كانت كعبتك بثنية الحسن فحالى كله جميل ، وان فخرت بالبيت المقابل بالبيت المعمور ، فـكل بيت من بيوتى بنور الحبيب معمور ،

وان اتيت بالصفا أتيت بالنبي المصطفى ، وان جئت بالتنعيم جئت بروضة من جنات النعيم ، وان نظرت إلي من عين البيت وزمزم بالمقلة السوداء قابلتك بالقبة الخضراء وبهرتك من بيت مالي بالبيضاء والصفراء ، ونظرت اليك بالعين الزرقاء ، وان كان بيتك عين الوجود وظفرت بالحجر المكرم الذي لا يضاهى ولا يباهى فعندي :

إنسان عين الكون سر جماله (يس) إكسير المحامد (طه)

وأما ما ذكرت من تضعيف صلاتك ، وتكثير صلاتك ، بالتضعيف يحتاج إلى طبيب حاذق فانه ضعيف ، ولم يسلم بسنده ولامتنه بأسنة السنة النقاد من الطعن والتجريح ، وأما حديث مسجدي فشائع سائغ من المحض الصريح ، وان كان حولك من الملائكة صفوف ، ففي من صنوف الملائكة الوف ، او ما بلغك انه ينزل في كل يوم بعد صلاة الفجر والعصر ، على الضريح الشريف سبعون الف ملك ثم لا يعودون إلى آخر الدهر .

وأما ما ذكرت من ان فيك كان مولد النبي العظيم ، وبك كان مسقط رأسه الكريم ، فقد صدقت ولكن ولدته وربيته وأخرجتيه وآويته ، وخذلتيه ونصرته وعققتيه وبررته ، وكان بطني وعاءه ، وحجري فناءه ، وكنت له اماً شفيقه ، وبه ولله الحمد رفيقه ، وذلك كما قيل بجدي لا بكدي ، وبتوفيق الله كان سعدي ، فدعي المكابرة ، وانصفي عند البحث والمناظرة ، وأياك ان تأبى هذه الخطة فتقعي معي في ورطة ، فحين قرع سمع مكة هذا الكلام ، وفزعت بما القى اليها من الملام ، قامت وقعدت وبرقت ورعدت ، واسفرت عن وجهها فضل نقابها ، وكشفت ما كانت سدلت من حجابها ودخلت إلى ميادين الفخر من بابها ، ونطقت بملء فيها ، واظهرت السرائر التي كانت تخفيها ، وقالت : واعجباه كيف جسرت على الاسد في آجامها الأرانب ، لقد ذل من بالت عليه الثعالب ، ولقد زاحمت الجلان القرح في المرعى ، واستنت الفصال حتى القرعى ، بأصفر او بأبيض غرى غيري ، ويحك تجوع الحرة ولا تأكل بثديبها ، فبالله إلا ما تنهنهت عن كلامك ، وتنبهت من

منامك ، فما هلك امرؤ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، الست ام القرى ، الست انه اقام في ثلاثة وخمسين سنة سيد الورى ، وانما اقام بك عشراً او دون العشر ، فان لم يكن ذلك العشر فهو قريب من العشر ، الست اول بيت وضع للناس ، اليس ان الخليل والذبيح رفعا مني الاساس ، وهات خبريني ، افيك كل يوم وليلة ينزل مائة وعشرون رحمة ، او في كل ساعة تتوارد عليك نعمة أثر نعمة ، ام فيك الاماكن التي الدعاء فيها متحقق الاجابة ، ام بك مثل الحرم الرحب الذي حفته السعادة وملأت البركة رحابه ، ام لك مثل الميزاب الذي تصب منه الرحمة صباً ، ويغدو المشتاق اليه مغرما ويروح صباً ، ام في اوديتك كوادي ابراهيم ، الذي يجري بالخير العميم ، ويأتي بالبر الجسيم ، الك كالأبطح والبطحاء ، ام في سائمة انعام جبالك كنوز وحرا ، ام في ثنايا ثغورك ككداء وكرا ، كلا والله لا قائمة لك معي في بيت الفخار ، ولاقاعدة ولابارقة لك في سماء العلى ولا راعدة ، فاقعدي في بيت حيائك وقري ، وعززي من هو اكبر منك ووقري ، واياك ثم اياك ان تحتقري ، ولا تنقبي عما يعود عليك ضرره ولا تنقري ، واقصري من شأوك ، وقصري بعض خطوك ، فقد دللتك طريق اخوان الصفا ، وقد نصحتك فيما قلته وكفى .

فقامت المدينة عند ذلك على قدميها ، ونظرت بعين حمراء اليها ، وكشفت للحرب عن ساقها ، وامسكت ملابس فخار ضرتها من اطواقها ، وقالت :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

تالله لقد وضح الصبح لذي عينين ، ولا يطلب اثر بعد عين ، ويحك ما هذا الافتخار مع الافتقار ، والاستصغار لكبير المقدار ، فان تقولين اني اصغر منك سناً ، فافهمي المعنى ، فاشرف اعضاء الانسان العين واشرف العين الحدقة ، وان الذبابة لتدمي مقلة الاسد وفي الشرارة ضعف ، وعى محرقة كيف ومقداري كبير وشرفي خطير ، فاحذري ، فمتى لاقى زهير شبابي هرم سنك ، هزمت ولم يبق لك

بعد الهزيمة غير قرع سنك ، ويحك أما يكفيك انك لا تعين ، وتقولين ولا تسمعين ثم توبخين وتقر عين ، فلا بالموعظة تتعظين ، ولا من عض الملام تمتعظين ، فان كنت ام القرى ، فمن صفتي اني القرية اكالة القرى ، فجميع البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت بالقرآن ، أما يكفيك ان متى ظهر الدين واشتهر الايمان ، فهل امتزت بهذه المزية ، ام حصلت لك هذه الخصوصية ، وعلى الحقيقة فانا الذي فتحتك ومنعت عنك الضير والخير منحتك ، فما عرفت لي هذا القدر ولا رفعت بذلك مني الاجر ، لا يشكر الله من لا يشكر الناس لكن :

من يفعل الخير لم يعدم جوائزه لن يذهب العرف بين الله والناس

وأما قولك بأنك خصصت من الاقامة بالاكثر ، وخصصت بالدون ، فذهلت عن المعنى (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) بل اقول لك اعكسي تصيبي فنصيبك من ذلك عشر معشار نصيبي ، فانه ﷺ حي بعثواه ، ولكنه اوى إلى الله فآواه ، ومتى طلع بدري من ثنيات الوداع ، لم يطلع لك معي نجم ، او تبسمت ثنايا ثغور آكامي بكت جفون تلال كدائك ولم يبق لجسمها حجم ، او استرقت شياطين خرابتك السمع من سماء سموى قابلتها ملائكة السكينة من سكاني بالرجم وان افتخرت بوادي ابراهيم ، فني كل واد من اوديتي قلب المحب يهيم ، وان كان حرا عندك جسمه وقلبه ، فأحد جبل يحبنا ونحبه ، واين العقيق من البطحة والدر من الحصباء ، بل اين الهبا من البها ، ومع ذلك فلي شرف سوى ما ذكرت ، ومجد غير ما اليه اشرت ، وهو ما يبدو بأرجائي من الانوار ، ويظهر من معروف جلي التجليات وسرى الاسرار ، ويكفيك من عظيم خطري وسعادة جدى ، ان البركة موجودة متحققة في صاعي ومدي فهل لك مثل هذه المنقبة ، أم هل وصلت إلى هذه المرتبة ، فلما سمعت مكة هذا القول قالت :

اللهم اني ابرأ اليك من القوة والحول ، واستمد منك الفضل والطول لقد آلت هذه الفريضة إلى العول ، ثم التفتت إلى صاحبتها التفات الاسد الخادر ،

وأتت من بيت مفاخرها بالاول والأخر ، وقالت : الآن حمى الوطيس ، وزال التدليس والتلبيس ، اذكرتنى الطعن وكنت ناسياً ، ويحك أتسددين إلي سهاما أنا لك ريشتها ، وترسلين إلي من افتخارك ضبابا انا التي احترشتها ، اظننت انك مثلي او ان كلامك يدخل اذني او يقبله عقلي ، او ما عرفت من لفظي فضلي ، اما تحققت ان ابناء لبوتك لايستطيعون بزلي فهل لعقدك نحر كنحري ، أم قد غرقت سفينتك في لجة بحري ، أما خشيت ان تحترقي إذا دنوت من تلك الجمرات أما في قلبك من محسر حسرات ، بلى والله وتذهب عنك انصارك ويفترق الجمع ، متى قابلتك من مفردي بجمع ، فلو شاهدت عرفة لعرفت من قدرك ، ولحقرت ما عظمت من امرك ، اتراك ، إذا خطرت بوادي الأراك ، يخطر ببالك ان ما ثم سواك ، وإذا ذكر نعمان هل ينعم بال واديك ، بل إذا اعيد حديث حنين سكن حنين نياق ناديك ، فكم مخالف لهواه ، وهو لي محالف ، وكم من واقف ببابي وعاكف ، وكم من طائف لي ومعتمر ، فرحباً بطواف بفنائى ، وإذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ، أما علمت انه من شراب الجنة مشروبى ، أما عرفت انه لا يزال معي محبوبى ، أما كل من اتاني وقلبه سليم يروح وهو من الوجد بى سليم فاقسم من نجوم مياهي بالزاهر ، ومن جيادي في صافي مصافها بالسابق الباهر ، لئن لم تكفي غرب سوانيك وتثنى عنان ثنائك على مغانيك لاجردن اليك من مفاخري جيشا مالك به يدان ، ولألقين انصارك بكل هاشمي خؤلته بنو عبد المدان ، فقفى عند حدك ، فكم ترهبين بجزرك ومدك ، ولا تكوني كالباحث عن حتفه بظلفه ، فمقتل المرء بين فكيه ، وربما قتل الانسان بسيفه ، واياك وبأسي العتيد ، وبطشى الشديد فان كان لسان فخرك ذهباً او فضة فلساني حديد وحذار ثم حذار من شفار النفار ونصال نضال النظار والنقار ، فقديما قيل :

توق معاداة الرجال فانها مكدرة للصفو في كل مشرب
ولاتستثر حرباً وان كنت واثقاً بشدة بأس او بقوة منكب

ولايشرب السم الزعاف اخوحجا مدلا بدرياق لديه مجرب

ويكفيك ان الجمهور ، يحكم لي عليك بالغلبة والظهور . فلما سمعت المدينة كلامها ضربت طبولها ونشرت اعلامها ، وبرزت بروز الاسد من غابه ، والسيف من قرابه ، وقالت : ويحك أتستصغرين قدري ، وتختصرين امري ، وأنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، وسنامها المذرب ، وفارسها المجرب ، فوا عجبا تستخفين ثم تستخفين ، وتستنكفين ولا تنسكفين ، أما بلغك ان البادىء اظلم ، وان دفع الشر بالشر احزم ، أما سمعت قول الاول :

دع الشر وانزل بالنجاة بمعزل إذا انت لم يصبغك بالشر صابغ

ولكن إذا ماالشر ارخى قناعه عليك فجود دبغ ما أنت دابغ

وقول الآخر :

إذا أنت لم تنصف اخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يفعل

ويركب حد السيف من ان تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مرحل

وعجبت منك تفتخرين بواديك وبواديك ، وينادي مناديك بناديك ، وها أنا اقول ليس ذا بعشك ، فادرجي ، ولا بمقامك فاخرجي ، وحيث وصلت إلى هذا المعترك ، حصلت في الحبالة ووقعت في الشرك ، وامكنت الرامى من الرمية ، وارحتيه من هذه القضية ، فمتى ذكر لسمومك نسيمي العليل صار قلبه من حره مريضاً او كالمريض ، او عارض فضائي الواسع مأزميك ، وقع معه في الطويل العريض ، او عاينت شجرتك من نخيل تلك التمرات ، تعل قلوبها غمرات ، ثم تتحلين ولكن يتحلى تلك الغمرات ، او شاهد واديك خلال اشجار العقيق ، ظلال تلك التمرات يتلهف اسفاً على ما فاته من ذلك ويتلهب حسرات بالزفرات فلا جرم ان كان في قلبه لذلك جمرات ، ومهما بدت لك غابتي فررت من آسادها ، او لاحت لك العوالي ردت سيوف فخرك في اغمادها ، أما سمومك تذوب منه كل كبد حرا ، وكلما حلا وقت فيك ذهب سريعاً ومراً ، فاعقب مفارقه صبراً ، فأنت

في جبالك مع ارضى الواسعة في ضيق ، فلتسا فرعين شعابك الضيقة ، في فسيح ارضى ولتمر بى فانا على الطريق ، وما برحت تطيفي من الاكباد برياضى البهجة حرارها فتطفي نسائمي الارجة نارها وتخبو أوارها ، وأعلمي انك متى قابلتيني بنحرك كفتك حجتي ، ولم ادفع مقالتك بصدري ، او تبديت لي بحسنك قابلتك من الجمال ببدري ، وان جلوت عروس كعبتك اتيت من الملي بالبهاء والكمال الجلي ، او افتخرت بطوافك وعمرك افتخرت من مقامى بالجمال ، والجمال بعلي وان اجريت ذكر زمزمك ومصافيك ، او مراعي شعابك ووواديك فاسمعي ثم انظري فليس الخبر كالعيان ، ماء ولا كصد او مرعى ولا كالسعدان ، وان كان عندك المشروب فعندي الساقى او سليم المحبة ، فلدي الصاعد في درج المعالي والراقى ، واراك تفتخرين بوادي الاراك ، وتجنبين جيادك بين يديك ووراك ، فبالله إلاما تركت ما عداك من مرادفكم لي بارضى ، رياضي من عين ، كالحسناء تجري على صخر ، وأنا سيدة البلاد كما ان ساكنى سيد العباد ولافخر ، وأقسم من غاباتى بالاسود ، ومن اكباد لابتي بالحرار السود ، ومن ازهار رياض بوينتي بالبرود ، ومن اغصان نخيلي واشجاري بكل قد املود ، ومن رماح بساتيني بالعالية ، ومن سوانى جنانى بكل ساقية جارية ، وجارية ساقية ، لئن لم تتركى بعض نفارك وتلبسى ثوب وقارك ، لأبعثن إلى مياهك من عيونى نقاد عيون يظهر زيف جيادها ولأجردن اليها من معالمي جيشاً يقلم خيام فخر جبالها باوتادها .

وأما ما احتججت به من كلام الجمهور ، وان ذلك عندهم هو القول المشهور فجوابك فرق ما بين الدرهم والدينار في الصرف ، والناس الف منهم كواحد وواحد كالالف ، وانت إذا حققت المأخذ والمدارك تيقنت ان كمالي فوق كمالك ، وإذا أمعنت النظر حق الامعان ، فمالك كمالك ، وحسبك من دحوض حجتك والانقطاع ، ان ماضم اعضاءه الشريفة أفضل الارض بالاجماع ، وهاك خذي من الفضائل ماليس مثبتاً في بطاقتك ، ومن ابواب المفاخر ما يكون فوق طاقتك ، ان الطاعون لا

يقرب نقابي ، ولا يدخل كما لا يدخل الدجال باباً من ابوابي ، فهل لك في هـذه المسألة قول او عمل ، كلا والله لا ناقة لك في مرج هذه الخصوصية ولا جمل ، وما برح سكاني يودون من هاجر من كل واصل او وارد عليهم ؛ وكذلك يحبون من هاجر اليهم ، ولا يستبدون بشيء عن جارهم ولا يستأثرون ، ولا يجدون في صدورهم حاجـة مما اوتوا ويؤثرون ، فأسبلي عليك استار حجبك وارجعي من قريب إلى ربك ، واقلعي عن تيهك وعجبك .

فلما انتهى بهما الحال إلى هذا المقام وبليت كل واحدة من صاحبتها بالداء العقام ، أقبلت مكة عليها ، وقالت : دعينا من هذا المراء والجدال ، وكثرة القيل والقال ، فالى كم هذا النزاع والمصاع ، وكيل الكلام بالمد والصاع ، وتعالى فلنرفع امرنا إلى حاكم يريحنا من التعب والنصب ، ويزيحنا من مكاننا هذا الذي حصل فيه الخلاف والشغب ، فقالت لها اختها : ومن يكون ذلك ؟ او يجسر ان يسلك هـــذه المسالك ، غير من اعتضدت بنصرته الملة الاسلامية ، وظهرت بحسن ايالته الشريعة المحمدية ، المخصوص بعناية رب العالمين ، المؤيد بالملائكة المقربين سيد الملوك والسلاطين ، كهف الفقراء والمساكين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، الذي شمل عدله البلاد ، وعم فضله العباد ، السلطان الملك الناصر حسن :

ثناؤنا لم يزده معرفة وانما لذة ذكرناها

أدام الله ايامه وأعلى اعلامه ، ولازالت الامور برأيه العالى منتظمة وسيوفه في رقاب اعاديه محتكمة ، والممالك بسياسته العظمى محوطة ، وامواره بسيرته المحمودة مظبوطة ، وامره العالي نافذاً في الخافقين ، وحكمه السعيد يبلغ المشرقين والمغربين فقالت لها مكة : لله درك ما اظرفك ، واخبرك بطريق الرشاد واعرفك ، ولا غرو فقد كان يقال أفطن من مـدني واخبث من ارمني ، فعلى الخبير سقطت ، وبباب المجد والعلى حططت ، فما هـذا التكاسل والقعود فلتركب كل واحد منا للاغتراب غارب قعود ، ولنتمثل بين يديه ، ولنطرح انفسنا لديه ، ولنبث له ما في صدورنا

ولنشرح له جميع امورنا ، ونبرز ما كان مكنوناً في تامورنا ، فقد وقفنا من عدله وفضله على علمين ، ووقعنا من امره العالي وفهمه إلى اشرف حكمين ، ففي بيته يؤتى الحكم ، ومن معادنه تستنبط الحكم ، فتبادرا إلى المقام العالي ، وجريا جري السيل ، وتسابقا مسابقة النهار والليل ، فلما حلتا بالمقام الشريف ، ومد عليهما من ذلك الظل الوريف بدرت المدينة ، البرة الامينة ، وما زالت إلى الخير سابقة وصارت في المقدمة ، وخلفت اختها في السائقة ، وأنشدت :

سلا من سلاني والفؤاد له سكن عسى تقرب الحسنى إلى وجهه الحسن
يقولون لى صف من سباك جماله فقلت جوابا مجملا كله حسن
وقال لى العذال تعرف ذا الفتى وقد فتنوا اذ مر قلت فتى فتن

ومنها المخلص :

اليكم فانى في الملاح تغزلى ومدحي في السلطان ملك الورى حسن

وهى طويلة نحو تسعة وخمسين بيتاً ، فلما رأتها صاحبتها مجلية حين تقدمت وتكلمت ، وصارت هى خلفها مصلية سلمت ، ثم انها التفتت إلى صاحبتها وقالت لاعطر بعد عروس ، فقد زال عنا ولله الحمد العنا والبوس ، ووصلنا إلى المقام العالى والمحل المأنوس ، فلتندب كل واحدة منا مصابها ، ولتذكر ما أصابها ، فقالت لها المدينة قاتلك الله تسرين حسوا في ارتغاء وتمزجين شكوى برجاء ، على غيرك العفا ثما هذا الدعاء والجفا ، فقالت : سبق السيف العذل ، وبطل القول بعد العمل ، فاتركى عنا اللوم واسعدينى بعد اليوم فقد جمع المشكو والشاكى وان لم تبك فتباكى

بالله يا حمام اسعدينا ان الحزين يسعد الحزينا

ومن علي بقطرة ياخليلي من العين ، ليزول هذا البين من البين :

اجارتنا انا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

آخر :

وان لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا فكونوا اناساً يعرفون التجملا

ثم انها اقبلت على الجناب الشريف وتنهدت ، ورفعت عن برقعها وأنشدت:

أنقذ بقية شلوى من يدي زمن اضحى بقد أديمي قد منتهش

دعوتك الدعوة الاولى وبي رمق وهـذه دعوتي والدهر مفترسي

ثم قالت : ما قلت حتى لحق السكين العظم وبلغ السيل الربى ووصل الحزام الطبيين ، وقال الحائط للوتد لم تشقني ، قال سل من يدقني :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل وإلا فادركني ولما امزق

آخر :

وإذا الفتى لعبت به ايامه لم يستعن إلا بعون كريم

فاعن على الدهر الغشوم فانما يدعى العظيم لدفع كل عظيم

فقالت لها المدينة : وإلى هنا انتهيت ، فما أبعد ما رميت ، ثم قالت : لا عتب يغشاك ولا لوم ، ولا كرب عليك بعد اليوم :

وما شرب العشاق إلا بقيتي ولاوردوا في الحب إلا على وردي

ولكن شكواي لا تشابه شكواك ، وبلواي لا تماثل بلواك ، وسؤالي غير سؤالك ، وحالي خلاف حالك ، أنت تشتكين من عدم الجيش ، وأنا اشتكي من قلة العيش ، وتذكرين اختلاف العمال ، وأنا اذكر قلة المال ، وتسألين الراحة من الضير ، وأنا اسأل المزيد من الخير .

فقالت لها مكة : أليس الجنسية علة الضم ، وان الصداقة بين الاخوان نسب بني العم ، وقد اتفقنا في النسب ، وان اختلفنا في السبب ، فبينما هما يتجاذبان الحديث ، ويتذاكران ما دار بينها من القديم والحديث ، وإذا بزوال لائح ، وسواد سائح ، قد سدّ الافق ، وملأ الفجاج والطرق ، فقالتا ما الخبر وحققتا النظر ، وإذا بفقهاء المدرسة المعمورة ، وأرباب الاوقاف المبرورة قد اقبلوا زمرة أثر زمرة ، كانهم قافلون من حج او عمرة ، فجلسوا في مراتبهم ، وأخذوا ما لهم من رواتبهم ، وراح كل منهم بقسطه من ذلك وحقه ، ووصل اليه ما قسم له من

وافر رزقه ، فالتفتت المدينة إلى اختها وقالت : أترانا خلقنا بعد قسمة الارزاق ، أم ضاق علينا ما وسع الآفاق ، فما بالنا لم يحصل لنا من هذه القسمة قسم وان لم يكن لنا معهم فضل فلا اقل من الاسم .

ثم قالت : ان مثلنا في السكوت لا يعذر ، والشيء بالشيء يذكر ، والكلام في وقته عند ذوي المعروف غير منكر وقد تبد لنا بالبعد عن المقام الشريف والحمد لله قربا ، فتعالي فلنقدم بين يدي نجوانا صدقة ، وإذا حضر القسمة اولوا القربى ، ثم انها اقبلت على الدعاء للباب الشريف العالى ، وأطالت وتوجهت إلى مقامه العالى ، وقالت : ليعلم مولانا السلطان ، أدام الله له التمكين والامكان وشيد بهمته العلية من الدين الاركان ، وجعل حكمه نافذاً بكل مكان ، ان المدارس خلت في تلك البقاع من الدروس والدارس ، وصارت كالطلل الدارس ، واعلام العلم بها خفى منه الرسم واعتل الجسم ، ولم يبق منها في الحقيقة إلا الاسم ، وقد كانت تلك الاماكن المطهرة ، منشأ الدين ومظهره ، ومشرع الشرع ومنبعه وينبوع بدر العلم ومطلعه ومبدأ الايمان ومعدنه ، ومحل التنزيل وموطنه ، وسبب قلة العلم بتلك الاماكن ، حتى لم يبق منه ساكن اشتغال طلبتها بطلب القوت ، وضيق احوالهم في غالب الوقوت ، وها نحن قد حضرنا لدى المقام الذي لا يخيب قاصده ، والباب الذي لا يشقى وافـــده ، والمورد العذب الذي لا يظمأ وارده ، فاجابت صدقاته العميمة ، وشيمه الكريمة ، وعواطفه الرحيمة ، وقالت لكل واحدة منهما لك مناك والقيام ان شاء الله تعالى بالأمر الذي عناك وعناك ، فليفرح روعك وليسكن روعك ، وبرز المرسوم الشريف باجابة سؤالهما ، والنظر في احوالهما ، فقبلتا الارض بين يديه واشتغلتا بالدعاء له والثناء عليه ، وابتهلتا إلى الله تعالى في دوام ايام دولته القاهرة ، وان يجعلهما على ممر الايام الظافرة الظاهرة ثم خرج لهما التشريف والانعام بما سألتاه على الدوام في كل عام ، ونهضتا قافلتين ظافرتين بسؤالهما بسلام ، وزال ما بينهما من الخصام والكلام ، والسلام .

﴿ فائدة ﴾

الكلام مشتق من الكلم بفتح الكاف وسكون اللام ، أي الجرح لتأثير معناه فى النفوس السليمة كالجراح ، قال الشاعر :

جراحات السنان لها التآم ولا يلتام ما جرح اللسان

وعند الفقهاء هو عبارة عن حرف مفهم او حرفين افهما ام لا ، وعند اهل الكلام هو المعنى القائم بذأت الله تعالى لا الحروف ، ولا الاصوات ، وفي اللغة يطلق على ثلاثة امور الاول التكليم الذي هو الحديث .

تقول : اعجبنى كلامك هندا ، أي تكليمك ، وإذا استعمل بهذا المعنى عمل عمل الافعال ، كما في المثال ، وكما في قول الشاعر :

قالوا كلامك هندا وهي مصغية يشفيك قلت صحيح ذاك لو كانا

أي تكليمك هندا ، والثاني ما في النفس مما يعبر عنه باللفظ المفيد ، فيسمى ذلك الذي تخيلته كلاما ، كقول الشاعر :

لا يعجبنك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام اصيلا

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والثالث ما تحصل به فائدة سواء ، كان خطاً او أشارة او لسان الحال ، والدليل على الخط قول العرب القلم احد اللسانين وتسميتهم ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى ، والدليل على الاشارة قوله تعالى ، قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام إلا رمزا ، فاستثنى الرمز والدليل على لسان الحال قول الشاعر :

فعاجوا فأثبتوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

وفي الاصطلاح ماجمع قيود اربعة ، وهي اللفظ والتركيب والافادة والوضع من كلام النبي المكرم محمد ﷺ : ايها الناس انما انتم خلف ماضين ، وبقية متقدمين كانوا اكثر منكم بسطة ، واعظم سطوة ، فغدرت بهم اوثق ما كانوا بها ، فلم

تغن عنهم قوة عشيرة ، ولا قبلت منهم بدل فدية ، فارحلوا نفوسكم بزاد مبلغ قبل ان تؤخذوا علي فجأة ، فقد غفلتم عن الاستعداد ، وقد جف القلم بما هو كائن

من كلام الامام جعفر الصادق عليه السلام : فسد الزمان ، وتغير الاخوان ، فصار الانفراد اسكن للفؤاد :

يفشون بينهم المودة والوفا وقلوبهم محشوة بعقارب

توفى الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر عليهما السلام سنة ثمان وأربعين ومائة وصنف الخافية في علم الحروف ، وقد ازدحم على بابه العلماء ، واقتبس من مشكاة انواره الاصفياء ، وكان يتكلم بغوامض الاسرار والعلوم الحقيقية ، وهو ابن سبع سنين ، وقد جعل في خافيته الباب الكبير (أ ب ت ث) إلى آخرها والباب الصغير (ابجد هوز) إلى قرشت ، وهو مصوب ومقلوب .

من كلامهم : الوفاء شيمة الاخيار وصفة الابرار .

حكى اليافعي : ان النووي خطف سارق عمامته وهرب فتبعه وصار يعدو خلفه ويقول قد ملكتك إياها يا هذا ، فقل قبلت ، والسارق لم يلتفت إلى قوله .

توفى شيخ الشافعية محيي الدين ابو زكريا يحيي بن شرف بن مري بن حسن الشافعي النووى بدمشق سنة ست وسبعين وستمائة وله التصانيف المشهورة التي هى بالفوائد مغمورة ، وقد نظم بعضها بعض الفضلاء ، فقال :

هذب المذهب شيخ أحسن الله خلاصه

ببسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

هكذا سمعت هذين البيتين في شأن النووي من شيخي واستاذي السيد عبد الله ، وسمعت من الفاضل المجيد مولانا السيد حسن ان هذين البيتين في شأن الامام الغزالى ، والله اعلم .

قال الشيخ العارف بالله محيي الدين بن محمد العربى في كتابه الفتوحات المكية كان الشيخ ابو عمران موسى السدرانى من الابدال ، وقد ظهرت عنه اسرار

عجيبة ، وحالات غريبة ، وكان سبب اجتماعي به أني قعدت يوماً بعد صلاة المغرب باشبيلية في حياة الشيخ ابي مدين وتمنيت انى لواجتمعت به والشيخ في ذلك ببجاية مسيرة خمسة واربعين يوماً ، فلما صليت المغرب دخل علي ابو عمران موسى وسلم فاجلسته إلى جانبي ، وقلت له : من اين جئت ؟ قال : من عند الشيخ ابي مدين من بجاية ، قلت : متى عهدك به ؟ قال : صليت معه هذه المغرب ، فرد وجهه إلي وقال لي : ان الشيخ محمد بن العربي باشبيلية خطر له كذا وكذا فسر اليه الساعة واجبه عنى بكذا وكذا وذكر لي ما خطر لي من رغبتي في لقائه ، وقال لي : يقول لك الشيخ أما الاجتماع بالارواح فقد صح بيني وبينك وثبت ، وأما الاجتماع بالاجسام في هذه الدار فالى الله تعالى ذلك فسكن خاطرك ، والموعد بيني وبينك عند الله في مستقر رحمته ورجع اليه .

وكان الشيخ موسى السدراني من اهل السعة في الدنيا فخرج عنها والتحق بالابدال ، وكان يتبوأ من الارض حيث شاء ، وكان قد وشى بالشيخ موسى عند السلطان ، فأمر باحضاره ، فقيد بالحديد وسير به ، فلما قرب من مدينة فاس القي في بيت وأقفل عليه ، وبات عليه الحرس ، فلما اصبح فتح الباب فوجدوا الحديد الذي كان عليه مطروحا ، وما وجدوه في البيت ، فدخل الشيخ فاس وقصد دار أبي مدين شعيب فقرع الباب فخرج اليه الشيخ بنفسه وقال له: من انت؟ قال انا موسى فقال الشيخ وانا شعيب ادخل ولا تخف ، نجوت من القوم الظالمين .

قيل : الدهر حسود لا يأتي على شيء إلا وغيره ، وقيل لا ضمان على الزمان حكي عن محمد بن الفرظي انه قال : بلغنا ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس ، ومثلها للجن ، ومثلها للطير ، ومثلها للوحش :

لكل ولاية لا بد عزلـ وصرف الدهر عقد ثم حل
وأفضل دولة تبقى لوال على الايام احسان وعدلـ

وقال بعض العلماء : انه كان حرس سليمان عليه السلام ستمائة الف ومنزله شهرا ،

فياإخوان الصفا ، ويا خلان الوفا ، اين من لبس الحرير ، وجلس على السرير ، وملك الاقاليم السبعه ، وبث فيها عسكره وجمعه :

ان لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الاعمال فيها سفنا

* * *

﴿ ترجمة عمي إمام الافاضل ، ودرة تاج السادة الاماثل ، عين ﴾
(ذوى البلاغة واللسن ، صاحب الذكر الجميل والثناء الحسن)
(السيد جمال الدين بن نور الدين بن أبي الحسن)

فاضل له في سائر العلوم الباع الاطول ، وهمام عليه في كل المهمات المعول ، ان تكلم في سائر العلوم شنف بلذيذ كلامه المسامع واحيا القلوب ، او لفظ إلى ساحله جواهر الالفاظ ، شهد له بأنه بحر البلاغة الجوهري ، واقر له ابن يعقوب وأما في النظم والنثر ، فاليه يشار بالاكف بين بلغاء العصر ، تغرب رحمه الله تعالى عن وطنه مكة المشرفة إلى الهند ، حيث لا ليلى ولا سعاد ولا هند :

يقول الهاشمي غداة جزنا بحار الهند نقطع كل وهد
أ أسلو عن هوى أثلاث نجد وأين الهند من أثلاث نجد

ثم انه أقام بالدكن ، واختارها مقراً وسكن ، وما زال بها مقيما بعز وسؤدد وجاه ، ومكان مكين في جانب سلطانه ابى الحسن قطب شاه ، يقصده العفاة من كل مكان فيعمهم بالفضل والاحسان كانه في عصره سليمان ، وما برح في دولة ورياسة واكرام ، وكرم يخجل قطر الغمام ، إلى ان دعاه إلى قربه رب العباد فنقله إلى الجنة من حيدر آباد ، قدس الله روحه الطاهره ، وأفاض عليه شآبيب رحمات متواترة ، وله النظم الجيد الفريد ، الفائق على نظم جرير ولبيد ، فمن كلامه

اللطيف ، ونظمه الرائق الظريف ، الذي اقر له بالفصاحة الشاب الظريف ، قوله متغزلا على روي ، قصيدة الفاضل العلامة ، الحبر الفهامة ، الآتى ذكر ترجمته ان اذن الله لنا بالبقاء والسلامة ، الشيخ بهاء الدين محمدالعاملي ، عامله الله بفضله واحله دار المقامة ، ومطلعها :

يا نديمي بهجتي افديك ... قم وهات الكؤس من هاتيك
اسقنيها ممزوجة من فيك ... بالذي اودع المحاسن فيك
وأجل كاساتها علي وقل ... يا نديمي بهجتي افديك
وانتهز فرصة الزمان بها ... واغتنم صفوها فما يدريك
فهي راحي وراحتي وإلى ... حانها رحلتي بلا تشكيك
ان اكن مغرماً بها فلقد ... فتنت كل عابد نسيك
رب شمس فى الليل طالعة ... بيننا نور كأسها تهديك
غاب فى الشعر جرمها فغدت ... في سما خدها الشعاع تريك
لست أنسى لياليا سلفت ... نلت فيها المنى بغير شريك
وسميري مهفهف غنج ... أحور الطرف للحسان مليك
غصن بان إذا بدا وإذا ... ما شدا عن حمامها يغنيك
يتثنى كأنه ألف ... عجباً وهو رائد التحريك
ان يمناي واليسار معاً ... احكما عند ضمه التشبيك
يا مليكاً قد عز جانبه ... صل دليلا قد حل في ناديك
ان بدر الدجى ولا عجب ... كاد لو لا مغيبه يحكيك
كيف ما شئت كن فلا حرج ... أنا راض بكل ما يرضيك
لست اصغى إلى الملام ولو ... شن غارات حربه شانيك
ها كها ها كها منظمة ... كل بيت منها بألف ركيك
واجعلن مهرها القبول لها ... بالذي اودع المحاسن فيك

وقوله مخمساً :

وشادن لا يزال يوعدني بوصله تارة ويبعدني
مذ وفا باللقاء وأسعدني ارشفني ريقه ووسدني
يمينه والتحفت يسراه
وبات من لطفه يخاطبني خطاب أنس بما يناسبني
ثم انثنى هازلا يعاتبني وقال لي مازحا يداعبني
وهو على فيَّ واضع فاه
لم لا تذق من فمي مقبله اعفة ذاك قلت بل وله
قال إذا بالذي تؤمله تحبني صادقا فقلت له
أي والذي لا إله إلا هو

* * *

ومن نثره الدرر ، ولفظه الذي هو في جباه الدهر غرر ، قوله ملغزاً ايها الفاضل الاديب والماهر الاريب ، والخل الكريم ، والصديق الحميم ، الذي بزغت في سماء الالغاز شموسه ، وأقماره ، وأينعت في رياض المعميات أصوله وثماره .

اخبرني عن اسم رباعي الحروف ، وهو بين الناس مشهور ومعروف ، اوله جبل عظيم وآخره في البحر مقيم ، وطرفاه سورتان من القرآن ، ومجموع عدده يساوي مفرد الاكفان ، ومعكوس وسطيه ، في اسماء الشهور ، ومشددها نبات في القرآن مذكور ، وعكس نصفه نوع من الهوام ، وتصحيف ذلك امر من الوثوق والاستسلام ، رباعي الحروف ، فان حذفت منه حرفين بقي واحد ، فان حذفت ثالثه وزدت على آخره ربع اوله فهو في الظلام هاد وراشد ، ومن عجائبه انك إذا أبنت رأسه بان باقيه ، وان حذفت عجزه اضحى ماثلا شرقيه ، وان نقصت منه حرفا فهو نوع من الشجر ، وان نقصت حرفين فهو من انواع الثمر ، وان حذفت ثانيه وجدته اسما لبعض الالوان ، وعكس ذلك جمع لمفرد من الحيوان وان حذفت آخره وصحفت باقيه فهو ثمر معروف ، وان ركبت آخره مع اوله

اضحى بالرقيـة موصوف ، وان حـذفت ثانيه وزدت على آخره عشر اوله مـع التصحيف فهو بلد مع البلدان ، وعكس ذلك مع التصحيف اسم لمدير الخمرة من الادنان ، وان ركبت اوله مع آخره ونقصت من الآخر عشر الاول فهو مدينة معمورة ، وان حذفت عجزه ونقصت من اوله متلو آخره صار اسما لقبيلة مشهورة وان ركبت تالي اوله مع متلو آخره فهو من حروف الاستفهام ، ومركب تالي الآخرة مع متلوه يورث العلل والاسقام ، وتصحيفه اسم لجماعة من الغوانى ، وبغير عجز تراه موصوفاً بالشرف في السبع المثانى ، وان عكسته وصحفته فهو اسم فاعل من الزيادة والرجحان ، وان حذفت ثانى معكوسه وحولت وسطه إلى عجزه فهو شجر في بعض البلدان ، وأزيدك وضوحا لحاله وتبيان ، انه لجميع الاشياء كالميزان مضعف اوله ثان ، لـكل فرد من الافراد ، وبضعف ثانيه تم الاعداد ، وثالثه مبتدأ لـكل انسان ، وآخره غاية لـكل حيوان ، بزيادة ضعف ثالثه على ثانيه يتثنى كل قد من القدود ، وبنصفه مع التصحيف شجر في بعض البلدان موجود .

(مسألة منظومة)

ولي خالة وأنا خالها ولي عمة وأنا عمها
ولسنا يهوداً ولا مشركين شريعـة احمـد نأتمها

صورتها الاولى رجل له امرأتان قد اولد واحدة بنتاً والأخرى ولداً ، ثم زوج بنته من ابى امرأته التي ولدت له ابناً فولدت بنتاً فهي خالته وهو خالها .

صورتها الثانية : رجل له ابن ولابنه اخ من أمه ، فزوج اخاه من ام ابيه فولدت بنتاً ، فهي حقاً عمته وهو عمها .

مسألة : قالت امرأة لأخرى مرحباً بك يا اختي يا من ابوها اخ لابني صورتها ان رجلا له ولد وامرأة لها ام تزوج الولد ام تلك المرأة ، فاولد ذلك الرجل ام المرأة ابناً فصار اخالها واولدها هو ابناً ، فصار أخا لذلك الرجل فنادته بذلك .

ومما حكاه ابن الاثير في المثل بعد ان ذكر لغزاً في الخلخال ، وهو :

ومضروب بلا جرم مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على رشيق القد ممشوق
واكثر ما يرى ابداً على الامشاط في السوق

قال بلغني ان بعض الناس لما سمع هذه الابيات قال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيئاً ، ولو قال دخلت السوق فلم أر على الامشاط غير الشعر لكان أغرب وقد اوهم بالامشاط التي يرجل بها الشعر وهو يريد امشاط الاقدام ، وأوهم بالسوق التي يباع فيها ويشترى ، وهو يريد السوق جمع ساق الانسان .

﴿ لغز في الدملج ليحيى بن الجراح المصري ﴾

وهو : ما شيء قلبه حجر ، ووجهه قمر ، ان تعذبه صبر ، واعتزل البشر ، وان اجعته رضى بالنوى ، وانطوى على الخوى ، وان اشبعته قبل قدمك واصحب خدمك ، وان علقته ضاع ، وان ادخلته السوق ابى ان يباع ، وان اظهرته جمل المتاع ، واحسن الامتاع ، وان شددت ثانيه ، وحذفت منه القافية كدر الحياة ، واوجب التخفيف في الصلاة ، واحدث وقت العصر الضجر ، ووقت الفجر الخدر وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر ، هذا وان فصلته دعا لك ، ونصفه الباقي ان ركبته هالك ، وربما بلغك آمالك ، وكثر مالك ، واحسن بعون المساكين مآلك .

قوله : قلبه حجر ، أي جلمد ، ووجهه قمر ، أي مدور ، ان تعذبه صبر ، أي تعذبه بالطرق ، والتذويب ، واعتزل البشر ، جمع بشرة الانسان ، وان اجعته رضى بالنوى ، أي اخرجته من الساق فانه يكون فارغ الجوف كالجيعان وانطوى على الخوى ، اي الخلو وان اشبعته ، اي لبسته قبل قدمك ، وهو فوق القدم كأنه يقبله ، وان علقته ضاع ، أي عبقت رائحته ، وان ادخلته السوق ـ جمع ساق ـ ابى ان يباع لانه لا يباع حتى يخرج من السارق ، وان شددت ثانيه ،

وحذفت منه القافية ، كدر الحياة ، أي صار دملا ، واحدث وقت العصر الضجر أي وقت عصر الدمل ، ووقت الفجر الخدر ، لان الانسان إذا انفجر دمله استراح وخدر موضعه وجمع بين حسن العقبى وقبح الاثر ، أي اثر الدمل ، وان فصلته دعا لك ، فان نصفه دم ، وهو دعاء بالدوام ، ونصفه الباقي ان ركبته هالك ، فان نصفه الآخر لج ، وهو البحر وربما بلغك آمالك ، وكثر مالك ، لان الانسان إذا ركب البحر ربما وصل إلى الموضع الذي يريده ، وكثر ماله لان الربح على قدر المشقة ، واحسن بعون المساكين مآلك ، يحتمل انه اراد السفينة وأصحابها لقوله تعالى : (أما السفينة فكانت لمساكين) الآية .

وما أصنع وابدع هذا اللغز للعلامة المحقق المدقق ، الشيخ بهاء الدين محمد العاملي ، (رحمه الله تعالى) . وهو :

يا من صرف في مطالعة النحو ايام وخاض فيه شهوراً وأعواما ، أخبرني عن إسم ثنائي الآحاد ، ثلاثي العشرات ثالثه آخر الحروف وهو بين الناس مشهور ومعروف ، فمن جملة حروفه حرف ربما تحلى بحلية الاسما ، فيجرى غالبا في مضمار المضمرات ، ويسلك نادرا مسالك المظهرات ، فما دام في ضمير الاضمار مكتوما يكون من ارتفاع المحل محروما ، وبسيمة النصب والجر موسوما ، ولا يزال دائماً معمولا ، ومن رتبة العمل معزولا ، وربما انخرط في سلك الحروف فيصير في بعض الاحيان عاملا ، وفي بعضها عن العمل عاطلا ، ومعموله كمعمول اخواته الست لايكون إلا ظاهرا وربما عمل في الضمائر نادرا .

(ومنها) : حرف هو رابع علائم الرفع في ثلاثة وخامس علائم النصب في ستة ولا يقع في أول شيء من الكلمات الثلاث ، ولكن يقع في آخر ما يتصف به الاناث ، ان جاوز الافعال صار من الاسماء وارتفع محله ومقداره ، وان خالط الاسماء عاد الى الحروف واختلف بالرفع والنصب آثاره ان أسقطته من عدد الاسماء اللازمة الرفع بقى عدد الجمل التى لها محل من الاعراب ، وان نقصته من

عدد الاسماء اللازمة النصب ومن الباقى عدد المبهمات بقى عدد الجمل التى عن المحل في غاية الاجتناب ، وان أضفت اليه عدد الاسماء التى تنصب تارة ولا تنصب أخرى ، ساوى عدد ماهو عن المتبوعية ممنوع وبالتابعية احرى وان زدت عليه عدد مايعتمد اسم الفاعل عليه في التقوى على معموله ، ساوى عدد المواضع الموجبة لتأخير الفاعل عن مفعوله .

(ومنها) : حرف ربما ينتظم في سلك اخواته العشرة فيتصف با لفصاحة في بعض الاحيان ، وقد يندرج في سلك اخواته الخمس بعد احدى الست فينصب تاليه عند أهل اللسان .

(ومنها) : حرف ان جرى مجرى الاسماء فقد يكون محلى بكل من الحلى الثلاث فما دام مرفوعا فهو ملصق بعامله في جميع الاطوار وما دام منصوبا فهو مفترق عنه لئلا يسرى اليه الانكسار وبينهما فاصل يحفظه عن ذلك العار وهو في البحر داخل في عدد السمكات ، وفي افعال النساء مانع لهن عن الحركات ، وان جرى مجرى الحروف يكون في أوائل بعض الكلمات للغياب ، وفي أواخر بعضها للانتساب ، وقد يتصل به الثانى فيعمل في الاسماء بالنيابة عن الافعال ، وعن مقلوبه أيضا على هذا المنوال ، لكنه قد يدخل في سلسلة الاسماء فيختص بين اخواته وقد يلج في ربقة الحروف فيصير في عدد اخواته الموجبة للايجاب .

(ومنها) : حرف معدود في الاسماء غالبا وقد يعدّ في الحروف نادراً فما دام في الاسماء مدرجا ، وعن الحروف مخرجا ، فهو عن الفتح عرى ، وبالخفض والضم حرى ، فيخفض مازال الاربعة من الحروف الجارة معمولا ، ويضم مادام السبعة منها مدخولا ، ومتى صار بالحرفية موسوما ، ومن الاسمية محروما ، فقد يتصل ببعض الكلمات ، لافادة المبالغات ، فيلبس المذكرين حلية المؤنثات ، وقد يبنى على السكون ، فيلزم السكون ، أينمايكون ، فهذه صفات حروف هذاالاسم قد فصلتها لك تفصيلا شافيا ، وقررتها لك تقريرا وافيا ، وسأزيد في التوضيح

بما يقارب التصريح ، فأقول انه ظرف لحرف خص بالظرفية من بين اخواته وهو مع كمال ظهور بعض المخفى في حد ذاته ، ثم انك ان نقصت من رابعه موجبات الانفصال بقي عدد مانع وحذف حرف الندا ، وان أضفت الى خمس أوله مايوجب في كل نعت من العشر المشهورة حصل عدد روابط الجمل الخبرية بالمبتدأ ، وان نقصت من رابعه حروف الزيادة النحويه ، بقي عدد المواضع التى يعلق فيها العامل عن المعمول ، وان أسقطت من طرفيه عدد اخوات كان ، بقي عدد المواضع التى يعود الضمير فيها على المتأخر لفظا ورتبة ، وان نقصت من خمس ثالثه عدد موانع الصرف بقي عدد الأمور التى يتميز بها التمييز عن الحال ، وان زدت ثانيه على رابعه حصل عدد المواضع التى يجب فيها استتار الفاعل عن الافعال ، وان نقصت رابعه من الحروف الجارة بقي عدد الأمور التى يفترق بها البدل عن عطف البيان ، وان أسقطت عدد الاسماء العاملة للشبه بالفعل من اخويه بقي عدد الاشياء التى تمتاز بها الصفة المشبهة عن اسم الفاعل في كل حين وزمان ، ومما اختص بهذا الاسم الخماسي من الغرائب ، انك اذا نقصت من حروفه حرفين بقي حرف واحد وهـذا من أعجب العجائب .

وله رحمه الله تعالى ملغزا في مدينة طوس :

ألا يا أخى سم لي بلدة بها من أحب ومن أطلب
تشد الرحال الى نحوها وفيها لكل فتى مأرب
اذا ماقلبت حروف اسمها وجدت اسم شيء به يضرب
ومن عجبى انه مفرد وجمع لشيء به يشرب
وثلثاه ربع لثلث له ويظهر هذا لمن يحسب
فأسرع فديتك في حله فاني بأ وصافـــه معرب

وله رحمه الله :

ألا أيها الغادي على ظهر أجرد يقد الفيافي فد فدا بعد فدفد

تسمع هداك الله منى رسالة لتبلغها أهل المدارس في غـد
وقل لهم ماستة جمعت معا وما تسعة في فرد جلد مقلد
حواجبهم ستون في وجه واحد وأعينهم تسعون في خلق هدهد
وأسماؤهم حرفان من اسم جعفر وحرفان من إسمى علي وأحمد

(قلت) : رأيت جواب هذا اللغز للشيخ عبد الكريم الشماع الصمدي ، المكي في نحو ثلاثة أوراق وهو في الربع المجيب .

(وللامام) : العلامة علم الدين السنجازى رحمه الله تعالى .

وما اسم جمعه كالفعل منه وما اسم فاعل فيه كفعل
له وزنان يفترقان جمعا ويتحدان فيه بغير فصل

قوله : كالفعل منه يريد بالفعل المصدر مثل صيام هو مصدر وهو جمع صائم ومثله قعود جمع قاعد وهو مصدر قعد وأما فاعل كفعل فهو باز اذا قلت مررت بباز جاز أن يكون فاعلا كقاض وجاز أن يكون فعلا كتاج ، وقوله له وزنان يريد به باز وبازى والله أعلم ، وله أيضا :

ماسم أضيف فرد ته اضافته مؤنثا وهو بالتذكير معروف
وماالذى هو بالتنوين ذو عمل أوان يضاف وغير اللام مألوف

هو قولهم : ذهبت بعض أصابعه واجتمعت أهل اليمامة ونسيم الصبا جاءت بريا القرنفل . وأما الذي يعمل في حال التنوين وفي حال الاضافة ولا يعمل مع الالف واللام فهو المصدر يعمل عمل الفعل لانه أصله ولما كان الفعل يعمل في الاسم لم يمتنع أن يعمل في الاسم ما كان اصلا له واذا أضيف الى المفعول فالمفعول مجرور بالاضافة وهو في موضع النصب تقول عجبت من ضرب زيد عمرو واذا عطفت على زيد جاز أن تنصب المعطوف على موضع زيد تقول عجبت من ضرب زيد عمرا بكر ومنه قوله تعالى انا منجوك وأهلك وعمل المصدر مع التنوين هو الاقوى والاحسن لان التنوين للتنكير والفعل نكرة انتهى والله تعالى أعلم وهو حسبى وكفى .

وما الطف واضع هذا اللغز في المنارة :

ماسم شيء يعرب بالرفع والنصب وان كان متقنا با لبناء
علم مفرد وقد انثوه وبنوه عمداً لاجل النداء
انثوه ومنه جاء علم التذكير فانظر تناقض الاشياء
وهو ظرف فأين من فيه ظرف ليجلى عن هذه العمياء

وما احكم قول ابن الفارض :

ما بلدة با لشام قلب اسمها تصحيفه اخري بأرض العجم
وثلثه ان زال من قبله وجدته طيراً شجي النغم
وثلثه نصف وربع له وربعه ثلثاه حين انقسم

(وله ايضا) :

ما اسم لطير شطره بلدة في الشرق من تصحيفها مشربى
وما بقى تصحيف مقلوبه مضمفا قوم من المغربي

(وكتب) : المولى ولي الدين عبد الله بن المولى الشيخ الامام العلامة بهاء الدين ابى البقاء محمد السبكى الشافعي رحمهما الله تعالى ملغزا وهو :

وما اسم ياامام العصر حقا ويامن حاز احسانا ولطفا
ثلاثى اذا ما الثلث منه أبين غدا يراه الناس حرفا
ومع عكس الحروف يصير فعلا لأنثى قد تنت جيدا وعطفا
وان صحفته من بعد عكس فدعه لأكبر الاعداء وصفا
يرى فوق الملوك بلا مراء وكم قد حاز تشريفا وظرفا
أجب فلسيدى فكر دقيق عليه مثل هذا ليس يخفى

فأجاب عنه الفاضل خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي رحمه الله تعالى وهو في ناج :

لقد أتحفتنى ببديع لغز حكى زهر الربى لطفا وعرفا

أدرت به علي كؤس نظم كان مزاجها عسل مصفى
أراه باح بالتصحيف حتى لقد كشف المغطى منه كشفا
فصرت وقد أتاني رب تاج تزف له معاني النظم زفا
وبات نضاره للجيد طوقا وأصبح دره للسمع شنفا
فدمت تجد للاداب رسما عفا وتجيد در الشعر رصفا

وكتب الي الاديب الرئيس الكمي ، الفقيه اسماعيل النهمي ، صهر امام اليمن الامين القاسم بن الحسين ، المتوكل على الله رب العالمين ملغزا :

صفة الدمع اسم من لم ابنه صحف الاسم بعد ان تقلبنه
وخذ الضد واقلب الميم ياء تجد الاسم واضحا فاعلمنه

فاجبته بجواب حسن موقعه لديه ، اسبل الله ستره عليه ، وهو :

ايها الفاضل الذي جاء منه نظم لغز يريد الى ابنه
انت والله للبلاغة اهل واديب تروى الفصاحة عنه
والفقير الحقير في ضيق عيش من زمان مكدر صد عنه
غير اني اقول والله ادري حيث ان الجواب لابد منه
صفة الدمع يا رئيس سجوم وكذا القلب موجس فاعرفنه
واذا ما صحفته فهو لفظ موحش تنفر المسامع منه
فخذ الضد بعد ذا فهو شيء مونس لاتحل فديتك عنه
واقلب الميم بعد ذلك ياء فهو اذ ذاك يونس فاعلمنه
هكذا جاء يا جليل ببالي فاذا كان غير ذا فأبنه
واعذرا عذر فالفكر مني كليل لم يجد من يغيثه او يعنه
وابق واسلم مع الصفي بخير وكذاك العماد ربي يصنه

(من الكلام المرموز) : ان زمن الربيع لايعدم من العالم ، معناه تحصيل الكمالات ميسر في كل وقت من الاوقات ، سواء كان في وقت الشباب او في وقت

الكهولة ، او وقت الشيخوخة فلا ينبغي التقاعد عن اكتساب الفضائل في وقت من الاوقات وما احسن ما قال من قال ، دو بيت :

هذا زمن الربيع عالج كبدي ياصاح ولا تخل من الراح يدي
فالبلبل يتلو ويقول انتبهوا العمر مضى وما مضى لم يعد

ومن هذا القبيل قول العلامة بهاء الدين محمد العاملي رحمه الله تعالى :

لا يحسن في المدرسة اليوم قعود قم وامض الى الدير ببخت مسعود
واشرب قدحاوقل على صوت العود العمر مضى وما مضى ليس يعود

وما ابرع قوله أيضاً :

يا صاح إذا رمت نجاحا وفلاح قم وامض إلى الدير بعود وبراح
واشرب قدحا وقل بصوت حزن العمر مضى وصاحب النفخة صاح

وما الطف قوله ايضاً :

في مدرسة العشق انيني عودي والمهجة فوق نار قلبي عودي
ما نلت مقاصدى ولا موعودي يا عافيتي عجزت عودي عودي

وما أحسن قول البها زهير المصري :

كم تذهب يا عمري في خسران ما اشغلني عنك وما الهاني
ان لم يكن الآن صلاحي فمتى هل بعدك يا عمري عمر ثاني

وأجاد صاحب الحلبة :

هذا زمن الربيع والكاسب فيه من نادمه الحبيب والكاس بفيه
والغبن نصيب كل من غمس فيه والدهر يقول كل من نم سفيه

القاضي نظام الدين من كتاب دو بيتاته وقد اجاد رحمه الله تعالى :

انتم لظلام قلبي الاضواء فيكم لفؤادي جمعت اهواء
يروى الظمآن ذكركم لا الماء داويت بغيركم فزاد الداء

وله أيضاً :

اوصيتك بالجد فدع من ساخر فاخر بفضيلة التقى من فاخر
لاترج سوى الله لكشف البلوى لا تدع مع الله إلهاً آخر

وله ايضاً :

دانا فجذبت عطفه الميادا شوقا وطلبت قبلة فانقادا
حاولت وراء ذاك منه نادا لا تطلب بعد بدعة الحادا

وما أرق قول ابن خلكان :

يا غصن نقا قوامه مياد أيام رضاك كلها اعياد
ما اكتم سري عندما تهجرني إلاحذراأن تشمت الحساد

وما احلى قول السيد منصور النجفي :

الدمع على الخدود منكم جاري والدهر على دون غيري جاري
أبكي وانوح طول ليلي حتى قد حرمت الغمض عيون الجار

وما ابدع قول عفيف الدين التلمساني :

الدهر رياض نحن فيه الزهر والكون غصون نحن فيه الثمر
والملك لنا وما علينا حرج والعيش صفا فما الذي ننتظر

وما اترع قول الصفي الحلي :

ما ملت عن العهد وحاشاي امين بل كنت على البعد قويا وأمين
لا تحسبني إذا قسا الهجر ألين بل لو كشف الغطاء ماازددت يقين

وما أعذب قول الحاجري :

مذ صد وعن عهد وصالي حالا لا يبرح دمع مقلتي هطالا
ادعو بلسان يفعل الله به قلبي وحشاشتي يقولا لا لا

وما أظرف قول الصلاح الصفدي :

الطرف يقول قد رماني القلب والقلب لناظري يقول الذنب

والله لقد عجبت من حالهما هـذا دنف به وهـذا صب

وما اصدق قول ابن النحاس :

زر واجل لمسمعي كؤس اللفظ واجعل كبدى غمداً لسيف اللحظ

بل جر واهجر ولا تخف مظلمتي ما اورثنى البلاء إلا لحظى

وما أتحف قول ابن الفارض :

عرج بطويلع فلي ثم هوى واذكر خبر الغرام واسنده إلى

واشرح قصصى عليهم وابك علي قل مات ولم يحظ من الوصل بشي

وقلت أنا :

العمر مضى وانت لم ترض علي ما اوجب ذا أهل بدا منى شى

صل عبدك فالصدود قـد انحله والهجر شوى الفؤاد والمهجة شى

فلما كان سادس محرم الحرام ، عام الف ومائة وواحد وثلاثين من هجرة خير الانام ، فزنا من المدينة المنورة بالشرف العالي والمجـد ، ورحلنا منها قاصدين ديار نجـــد .

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد فقد زادنى مسراك وجداً على وجد

﴿ فائدة ﴾

ارض نجد عظيمة واسعة كثيرة الفواكه والثمار، والمياه والازهار ، وهواها في غاية الصحة والاعتدال ، وكذلك ماؤها العـذب النمير الزلال ، وهى بين ارض الحجاز وارض اليمن ، فبعد يومين أتينا السويرقية ، فبتنا بها ليلة ورحلنا فأتينا بعد يومين ارض الحناكية ، فبتنا هناك ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد ثلاثة ايام على ارض الشمط ، وانخنا العيس في الصحصحان مساحب الحيات والافعوان ، وبتنا هناك ليلة ورحلنا، فأتينا بعد ثلاثةايام على وادى الرمة ، وبتنا ليلة ورحلنا ، فاتينا بعد يومين على ارض قطن ، وهى ارض بها الانس قطن ، فاقمنا بها يوما وليلة ،

ونحن فى عيشة مرضية ، ثم رحلنا منها ، فاتينا بعد يومين ارض المطر فية ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد ثلاثة أيام على جبل شمر ، والكل منا لذيل الانشراح شمر ، وهناك قرية تسمى حائل ، ضرب الانس بينها وبين الهموم بحائل ، ذات نخيل واشجار ، وعيون وآبار وطيور وأزهار ، وبساتين واسمة وثمار ، كانها روضة من رياض الجنان ، فيها من كل فاكهة زوجان ، وأهلها عرب كرام شمل كرمهم الخاص والعام ، لم تلق فيهم غير شجاع عظيم ، وجواد كريم ، وبها كل غادة املود ، تفتك بلبات الاسود ، هيفاء رعبوبة رداح ، محياها يضيء كالمصباح ، كاملة الحسن والاوصاف ، وجمعت بين الجمال والعفاف :

من كل غيداء إذا أسفرت جلا محياها سجوف الدجون

والمقلة الكحلاء مهما رنت أثارت الحرب بكسر الجفون

قال بعضهم : كنت في بعض مياه نجد فسمعت الناس يقولون قدجاءت ! قدجاءت قال : فتحرك الناس ؛ وقمت معهم ، فاذا بجارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط في حسن وجهها ، فلما رأت كثرة تشوق الناس اليها ارسلت برقعها ، فكانه غمامة غطت شمساً ، فقلت لها : لم تمنعينا النظر إلى وجهك الازهر ؟ فأنشأت تقول :

وكنت متى ارسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذي لأكله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

قال : فنظر اليها اعرابى وقال : أنا والله ممن صبر ، ثم انشأ يقول :

اوحشية العينين اين لك الاهل أبالحزن حلوا ام محلهم السهل

واية ارض اخرجتك فانني أراك من الفردوس ان فتش الاصل

فقى خبرينا ما طعمت وما الذي شربت ومن أين استقل بك الرحل

لان علامات الجنان مبينـــة عليك وان الشكل يشبهه الشكل

وكان يقال من اطلق طرفه ، كثر اسفه ، وكان يقال من كثرت لحظاته ، دامت حسراته ، ومن غريب مايحكى ان يزيد بن عبد الملك كان صبا بجارية جاريته

نخـلا معها يوماً في لهو ، وقال : لأكذبن قول من قال ما صفا عيش لاحـد قط واحضر حاجبه ، وقال له : لاتأذن لاحد ولا تخبرني بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكي مدة هذا اليوم ، وأقام معها في امتع حال إلى بعد العصر، فتناولت رماناً فشرقت فماتت لوقتها ، فعرض له عليها ضرب من الوله حال بينه وبين الصبر عنها ومنع من دفنها حتى سألته جماعـة من بني امية في دفنها ولا طفوه في ذلك حتى امر بدفنها وقال فيها :

فان تسل عنك النفس او تدع الهوى فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وحكي انه لم يقم بعدها إلا سبعة ايام ومات ، ومثله في عدم دفنه لمحبوبه ، ما حكي عن السلطان جلال الدين ابن خوارزم شاه ، لما مات مملوكه قلج منع عن دفنه ، فـكان يحمل معه في محفة ، وكلما اتى بين يديه طعام ، قال : احملوا هذا إلى قلج ، فقال بعض الامراء : انه قد مات قلج فأمر بضرب عنقه .

* * *

أقول حيث وصلنا إلى ذكر العشق فلا بأس بذكر ما ورد فيه ، وفي مراتبه ومدحه وذمه ، فان الشيء بالشيء يذكر ، قال في ديوان الصبابة :

يقول أناس لو نعمت لنا الهوى فوالله ما ادري لهم كيف انعت

فليس لشيء منـه حد احده وليس لشيء منه وقت موقت

وفيه : الجنون فنون ، والعشق من فنونه ، واحتج بقول قيس :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق اعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في الحين

وفيه : العشق اول مرتبة الهوى ، وقد يطلق ويراد نفس المحبوب :

ان التي زعمت فؤادك ملها خلفت هواك كما خلفت هوى لها

ثم العلاقة : وهو الحب الملازم للقلب ، وسمي علاقة لتعلق القلب بالمحبوب:

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني علق بقلبي في هواك قديم

ثم الكلف وهو شدة الحب واصله من الكلفة ، وهي المشقة يقال : كلفه تكليفاً إذا امره بما يشق عليه ، فكان الحبيب يكلف المحب بما لا يطيق ، ثم العشق وهو اسم لما فضل من المقدار الذي اسمه الحب .

وفي الصحاح انه فرط الحب وهو عند الحكماء من انواع الماليخوليا وهو يغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي إلى الفساد ، وهو ام هذه الاسماء ، وقلما نطقت به العرب وكأنهم ستروا اسمه وكنوا عنه بهذه الاسماء .

وقيل : ان شجرة يقال لها عاشقة تخضر ، ثم تدق ، ثم تصفر .

وقال الفراء : العشق نبت لزج ، والعشق الذي يكون في الانسان سمي به للصوقه بالقلب ، ثم الشغف . قيل : الشغاف غلاف القلب . وقيل : حبة وهي علقة سوداء في صميمه وشغفها حباً ، أي أصاب حبه شغاف قلبها . وقيل : اي ارتفع حبه إلى أعلى موضع في قلبها مشتق من شغاف الجبال ، أي رؤسها ، وقولهم فلان مشغوف بفلانة ، أي ذهب به الحب اقصى المذاهب .

وأما الشغف بالمهملة : فهو احراق الحب للقلب ، شغفه الحب ، اي احرق قلبه ، وقد قرىء بهما جميعاً .

وكذلك اللوعة ، واللاعج لسعه الضرب ، أي آلمه واحرق جلده ، والمراد في مقام العشق حرقة الفؤاد من شدة الحب ولوعة الحب حرقته .

ثم الجوى : وهو الحرقة ايضاً ، وشدة الوجد من عشق او حزن ، ثم التتيم وهو ان يستعبده الحب ، ومنه سمي تيم الله بن عبد الله ، ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى فهو متبول .

وفي الصحاح : تبلهم الدهر وأتبلهم ، اي افناهم ، ثم التدله : وهو ذهاب العقل ، دلهه الحب ، اي حيره ، ثم الهيام وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه ، هام يهيم ، فهو هائم ، والهيام بالكسر ، الابل العطاش ، وقوم هيم ، اي عطاش ، ثم الصبابة وهي رقة الشوق وحرارته ، ثم المقة وهي المحبة ، والوامق المحب

ثم الوجد وهو الحب الذي يتبعه الحزن ، واكثر ما يستعمل في الحزن ثم الدنف ولا تستعمله العرب في الحب وانما ولع به المتأخرون ، واستعمله العرب في المرض ، ثم الشجا : وهو الحزن الذي يتبعه الهم والحزن ، ثم الشوق وهو سفر القلب إلى المحبوب :

واعظم ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار

والشوق الحادث عند اللقاء غير النوع الذي يكون حالة الفراق ، ثم البلبال وهو الهم ووسواس الصدر ، والبلابل جمع بلبلة ، وبلابل الشوق وساوسه وهمومه والتباريح الشدائد والداوهي .

يقال : برح به الحب والشوق ، اي اشتد به ، ثم الغمر وهو ما يغمر القلب من حب او سكر او غفلة ، ثم الشجن وهو الحاجة حيث كانت ، رجز :

اني سأبدي لك فيما ابدي لي شجنان شجن بنجد

وشجن لي ببلاد السند

آخر :

تحمل اصحابي ولم يجدوا وجدي وللناس اشجان ولي شجن وحدي

ثم الوصب : وهو ألم الحب ومرضه فان أصل الوصب المرض ، ثم الكمد وهو الحزن المكتوم ثم الكمدة وهي تغير اللون ثم الأرق أى السهر وهو من لوازم المحبة والحنين الشوق والجنون أصله الستر والحب المفرط يستر العقل فهو شعبة من الجنون .

ثم الود وهو خالص الحب وألطفه وأرقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة من الرحمة .

ثم الخلة وهي توحيد المحبة فالخليل هو الذي يوحد حبه لمحبوبه .

ثم الغرام وهو الحب اللازم يقال رجل مغرم بالحب أي قد لزمه الحب ، وفي الصحاح الغرام الولوع والغريم الذي عليه الدين والذى له . ثم الوله وهو ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وله أسماء أخر تركناها للاختصار .

ثم المحبة وهي باب هذه الاسماء وللناس في حدها كلام كثير ، فقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم ، وقيل قيامك لمحبوبك بكل مايحبه منك وقيل هو ذكر المحبوب على عدد الانفاس ، وقيل هي مصاحبة المحبوب على الدوام وقيل هي حضور المحب عند المحبوب كما قال :

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

وفي اشتقاقها أقوال أيضا ، قيل هي مشتقة من حبة القلب وهي سويداؤه فسميت المحبة بذلك لوصولها الى حبة القلب ، وقيل من اللزوم والثبات ومنه احب البعير اذا برك فلم يقم ، وقيل من حباب الماء بفتح الحاء وهي معظمه أوما يعلو عند المطر الشديد فعلى هذا فالمحبة غليان القلب ،

وقيل من الحب بضم الحاء ، وهو الذي يوضع فيه الماء ولا يمسك غيره اذا امتلأ به كذلك اذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب . مما جاء في مدح العشق ، قول العباس بن الاحنف :

وما الناس إلا العاشقون ذووا الهوى ولا خـــير فيمن لايحب ويعشق

وقال بعضهم لايخلو أحد من العشق الا ان يكون جافي الخلقة ناقصها أوعلى خلاف تركيب الاعتدال :

فوا عجبا للدهر لم يخل مهجة من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ويكفي العاشق ان يرتاح لفعل المعروف ، واغاثة الملهوف .

ويرتاح للمعروف في طلب العلى لتحمد يوما عند ليلى شمائله

ومما جاء في ذم العشق قول الشاعر :

ظل من فرط حبه مملوكا ولقد كان قبل ذاك مليكا

تركته جآذر العصر صبا مستهاما على الصعيد بريكا

قالوا وكم عاشق هرب من الحب الى ان وقف موقف التلف ، ليتخلص من التلف بالتلف ، وعلى هذا حكاية دعبل .

قال : كنت بالثغر فنودي بالنفير فخرجت مع الناس فاذا أنا بفتى يجر درعه بين يديه فالتفت الي وقال ، أنت دعبل قلت نعم قال اسمع مني هذه الابيات وانشد ·

ان في أمري رشادى بين حب وجهاد
بدني يغزو عدوي والهوى يغزو فؤادى

ثم قال : كيف ترى قلت جيد والله قال والله ماخرجت الا هاربا من الحب، ثم قاتل حتى قتل وقال الوأواء الدمشقي :

سبيل الهوى وعر وحلو الهوى مر
وبرد الهوى حر ويوم الهوى دهر

تنبيه : الهوى أكثر مايستعمل في الحب المذموم قال الله تعالى : وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى الآية وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالا مقيداً ومنه الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ، ومما قيل في توحيد المحبوب عن الشريك :

ليس في القلب موضع لحبيبين ولا أحدث الامور اثنان
فكما العقل واحد ليس يدرى خالقا غير واحد رحمان
فكذا القلب واحد ليس يهوى غير فرد مباعد أو مدانى
هو في شرعة المودة شرك وبعيد في صحة الايمان
وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان

فمن كان على خلاف هذا ممن يرى الشريك في المحبة لم يكن محبا حقيقة وهذا الغالب على الملوك لكثرة مالديهم ، واختلاف الشكل عليهم ، كما قيل :

تنقل فلذات الهوى في التنقل ورد كل صاف لاتقف عند منهل

ثم ذكر أبيات الرشيد ، ملك الثلاث الغانيات عناني الخ ، وبعده قول المستعين الاموي ، عجبا يهاب الليث الخ ، وفيها زيادة وهى :

فأبحن من قلبي الحمى وتركنني في عز ملكي كالأسير العانى

لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ذل الهوى ملك وعز ثانى
ماضر أنى عبدهن صبابة وبنو الزمان وهن من عبدانى

وقال المأمون وقيل هما للمهدي :

فما يكفيك انك تقتلينى وان الناس كلهم عبيدي
وانك لو قطعت يدى ورجلى لقلت من الرضا أحسنت زيدي

وقال الملك الظاهر في مملوكه أبيك الجمدار :

انا مالك مملوك ظبى أغيد ومن العجائب مالك مملوك
وانا الغنى واتى من وصله بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيف عنوة ودمي بسيف لحاظه مسفوك

وقال عبد الملك وزير البارسلان في غلام تركي كان واقفاً على رأسه يقطع بالسكين قصبة :

انا مشغوف بحبه وهو مشغوف بلعبه
صانه الله فما أكثر اعجابى بعجبه
لو اراد الله خيراً وصلاحا لمحبـــه
نقلت رقـة خديه الى قسوة قلبـه

وقال الملك الاشرف في مملوكه بيبرس وكان خازن داره (دو بيت) :

أفدى قمرا تحار فيه الصفة يسخو بدمى وهو أمين ثقة
هذا عجب يحفظ مالى ويرى روحى تلفت به ولا يلتفت

وحكي ان المأمون غضب على جاريته غريب المغنية وكان كلفا بها فأعرض عنها وأعرضت عنه ثم أسلمه الغرام ، وأقلقه الشوق والهيام ، حتى أرسل اليها يسألها مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه ، وكلمها فلم ترد عليه ، فأنشأ يقول :

اجيبى ليس يوجعك الكلام ولا يؤذي محاسنك السلام
انا المأمون والملك الهمام ولكني بحبك مستهام

يحق عليك انك تقتليني فيبقى الناس ليس لهم امام

فقالت له والدك اعشق منك حيث يقول :

ملك الثلاث الغانيات عنانى وحللن من قلبي بكل مكان

الى آخر الأبيات المشهورة ، قال في ديوان الصبابة : ومن الناس من عشق على السماع وهو اعلى طبقة ممن عشق با لمس ، او غيره من بقية الحواس الخمس ، والظاهر ان ذلك لمشاكلة بينه وبين المحبوب في نفس الامر وتعارف سابق في عالم الذر ، كما قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، في مدح النبي سيد الناس :

محبة ماعرفت الدهر سلوتها تسرى الى النفس اوتجرى مع النفس

ومالها آخر لكن اولها تعارف سابق في عالم القدس

في عالم الذر ناجانى البشير بها اهلا بمشيتها طهراً من الدنس

اشهى الى القلب من امن على وجل ومن مجالـ الكرى في الاعين النعس

ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سألـ عائشة عن امراة كانت تدخل على نساء قريش فتضحكهن ، وقدمت المدينة فنزلت على امرأة مثلها تضحك الناس على من نزلت فلانة المضحكة ، قالت على فلانة المضحكة فقالـ ﷺ : الحمد لله الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، الحديث .

وانشد طرفة :

تعارف ارواح الرجال إذا التقوا فمنهم عـــدو يتقي وخليل

ومنهم من يحب بمجرد الوصف دون المعاينة .

قالـ الشريف الرضى من قصيدة :

فاثنى ان ارى الديار بطرفي فلعلي ارى الديار بسمعي

اخذ هذا المعنى القاضى الفاضل فقال :

عللونى عن الشآم بذكر ان قلبي لديه بالاشواق

مثلته الذكرى لسمعي كانى اتمشى هناك بالاحداق

وكان يقال الحب اوله السماع ثم النظر ، كما ان الحريق اوله الدخان ثم الشرر

حكي عن ابى تمام انه سمع جارية تغنى بالفارسية ، فشجاه صوتها فقال :

ولم افهم معانيها ولكن شجت قلبي فلم اجهل شجاها

فكنت كواجد اعمى معنى بحب الغانيات ولا يراها

قال ابن طاهر : قلت لابى تمام اخذت هذا المعنى من احد ؟ فقال : نعم من قول بشار :

قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم العين كالاذن تؤتي القلب ما كانا

وتبعه ابو يعقوب الخريمي فقال :

قالت وتهزأ بى غداة لقيتها يا للرجال لصبوة العميان

فأجبتها روحي فداؤك انما عيني واذنى في الهوى سيان

وقال بشار :

يزهدنى في حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبى

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يعشق ذو اللب

وما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الاذنان إلا من القلب

قلت وقد صدق ، فيما نطق ، انما اخست الحواس الخمس ، بواسطة توسطها للنفس ، وقال مظفر بن ابراهيم الاعمى المصري فى الاعتذار عن العشق مع العمى :

قالوا عشقت وأنت اعمى ظبياً كحيل الطرف ألمى

وحلاه ما عاينتها فنقول قد شفتك ها

وخياله بك في المنا م فما اطاف ولا ألما

من اين ارسل للفؤاد وانت لم تنظره سهما

ومتى رأيت جماله حتى كساك هواه سقما

وبأي جارحة وصلت لوصفه نثراً ونظما

والعين داعيـة الهوى وبها يتم إذا أتما
فأجبت انى موسوى العشق انصاتاً وفهما
أهوى بجارحة السما ع ولا ارى ذات المسمى

ومنهم من يعشق اثراً رآه ، كما يحكى ان رجلا عشق كف امرأة في حائط فلما أيس اهله من صلاحه تركوه حتى مات .

ومنهم من يحب في النوم لشكل لا يعرفه ، فيهيم به ، كما قيل :

ياليت شعري من كانت وفيه سرت أطلعة الشمس كانت ام هى القمر
أظنها العقل ابداها مدبره او صورة الروح ابداها لي الفكر
اوصورت مثلت في النفس من املى فقد تحير في ادراكها النظر
لو لم يكن كل هذا فهي حادثة آتى بها سبباً في حتفى القـدر

ومنهم من يعشق باللمس وهو رأس الشهوة ، ومنهم من يعشق بالشم .

قال في ديوان الصبابة : ومنهم من اخبرني انه دخل الحمام ، فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء ولم يعلم من هي فأخذها ، واقامت عنده زماناً طويلا فأصابه من حب صاحبتها ما اشرف به على التلف ، كما قيل :

تلفت بشعرة وسمعت غيري يقول سلمت من تلفى بشعره

ومنهم من يعشق جنية رآها في النوم ووصفت له نفسها وجاءته غير مرة على زعمه كما حكى ابو الفَرج الاموي ان جعفر بن ابى جعفر المنصور كان يتعشق امرأة من الجن ، حتى كان قد كثر ولعه بها فصار يصرع في اليوم مرات حتى مات فحزن عليه ابو جعفر حزناً شديداً ، وقيل ان اناث الجن انما تصرع الرجال من الانس للعشق ، وطلب الفساد ، وكذلك رجال الجن مع نساء بني آدم .

قال اعرابى : العشق نبت بذره النظر ، وماؤه المزاورة ، ونماؤه الوصل ، وقتله الهجر وحصاده التجني .

وملت من شيء إلى ضده والجمع هذا شأنه فانتبه

فأقمنا في حائل اربع ليال بثلاثة ايام ، ولـكنها مرت كأضغاث احلام :

ليالي سعود لو تباع شريتها بروحي ولكن لاتباع ولاتشرى
ولـكنها مرت كأضغاث حالم فياليتها عادت لنا مرة اخرى

ثم انا رحلنا ، وعلى الله توكلنا ، فأتينا بعد اربعة ايام على ارض قفار ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد يومين على ارض ام الدلا ، وبتنا بها ليلة ورحلنا فأتينا بعد اربعة ايام على ارض الباطن ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد اربعة ايام على ارض بقعة ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد اربعة ايام على ارض زبالة وبتنا بها ليلة ورحلنا فأتينا بعد ثلاثة ايام على ارض ام قرون وبتنا بها ليلة ورحلنا فأتينا بعد خمسة ايام على ارض السلمان ، فبتنا بها ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد ثلاثة ايام على ارض الاثيلة ، وبينها وبين ارض النجف مشهد علي بن ابى طالب عليه السلام نصف مرحلة ، وكل هذه الاراضي المذكورة بعضها عامر والبعض دامر ، وفي البعض منها آبار ، والبعض قفار ، وربما يحمل الماء معنا اربعة ايام ، أو ثلاثة ايام ، فخرج الينا اهل النجف بانواع المأكول الطيب والمشروب الهنى والمشموم الذكى ولطائف التحف ، وبتنا تلك الليلة يا صاح بأكمل السرور ، وأتم الافراح ، والتقى الخلان والاصحاب ، واجتمع شمل الاحباب بالاحباب :

لئن عاد جمع الشمل فى ذلك الحمى غفرت لدهري كل ذنب تقدما
وزال عنا بؤس السفر والمحن ، واعاد الله كل غريب إلى الوطن .

﴿ فائدة ﴾

التجريد سرعة العود إلى الوطن الاصلي ، والاتصال بالعالم العقلي ، وهو المراد بقوله عليه السلام (حب الوطن من الايمان) واليه يشير قوله تعالى : (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) واياك ان تفهم من الوطن دمشق وبغداد وماضاهاهما فانهما من الدنيا ، وقد قال سيد الـكل في الـكل : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، ووطن أيضاً موافق لفظ مكة عدداً ، فحبها يكون من الايمان

كما فسره بعضهم ، فأخرج نفسك من هذه القرية الظالم اهلها ، واشعر قلبك بقوله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدر كه الموت ، فقد وقع اجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيما) .

قال بعض الحكماء : الدنيا انما تراد لثلاثة : العز ، والغنى ، والراحة ، فمن زهد فيها عز ، ومن قنع استغنى ، ومن ترك السعي استراح .

﴿ ذكر الإمام علي وأولاده عليهم السلام ﴾

فلما اسفر وجه الصباح ، باليمن والفرح والنجاح ، عن ثالث صفر ، المقرون بالخير والظفر ، دخلنا النجف مشهد امير المؤمنين ، ويعسوب الدين ، ليث بني غالب ، إمام المشارق والمغارب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

كان عليه السلام اصغر اخوته وبينه وبين طالب اخيه ثلاثون سنة ، وكان كل واحد من بني ابي طالب الاربعة اصغر من الآخر بعشر سنين اكبرهم ثم عقيل ، ثم علي امه فاطمة بنت اسد بن هاشم ، اسلمت وهاجرت ، وهو اول من اسلم من الذكور ، في اكثر الاقوال ، واول هاشمي ولد في الاسلام ، وولد بمكة في البيت الحرام ، يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل ، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله سواه ، وذلك اكراماً وتعظيما له من الله .

وكان قد ولد وابوه غائب فسمته امه فاطمة بنت اسد باسم ابيها ، فلما قدم ابو طالب سماه علياً ، ويكنى ابا الحسن وابا تراب ، وفضائله اشهر من ان تحصى .

شهد مع النبي صلى الله عليه وآله المشاهد كلها ما عدا تبوك ، فانه خلفه في اهله ، وفيها قال له : يا علي ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى .

كان عليه السلام بطيناً شديد الادمة ، عظيم العينين ، اقرب من القصر إلى الطول ، كثير الشعر ، عريض اللحية اصلع الرأس ، استخلف يوم قتل عثمان في يوم الجمعة لثمان خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي امنه الله تعالى ، سحر الليلة التاسعة عشر من شهر

رمضان سنة اربعين ، وتوفي ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان ، وسنه يومئذ ثلاث وستون سنة .

وكانت خلافتـه اربع سنين وتسعة اشهر واياماً . وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن العباس ، ودفن في ليلته قبل انصراف الناس من صلاة الصبح ، وقـد اختلف الناس في موضع قبره، والصحيح انه في الموضع المشهور الذى يزار فيه اليوم .

فقد روي ان عبد الله بن جعفر سأل أين دفنتم امير المؤمنين ؟ قال : خرجنا به حتى إذا كنا بظهر النجف دفناه هناك وقد ثبت ان زين العابدين علي بن الحسين وجعفر الصادق وابنه موسى الكاظم رضوان الله عليهم اجمعين زاروه في هذا المكان.

وروي عنه الحسن والحسين وعبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وابو المسيب وابو عبد الرحمن السلمي وزيد بن وهب وخلق كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين .

واولاده عليه السلام : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله وابو بكر والعباس ومحسن ـ فيه خلاف ـ وعمر وعون ويحيى ومحمد الاصغر ومحمد الاوسط وجعفر وعثمان .

وبناته عليها السلام : امامة وام الحسن وزينب الكبرى وزينب الصغرى ورملة الكبرى ورملة الصغرى وام كلثوم وخديجة وام الكرام وام هانىء وميمونة وفاطمة ورقية .

يا صاحب القبة البيضاء في النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفى
زوروا ابا الحسن المولى لعلكم تحظون بالاجر والاقبال والشرف

وان اذن الله بالبقاء الجميل فسأذكر ترجمته وترجمة ابنائه الأئمة الكرام بالتفصيل في تاريخي ازهار الناظرين ، في اخبار الأولين والآخرين ، ان شاء الله تعالى ، وهو الموفق المعين .

فتشرفنا بزيارة الامام المؤيد بالنصر من ربه والفتوح ، وضجيعيه الكريمين

آدم ونوح ، وقد عقدت عليهم قبة عظيمة ، في زينة وسيمة ، وأول من عقد هذه القبة عليهم عبد الله بن حمدان في دولة بنى العباس ، ثم عمرها الملوك من بعده وبها من الذهب الابريز والجواهر ، وخالص اللجين وانواع الفرش الفاخر ، ما يكل عنه قلم الحاصر ، والبلدة رخية أمينة ، طيبة حصينة ، سورها مكين ، وهى جنة المتقين واهلها سادة كرام ، ملجأ الخاص والعام :

لا عيب فيهم سوى ان النزيل بهم يسلوعن الاهل والاصحاب والوطن

ثم خرجنا بعد ايام ، إلى مدينة الكوفة ، وزرنا مآثر الانبياء المشهورة المعروفة .

﴿ فائدة ﴾

الكوفة كانت من المدائن الكبار المشهورة ، بينها وبين النجف ستة اميال بنيت بعد البصرة بسنتين ، في خلافة عمر بن الخطاب ، وبنى بها مسجد للمسلمين .

قيل ان نبي الله ادريس عليه السلام كان يخيط بها الاثواب ، وقيل انه رفع إلى السماء من مكان هذا المسجد .

ومنه خرج ابراهيم عليه السلام لقتال العمالقة ، وكان بها قصر اسمه طيمار يسكنه جماعة من الامراء ممن يتولى على الكوفة ، وبها التنور الذي فار منه الماء عند وقوع الطوفان بقوم نوح .

وبها الموضع الذي صنع نوح عليه السلام به السفينة ، وهذه المدينة على شاطيء الفرات ، وقد كانت مدينة خصبة كثيرة الفواكه والبساتين ، ومنها ظهر الخط الكوفي ، واليها ينسب الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت ؛ نشأ بها ثم رحل إلى بغداد ، وتوفى بها سنة خمسين ومائة ، واليها ينسب سفيان بن سعد الثوري نشأ بها وتوفى سنة احدى وستين ومائة بالبصرة ، وعاش ستة وستين سنة ، واليها ينسب ابو الطيب المتنبي الشاعر ـ الآتي ذكره ان شاء رب المشاعر ـ وقتل فى سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ، كما سيأتي ، واليها ينسب جماعة كثيرة من العلماء ، فاقمنا بها يوما

وليلة ، ثم سرنا منها ومررنا على مدينة الحيرة ، وهي قريب منها ، فرأيناها قد طمست آثارها ، وخربت ديارها :

تلك المنازل في الآفاق خاوية اضحت خرابا وافنى الدهر بانيها

﴿ فائدة ﴾

الحيرة مدينة قديمة بناها النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي وبنى بها قصراً سماه الخورنق ، وزرع قدامه بستاناً ، وغرس فيه الزهر المسمى بشقائق النعمان ، فنسب اليه ، ثم خرب هذا القصر وبناه رجل من الروم اسمه سنمار وهذه المدينة بالقرب من الكوفة .

وكان هناك قديماً بحر يتلاطم بالامواج ، والآن ليس بها شيء من ذلك البحر ، وخربت تلك المدينة وطمست آثارها ، وكانت منازل ملوك بنى لخم ، فلما خربت الحيرة انتقل إلى الكوفة اهلها ، ثم عدنا راجعين من الحيرة ، إلى مشهد الامام علي بن ابى طالب ذي البراهين الشهيرة ، والانوار الباهرة المنيرة ، فاقمنا هناك شهراً تام ، في ارغد عيش مدام ، ونزلت بدار العالم العامل النحرير الفاضل مولانا الشيخ ابراهيم الخميسى ، واجتمعت بالولي الشهير ، المجتهد الكبير العابد الزاهد بحر المعارف والفوائد ، تاج السادة الاكارم ، مولانا السيد هاشم واجتمعت بالعالم العامل الفاضل ، التقى النقى الكامل ، الشيخ محمد يحيي الخميسى واجتمعت بالفاضل الاديب العاقل الكامل الاريب ، الشاعر الماهر اللطيف ، المؤنس الظريف ، مولانا الشيخ يونس بن انس ، لا زالت انوار الكالات من انوار كماله تقتبس ، واجتمعت بالسند السيد ، المعتمد الايد الامجد الانجد ، الاسعد الاصعد مولانا السيد مراد حاكم المشهد وحصل لي منه الاكرام والقبول ، ادامه الله تعالى بالرياسة والعز ما هبت الدبور والقبول ، وبلغه من دنياه واخراه كل سؤل واجتمعت بكثير من العلماء ، ورثة الانبياء الكرماء .

﴿ فائدة ﴾

قوله ﷺ: العلماء ورثة الانبياء ، المراد بالوارث هنا الباقي بعدالمورث الذي يصير اليه ما بقي من المورث وتركته ، كما في قوله ﷺ : اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني اي ابقهما بعد انحلال القوى النفسانية حتى يصير اليهما مابقي بعدهما من مواد تصرفها ويكون لهما فمن لم يبق منه إلا العلوم ولم يترك سواها لم يكن من صار اليه وارثاً سوى ما تركه وبقي منه فبينه بقوله ، وذلك ان الانبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً ، وانما ورثوا احاديث من احاديثهم ، اي من علومهم التي حدثوا بها واتى بمن التبعيضية لان من احاديثهم احاديث لم يورثوها بل نسخت فمن اخذ شيئاً من الاحاديث الموروثة متمسكا به فقد اخذ حظاً وافراً لشرف المأخوذ منه وفضيلته ، حيث انه من مآثر خير الناس ، ومن مواريثه التي تركها لامته ولا نجاة للامة إلا بها ولا غنى لهم عنها ، ومن كان هـذا شأنه فينبغي ان يهتم بامره ، ويأخذ من مأخـذه ، ولا يتساهل فيه ، فنبه ﷺ بقوله : فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، انتهى .

لم اسمع في ذم شحيح ابلغ ولا اوقع من قول كشاجم الـكاتب:

يا من يؤمل جعفراً من بين اهل زمانه
لو ان في استك در ها لاستله بلسانه

ويعجبني قول ابى الفضل بن شمس الخلافة :

دع الـكبر واجنح للتواضع تستمل وداد منيع الود صعب مرامه
وداو بلين ما جرحت بغلظة فطيب كلام المرء طب كلامـه

أقول : هذا المرهم نافع للكريم التياه ، كعمارة بن حمزة والفضل بن يحيى وامثالهما ، وأما اللئيم التياه البغيض فليس ينفعه إلا تقطيع عرضه بسيوف القوافي ان كان له عرض .

وله ايضاً :

سأصبر حتى يأتى الله بالذى يشاء وحتى يعجز الصبر عن صبرى
فكم فاقة بات الغنى من خلالها يلوح وكم عسر تكشف عن يسر

قلت : تذكرت باليسر قول الاديب احمد بن الحسين الرقيحي الصنعاني الصباغ الآتي ذكره ، في سبحة يسر :

اسبح باليسر المعظم ذكره واكثر في التقديس والحمد والشكر
وادعو إلى الله الكريم تضرعا يفرج عنى ذلك العسر باليسر

وقال ابن شمس الخلافة ابو محمد المعروف بابن شكر وزير الملك العادل وولده الملك الكامل لما خرج من مصر إلى الشام :

على مهل فنى الاحوال ريث اخشى ان تضام وانت ليث
بمصر ان اقمت فأنت نيل وان جئت الشآم فأنت غيث

﴿ ذكر أرض مصر ﴾

قلت : جرت عادة الله ان مصر لا تمطر ولا ينتفع بمطرها لاستغنائها بالنيل وريها به وللفلاسفة في عدم نزول الغيث بها تعليل ذكروه وبسطه المقريزي في الخطط والآثار إلا ان جانبها الشمالي المجاور لبلاد الشام كرشيد ونحوها فيمطر بمطر الشام ، قال الفاضل القزويني في كتاب آثار البلاد ، واخبار العباد ، مصر ناحية مشهورة طولها اربعون ليلة من العريش الى اسوان وعرضها من برقة الى ايلة وسميت بمصر بن بنصر بن حام بن نوح عليه السلام وهي من أطيب الارض ترابا وابعدها خرابا ، ولا تزال البركة فيها مادام عليها انسان ، وفي الخطط ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني ، وبعضها في الاقليم الثالث ، وبناء مصر طبقات بعضها فوق بعض الى خمس وست وسبع وأحسنها القاهرة المعزية .

﴿ فائدة ﴾

مصر غير منصرف للعلمية والعجمة وللتأنيث المعنوي باعتبار البقعة ومصروف لسكون وسطه ، وأسماء البلاد تذكر وتؤنث وتصرف وتمنع ، قاله السيوطي .

وفي الخريدة أرض مصر وهي غربي جبل جالوت اقليم العجائب ومعدن الغرائب ، وكانت خمسا وثمانين كورة منها أسفل الارض خمس واربعون وفوق الارض اربعون ونهرها يشقها والمدن على جانبيه ومن أحسن مدنه الروضة وهي جزيرة يحيط بها النيل من جميع جهاتها المتنزهات والدور والقصور وتسمى دار المقياس .

وفي آثار البلاد أول من قاس النيل يوسف الصديق عليه السلام وبنى مقياسه بمنف وهي مدينة فرعون موسى ، قيل انها أول مدينة عمرت بعد الطوفان وهي المرادة بقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وكان فيها أربعة أنهار تختلط مياهها في موضع سرير فرعون ولذلك قال وهذه الانهار تجري من تحتي .

﴿ فائدة ﴾

قال العصام نقلا عن التفتازاني ، فرعون : علم لمن هلك من العمالقة ويشبه أن يكون مثل كسرى وقيصر من علم الجنس لكن جمعه باعتبار الافراد مثل الفراعنة والقياصرة والاكاسرة يدل انه علم شخص يسمى به كل من ملك ذلك ابتداء وهو غير منصرف للعلمية والعجمة انتهى .

وقال ابن شمس الخلافة أيضا في رجل كثير الطلب من الناس :

أوراق كديته في بيت كل فتى ... على اتفاق معان واختلاف روي

قد طبق الارض من سهل الى جبل ... كأنه خط ذاك السائح الهروي

قلت : السائح الهروي كان قد طاف أكثر المعمور من البراري والجزائر

وكلما مر بمكان كتب بخطه مايليق به واستقر آخر حاله بحلب في مدرسة عمرها له الملك الظاهر بن صلاح الدين وتوفي في العشر الوسطى من شهر رمضان سنة احدى عشرة وستمائة واسمه ابو الحسن علي بن ابى بكر الهروي الاصل الموصلي المولد وكان فاضلا يعرف السيميا وبها تقدم عند الظاهر غازي وألف كتاب الاشارات في معرفة الزيارات .

قال القاضى ابن خلكان : ورأيت بخطه في ميضأة بحلب كتابة فتأملتها فاذا هي بيت المالـ في بيت الماء انتهى .

من كلامهم: من وعظ بقوله ضاع كلامه ، ومن وعظ بفعله تقدت سهامه وانشد :

يأيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تقبل ان وعظت ويقتدى بالرأى منك وينفع التعليم

﴿ سؤال ﴾

ان قيل كيف عاب الله تعالى على المشركين والمنافقين قولهم وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ورد عليهم ذلك بقوله : قل كل من عند الله ، ثم قال بعد ذلك : ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن نفسك ، واخبره بعين قولهم المردود عليهم .

﴿ الجواب ﴾

قيل : ان الثانى حكاية قولهم ايضاً ، وفيه اضمار تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً فيقولون ما اصابك ، الآية .

وقيل معناه ما اصابك ايها الانسان من حسنة ، اي من رخاء ونعمة ، فمن فضل الله ، وما اصابك من سيئة ، اي قحط وشدة فبشؤم فعلك ومعصيتك لا بشؤم محمد ﷺ كما زعم المشركون ، ويؤيده قوله تعالى (وما اصابكم من مصيبة

فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) فان قيل: كيف يقال ان الشر والمعصية بارادة الله والله تعالى يقول : (وما اصابك من سيئة فمن نفسك) قلنا ليس المراد بالحسنة والسيئة الطاعة والمعصية ، بل القحط والرخاء والنصر والهزيمة على ما اختلف فيه العلماء ، ألا ترى انه قال : ما اصابك ، ولم يقل ما عملت من سيئة ، انتهى .

﴿ فائدة ﴾

ان سأل سائل وقال : الله تعالى عرف بالعقل ام بالنقل ؟ فالجواب ، الذي جنح اليه الامام ابو الحسن الأشعري انه عرف بالنقل مستدلا بقوله تعالى : (افمن كان على بينة من ربه) ولم يقل من عقله .

ذكر ذلك الشيخ تاج الدين السبكي في السيف المشهور .

﴿ ترجمة جدى علامة العصر وبليغ الزمن السيد نور الدين ﴾

(علي بن أبي الحسن)

جهبذ تأملت اوصافه ، فلم أر احسن من وصفه ، اديب العصر فى السلافة طود العلم المنيف وعضد الدين الحنيف ، ومالك ازمة التأليف والتصنيف ، الباهر بالرواية والدراية ، والرافع لخميس المكارم اعظم راية ، فضل يعثر في مداه مقتفيه ومحل يتمنى البدر لو اشرق فيه ، وكرم يخجل المزن الهاطل ، وشيم يتحلى بها جيد الزمن العاطل ، وصيت حل من حسن السمعة بين السحر والنحر .

فسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر

حتى كأن رائد المجد لم ينتجع سوى جنابه ، وبريد الفضل لم يقعقع سوى حلقة بابه ، وكان له في مبدأ امره بالشام ، مجال لا يكذبه بارق العز إذا شام ، بين اعزاز وتمكين ، ومكان في جانب صاحبها مكين .

ثم انثنى عاطفاً عنانه وثانيه ، فقطن بمكة شرفها الله وهو كعبتها الثانيه تستلم اركانه كما تستلم اركان البيت العتيق ، وتستنسم اخلاقه ، كما يستنسم المسك الفتيق ، يعتقد الحجيج قصده من غفران الذنوب والخطايا ، وينشد بحضرته تمام الحج ان تقف المطايا ، ولقد رأيته بها وقد اناف على التسعين ، والناس تستعين به ولا يستعين ، والنور يسطع من اسارير جبهته ، والعز يرتع في ميادين جلهته ، ولم يزل بها إلى ان دعي فاجاب ، وكأنه الغمام امرع البلاد فانجاب ، وكانت وفاته لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة الحرام سنة ثمان وستين والف ، رحمه الله تعالى ، وله شعر يدل على علو محله ، وابلاغه هدى القول إلى محله .

فمن قوله متغزلا :

يا من مضوا بفؤادي عند ما رحلوا ... من بعد ما في سويد القلب قد نزلوا

جاروا على مهجتي ظلماً بلا سبب ... فليت شعري إلى من في الهوى عدلوا

وأطلقوا عبرتي من بعد بعدهم ... والعين اجفانها بالسهد قد كحلوا

يا من تعذب من تسويفهم كبدي ... ما آن يوما لقطع الحبل ان تصلوا

جادوا على غيرنا بالوصل متصلاً ... وفي الزمان علينا مرة بخلوا

كيف السبيل إلى من في هواه مضى ... عمري وما صدني عن ذكره شغل

واحيلتي ضاع ما اوليت من زمن ... إذ خاب في وصل من اهواهم الامل

في اي شرع دماء العاشقين غدت ... هدرى وليس لهم ثار إذا قتلوا

يا للرجال من البيض الرشاق اما ... كفاهم ما الذي بالناس قد فعلوا

من منصفي من غزال ماله شغل ... عني ولا عاقني عن حبه عمل

نصبت اشراك صيدي في محبته ... والصيد فني ولي في طرقه حيل

فصاح بي صائح خفض عليك فقد ... صادوا الغزال الذي تبغيه يا رجل

فصرت كالوا له الساهي وفارقني ... عقلي وضاقت علي الارض والسبل

وقلت بالله قل لي اين سار به ... من صاده علهم في السير ما عجلوا

فقال لي كيف تلقاهم وقد رحلوا من وقتهم وستجدت سيرها الابل

وقوله مادحا بعض الامراء ، وهو من غرر كلامه ودرر نظامه :

لك الفخر بالعيا لك السعد راتب لك العز بالاقبال والنصر صاحب
لك المجد والاجلال والجود والعطا لك الفضل والنعما لك الشكر واجب
سموت على هام المجرة رفعة ودارت على قطبي علاك الكواكب
فيا رتبة لو شئت ان تبلغ السها بها اقبلت طوعا اليك المطالب
بلغت العلا والمجد طفلا ويافعاً ولا عجب فالشبل في المهد كاسب
سموت على قب السراحين صائلا فكلت بكفيك القنا والقواضب
وحزت رهان السبق في حلبة العلى فأنت لها دون البرية صاحب
وجلت بحومات الوغا جول باسل فردت على اعقابهن الكتائب
فلا الدارعات المثقلات تكنها ملابسها لما تحق المضارب
ولا كثرة الاعداء تغني جموعها إذا لمعت منك النجوم الثواقب
خفض الحتف لا تخش الردى واقهر العدي
فليس سوى الاقدام في الرأى صائب
وشمر ذيول الحزم عن ساق عزمها فما ازدحمت إلا عليك المراتب
إذا صدقت للناظرين دلائل فدع عنك ماتبدي الظنون الكواذب
ببيض المواضي يدرك المرء شأوه وبالسمر ان ضاقت تهون المصاعب
لأسلافك الغر الكرام قواعد على مثلها تبنى العلى والمناصب
زكوت وحزت المجد فرداً ومحتداً فآباؤك الصيد الكرام الاطايب
ومن يزك اصلا في المعالي سمت به ذرى المجد وانقادت اليه الرغائب
بنو عمكم لما أضات مشارق بهم اشرقت منكم علينا مغارب
وفيكم لنا بدر من الغرب طالع فلا غرو ان كانت لديه العجائب
هو الفخر مد الله في الارض ظله ولا زال تجلى من سناه الغياهب

إلى حلب الشهباء مني بشارة تعطرها حتى تفوح الجوانب
إذا ما مضى من بعد عشر ثلاثة من الدور فيها تستتم المآرب
لقد حدثت عنها او لو العلم مثل ما جرى وانقضت تلك السنون الجواذب
بدا سعدها لما علي بدابها ويا طالما قد انحست وهو غارب
وفوز علي بالعلى فوزها به فكل إلى كل مضاف مناسب
كأني بسيف الدولة الآن وارداً اليها يلاقي ما جنته الثعالب
لقد جادها صوب الحيا بعد محلها وشرفها من احكمته التجارب
كريم إذا ما المحل الغيث امطرت اياديه جوداً منه تصفو المشارب
أديب اريب لو تجسم لفظه اصابته عقداً للنحور الكواعب
فيا ايها المنصور بشراك رتبة بها السعد حقاً والسرور مواظب
مدحتكم والمدح فيكم تجارة بها تثمر النعما وتغلو المكاسب
إلى باب عليا كم شددت رواحلي ويا طالما شدت اليها الركائب
بها الفضل منشور بها الجود وافر بها فتح من سدت عليه المذاهب
وما ذا عسى ان يبلغ الوصف فيكم إلى غاية هل ينقص البحر شارب
فلا زلتم في اكمل السعد والهنا مدى الدهر ما مالت وماست ذوائب

﴿ ذكر العروض والقافية ﴾

وأما بلاغته في النثر فهي ظاهرة غير خافية ، وله فيها القدح المعلى والقسمة الوافية ، ولا غرو فهو إمام الفصحاء وفارس النثر والعروض والقافية .

﴿ فائدة ﴾

قال الصفدي: العروض مؤنثة لأنها مشتقة اما من الناحية ، والمراد بذلك الناحية التي قصدتها العرب ، قال الاخفش بن شهاب :

لكل اناس من معد عمارة عروض اليها يلجؤن وجانب

واما من قولهم ناقة عروض : أي صعبة والمراد بذلك انها يراض بها الصعب حتى يدخل الوزن .

قال الصفدي في أول الغيث الذي انسجم : شرح لامية العجم ، وهذا أحسن من قول من قال انه ماخوذ من العرض لان الشعر يعرض على هذه الأوزان فما وافق كان صحيحا وما خالف كان سقيما اذ الصحيح انه معروض عليه اللهم إلا ان يقال فعول بمعنى مفعول فليس بشيء وعلى هذا كانت العروض تكون مذكرة وقيل من العروض أي الطريق التي في الجبل والمراد الطريق التي سلكتها العرب ، وقيل لما شبهوا البيت من الشعر ببيت الشعر شبهوا العروض الذي يقيم وزنه بالعروض وهي الخشبة المعترضة في سقف البيت كما شبهوا الاسباب با لأسباب والاوتاد با لاوتاد والفواصل با لفواصل .

والعروض اسم سمى به آخر الجزء الذي هو نصف البيت الأول وانما سمى عروضا لكثرة دوره ، كما سمى علم المواريث فرائض لكثرة قولهم فرض الزوجة كذا فرض الام كذا ، قال في الغيث الذي انسجم وأما حد العروض اصطلاحا فانه علم بمعرفة أوزان الشعر .

وقال الجاحظ : العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يعرف الصحيح من السقيم ، والمعتل من السليم ، وعليه مدار القريض من الشعر ، وبه يسلم من الاود والكسر ، قلت وهذا أليق بالوصف من الحد .

وقال الجوهري : العروض ميزان الشعر وهي ترجمة عن ذوق الطباع السليمة .

وقال علي بن عبد الرحمن : العروض علم يدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامها شعرا .

(قال المؤلف) وأنا أقول : العروض آلة قانونية تعصم مراعاتها الانسان عن أن يضل في وزن شعر العرب وهـذا الاحتراز أثبت لان اللغة اليونانية فيها الشعر ولهذا نسمعهم يقولون سولون الشاعر .

وقال ارسطو حكيم اليونان وخطيبهم وشاعرهم : وليس الشعر عندهم مايكون ذا وزن وقافية ولا ذلك ركن فيه بل الركن في ذلك ايراد المقدمات المخيلة حسب بان كانت المقدمة من معنيين شعري واقناعي .

قال أرباب المنطق : القياس الشعري قول مؤلف من مقدمات مخيلة تؤثر في النفس تأثيراً عجيبا من قبض أو بسط كقول القائل ح البيضة عذرة والخمر يا قوت سيال ، فالأول يؤثر في النفس انقباضا ، والثاني انبساطاً .

قال الصفدي : وذكر لي الشيخ الامام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري ان الشعر اليوناني له وزن مخصوص ولليونان عروض لبحور الشعر والتفاعيل عندهم تسمى الايدي والارجل ، قلت ولا يبعد أن يكون وصل الى الخليل بن أحمد شيء من ذلك أعانه على ابراز العروض الى الوجود انتهى ، والحاجة ماسة وداعية لمعرفة الوزن وما يجوز من الزحاف في كل بحر ومالا يجوز فقد وقع في ذلك جماعة من كبار العرب ، كامرئ القيس ومهلهل وعلقمة بن عبدة وعبيد ابن الابرص وغيرهم من كبار المحدثين كأبي العتاهية والبحتري وأبي الطيب المتنبي وحسبك بوقوع مثل هؤلاء الفحول في الخروج عن الوزن ، واذا اتفق هذا لهؤلاء فما الظن بغيرهم .

قال الصفدي : وقال قوم لاحاجة الى العروض لان من نظم بالعروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفا ولا يتأتى له وزن البيت الواحد بل الكلمة الواحدة حتى يدخل الوزن وينظر في حركاتها وسكناتها هل هي من سببين وفاصلة صغرى أولا الى غير ذلك من التفصيل إلا بعد مكابدة مشقة عظيمة والى أن ينظم الناظم في العروض بيتا نظم صاحب الطبع السليم قصيدة وما أحسن قول أبي فراس ابن حمدان :

تناهض الناس للمعالي لما رأوا نحوها نهوضى
تكلفوا المكرمات كدا تكلف النظم بالعروض

وقال ابن حجاج :

مستفعلن فاعلن فعول مسائل كلهـــا فضول
قد كان شعر الورى صحيحا من قبل أن يخلق الخليل

وهذا الوزن يعرف بمخلع البسيط ولا بد للباغي من مصرع فان ابن حجاج بغى على الخليل فاورده بغيه مصرعا فظيعا وأوقعه الله في زحاف هذا الوزن بعينه لانه قال في أول قصيدته التي له في حرف الباء :

النيك عندي احلى وأطيب من عنب أصفر مزبب

فان وزنه مستفعلن مفعولن فعولن فاوقع مفعولن موقع فاعلن والعجز وزنه مفتعلن بدل من مستفعلن بالطى وقال ابن نفادة هجواً :

أعبيد من سماك النسا كاذب ما للوحاشة عن خلالك معدل
لأقمت ميزان العروض فقد غدا تقطيع كاملها بوصفك يكمل
مستصفم مستقود مستجهل مستحمق مستبرد مستثقل
مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعل

وقال الجاحظ : العروض علم مستبرد ومذهب مرفوض وكلام مجهول ، يستشكل العقول بمستفعلن ومفعولـ ، من غير فائدة ولا محصولـ .

قيل ان أبا جعفر احمد النحاس المصري النحوى كان في سنة لم يزد فيها النيل والناس من امره في شدة قد جلس على درج المقياس وهو يقطع في بيت شعر فر به اثنان ، فلما سمعاه يتكلم بكلام غير معقول المعنى توهما انه يسحر النيل ، فدفعاه في البحر فغرق .

وقيل ان بعض الاكابر مر بامرأة من بعض احياء العرب ، فقال : ممن المرأة ؟ قالت من بنى فلان ، فاراد العبث بها ، فقال لها : أتكتنون ؟ فقالت : نعم نكتني ، فقال لها معاذ الله ، ولو فعلت لاغتسلت ، فاجابته على الفور وقالت : دع

هذا أتعرف العروض ؟ قال : نعم ، قالت : قطع قول الشاعر :

حولوا عنا كنيستكم يا بني حمالة الحطب

فلما أخذ يقطعه ، قال : حولوا عن ، فاعلاتن ، نا كني ، فاعلن ، فقالت : ومن هو ذاك ؟ فقال : الله اكبر ان للباغي مصرعا .

وقد روى صاحب العقد: وغيره هذه الحكاية واختلفوا فيها وزادوها بيتاً آخر ، والذي اعتقده انها موضوعة على الجهلة ، فلا بأس بمعرفة ما امكن من العروض ، واحسن مافيه فك الدوائر، وبمعرفة ذلك يعلم قدر واضعه الذي استنبطه فانه كان ذا ذهن متوقد وعقل صحيح وفطرة سليمة .

قيل : انه قال اريد ان اضع قاعدة في الحساب إذا توجهت الجارية بها إلى البقال ومعها درهم لايكاد يظلمها في فلس واحد ، وأخذ يفكر فيها وهو في المسجد ذاهباً وعائداً ، فبينما هو مشغول عن نفسه لطمته السارية ، فمات من ذلك والله اعلم

قال الصفدي : ومن فوائد العروض فصل القضية فيما يتنازع فيه هل هو شعر عربي او لا ، وقد ذهب بعض الناس ، أظنه الشيخ جمال الدين بن واصل رحمه الله تعالى في قول البها زهير المصري :

يا من لعبت به شمول ما ألطف هذه الشمائل

الابيات وهي مثبوتة في ديوانه إلا انها غير داخلة في أبحر العروض وتابعه والصحيح انها من بحر الوافر، إلا ان فيه العقص ، وهو اجتماع الخرم بالراء والنقص فيجعله مفعول بتحريك اللام ، وشاهده :

لو لا ملك رؤف رحيم تداركني برحمته هلكت

تقطيع بيت البها زهير وتفعيله :

يا من لـ : مفعولـ ، عبت به : مفاعلن ، شمول : فعولن . ما ألط : مفعولـ فهذه الش : مفاعلن ، شمائل : فعولن .

ورأيت قصيدة أظنها لابي الحسن الجزار رحمه الله تعالى، مطلعها :

يا عاذلي هجر المحبوب او وصلا أنا الذى لا أرى في حبه بدلا

هذا البيت من البسيط، ويخرج منه وزن آخر من المديد، وهو :

هجر المحبوب او وصلا لا ارى في حبه بدلا

ثم قال الصفدي في شرح لامية الطغرائى ، والبحر البسيط نفسه مبنى على مستفعلن فاعلن ، ثمانية اجزاء ، وانما سمي البسيط بسيطاً لانبساط السببين على الوتد في اول جزء وهو مستفعلن لانها مركبة من سببين خفيفين ووتد ومجموع .

وقيل : لانه بسطت اسبابه من اسباب الطويل ، لانه فك منه فان عيلن مفا هو مستفعلن .

وقيل : لانه كانت عروضه فاعلن وضربه ، كذلك فصار افعلن فانبسطت الحركات في قاعدتيه لان الالف كانت فاصلة ومانعة من انبساط الاولى إلى الثانية فهو فعيل بمعنى مفعول ، وهذا أحسن ما علل به .

ذكرت هنا لغزاً أنشدنيه بعض الاصحاب ، وزعم انه للشيخ شمس الدين ابن الصائغ ، وهو :

يا عروضياً له فطن بحرها كالموج يضطرب

ايما اسم وضعه وتد وهو ان صحفته سبب

ويرى في الوزن فاصلة ساكناً تحريكه عجب

وهـــذا لغز ظاهره مشكل إذ الوتد غير السبب ، والسبب غير الفاصلة عند العروضين ، وانما هذا في جبل ، واراد بالوتد المذكور في قوله تعالى (والجبال اوتاداً) وهو في تصحيفه حبل وهو السبب لغة ووزنه فاصلة صغرى لانه جبل فهو ثلاث متحركات وبعدها ساكن ، وقد جمع مثال السببين والوتدين في قول القائل لم ير على ظهر جبل سمكة .

والبحر البسيط من الدائرة الاولى وهي دائرة المختلف ، وانما سميت بذلك

لاختلاف اجزائها ، وهذه الدائرة لا يدخلها إلا بحر الطويل والبسيط والمديد .

قال الصفدي : انشدني بعض الاصحاب لغزاً ، وهو :

يا ايها الحبر الذي علم العروض به امتزج
ابن لنا دائرة فيها بسيط وهزج

ثم قال ان الشيخ الامام العلامة نجم الدين ابا الحسن علي بن داود القحفيري أنشده لبعض الطلبة في حلقته ، ففكر فيه ساعة طويلة ، ثم قال هذا لغز في الساقية فقال له الشيخ : إلا انك درت فيها زماناً طويلا حتى ظفرت بالمقصود ، وهذا من الشيخ احسن من الحل فانه ظرف في التنديد ، واللغز ظاهره مشكل لانه ليس في دوائر العروض ما يجمع بحر البسيط ، وبحر الهزج لان البسيط من دائرة المختلف كما تقدم ، والهزج من المختلف واوهم بالبسيط وهو يريد الماء لانه احد البسائط ، واوهم بالهزج وهو يريد الصوت الذي يسمع من الساقية حال دورانها ، انتهى الكلام في العروض .

وأما القافية فهي لغة تطلق على القصيدة ، قالت الخنساء :

وقافية مثل حد السنا ن تبقى ويذهب من قالها

قال الصفدي : واشتقاقها من قفوت اثره إذا تتبعته كان الشاعر يتتبع الكلم التي تناسب ما بنى عليه قصيدته فحينئذ تكون فاعلة بمعنى مفعولة ، اي مقفوة كقوله تعالى (من ماء دافق) بمعنى مدفوق او كأن كل قافية تقفو صدر البيت الاول وما احسن قول ابي تمام :

وتقفو إلى الجدوى بجدوى وانما يروقك بيت الشعر حين يصرع

والقافية اصطلاحا اختلفوا فيها اختلافا كثيراً واصح الاقوال ما ذهب اليه الخليل بن احمد رحمه الله تعالى من انها آخر حرف في البيت إلى اول ساكن يليه مع حركة الحرف الذي قبله لانك ترى هذا القول منتظماً لجميع العوارض في القافية من حروف وحركات تراعى احكامها ، ومتى اختل شيء مما اشترطه فسدت القافية

وانما انثوا القافية مع كون الروي والحرف مذكراً ، لان حروف المعجم كلها مؤنثة ، تقول هذه باء حسنة وجيم مليحة والمتراكب من القوافي ما كان في آخر البيت فاصلة صغرى وهى ثلاث حركات بعدها ساكن وسمي هذا النوع متراكباً لتراكب حركاته وهو دون التكاوس لان التكاوس هو الاضطراب والمتكاوس في العروض ان تتوالى اربع متحركات والاضطراب اشد من التراكب والروي في اللغة هو الجمع والاتصال والضم ، ومن ذلك الرواء ، وهو الحبل الذى يشد به الاحمال والمتاع ، قال الراجز :

انى إذا ما القوم كانوا نحيه واضطرب القوم اضطراب الارشيه

وشد فوق بعضهم بالاوريه هناك توصينى ولا توصى بيه

وقيل للماء الكثير رواء لاجتماع الناس اليه كأن هذا الحرف يربط القصيدة بجميعها والوصل هو الذي يصل حركة المجرى والمجرى هو حركة الروى .

قال الصفدي عند قول الشاعر :

يوشك من فر من منيته في بعض غراته يصادفها

هذه القافية وأمثالها نهاية ما يمكن أن يجتمع في قافية وذلك لانه اجتمع فيها خمسة أحرف ، وهى التأسيس ، والدخيل ، والروى ، والصلة ، والخروج ، وكلها يلزم تكراره إلا الدخيل ، واجتمع قبله أربع حركات ، وهي الرس ، والاشباع والاطلاق ، والنفاد ، فهذه تسعة أشياء اجتمعت في قافية واحدة كما ترى فالالف في الكلمة تأسيس ، وحركة ما قبلها رس ، والفاء دخيل وحركتها اشباع ، والقاف روي وحركته اطلاق ومجرى ان شئت والهاء صلة وحركتها انفاد والالف خروج

قال الصفدى : ذكرت ها هنا ما كتب به بعض ادباء الاندلس الى الفقيه أبى عبد الله المأزرى بالمهدية وهو :

ربما عالج القوافي رجال تلتوي تارة لهم وتابن

طاوعتهم عين وعين وعين وعصتهم نون ونون ونون

فابن لي ماطاوعهم وماعصاهم ، فاجاب طاوعهم العجمة والعي والعجز ، وعصاهم اللسان والجنان والبنان وما أجاب بشيء ومال عن الجد الى الهزل وما ناسب بين الأول والثاني وكان ينبغي أن يقول طاوعهم العجمة والعي والعجز وعصاهم النحو والنقل والنظم أو يقول طاوعهم الهلع والجزع والطمع ، وعصاهم اللسان والجنان والبنان لتكون أوائل الكلمة من القسمين متناسبة وكذلك الاواخر منهما .

قال الصفدي : وأما الجواب عن هذين البيتين المذكورين في ذكر القوافي فهو ما وقفت عليه بالقاهرة المعزيه من خط الفقيه كمال الدين ابى العباس احمد بن سلمان بن ابراهيم الطوخي الشافعي صهر الشيخ جمال الدين بن الحاجب وصورته انشدنى الشيخ جمال الدين ابو عمر وعثمان بن الحاجب ما ذكره بعض اصحاب التاريخ في المعميات فاقام وذكر البيتين ، ثم قال كتب هذان البيتان إلى حاذق عارف باخراج المعميات ، فأقام ستة اشهر ينظر فيهما إلى ان كشفهما ، ثم حلف بايمان مغلظة انه لا ينظر في معمى ابداً ولم يذكر تفصيلهما .

قال الشيخ رحمه الله : فاضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرها من سياق الحكاية ، ثم بعد اربعين سنة خطر لي بالليل فافكرت فيهما فظهر لي امرهما ، وانه انما اراد بقوله طاوعتهم عين وعين وعين ، يعنى يد وغد ودد لانها عينات مطاوعة القوافي مرفوعة كانت او منصوبة او مجرورة ، وكل واحد منها آخره عين الكلمة لان وزن غد فع ، ووزن يدفع ، ووزن دد فع ، وأراد بقوله وعصتهم نون ونون ونون الحوت ، لانه يسمى نوناً والدواة لانها تسمى نوناً ، والنون الذي هو حرف من حروف الهجاء ، وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي إذ لا يلتئم احد منها مع الآخر ، ثم نظم ذلك في بيتين على وزن السؤال ، فقال :

أي غد مع يد دد ذو حروف طاوعت في الروي وهي عيون

ودواة والحوت والنون نونات عصتهم ، وامرها مستبين

ثم قال : ولا يشك عارف بالمعميات انه لم يرد سوى ذلك .

وعلى ذكر القافية فما احلى قول السراج الوراق :

قلت صلني فقد تقيدت في الحب به والاسار في الحب ذل
قال يا من يجيد علم القوافي لا تغالط ما للمقيد وصل

﴿ ترجمة الخليل ﴾

وهو الامام احمد ابو عبد الرحمن الفراهيدى الازدي البصرى ، كان من أفضل الناس وازهدهم واعلاهم نفساً واشدهم تعففاً ، وكانت الملوك والخلفاء تقصده وتتعرف اليه لينال منهم الخير ، فلم يفعل ابداً وكان معاشه من بستان خلفه له ابوه وكان يغزو سنة ويحج سنة إلى ان مات ، وكان الغاية في استخراج مسائل النحو ، وتصحيح القياس عليه ، وكان من اعلم الناس بالاخبار وايام الناس ، وكان شاعراً مفلقاً واديباً بارعا وخطيباً مصقعاً ، ولم يكن في زمنه ادق ذهناً منه ، وكانت بركته وفضله وبركة ابيه وفضله تشمل الناس لانه اول من سمى احمد بعد رسول الله ﷺ .

قال البصير : ما رأى الراؤن مثل الخليل ، ولا رأى هو مثل نفسه فانه كان اشعث الرأس قشف الهيئة مجهولا في الناس لا يعرف .

وروى الصولي عن محمد بن يحيى الآدمي عن عبد الله بن الفضل عن ابيه ، قال : كان عندنا رجل يعطي دواء لظلمة العين ينتفع به فمات ، فاضر ذلك بمن كان يستعمله ، فذكر ذلك للخليل ، فقال : أله نسخة ؟ فقالوا : لم نجد له نسخة ، قال : فهل كانت له آنية يعمل فيها ؟ قالوا : نعم ، قال : فجيئوني بها ، فلما جيء بها جعل يشمها ويخرج نوعا حتى ذكر خمسة عشر نوعا ، ثم سأل عن جمعها ومقاديرها فعرف ذلك ممن يعالج مثله فعمله واعطاه الناس فانتفعوا به مثل ذلك .

ثم وجدت النسخة في بعض كتب الرجل فوجدت الاخلاط ستة عشر خلطاً كما ذكر الخليل ، لا يغفل منها إلا خلطاً واحداً .

وقال الخليل : أنا اول من سمى الاوعية ظروفا ، وانما قيل للانسان ظريفاً لحفظه الادب .

ومن كلامه : أثقل اوقاتى علي التي آكل فيها ، ذكره خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي في اوائل الجزء الحادي والاربعين من تذكرته ، اثابه الله جزيل مغفرته .

ومن كلامه : من يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ، ومن لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارشدوه .

قلت : هذا من قبيل الجاهل البسيط والجاهل المركب ، ولله در من قال :

قال حمار الحكيم يوما لو أنصفوني لكنت اركب
لأنني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

ومن كلامه : التواني اضاعة ، والحزم بضاعة ، والانصاف راحة ، واللجاج وقاحة ، ومن شعره :

العلم يذكي عقولا حين يصحبها وقد يفيدهم طول التجاريب
فذو التأدب في الجهال مغترب يرى ويسمع انواع التعاجيب

وله اشعار كثيرة وهى في مظانها شهيرة ، وهو اول من استخرج علم العروض وحصر اشعار العرب فيها .

يقال انه مر بحارة القصارين فسمع الدق باصوات مختلفة ، وسمع من دار دق ومن دار اخرى دق دق ، ومن اخرى دق دقق ، فاعجبه ، وقال : والله لاضعن على هذا المعنى علماً غامضاً ، فصنع هذه العروض على حدود الشعر وجعل بحورها ستة عشر بحراً ، وقد نظم هذه البحور جمع من الشعراء وممن قيدها بالنظم الصفى الحلي فانه نظمها تقريباً واختصاراً على بناء أصول الدوائر ، فقال :

الطويل : طويل له دون البحور فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل
المديد : لمديد الشعر عندي صفات فاعلاتن فاعلن فاعلات

البسيط :	ان البسيط لديه يبسط الامل	مستفعلن فاعلن مستفعلن فعل
الوافر :	بحور الشعر وافرها جميل	مفاعلتن مفاعلتن فعولـ
الكامل :	كمل الجمالـ من البحور الكامل	متفاعلن متفاعلن متفاعل
الهزج :	على الاهزاج تسهيل	مفاعيلن مفاعيـــل
الرمـل :	رمـل الأبحر يرويه الثقات	فاعـــلاتن فاعلاتن فاعلات
السريع :	بحر سريع ما له ساحـل	مستفعلن مستفعلن فاعل
الرجز :	في أبحر الارجاز بحر سهل	مستفعلن مستفعلن مستفعل
المنسرح:	منسرح فيه بضرب المثل	مستفعلن فاعلن مفتعل
الخفيف:	يا خفيفاً خفت به الحركات	فاعـــلاتن مستفعلن فاعلات
المضارع:	بعـد المضـــارعات	فاعـلات فاعـلات
المقتضب:	اقتضب كما سألوا	فاعـلات مفتعـل
المجتث :	اجتثت الحاجات	مستفعلن فاعـلات
المتقارب:	عن المتقارب قال الخليل	فعولن فعولن فعولن فعول
المحدث :	حركات المحـدث تنتقل	فعلن فعلن فعلن فعل

ومن أناشيد بعض الاندلسيين في أبحر العروض :

الطويل :

بطول قصيدي واحتفال مدائحي قصدت إلى الندب الكريم المسامح

المـديد :

بمـديد الشعر عمـد نفسي فهو سؤلي ومناي وأنسـى

البسيط :

ان البسيط لحن غر الاعاريض فلا تكن منكراً مدحي وتعريضي

الوافر :

بوافر جودك استغنيت دهري فلست أخاف بؤساً طول عمري

الكامل :

يا كاملا في عقله متأدبا انى اتيتك واصلا متحببا

الهزج :

وفي هزج من الشعر مدحت مرجل الشعر

الرجز :

الرجز المنظوم في المليح من جل ما ينشد في المديح

الرمل :

رمل شعرك هذا في العروض ما لشعر معه فيه نهوض

السريع :

أيا سريع الهجر لا تهجر وأرث لصب دنف واعذر

المنسرح :

منسرح الشعر زاد في طربي ليس عروض سواه من اربى

الخفيف :

من خفيف العروض انشدت شعري انشراحا مني وانساً لصدري

المضارع :

مضارع هذا البيت عروض شجي الصوت

المقتضب :

اقتضاب شعرك لم يبق لي بمكان ألم

المجتث :

مجتث شعرك هذا جرى بقلبي التذاذا

المتقارب :

تقارب حبي من حبكا فقلبي يحن إلى قلبكا

الخبب :

خبب الاشعار يذكرني الفي ويحرك لي شجني

توفى الخليل سنة مائة وسبعين من الهجرة النبوية ، على صاحبها وآله وصحبه الصلاة والسلام والتحية ، ورحم الله الخليل رحمة مرضية ، تغشاه بكرة وعشية .

﴿ فائدة ﴾

ان قال قائل : هل العلم افضل من العقل ام العقل افضل من العلم ؟ فالجواب . ان العقل افضل كما قرره شيخ الاسلام ابن حجر في تحفته لانه منبع العلم واسه .

وذكر ناصر الشريعة النسفي في بحر الكلام ان العلم افضل وعليه الحنفية لانه تعالى يوصف بالعلم لا بالعقل انتهى .

﴿ فائدة ﴾

ذكر الحريري في درة الغواص عن المبرد انه قال : قصد بعض اهل الذمة ابا عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيبويه فأبى فبذل له مائة دينار فامتنع من ذلك واصر على ردها ، قال : فقلت له جعلت فداك أترد هذه النفقة مع فاقتك وشدة اضاقتك ، فقال : ان هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ولست ارى ان امكن منها ذمياً غيرة على كتاب الله سبحانه وحمية له ، قال : فاتفق ان غنت جارية في حضرة الواثق العباسي بقول العرجي :

أظلوم ان مصابكم رجلا يهدي السلام عليكم ظلم

فاختلف من بالحضرة في اعراب رجل ، فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ،

ومنهم من رفعه فجعله خبر أن ، والجارية مصرة على ان شيخها ابا عثمان لقنها بالنصب فامر الواثق باحضاره ، قال ابو عثمان : فلما مثلت بين يديه ، قال : ممن الرجل ؟ قلت : من بني مازن ، قال : أي الموازن أمازن تميم أم مازن قيس ام مازن ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة ، فكلمني بلسان قومي ، وقال يا اسمك لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما فكرهت ان اجيبه على لغة قومي لئلا اواجهه بالمكر فقلت بكر ياامير المؤمنين ، ففطن لما قصدته واعجب به ، ثم قال : ما تقول في بيت الشاعر أظلوم البيت اترفع رجلا ام تنصبه ، فقلت : بل الوجه النصب يا امير المؤمنين قال : ولم ذاك ؟ قلت ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم ، فاخذ اليزيدي في معارضتي فقلت له : هو بمنزلة قولك ان ضربي زيدا ظلم ، فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل على ذلك ان الكلام معلق إلى ان تقول ظلم فيتم ، قال : فاستحسنه الواثق وقال : هل لك من ولد ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين بنية ، قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ قلت : انشدتني قول الاعشى :

يا ابتا لا ترم غيرنا فانا نحيى إذا لم ترم

وانا إذا اضمرتك الحتو ف نجفى وتقطع منا الرحم

قال : فما قلت لها ؟ قال : قلت لها قول جرير :

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال : انت على النجاح ان شاء الله ، ثم امر لى بالف دينار وردني مكرما .

قال المبرد : فلما عاد إلى البصرة قال لى : كيف رأيت يا ابا العباس رددنا الله مائة فعوضنا الفاً ! قلت : لم تكن هذه المسألة مما تخفى على ابى محمد اليزيدي وهو الذي قال للكسائي يوما في بعض مناظراته كيف تقول ان من خير القوم او خيرهم نية زيد او زيداً ، فقال الكسائي : زيد بالرفع ، فقال له : اخطأت علام ترفعه ؟ قال : على انه خبر ان ، قال : ان قال فاين اسمها ، فالتبك ، فقال له : زيد اسم ان والخبر فى الجار والمجرور ؛ وهذا اليزيدي له مسائل عويصة سأل الكسائى عنها

وأخطأ في الجواب . منها انه سأله بحضرة هارون الرشيد ويحيي بن خالد البرمكي عن قول الشاعر :

ما رأينا خربا نقر عنه البيض صقر

لا يكون العير مهراً لا يكون المهر مهر

فقال الكسائي : يجب ان يكون مهر منصوبا على انه خبر كان ففي البيت على هذا التقدير اقواء ، فقال اليزيدي : الشعر صواب لان الكلام تم عند قوله لا يكون الثانية ، وهي مؤكدة للاولى ، ثم استأنف الكلام ، فقال : المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض ، وقال : انا ابو محمد ، فقال له يحيي البرمكي : اتكنني بحضرة امير المؤمنين والله ان خطأ الكسائي مع حسن ادبه لأحسن من صوابك مع سوء ادبك ، فقال اليزيدي : حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ ، قلت : واخطأ الكسائي ايضاً في تسميته هذا أقواء لان الاقواء اختلاف حركة الروي بالرفع والجر ، كقول النابغة من قصيدته الدالية المجرورة (وبذاك خبرنا الغراب الاسود) وأما إذا كان الاختلاف بالنصب والرفع فهو الاصراف ، والذي ذكره الحريري في معارضة هذا اليزيدي للمازني بين يدي الواثق فيه تجوز لان ابا محمد اليزيدي كان يؤدب المأمون ، والكسائي كان يؤدب الامين ، وتوفي اليزيدي مع المأمون في مرو أو في بغداد سنة اثنتين ومائتين ، والواثق تولى الامر بعد وفاة ابيه المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين ، ولعل هذا اليزيدي المذكور هنا هو احد اولاد ابي محمد اليزيدي لانه كان له خمس بنين كلهم علماء ادباء شعراء رواة الاخبار ، وهم : ابو عبد الله محمد ، وابراهيم ، وابو القاسم اسماعيل ، وابو عبد الرحمن عبيد الله ، وابو يعقوب اسحاق ، وكلهم ألف في اللغة والعربية كتابا فان كان ذلك المذكور احد اولاد هؤلاء فكان ينبغي ان يعينه الحريري ولا يطلق لفظ اليزيدي لانه لا يفهم منه إلا ابو محمد اليزيدي ، انتهى .

قيل : ان ابن الزقاق البلنسي الشاعر المشهور كان يسهر بالليل ويشتغل بالادب وكان ابوه فقيراً حداداً فلامه ابوه وقال له نحن فقراء ولا طاقة لنا بشراء الزيت الذي تسهر عليه ، فاتفق انه برع في العلم ، وقال الشعر وعمل في ابي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة اولها :

يا شمس خدر ما لها مغرب أرامة دارك ام غرب
ذهبت فاستعبر طرفي دما مفضض الدمع به مذهب

ومنها :

ناشدتك الله نسيم الصبا أين استقرت بعدنا زينب
لم تسر إلا بشذا عرفها اولا فاذا النفس الطيب
ايه وان عذبني حبها فمن عذاب النفس ما يعذب

فأطلق له ثلاثمائة دينار ، فجاء إلى ابيه وهو جالس في حانوته مكب على سنعته فوضعها في حجره وقال : خذها واشتر بها زيتاً .

ذكرت ببلنسية هنا ما حكاه صاحب الريحان والريعان ، قال : حضر شاب ذكي بعض مجالس اهل الادب ، فقال لبعضهم : ما تصحيف نصحت فخنتني ، قال تصحيف حسن ، فاستغرب اسراعه ، وكان في المجلس شاعر من اهل بلنسية فاتهم الشاب وقال له مختبراً : ما تصحيف بلنسية ، فأطرق ساعة ثم قال : اربعة اشهر فجعل البلنسي يقول : صدق ظني انك تدعي وتنتحل ما تقول ، والفتى يضحك ، ثم قال له الشاب أشعر فانت شاعر ، فقال له : وأي نسبة بين بلنسية واربعة اشهر ، فقال : الشاب ان لم يكن في اللفظ فهو في المعنى ، ثم قام وهو يقول : هو ذاك فتنبه بعض الحاضرين بعد حين ونظر فاذا أربعة اشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المنازع ، ومضى إلى الشاب معتذراً .

وقال آخر لآخر ما تصحيف نصحت فضعت فجعل لا يهتدي إلى تصحيفه فلما اعياه الامر ، قال له : ما تصحيفه ؟ قال : تصحيف صعب ، قال : بالله قل ما تصحيفه

قال : تصحيف صعب ولم يزالا كذلك هو يسأله وذاك يجيبه ولم يهتد إلى ان ذلك هو الجواب .

وقال آخر لآخر : ما تصحيف استنصح ثقة ؟ ففكر فيه زماناً ، فلما اعياه قال : لم يظهر ايش تصحيفه ، فقال له : قد اجبت لم تعلم انك اجبت .

ومن التصحيف ما كتب به ابراهيم بن المهدي إلى اسحاق بن ابراهيم النديم أي شيء تصحيفه لا ترتج مثل الاسنة ؟ فكتب اليه لا يرث جميل إلا بثينة ، فكتب اليه ابراهيم فما تصحيف هذا ؟ فكتب اليه وانه منك .

فلما اسفر الصباح عن وجه الهنا والانشراح ، رابع ربيع الاول عام الف ومائة وواحد وثلاثين من هجرة النبي المرسل ، توكلنا على الرب العلي ورحلنا من مشهد علي قاصدين زيارة الشهيد المبتلى المدفون بكربلا ، الحسين بن علي ومن معه من الشهداء الصابرين رضوان الله عليهم اجمعين ، ففي خامس الشهر المذكور اتينا على موضع يقال له الخان الاخير ، ومررنا في طريقنا بقبر النبي ذى الكفل عليه السلام فزرنا وبلغنا المرام ، وفي سادس الشهر دخلنا ارض الحائر مشهد الحسين الطاهر سلام الله عليه وعلى اخيه وعلى جده وابيه وامه وبنيه وسائر مواليه ومحبيه :

لله ايام مضت بكربلا ... محروسة من كل كرب وبلا
بمشهد الطهر الحسين ذي العلا ... ونسل خير الخلق من كل الملا
فحفني بجوده تفضلا ... ونلت ما كنت له مؤملا
من زاره بالصدق فيه والولا ... يعود مجبوراً بلا شك ولا
فاسمع لما قد قال ذو الفضل الحسن ... محمد الحر الاصيل ابن الحسن
قد ارخ المولد في رجيزه ... مفيدة جليلة وجيزه
فقال في ذكر الحسين بن علي ... نظما بديع القول كالصبح الجلي
وكيف لا وهو الامام الرحله ... نجل ثقات قادة اجله
خادم شرع المصطفى والمذهب ... الطيب بن الطيب بن الطيب

من ذكره في العرب سار والعجم والشام والروم إلى اقصى ارم
بالفضل والتقوى مع العفاف والبر والاحسان والالطاف
عليه من رب العباد الرحمه تعمه وجميع الامه
فاسمع فهذا قوله المفيد قد قال وهو الفاضل المجيد
واسمع وقيت صولة الحوادث نظمي تاريخ الامام الثالث
روحي الفداء للحسين بن علي ذي المجد والسؤدد والقدر العلي
مولده في عام اربع مضت في شهر شعبان لخمس انقضت
يوم الخميس سيدي قد ولدا قيل بل السابع كان المولدا
وقيل في عام ثلاث فاعقل آخر يوم من ربيع الاول
يكنى بعبد الله وهو السبط لم يك مثله كريم قط
نسبه من اشرف الانساب حسبه من اكرم الاحساب
نص عليه بالامامة النبي فيا له من فضل مجد عجب
وبعده ابوه واخوه ونال ذاك بعده بنوه
خير الورى في العلم والزهاده والفضل والحلم وفي العباده
كرمه وجوده قد بلغا ما لم يحط به مقام البلغا
ولذة الكرام في الاطعام ولذة اللئام في الطعام
فاق الورى في الجود والسماحه والمجد والكمال والفصاحه
اولاده ست وقيل عشر وقيل تسع فانقدوه وادروا
منهم علي بن الحسين الاكبر ثم علي بن الحسين الاصغر
فالاول ابن بنت كسرى الملك ولم يكن في دينه بالمشرك
والثاني من ليلى الفتاة فاعرف بنت ابي مرة اعني الثقفي
وجعفر والام من قضاعه كانت على ما نقل الجماعه
سكينة اخت لعبد الله فاحفظ وفكر لاتكن كاللاهي

من الرباب الحرة الابيه ... بنت امرىء القيس الفتى الكلبيه
وفاطم وامها في القوم ... بنت لطلحة الشهير التيمي
قيل ومن اخوتهم محمد ... علي الاوسط وهو الاسعد
وذاك زين العابدين الاشهر ... وزينب بنت الحسين تذكر
وقتله بكربلاء اشتهرا ... مضى شهيداً وبها قد قبرا
أمر يزيد وعبيد الله ... ابن زياد الخبيث اللاهي
قاتله سنان وابن سعد ... تعوضوا بنحسهم عن سعد
احدى وستون بها حل البلا ... بقتله مع شهداء كربلا
في عاشر المحرم المنحوس ... في يوم سبت ماخلا من بؤس
او يوم الاثنين وقيل الجمعة ... حل البلا به بتلك البقعة
وعمره سبع وخمسون سنه ... وبعدها مضى وحل مدفنه
عشر سنين اختص بالامامه ... بعد اخيه إذ مضى أمامه
صلى عليه الله ثم سلما ... وزاده من فضله وكرما
والنص فيه جاء بالامامه ... كما اتى لمن مضى امامه
من ربه وجده والوالد ... ومن اخيه ويل كل جاحد
ومعجزاته نصوص منها ... سبح الحصاة قد رووه عنها
ذلت له الاسد وكم قد اخبرا ... بما يكون فجرى ما قد جرى
وفي اجابة الدعاء منه ... غرائب قد نقلوها عنه
وما جرى في قتله من عجب ... من البراهين ففكروا عجب
وعند نبش قبره كم ظهرا ... من معجز له عجيب بهرا
احيا له الاله ميتاً إذ دعا ... في خبر صح وعاه من وعى
ورأسه إذ سار يتلو الكهفا ... من فوق رمح اسفا والهفا
حدث رجلا فطار عقله ... وغاب حتى لا يراه اهله

حدث شخصاً ذا شباب وصبا فابيض شعره وصار أشيبا
أرى الورى اباه بعد موته مخاطباً لهم عقيب فوته
وابيض شعر امرأة وشابت فذهبت محاسن وغابت
ثم دعا فرجع الشباب من بعد اليها فتعجب واستبن
دعا لنخل يابس فاخضرا واكل الاصحاب منه ثمرا
وكم وكم من معجز رووه والحاضرون كلهم رأوه

فتشرفت والحمد لله بالزيارة ، ولاح لي من جنابه الشريف اشارة ، فانى قصدته لحال ، وما كل ما يعلم يقال وقرت عينى بزيارة الشهيد علي الاصغر بن مولانا الحسين الشهيد الاكبر وزيارة سيدي الشهيد العباس بن علي بن ابي طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ، وأما ضريح سيدي الحسين ، فبه جملة قناديل من الورق المرصع والعين ما يبهت العين ، ومن انواع الجواهر الثمينة ، ما يساوي خراج مدينة ، وأغلب ذلك من ملوك العجم وعلى رأسه الشريف قنديل من الذهب الاحمر ، يبلغ وزنه منين بل اكثر ، وقد عقدت عليه قبة رفيعة السماك متصلة بالافلاك ، وبناؤها عجيب ، صنعة حكيم لبيب .

وقد اقمت شهرين ، بمشهد مولاي الحسين ، بلدة من كل المكاره جنة ، كأنها من رياض الجنة ، نخيلها باسقات ، وماؤها عذب زلال من شط الفرات وأقمارها مبدرة ، وانوارها مسفرة ، ووجوه قطانها ضاحكة مستبشرة ، وقصورها كغرف من الجنان مصنوعة ، فيها سرر مرفوعة ، واكواب موضوعة وفواكهها مختلفة الالوان ، واطيارها تسبح الرحمن على الاغصان ، وبساتينها مشرقة بانوار الورود والزهور ، وعرف ترابها كالمسك ولونه كالكافور ، واهلها كرام اماثل ، ليس لهم في عصرهم مماثل ، لم تلق فيهم غير عزيز جليل ، ورئيس صاحب خلق وخلق جميل ، وعالم فاضل ، وماجد عادل ، يحبون الغريب ويصلونه من برهم ، ويرهم باوفر نصيب ، ولا تلتفت إلى قول ابن اياس في نشق الازهار ، بأنهم من البخلاء

الاشرار ، فلله خرق العادة ، فانهم فوق ما اصف وزيادة :

هينون لينون ايسار ذوو كرم سواس مكرمة ابناء ايسار
ان يسئلوا الحق يعطوه وان خبروا في الجهد ادرك منهم طيب اخبار
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا ولا يمارون ان ماروا باكثار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا ولا يعد ثنا خزى ولا عار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

واجتمعت بالرئيس المعظم ، والعظيم المفخم ، ذي الشرف الباذخ والفخر الوضاح ، مولانا السيد حسين الكليدار يعنى صاحب المفتاح ، وباخيه الشهم النجيب الكريم ، النبيل العظيم ، مولانا السيد مرتضى حماه الله تعالى من حوادث القضا ، وبالعالم العلامة ، الحبر النحرير الرحلة الفهامة ، ذي الوصف الجميل والذكر الحسن ، مولانا الفاضل الملا ابو الحسن فجمع بيني وبين الامير المظفر ، الشجاع الغضنفر ، البحر الغطمطم ، الاسد الغشمشم بحر الاحسان ومعدن الكرم ، الامير حسين اوغلي بيك ايشك اغاسي باشى حرم ، سلطان العجم ، وكان قد استأذن من السلطان في ذلك المام ان يسير إلى العراق لزيارة الأئمة أعلام الهدى ومصابيح الظلام ، وهذا الامير من أكابر امراء أصفهان ، وهذا الخطاب الذي هو خطاب لرئيس الحجاب على ابواب حريم السلطان ، فأشار علي ذلك الامير المنصور المعان بالمسير صحبته إلى دار السلطنة اصفهان ، لكي يجمعني بالشاه حسين السلطان ، امنه الله من طوارق الحدثان :

إذا أذن الله في حاجة أتاك النجاح على رسله
وقرب ما كان مستبعداً ورد الغريب إلى اهله

فأعزني واكرمني غاية الكرامة ، ومشيت صحبته إلى ديار العجم بالسلامة ، احسن الله مبدأه وختامه ، ونلت كل خير من دولة هذا الامير الرئيس ، ورزقت بصيته صيتاً بذلك المكان ، وقدراً عزيزاً تفيس وملأت صندوق من عطاياه الجسيمة

والكيس ، لكني لم اقم لتلك النعمة باداء بعض الشكر ، فلهذا خلعت من ملك النعيم واعتضت عن حلاوة الاقبال ، مرار تقلب الاحوال بالبؤس والضر :

رزقت ملكا فلم احسن سياسته ... وكل من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا ... شكر عليه فعنه الله ينزعه

﴿ فائدة ﴾

قال الصولي: الناس يرون كل سادس يقوم بامر الدين منذ اول الاسلام لابد ان يخلع النبي ﷺ وابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن خلع ، ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير خلع .

ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد بن يزيد خلع ثم اتى الله بالدولة العباسية فكان السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والامين فخلع ثم قتل ، ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع ، ثم المعتز بالله والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر ، فخلع في فتنة ابن المعتز ، ثم رد ، إلى هنا قول الصولي .

وقال صاحب رأس مال النديم : ثم القاهر والراضي والمقتفي والمستكفي والمطيع والطائع فخلع ، إلى هنا قول صاحب رأس مال النديم .

وقال الصفدي في شرح لامية العجم ، ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع ، ثم المقتفي والمستنجد والمستضيء والناصر والظاهر والمستنصر بالله ، قيل انه مات مسموماً ، وكان الذي سمه خلعه والمستعصم فخلع وقتل ايام هلاكو لما فتحت بغداد .

وكذلك العبيديون وهم الذين يسمون بالفاطميين اول من ملك بالمغرب المهدي عبيد الله والقائم بامر الله والمنصور صاحب افريقية ، والمعز بانى القاهرة ، والعزيز والحاكم فقتلته اخته ، ثم ولت ابنه الظاهر ، والمستنصر والمستعلي والآمر والحافظ

والظافر فخلع ، وقتل وولي ابنه الفائز والعاضد ، وهذا كان آخرهم .

وكذلك بنو ايوب في ملك مصر اولهم صلاح الدين وولده العزيز واخوه الافضل بن صلاح الدين والعادل الكبير اخو صلاح الدين والكامل ولده والعادل الصغير فخلع ، قبض عليه امراء دولته واحضروا أخاه الصالح نجم الدين ايوب .

وكذلك دولة الاتراك اولهم المعز وابنه المنصور ، والمظفر والظاهر وابنه السعيد واخوه سلامش فخلع ، وملك السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون وخرج عليه سنقر الاشقر بدمشق ، ثم فر إلى حصن صهيون ، ثم ملك الاشرف خليل بن قلاون ، ثم اخوه الناصر محمد ، وتوجه إلى الكرك فولى كتبغا ، ثم تولى حسام الدين لاجين فخلع وقتل ، ثم طلب الناصر ، ثم رحل إلى الكرك فتولى الجاشنكير بيبرس المظفر ، ثم عاد الناصر ومات ، فملك المنصور ابو بكر وبعد الاشرف كجك ، ثم الناصر احمد فخلع وقتل ، ثم ولي الصالح اسماعيل ، ثم الكامل شعبان ، ثم المظفر حاجي ، ثم الناصر حسن ، ثم الصالح صالح ، ثم اعيد الناصر حسن وخلع ، انتهى .

﴿ فائدة ﴾

أصحاب العاهات من الملوك الاسكندر كان أحنف أنو شروان كان أعور يزدجرد كان أعرج جذيمة الوضاح كان أبرص النعمان بن المنذر كان أحمر العينين والشمر عبد الملك بن مروان كان ابخر يزيد بن عبد الملك كان أفقم هشام بن عبد الملك كان احول مروان الحمار كان اشقر أزرق عبد الله بن الزبير كان كوسج الهادى شفته العليا فيها تقلص كان أبوه المهدي قد رتب معه خادماً يلازمه متى غفل وفتح فاه قال له موسى اطبق ، ابراهيم بن المهدي كان اسود سميناً يلقب بالتنين .

﴿ فائدة ﴾

جبار بني العباس هو هارون الرشيد لانه اغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفاً وأخذ منهم خمسة آلاف دابة بسروجها الفضة ولجمها واغزى علي بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم أربعين ألفا وغزا هو بنفسه الروم فافتتح هرقلة واخذ الجزية من ملك الروم ، لبعضهم :

تملكت يا مهجتي مهجتي واسهرت يا ناظري ناظري
أيا غائبا حاضرا في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر

﴿ فائدة ﴾

لم يتقلد الخلافة هاشمي ابن هاشمية غير الحسن بن علي بن أبي طالب ومحمد الامين بن زبيدة ولم يل الخلافة من اسمه جعفر إلا المتوكل والمقتدر وقتلا جميعا المتوكل ليلة الاربعاء والمقتدر يوم الاربعاء .

﴿ فائدة ﴾

خليفة سلم عليه عمه وعم أبيه وعم جده هو هارون الرشيد سلم عليه سليمان بن المنصور والعباس بن محمد هو عم أبيه المهدى وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس هو عم جده المنصور .

﴿ فائدة ﴾

خليفة سلم عليه سبعة كلهم ابن خليفة هو المتوكل سلم عليه محمد بن الواثق وأحمد بن المعتصم ، وسليمان بن المأمون ، وعبد الله بن محمد الامين ، وأبواحمد بن الرشيد ، والعباس بن موسى ، ومنصور بن المهدى .

﴿ فائدة ﴾

أعرق الناس في الخلافة هو المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور .

﴿ فائدة ﴾

اعرق الناس في الوزارة هـو ابو علي الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب كان ابوه على وزر للمقتدر وابوه القاسم وزر للمعتضد وسليمان وزر للمهتدي وبعده للمعتمد واخو ابى على ابو جعفر وزر للقاهر .

﴿ فائدة ﴾

اربعة من اهل البصرة لم يمت كل منهم حتى راى من ولده وولد ولده مائة انسان وهم انس بن مالك الانصاري ابو بكرة مولى رسول الله ﷺ عبد الرحمن ابن عمير الليثى خليفة بن بوا السعدى .

﴿ فائدة ﴾

فتاك العرب اربعة عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله قاتل علي بن ابي طالب شمر بن ذى الجوشن لعنه الله تعالى قاتل الحسين بن علي بن ابى طالب عمير بن جرموز قاتل الزبير بن العوام ابو لؤلؤة فيروز قاتل عمر بن الخطاب .

﴿ فائدة ﴾

لو لم يكن من فوائده علم التاريخ إلا واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي لكفى ذلك وهوان بعض اليهود اظهر كتابا ادعى انه كتاب رسول الله ﷺ باسقاط الجزية عن اهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم علي بن ابي طالب عليه السلام وحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء فعرضه على الحافظ ابى بكر خطيب بغداد

فتأمله وقال هذا مزور قيل له من اين لك هذا ؟ قال فيه شهادة معاوية وهو اسلم عام الفتح وفتوح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين فالزم اليهودي وحجه .

العلم نور وسراج مقتبس صاحبه مؤيد حيث جلس

من فاته العلم تضنى وخنس شتان ما بين حمار وفرس

من كتاب بحر الفوائد قيل ان عدد الجبال التي في الدنيا ، سوى جبل قاف ستة آلاف الف جبل وستمائة وثلاث وسبعون جبلا سوى التلول .

﴿ ترجمة عمي تاج الفضل الاخر ، ومصباح العلم الازهر ﴾

السيد محمد بن علي بن حيدر

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قاموس العلوم الزاخر ، يلفظ الى ساحله الجوهر الثمين الفاخر ، وشمامة اهل الحجاز حقيقة لامجاز ، فاضل باحاديث فضله تضرب الامثال ، ومجتهد رحلة الى بابه تشد الرحال ، وبليغ تفرد بالبلاغة ، واديب المعي صاغ النظم والنثر احسن صياغه ، حاز العلوم والشرف الباهر ، وورث الفخار كابرا عن كابر ، له التصانيف العديده ، المشهورة المفيده ، منها برهان الحق المبين في مجلدين ، الحسام المطبوع في المعقول والمسموع في علم الكلام وهو مجلد ضخم ، تنبيه وسن العين في المفاخرة بين بني السبطين ، رجل الطاوس اذا تبختر القاموس حاشية عليه مفيدة ، كنز فرائد الابيات للتمثل والمحاضرات وهو مجلد ضخم خـــدم به الشريف احمد بن سعيد بن شبر ، الثقوب السنيه في الفهوم الحسنية وهو مجلد ضخم جليل المقدار خدم به الشريف ناصر الحارث ، نجح اسباب الادب المبارك في فتح قرب المولى شبير بن مبارك خدمه به العباثر المزجيه في تركيب الخزرجيه ، مذاكرة ذوى الراحة والعنا في

المفاخرة بين الفقر والغنى كان رحمه الله تعالى بمكة المشرفة كا لبيت العتيق ، يقصده الطلاب من كل فج عميق ، وما زال مقيما بها في أسمى ذروة الشرف والفضل والجاه ، الى أن دعاه الى قربه ملك الملوك فأجابه ولباه ، وكانت وفاته يوم الاثنين ثانى ذى الحجة الحرام ، عام تسع وثلاثين بعد الالف والمائة من هجرة خير الانام ، رحمه الرحمن الرحيم وأسكنه فراديس النعيم ، وله ديوان شعر عجيب يهش لسماعه الاديب ، فمن نظمه الرقيق المسبوك وكلامه الذي هو كلام الملوك قوله متغزلا :

لولا محياك الجميل المصون ... مابت تجري من عيوني عيون
ولا عرفت السقم لولا الهوى ... ولا تباريح الاسى والشجون
كم وقفة لي في طلول الحمى ... روى ثراها صوب دمعي الهتون
ياربع خبر لا جفاك الحيا ... ولهان لايعرف غمض الجفون
هل كنت مغنى للغزال الذي ... اليه اصبو والتصابى فنون
وأشرقت فيك شموس الضحى ... ورنحت فوق رباها الغصون
من كل غيداء اذا أسفرت ... جلا محياها سجوف الدجون
صوارم الالحاظ ان جردت ... أثارت الحرب بكسر الجفون
وعامل القامة مهما انثنى ... نحوك لا تستطيع صرف المنون
والمقلة السوداء مهما رنت ... علمت الصب فنون الجنون
منيعة الحجب قتيل اللقا ... منها بعيد عن مرامي الظنون
عزيزة تحمى حمى خدرها ... أسود غيل فوق قب البطون
حسبك لوما يا عذولي اتئد ... انى لعهدى في الهوى لا اخون
لا تطلب السلوان من وامق ... فذاك امر ابدا لا يكون
دع السكارى بكؤس الهوى ... يا صاح في سكرتهم يعمهون
يا ويح عذالي اما شاهدوا ... طلعة من اهواه بل هم عمون
فحسبهم بالنون من حاجب ... عما يقولون وما يسطرون

أما ووجدي يا أهيل اللوى وعهدى الوافى وسرى المصون
وما لكم من منزل عامر با لقلب لاسفح طوى والحجون
لقد أطعت الحب في حكمه عدلا وجوراً في جميع الشؤن
بذلت فيه الروح بذل امرىء لديه صعب الحتف فيهم يهون

وقوله مؤرخا ولادة الشريف بركات بن شبير ، رحمهما اللطيف الخبير :

أطلع السعد بأفق المجد نجما فجلا حكما أفاد العقل علما
دل ان شمنا هلالا مسفرا ان سيبدو بالسنا بدرا متما
منح الله شبيرا ذا العـــلا وافدا بالبشر والافراح عما
خير نجل سر في مولده بركات قارنته اسما ورسما
ماجد يحوي فخارا طارفا وتليدا وأبا يسمو وعما
ينشر المدح على اعطافه حللا موشية نثرا ونظما
دام في ظل أبيه سيدا سنداً لا يختشى راجيه هضما
وحباه الله في أخلاقه فوق ما نأمله جوداً وحلما
وتلاه أوفر الاعداد من اخوة تبنى بيوت المجد حتما
فهو المسعود جدا اذ غدا ينتمي للفضل جدا حين ينما
سعد الطالع في ميلاده فأرانا منه في التاريخ حكما
أول الاقبال في تاريخه بركات اسمه نفس المسمى

وقوله مؤرخا ولادة السيد الشريف مبارك بن بشير بن مبارك بن فضل بن مسعود ابن الشريف حسن ، لازال في عز وثناء جميل حسن :

وافت تباشير التهاني تشير ان بشير السعد وافي بشير
هو الهمام الماجد المرتقى بفخره الباذخ أوج الأثير
انسان عين المجد بل عينه فكل وصف عن علاه قصير
مولاي يامن محض ودي له كالمنهل العذب الزلال النمير

ومن اذا يوما دجا حادث فانه حصن به أستجير
وافاك والاقدار قد أسعفت في طالع السعد القوي المنير
نجل سعيد الحظ ميمونه من منح الرب اللطيف الكبير
مبارك الغرة مسعودها قدومه عنوان خير خطير
فاسمه الموروث من جده بجده المسعود أضحى جدير
لذاك قد صحت له نسبة بطالع الميلاد عند الخبير
قرت به عين أبيه ولا زال به طرف المعالي قرير
هذا وفي تاريخ ميلاده قال أتى بالحكم طبق الضمير
خذ غاية السؤل لتاريخه مبارك للسعد وافي بشر

وقوله مؤرخا ولاية صاحب المجد والسعد ، شريف مكة المشرفة سعيد بن سعد ، المستمرة الى سنة ١١٣٨ وكانت في سنة ١١٢٤ ووقع هذا التاريخ عنده اجل موقع وهو :

طوالع السعد قالت والدهر واف ومحسن
بيتا نأى عنه كيد فجاء تاريخ متقن
بشر سعيد بن سعد بملك زيد بن محسن

اقول : لا يخفى ما في التاريخ من اللطافة وانما زاد اربعا وثلاثين فاستثناها بقوله بيتا نأى عنه كيد وهو لفظ كيد بمفرده وهو اربع وثلاثون وهذا النوع من التاريخ يسمى التاريخ المستثنى .

قال العلامة السيد محمد كبريت المدني في كتابه نصر من الله وفتح قريب ومنه اي من التاريخ المستثنى ، ومثله للشيخ جمال الدين العصامي تاريخ وصول قاضي مكة المشرفة قاضينا حسن بلا كلام اى باسقاط عدد حروف كلام وهو في غاية الحسن مع التورية اللطيفة وما احلى قول بليغ الزمان ، الشيخ احمد بن علان ، الآتي ذكر ترجمته ان شاء عالم السر والاعلان ، مؤرخا من قصيدة كتبها بارض

الطائف في طراز ايوان الشريف ذى المكارم ، السيد احمد جازم ، وهو :

باسم مولاى قد كملت فأرخ انا مثوى الامان والافراح

اي بتكملة عدد حروف احمد وفيه تورية لطيفة .

(عود على بدء) وقوله مادحا السيد الشريف الماجد المدل مولانا السيد شبير بن مبارك بن فضل ومعارضا الشاعر اليمن ابراهيم بن صالح المعروف بالمهتدي وغيره من الفضلاء في تضمين بيتين لطيفين للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي وهما :

حمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعى

اناتقا سمنا الغضا فغصونه فى راحتيك وجمره في أضلعى

قال رحمه الرحيم المتعال :

نشر النسيم شذى الربى من لعلع فشظا فأكناف الحجون المرع

مستودعا من عرب ذياك الحمى سر الهوى وحديث تلك الاربع

وافى سحيرا والرفاق بهجعة متطلبا بين المضاجع مضجعى

فكأنما هو عالم لما سرى ان المتيم طرفه لم يهجع

ذكر العهود ولم يذكر ناسيا فأثار كامن لوعتي من اضلعى

فأمد قلبي في حبائل غيه وامدها بحبائل من ادمعى

فتزايدت حرقى فهب من الكرى صحبي انبعاثا عن جنان مروع

وانى عذولي للملام مرددا ذكر الاحبة والديار البلقع

فأصخت سمعى للعذول وما درى ذاك الجهول لمن اصاخة مسمعى

ولطالما قد قلت معتذرا له مهلا فانى لارى قلبي معى

حتى اذا صدحت على ايك الحمى ورقاء ذات توجع وتولع

صدعت وقد صدحت بسرى في الهوى ووعت حديثي والعواذل لاتعي

وتنوح نوحي غير انى باذل للدمع وهي ضنينة بالأدمع

ابثثتها سري وقلت مؤملا منها مقاسمة الحنين الموجع

أحمامة الوادى بشرقى الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعى
انا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعى
حاشاك من انى أقول معاتبا ورقاء ذات تعزز وتمنع
توحي جوى اوفاسجعى طرباعلى فنن الربى غب السحاب الهمع
اولست في روض حكت ازهاره اخلاق مولانا الهمام الاروع
اعني شبيرا من تسامى مجده مترفعا فوق الاثير الارفع
هو منجدي يوم الخطوب ومسعدي عند الكروب وناصري في المجمع
وهو الذي استصفى لباب مودتى متملكاً رقى بغير تصنع
ابقى لنا البارى شريف وجوده متمتعاً في كل خير ممتع
ما غنت الورقاء في فنن وما جادت غوادي المزن ربوة لعلع

اقول اول من ابتكر هذا في الاسلام علي بن المتوكل الامام فقال :

صب يكاد يذوب من حر الجوى لولا انهمال جفونه بالأدمع
واذا تنفست الصبا ذكر الصبا وليالياً مرت بذات الاجرع
آه على ذاك الزمان وطيبه حيث الغضا وطني ومن اهوى معى
مازال ومض البرق يذكى لوعتي ويهيج تذكاري بذاك المربع
واذا تغنت في الغصون حمامة هاجت بلابل قلب صب مولع
سجعت على غصن ولم تذق الهوى مثلي ولم تدر الغرام ولم تعى
احمامة الوادي بشرقى الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعى

واقترح موازنتها على من يجالسه ، فقال الاديب السراج عمر بن محمد الوزير مضمنا ومادحا له :

ذكر الحمى وحلول وادي لعلع صب ففاضت مقلتاه بأدمع
ومعاهدا مرت فبالله ما احلى واملحها فهل من مرجع

اسفى لفقدهم فيا ليت النوى قعدت وحادي عيسهم لم يزمع
ادت وقد أبدت سرائر طيبها ازكى سلام في الضمير مودع
وتألق البرق اللموع بذي الغضا اجرى العقيق بسفح تلك الاربع
مازال يوضح في اشارة ومضه رمز النسيم لكل صب المعى
وبديعة التطويق في قمص من النسرين والسوسان ذات تنوع
ورقاء قد صدحت على فنن اللوى ولها ترنم ضارع متضرع
قرأت من الاوراق فوق غصونها سطرا بتأدية الفصيح المسمع
وترنمت اذ اعربت الحانها صوتا يروق السمع غير مقطع
صدحت وصرح شجوها عن لوعة حرا كلوعة قلبي المتصدع
ناحت هوى للالف نوح صبابة وجوى وما فجعت بيوم تودع
لما شدت عند الاصيل ترنما قاسمتها وجدي وقلت لها اسجعي
ولطوقها الذهبي في تلوينه معنى يناجيها بلفظ مبدع
احمامة الوادي بشرقي الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعي
شببت ياورقا ومالك مهجة شبت شرارتها باسجم اسفع
لو رمت من قفص الاسار تخلصا بثنا على فهو بدر المطلع

وتابعه احمد بن عبد الله الزوم فقال مضمنا ومادحا ابن الامام المذكور :

حسبت خضابي انه من ابدع كخضابها ورقاء دعوى مدعي
قاسمتها صدق اليمين بانها مخضوبة بيسار فضلة ادمعي
فأبت على حمل الهوى فبثثتها بثاً وفي التفصيل أية مقنع
فثنت عناني نحو سود ليالي بيض الايادي خضر عيش ممرع
مرت بما قد كان يحلو جيدها وفمي ومنظرها البديع ومسمعي
وأعرتها ثوب الشبيبة اسودا أتعود عارية بغير مودع

تلك الليالي التي قد حجبت ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
بأغن مكحول الجفون غنيجها ... في جيده جيد يصول باتلع
وبخده نار تحف بجنة ... ضدان قد جمعا لمعنى مبدع
يجري على قسماته ماء الحيا ... مجرى الصبابة في الطباع الاربع
وبلحظه سحر القلوب ولفظه ... فتجمعت والسحر غير مجمع
اودعت قلبي خاله فاختاله ... خال تعجم فوق شمس المطلع
وتحمل الانسان شرخ شبيبتي ... والظلم في الانسان غير تطبع
فظليلة الافياء صافية الردا ... مسكية الاردان لميا المشرع
نسج الصبا نشر الخزاما حلة ... فيها وكلل تاجها بعقنع
لطفت نضارتها وعز نظيرها ... وطفت غضارتها خباء مشعشع
عكفت عليها الطير إذ داودها ... منها بلابل صادح متوجع
القت مقاليد الغنا في وكره ... ولشجوه عطف الربيع المربع
رام الحمام بأن يدير بكاسه ... فأداره في غلة لم تنقع
وبلابل الاشواق يسفع حرها ... مع برد ريا سجعها المتنوع
هدرت على ورق الحمى بشقاشق ... حنقاً تناديها ألا لاتسجعي
أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه ... في راحتيك وجمره في اضلعي
فاستنطقي شجوي إذا هفت الصبا ... وتمنطقي بالسقم يا ورقاتمي
واستمطري الشعرى فنار صبابتي ... مهما غلا قيظ الجوانح تسطع
وتلطفي لحيا بنان ابي الرضى ... فندى علي واكف لم ينشع

وما اجلى قول ابراهيم المهتدي :

أنسيت مرتعنا بذات الأجرع ... ومنازلا بالرقتين ولعلع
ما انس لا انس المذيب وجيرة ... يردون منه غير ازرق مترع

هيهات ما انسان عيني للحمى ناس فيعتاض الكرى عن ادمعي
ولجذوة التذكار من نفس الصبا لفح ينفح نسمة المتضوع
صحبت شذى هندو لو سحبت على حرى لأحرقني زفير توجعي
قد خصها رب العباد بعقلة حقاً لها ان تدعي ما تدعي
لاشك عندي انها حورية فجمالها وخصالها شهدا معي
البدر عند طلوعه يحكي لوا ئح وجهها يا صاحبي فاسمع وعي
هجرت فأضنت جسم من لعب الهوى بفؤاده واقام بين الاضلع
ناشدتها هلا وصال بعد ذا لمتيم قلق الفؤاد مروع
قالت بعيد ما تروم لانني قصدي اعلمك الهوى يا مدعي
لله اشكو فعلها بتلطف شكوى الحزين بكل نوع موجع
سقياً لماضى أنسنا في روضة بين الزهور وصوت عود المسمع
وغصونها قد اينعت وورودها وحلولنا فى جوفها بتمتع
وحمامة برخيم صوت اعربت فوق الغصون برقة وتسجع
ناديتها والقلب منى هائم بتذلل وترحم وتخشع
احمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
إنا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعي

وما ابدع قوله منها في المديح :

وإذا تكردست الصلادم في الوغا فالدار عين وسحبها لم تقلع

وما ابرع قوله ، منهـا :

وافاك كالريبال يزأر تحتـه جبل يحوم على الرياح الاربع

وقال الاديب سليم بن محمد علي الوزير :

الصب أضحى من جفاكم لا يعي وفؤاده قد ضاع حول المربع
والدمع يذرف والعيون تعينـه والخد يشكو حر ذاك المدمـع

هل سامع ما قبله ومبلغ عنى غزيلات بذات الاجرع
فيهن خود قدها قد زانها ولواحظ مثل السيوف اللمع
وحمامة صدحت على غصن النقا فمنحتها سحراً اصاخة مسمعي
لم تدر أني حلف وجد لم ازل أصبو بسكان اللوي والاجرع
ناديتها مهلا نداء متيم قبلي بفرط تخضع وتوجع
أحمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
إنا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعي
وارعى عهود اخي وداد مخلص بالارفع ابن الارفع ابن الارفع

ويعجبني قول الاديب ابي بكر بن محمد الوزير :

هذي منازلهم بذات الاجرع فاسفح بها ان شئت دمعك ادوع
واترك مقالة جاهل شأن الهوى ان البكاء لعاشق لم ينفع
كم عبرة كانت شفاء متيم نقعت صدى منه بقلب موجع

يريد قول امرىء القيس الكندي :

وان شفائي دمعة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

* * *

يا جيرة كانوا فبانوا وانقضى عصر الشباب بهم ولما يرجع
هل عائد ماضي هوى قضيته فيكم وظل شبيبتي لم يقشع
هيهات يا هذا لقد حال النوى دون المرام فسل نفسك ان تعي
اودع لذيذ العيش لا تحفل به واشرب كذا سقياً صبيب الادمع
لهفي على زمن وصلتكم به لم اخش مرتقباً ولم اتروع
لم ارض منكم هجر يوم واحد حتى رضيت الآن هجر الابع
ذكر الحمى فهمت عليه ادمعي والمنحنى فحنت عليه اضلعي
وديار نعمان الاراك وحاجر حيث المعاهد سقيت من اربع

دار بها البيت العتيق وزمزم ومقام ابراهيم اشرف موضع
وطن بها وطني ومن احببته فاذكر محاسنها وشنف مسمعي
سقياً لايام مضت ما كان احلاها فوا أسفاه ان لم ترجع
ايام لا صرف الزمان تروعني منه الخطوب إذا رمت بالشيدع
فلقد اثار كمين وجدي بعدهم ترجيع ساجعة بقلب موجع
حصداء اطربت الفؤاد وما درت عما به من هجر أهل الاجرع
ناحت فأذكت في الحشاء لهيبه ورسيس حب في الفؤاد مودع
فاجبتها مستأنساً ومضمنا قول الاديب الالمعي اللوذعي
أحمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعي

وما ألطف قول الاديب عبد الرحمن بن علي الوزير الآتي ذكر ترجمته ان شاء الملك الكبير:

هبت صبا وادي اللوى والاجرع فصبا اليها قلب صب مولع
وتواجد الاخوان من طيب الشذى طرباً إلى سكان ذاك المربع
وبدا لهم من بعد ذلك بارق بالابرقين ونحو وادي لعلع
فتحيروا في شأنهم ومسيرهم وتشتتوا في كل ارض بلقع
الا انا ما زلت من خمر الهوى نشوان وجداً لا افيق ولا اعي
يا جيرة رحلوا وخلوني لقى ابكيهم بصبابة وتوجع
ابكي على زمن مضى في قربهم ما بين معتم وبين مقنع
حيث الشباب وريقة اغصانه والدهر طوع يدي ومن اهوى معي
افديه من رشأ تجني تائها فأفاض من ذاك التمنع ادمعي
ولرب ساجعة باغصان الغضا سجعت فزاد تلهفي وتولعي
تبكي وتندب الفها بترنم وتقول اقلقها الغرام وتدعي
ناديتها ومدامعي تجري على خدي نداء اخي غرام مبدع

أحمامة الوادي بشرق الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه في راحتيك وجمره في اضلعي

وما أحسن قول الاديب محمد بن قاسم البحسائي مضمناً ومصدراً ومعجزاً :

لله نوح حمامة ابصرتها والقلب مني في اسى وتولع
في ساحة الوادي بشرق الغضا تبكي وتندب من شجى بتفجع
قبضت على اغصانه قبضى على جيد الحبيب غداة يوم تود ع
حاكت لنوحي في البكاء لو انها ذرفت دموعا في الربوع كادمعي
هب انها جادت بدمع احمر مثل العقيق عليه بين الاربع
من اين للورقا الحمامة مهجة تصلى الجوى او مقلة لم تهجع
ناديتها لما تزايد لوعتي ويدي على كبدي الحريق الموجع
وبأختها الاخرى اكفكف ادمعاً سقت البقاع من المكان البلقع
احمامة الوادي بشرق الغضا هيجت احزان الكئيب المولع
أ لسعدة هذا البكا ام من اسى ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه قسم لديك وجمره قسم معي
فغدا الغضا ما بيننا اغصانه في راحتيك وجمره في اضلعي

ولما رأيت هذه التضامين الفريدة ، والعقود النضيدة ، وشاهدت فرسان الأدب قد ركضوا وجالوا في هذا الميدان ، وسحبوا ذيول فصاحتهم وبلاغتهم على سحبان ، احببت ان اجول معهم بالمجال ، ولو بالمحال ، فقلت مضمناً على منوالهم ، مستهديا بنور كمالهم :

شوقي لسكان الغضا وتولعي لا ينقضي وصبابتي وتوجعي
لي فيهم بدر تملك مهجتي أفديه من بدر عزيز المطلع
يا حسنه لما بدا بجماله يختال تيهاً لا بساً للمقنع
بدر تغار لحسنه شمس الضحى لو لا مخافة ربها لم تطلع

حاز الملاحة واللطافة والعفا فـة والبها حقاً برغم المدعى
ما مثل بدري في البدور مشابه حاوي الحلى خلقاً بغير تصنع
اقسمت لا اسلو هواه ولم احل عن حبـه ابداً ليوم المرجع
يا طيب ايام مضت لي بالحمى مع من احب بعيشنا هل ترجعى
في مجلس حف السرور به وقـد غابت حواسدنا ومن اهوى معي
كم قـد تشاكينا الغرام وكم تناشدنا الحديث بعفـــة في المجمع
والوقت مسعفنا وعين الدهر نائمـة وآذان العواذل لا تعي
وأنا ومن اهوى على فرش الغفاف بنعمة في طيب عيش ممتع
غدر الزمان فجاءنا بتباعد وتفرق من بعد حسن تجمع
فركبت إذ ذاك البحار ولم يكن في خاطري ان الزمان مروعي
وقصدت طيبة زائراً خير الورى وشفيع كل الخلق يوم المفزع
فانالنى رب العباد مطالبي بزيارة المختار بدر المطلع
وقصدت مكة كى افوز بحجـة وزيارة البيت العتيق الارفع
فبلغت ما ارجو واسأله يمن بعودة فضلا لذاك المربع
وأقمت منتظراً عوائد بره وعطائه فهو الكريم إذا دعي
بينا انا يوما بظل اراكة ياصاح من نحو الحجون الممرع
اتذكر الاحباب سكان الغضا والقلب لاسكان ربوة لعلع
وانوح من فرط الغرام وتارة ابكي احبابى بدمع همع
إلا ونحوي قـد رأيت حمامـة تبكى على الف لها بتوجع
من علم الورقاء اني مغرم بالبدر حتى اقبلت تبكي معى
والفرق بيني في البكاء وبينها متباين ياصاحبي فاسمع وعي
فالدمع منى اربعون واربع يجري وتلك عيونها لم تدمـع
والقلب منى قد تقلى والنشوى فيحق لي ان ادعي ما ادعي

لكنها مذ ساعدتني بالبكا والنوح والاشواق نحو الاربع
ابثثتها شوقي وسري في الهوى واجبتها نظم البليغ اليامعي
احمامة الوادي بشرقي الغضا ان كنت مسعدة الحزين فرجعي
انا تقاسمنا الغضا فغصونه لي راحتيك وجمره في اضلعي

﴿ مقامة لعم المؤلف ﴾

رجع إلى ترجمة عمي قدس الله روحه الطاهرة ، ونفعنا بعلومه في الدنيا والآخرة ، وأما في الانشاء الفريد العجيب ، فما الحريري لديه وما ابن حبيب ، فمن انشائه هذه المقامة ، بوأه الله دار المقامة ، وأعلى بها مقامه ، فانها لفضله وبلاغته علامه ، وسماها مذاكرة ذوي الراحة والعنا ، في المفاخرة بين الفقر والغنى وهي عزيزة الوجود ، فريدة الموجود .

قال رحمه الله تعالى ، وأفاض وابل غفرانه عليه ووالى : الحمد لله الحكيم القادر على الاطلاق ، الباسط المقدر للارزاق ، الذي جعل الفقر والغنى آيتين من أبدع آياته ، وغايتين في الحكم من أبعد غاياته ، يتفكر فيهما ذو الفطنة والاعتبار ، فيتلو ربنا ما خلقت هذا باطلا ويجرى اليهما العبد على جياد الاقدار حالياً بزينة العقلاء وعاطلا ، فيسعد من يرشد للتسليم ، ايماناً وتصديقاً ويبعد من ينشد وهو المليم :

هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

والصلاة والسلام على نبيه المبعوث بالاسلام ، محمد الهادي للخلائق ، إلى أقوام الطرائق ، واكرم الخلائق ، صلى الله وسلم عليه ، وآله وصحبه الاغنياء بالله والفقراء اليه ، وبعد : فقد وقفت على مقامة انشأها بعض المتأخرين من الافاضل الاعاظم ، ووشاها بدرر الفوائد هدية لكل ناثر وناظم ، ابتدعها على لسان الغنى والفقر كالمفاخر بينهما والمفاضل ، واودعها من الحجج التي يفلج بمثلها المناظر

والمناضل ، قد بها في العلوم باعه الاطول ، وأمد الفهوم بمصداق كم ترك الاول ، قاصداً بذلك رياضة العقول ، في رياض المقول ، وتبريض اللسان ، بوقائع شآبيب البيان ، وتعريض الاحسان ، للقانع بالاثر عن العيان ، فأيد فيها الفقر على الغنى وشيد له في الفخر على البنا ، وجعله سابق الحلبة مجلياً ، واتلاه بالغنى بعد لأي مصلياً ، حتى أقر بالتقديم تسليما واخلص لوداده بعد التندم على عناده قلباً سليما وان كان الفقر عند ابناء الدنا ، ملياً بالحساب العنا ، خلياً عن اسباب الغنى ، حفياً في اقتضاب المنى ، كفيا في سد ابواب الهنا ، وبينه وبين النفوس ، ما بين تغلب وبكر غب غزاة البسوس ، وقد اوقع فيها من المكروه والمساءه ، ما لم يوقعه قيس ببني بدر يوم جفر الهباء ، وحطمها ولا تحطم الابل المخبله ، جيوش لقيط يوم جبله ، ووسمها بالعار الباقي على الزمان ، كما وسم به الوليد الربيع في مجلس النعمان ونفورها عنه ولا نفور الغادة الفتية من مقاربة الشبب ، والشنشنة الاخزمية من مقارنة العيب ، وبعدها عنه بعد العزم اليقينية عن شبهات الريب ، والكنائف الجسمانية ، عن ادراك محجبات الغيب ، هذا وعقال العقول ، في تقييد صعاب النفوس محلول ، وحسام الفكر المصقول ، عن قطع اعصاب الاهواء مغلول والناس اكيس من ان يمدحوا انسان ، ما لم يرو عنده اثر احسان ، فلا جرم كاد ان ينعقد الاجماع ، كما لا يخفى على ذي نظر وسماع ، على بغض الفقر وذمه ، وقصده بالصد وامه ، وتوتر الدعاء بالهبل والثكل على امه :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فكان ما اختاره رحمه الله من هذا الصنيع ، ممدوداً في فن المغايرة من البديع ، وفيه تسلية لنفس البائس الفقير ، وتقوية لقلب الآيس الحقير ، واعانة للمبتلي بهذا الداء العضال ، وابانة للغرض الداعي لنشط العقال ، لكن حقيقة الحال ان هذا الفاضل ، لما كان من كبار الاتقياء الزاهدين ، وخيار الصلحاء العابدين ، ومعلوم ان اكثرهم قد اختار التقشف الموصوف ، وشيد بناء الزهد المرصوف

وهجر انواع زخرف الدنيا وصنوفه ، حتى قطع مسافتها وما بل بحرها صوفه :

كانوا جمال زمانهم فتصدعوا فكأنما لبس الزمان الصوفا

فبنى رحمه الله على مقتضى طريقتهم ، وفضل الفقر اذ كان مرتضى حقيقتهم ، وهو الحق الذي لاريب فيه ، والانصاف الذي يرتضيه الاديب ويصطفيه ، ولا يعارض في مراد مفاده قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده ، فان من ذادنفسه عن حلول هذه الساحه ، وخشي ان يغرق عند تلاطم الامواج وان كان متقنا للسباحه ، لايلزمه ان يقول بالتحريم وعدم الاباحه :

واحزم الناس من لو مات من ظمأ لم يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

وأما أرباب العصمه : فهم البريئون من كل وصمه ، فانهم شاهدوا حظهم الاوفر الاسمى ، فلم يثبتوا لما دونه رسما ولا اسما ، وقصروا نظرهم على الخالد الباقي ، واتقوا ان تطأ أقدامهم الارض وهم في اعلى المراقي ، ومن ورد البحر استقل السواقي ، فلما تأملت تلك المقامه ، رأيت مبنى الافضلية على ان جعل الفقر أمهر في تحصيل العلوم والمعارف ، واكثر مقيلا في ظلها الوارف ، وأقدر على ابراز الصواب ، عند السؤال والجواب ، لا على اقامة الدليل والبرهان با لأفضلية ، وجعل السابق في هذا صاحب الاولوية ، على ان هذا الميدان هو مجر العوالى ومجرى السوابق وفيه تزدحم كتائب فرسان الحقائق ، وتلتحم مناكب النظارة من الخلائق ، اذا لناس لعدم خلوهم من احد الوصفين ، ينقسمون الى صنفين ، وينتظمون في صفين ، وكل يحتج لصاحبه بالصفات الواقعية المرضيه ، لا المجازية الفرضيه ، فاحببت أن اجول في هذا المجال ، ولو بالمحال ، وانسج على هذا المنوال ، على وهن القدرة وضعف الحال ، وقصور عامل الفضل على التسلط على هذه الحال اعترافا مني بالتقصير ، واسعافا بطلب المسامحة لباعي القصير :

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالى ركبت كل لهزم

فبنيت هذا المقصد على وضع غريب ، وترتيب يهش له الاديب الاريب ،

واسلوب يأخذه الطبع السليم عن قريب ، وجعلت المفاخرة بينهما على حقائق الأوصاف ، وذكرت مايقابل الطرفين بنهاية الانصاف ، ثم أنهيت المخاصمه ، الى التراضي بالمحاكمه ، فحكمت بينهما مناط التكليف ، ورباط الفضل الذي اختص به النوع الشريف ، فحكم حكما يقضي منه الفريقان مأربهم ، ويعلم كل اناس مشربهم ، وكل في فلك يسبحون ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، والحق واضح العذر والاحجال لقوم يعرفون ، وماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون ، حدث الغزل الرقيق ، عن المديح الانيق ، عن السؤال الجميل ، عن النوال الجزيل ، عن الخاطر المطاع ، عن كريم الطباع ، قال حضرت مجلسا من المجالس السريه ، التي لم تزل تعقد بحضرة النفوس البشريه ، وقد حضر وزيرها الفهم ، وحاجبها الحلم ، وقائدها وقاضيها العلم ، وخازنها الحفظ ومنشيها المكر وشاعرها الخيال ، ونديمها الوهم ، ومثلت للخدمة اعوانها المتظاهره ، وهي المدارك الخمس الظاهره ، وانتظمت في مراتبها سائر القوى ، وغاب بحمد الله عدوها الهوى ، واتفق ان حضر الغنى والفقر ، الضدان المتناقضان ، بل العدوان المتباغضان ، والجوادان المتعارضان ، بل القرنان المتناهضان ، الا ان النادي جمع بينهما ، وقرب على سبيل الاتفاق بينهما ، وخاض القوم في مجالح الحديث ، من سوالح القديم والحديث ، فأراد بعض من حضر ، طراد جياد البحث والنظر ، فتلطف بلطفه ، ولحظ الغنى بطرف طرفه ، وقال اني احفظ بيتين ، ورد الأول منهما على روايتين ، ينبني عليهما حكم واحكام ، اذا تقرر مفادهما باحكام .

ولو أني وليت أمير جيش لما قابلت الا بالسؤال
لان الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لأطراف العوالي

ثم قال : والرواية الأخرى ، يعرفها من هو باحراز شرفها أحرى .

قال كريم الطباع : الراوي لهذه الاسجاع ، فابتدر الغنى لجوابه ، وقد استخرج دقيق المعنى من جرابه ، فقال ان بعض من اسعده الجد بخدمتي ، وأيده

الجد بعزمتي ، وسدده المجد بهمتي ، انشده هذين البيتين بعض ندمائه ، وجلاهما كالنيرين في سمائه ، فتفطن ذلك الرئيس ، لمعنى فيهما نفيس ، وأعاد انشادهما في الحال ، ووضع النوال موضع السؤال فاظهر شمائل همته العليه في دلائل عبارته الجليه وسدد سهم الاصابة بساعد الكرم فكنت قوسه ووتره ، ورمى مقاتل الفقر وماظلم فادواه ووتره ، وألبس البيتين حلي الملوك ، بعد ان كانا في اسمال الصعلوك ، حتى أشرق معناهما بالضياء المستفاد من شمسي ، واغدق مغناهما بالانواء الهاطلة من صنائع يومي وامسي ، قال ثم تنبه الى ان هذا الكلام ، من بليغ الكلام ، وانه بغى والبغى مرتعه وخيم ، واظهر دعوى الفضل وفوق كل ذى علم عليم ، فكف من غربه ، ورجع عن شرقه وغربه ، واسترجع وسكت واطرق الى الارض ونكت ، لكنه قال في اثناء ذلك ، ماارابي اضللت المسالك ، وانى ماقلت وان فاخرت وطلت لعنان الحق مالك ، وليس بملوم من نطق بالحق وصدع ، وان شق قلب المعاند وصدع ، والحق احق ان يتبع .

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه وأنى لها فوق السماكين جاعل

قال كريم الطباع : فاستشاط الفقر من الغيظ ، وتلظت انفاسه احر من سموم القيظ ، وانف من الذل والاستكانه ، اذ انزله الغنى الى هذه المكانه ، وانشد وقد اشعل نار الحمية تسعيرها :

ونفسك اكرم عن امور كثيرة فما لك نفس بعدها تستعيرها

ثم انبرى للمقاومة مسترسلا ، بعد ان تضرع الى الله تعالى متوسلا وقال متمثلا :

احدي ليالي فهيسي هيسي لا تنعمى الليلة با لتعريس

الا انه خاطب خطاب من قيد الحلم الفاظه ، وسدد العلم ايقاظه ، فقال ايها الغنى لقد صرحت وما كنيت ، وعجلت وما تأنيت ، وليتك اذ صدقت عن الحق وابيت ، لم تعمر بيتا بخراب بيت ، اخبرني عن هذا الرئيس ، الذى ملأت انت له

الكيس ، فزعمت انه انما صار لذلك قلائلا من حيث كان في ظلالك قائلا . فلو كان ظامي الفؤاد من مياه الكرم التي جرت فيه ، خاف القعود عن سلافة البلاغة التي رشفت فيه ، اتراه كان يقول ماقال ، ويتحمل ما استلزمه نطقه من الاثقال ، اوتراه لو كان مربوطا باشراكي ، مخروطا في اسلاكي ، محوطا بافلاكي ، ثم كان ممن تشق افعال الكرم من مصدر طبعه ، وتشق قسى الهموم من غروس نبعه ، الم يكن ينطق بما به نطق ، ويرشد الى ما اليه ارشد ، حين انشده البيتين من انشد ، فلا تجهل علوم الاخبار وانت خبيرها .

فما الجود من فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم الرجال وخيرها

وما ازراؤك على الصعاليك ، لتزيد بذلك في معاليك ، فكفاهم فخراً في الدين ، قول علم المهتدين ، رب اشعث اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره وما اشبه هذا مما طرق سمعك غير مره ، وأما باعتبار الدنيا ، وزينتها الدنيا ، فان منهم ما علا بالاوصاف قدره ، وغلى للاضياف قدره ، حتى اشرق من افق السعد بدره :

ولكن صعلوكا صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

إلى آخر الابيات ، المعلومة في الروايات ، فيا ايها الغني هلا إذ نطقت تحملت ما اطقت ورفعت نفسك من حيث لم تخفض سواك ، وجلوت ثغرك بغير هذا السواك ، فان الشريف الكريم ينقص قدراً بالتعدي على الشريف الكريم وولع الخمر بالعقول رماها بالتنجيس والتحريم .

قال : فنظر اليه الغني شزراً واعاره لحظاً نزرا ، وخاطبه مخاطبة متحكم ولاطفه ملاطفة متهكم ، فقال : عذراً ايها المسكين ورفقاً ايها المستكين فانا بالذي بلغت عظمك السكين ، ولست الذي انزل شكلك هذا البيت من التسكين ، انما قلت ما قلت في وفيك ، ما كلانا به حقيق ، ونسبت إلي واليك ، ما انعقد عليه الاجماع بالتحقيق فاستمع بعض اوصافك وأردد جماح انفك بلجام انصافك : وان لم تصدق الناس ما

اقول ، فبرئت منى ذمة العقول ، ألست حائك شقق الهوان والاذلال ، وموشيها بوشى الكد والسؤال ، ومفصل اوصالها بمقراض الضجر والملال ، وخائط تفاصيلها بخيوط الالحاح الطوال ، ومقدرها على قامات الرجال ، ومفرعها عليهم لا للزينة والجمال، فاستحل فيهم هذا الوصف الشنيع واستمل منهم شكر هذا الصنيع واغفنى من عتابك ، فانى أربأ بنفسك عن خطابك :

وان حمى عزي منيع محرم ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ثم انك مع ذا أردت جلاء العين فزدت قذى ، وانزلت معانى الهدى مغانى الهوى ، وتكلمت في حضرتى بشريف الآثار كلام من يظن انه فيها ذو استئثار وأنت تعلم انى فارس نقعها المثار ، واستشهدت ببعض الاشعار ، فأشهدت أن لمعانيها في ذهنك اشعار ، وكل عارف بأنى لا اركب في مضمارها الفرس المعار ولا أقنع في معرفة اسرارها بالدثار دون الشعار ، وان كنت تستطيع معى صبراً فسأنبئك بما لم تحط به خبرا ، حسبي واياك صيتاً وذكرا ، ان الله سمانى خيراً وسماك شراً ، ان الانسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا وجعلنى من نعمه التي ذكر بها عباده كثيراً ، وامددنا كم بأموال وبنين وجعلنا كم اكثر نفيرا ، بل يشمل سيد البشر هذا المعنى ، ووجدك عائلا فأغنى ، ومن دلائل فخري وسعدي ، وهب لي ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ، وجعلك من المحن التي تسكب عندها العبرات ، ولا تقال في حزونها العثرات ، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وان شئت خفضتك طبقة اخرى ، ورويت لك كاد الفقر أن يكون كفرا ، وما جرى هذا المجرى ، فأنت المبعد عن طاعة الخالق لما تنزل بالخلائق من الكرب والمضايق وهي القواطع والعوائق وانا الذى ايسر لهم سنى البضاعات ، المتوقف عليها كثير من الطاعات فلولا وجودي ووجد جودي لم يظفروا بثواب الزكاة والصدقات وصلة الارحام والنفقات ، ومن اعظم هذا المرام ، حج بيت الله الحرام ، وهل يستوي الايسار والافلاس ، والله لم

يدع إلى بيته سوى المياسير من الناس ، وتعلم كثرة دعاء الانبياء ، والمقتدين بهم من الاولياء ، بالاستعادة من جوارك ، والاستقالة من عثارك ، والتضرع إلى الله في محو آثارك ، وأما الشعراء فهاموا بهجوك في كل واد ، وقاموا بذمك على رؤس الاشهاد وأموا للهرب منك بالتغرب في البلاد ، ومقاساة الاين في ذلك والسهاد حتى رأت المقام على الاقتصاد ، قنوعا به ذلة في العباد ، وحسبك ببيت سار مسير المثل في الورى :

فسر في بلاد الله والتمس الغنى تمش ذا يسار أوتموت فتعذرا

وقال من أنف من قدرك الحقير :

دعيني للغنى اسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير

ولو عقلت ما فاخرت الاقران ، وقد نظموك والكفر في قران :

ما احسن الدين والدنيا إذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس بالرجل

وصعاليك اليهود ، على هذا البيت من الشهود ، ولو لا ذم الاطراء وخوف الملام ، وان يقول بعض الفقراء مادح نفسه يقرئك السلام ، لأوردت عليك ما نظموه فيّ من المدائح ، ومريت لك در الفوائد من اخلاق الفرائح ، وكيف لا وأنا علتهم الغائية في نظم مدائحهم المحبره ، ونعوتهم المحررة ، واغزا لهم الرائقة ، وتخيلاتهم الفائقة ، وهل الممدوح إذاً مثل المادح لديه ، إلا المعهود الذي اقدره على اطلاق يديه ، فخذ اليك غيضاً من فيض ، ولمعة من روض ، وان اردت زيادة الحوض ، ملأت بهذا السجل لك الحوض ، حتى تقول قطني ، فقد ملأت بطني قال كريم الطباع ، فاستجاش الفقر واز بأر ، واستوفز وأثأر ، وقال كلا لا مفر إلى ربك يومئذ المستقر ، الآن حمى الوطيس ، والتف الخميس بالخميس ، وتكلمت القلوب بألسنة احد من الصفاح ، بل تكلمت ألسنة العذبات الحمر بافواه الجراح من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لابراح ، ايها الغنى امثلي تذال صعابه بالثرى ، ويركب اعجاز الابل ، وان طال السري اقسمت بمن جعلني في خلقه آية ، ورفع لي

على الطاغين أشرف راية وخلقني لمحق الباغين اشأم من ابن داية ، لتسمعن منى ما يدعك تقرع بأنامل الندم الثنايا ، وانا ابن جلا وطلاع الثنايا .

يا ايها الناعم في لباس العجب والنيه ، والزاعم انه مولي الفضل ومؤتيه ، والنازع إلي اخلاق اللؤم والرداءه ، المنازع رب الكبرياء رداءه ، لقد افتريت في وصفى ووصفك بهنك ، وابصرت القذاة في عينى ولم تبصر الجذع في عينك ، وصدفت عن مناهج الحق ومشارعه ، وحرفت الكلم عن مواضعـــه ، ولو انك شداد بن عاد ، ومتمك الله بارم ذات العماد ، وفرعون ذي الاوتاد ، ثم نجوت من اليم بمن معك من الاجناد ، وكليب بن ربيعة ولم يقدم عليك جساس في الحمى ، وابرهة ولم ترمك طير أبابيل من السما ، وزهير بن جذيمة ولم تأخذك يد خالد من قريب ، وابو جهل ولم تسحب إلى القليب ، لانفت لك من هذا العجب والاستطالة وضجرت منك إذ أطلت هذه الاطالة ، لـكن لا بدع في ذلك فانك منبع الطغيان بنص القرآن ان الانسان ليطغى إن رآه استغنى إن كان ذا مال وبنين ، إذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ، وان الذي جمع مالاً وعدده ، وحسب ان ماله اخلده منك استمد مدده ، وبك اعد في الكفر عدده ، وقد قالت قريش حين لفحها ريحك العقيم ، لو لا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، وقد علم مفضلك او مساويك ، ان لم يعمه حبك عن مساويك ، ان الخلق بك يخسرون ولا يربحون ، وانك من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، فكم اقتضى غي اهوائك وعي ادوائك ، وسكر شرابك ، ومكر سرابك ، ان يقطع السارق ، ويقمع المارق ، ويردع الخائن ، ويصفع المائن ، ويدفع الغاصب القاسط ، ويتبع المحاسب المغالط وان يدنس بياض الاعراض ، بسواد دنايا الاغراض ، ويتحكم في صحاح العقول عضال الامراض من الاطماع الحقيقة بالاهمال والاعراض ، ويغص الحريص بالجريض عند الحث على الجود والتحريض ، وان يرتكب الحازم متون المآثم ، بغيب الظنون ويقدم السالك في المفاوز والمهالك ، على ريب المنون ، وكم وقعت فتنتك بين المرء

وابيه ، وخليله واخيه ، وصاحبته وبنيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الارض جميعاً ثم لا ينجيه ، ولعلك تقول ان من ذكرت ، وشنعت عليهم وانكرت ، منك هربوا ، فلاذوا بسابغ ظلي ، وفي حماك اجدبوا فاستسقوا وابلي وطلي ، فأنت الذي حملتهم على ان ارتكبوا ماارتكبوا ، حتى حادوا عن القصد ونكبوا فعوقبوا ونكبوا كلا ان خرط القتاد دون هذا الايراد ، فمن المعلوم ان كثيراً ممن ظهرت غواياتهم وبعدت في الفساد غاياتهم ، قد يرضى لنفسه بسمة القباحة مع كوني لم اطرف له ساحة ، وانما يقصد الزيادة من كيلك ، او التقويم لاودك عند ميلك ، فيعشى عن بصيرته في ليك ، وأما من سواهم ، وقليل ما هم ، فلو كان قصده بأفعاله الشنيعة ، افلاته من حوزتي المنيعة ، لكنت تراه يكتفي بالطفيف الذي يبعده عني ، ولا يكاد مصاعد التمني والتعني :

دليلك ان الفقر خير من الغنى وان القليل المال خير من المثرى
لقاؤك شخصاً قدعصى الله للغنى ولم تر شخصاً قدعصى الله للفقر

ويؤكد هذه الاحكام العلية ، ما ايدته الادلة العقلية والنقلية ، ان جمع المال من وجوه الحلال ، يكاد يدخل في المحال ، أما تعلم ان من قابلني بالرضا ، والتسليم للقضا ، وكف نظره عن الطماح ، وعامل هواه بالزجر لا بالسماح ، ظفر بكنز القناعة وطفر عن وهاد الذل والخناعة وهجر كد الطلب ووباله ، وفرغ لطاعة مولاه خاطره وباله ، وتمسك باوثق الوسائل ، لتحصيل العلوم والفضائل ، استحق ان ينشد لسان افتخاره :

غيري تغيره فعال الحافي ويحول عن شيم الكريم الوافي

ويرشد عند اختباره :

ان الغني هو الغني بنفسه ولو انه عارى المناكب حافي

وأما من ابغضك واحبني ، ورفضك وقربني ، وأبعدك وأنت قائم في خدمته كبعض عبيده وطردك وانت باسط ذراعيك بوصيده ، فانه رجل الدنيا

وواحدها ، وطالب الآخرة فواجدها وحسبك بابراهيم بن ادهم بعد نزوله من أعلى القصور ، وعمرو بن عبيد وجلالة قدره عند المنصور .

دع أهل هذه الطبقة وما حووه من المفاخر ، وأتل لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، أليس قد ورد عنه صادق النبا ، بانه نشر عنك ونبا ، وقد عرض عليه ان تسير معه جبال تهامة فضة وذهبا ، ثم من العجيب زعمك انك العزيز وأنا الذليل ، وأنى الحقير وانت الجليل ولو كنت تساوي عفطة عنز أو قلامة حافر ، لما متع الله بك الفاسق الكافر ، وان زعمت ان لك الفضل والنعمة ، لأن صاحبك يعد من أولي النعمة ، فان معك من المحن والاكدار ، وهموم الخوف من طوارق الاغيار ، وتوقى سوء السمعة في هذه الدار ، ما لا ينقطع ولا ينتفى ،ولا يستتر ولا يختفى :

وازنت بين مليحها وقبيحها فاذا الملاحة بالقباحة لا تفى

وأني يهنأ بعيش مستطاب ، من يعلم ان حلالك حساب ، وحرامك عقاب ، وكيف يتحمل منك الافضال والانعام ، من سمع بدخل فقراء هذه الامة الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام ، فدونكها غارة شعواء ، تخبط في عجاجها خبط عشواء وداهية دهياء ، تحقق عندي انك الداء العياء ، تمنع الحدث الغر أن يصول والهرم المجرب ان يقول :

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

وتقرر في العقول ، مفاد المثل المقول :

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

قد أصدرتها صيانة المروءة الشرعية ، وحياطة حقوق النفس المرعية ، لا بوادر القوة الغضبية ، ونوادر النخوة والحمية ، لتفيدك موعظة حسنة ، وتتلو ولا تستوي السيئة ولا الحسنة ، وتنشد البيت الدائر على الألسنة :

الخير يبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ماأوعيت من زاد

(قال كريم الطباع) : فلما أتم الفقر مقاله ، ورمى عن ظهره أثقاله ، أقبل الغنى على رأس المجلس وصدره ، وشمس المحفل وبدره ، وقال أيها النفس الشريفة ، أمد الله بك ظلال العقل الوريفة ، ان حال هذا الجاهل ظريفة وأى ظريفة ، لقد جهل الجهل المركب ، وركب في غير سرجه هـــذا المركب ، وقصد اذ شوه وجه جمالى ، وأود غصن كمالى أن ينشد حر كريم ، أو ذو أدب قويم .

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغضا انه لدميم

فيدخل بفحوى العموم في جملة أقرانى ، ويصعد بهذا المفهوم الى اوج قرانى ، وهيهات هيهات أين الثريا من يد المتناول ، ومتى قال السهى للشمس أنت خفية ، وقال الدجى للصبح لونك حائل ، ولو انثالت من جيوش الكلام هذه الجحافل ، في احقر الأندية والمحافل ، لميز في الحال بين البطل الشجاع ، والخنع اليراع ، واسقط سقط المتاع ، عن رتبة سكاب الذي لايعار ولا يباع ، فكيف بهذا المجلس الذي أنشر عليه غمام الأدب والفضل ، وسرت منه بوارق صوارم القول الفصل ، وارتعدت بصواعق الجد فيه فرائص الهزل ، وهمرت سيول النفع والضر في شعاب التولية والعزل ، وانى سأحبس عناني ، ولا آخذ الا فيما عنانى ، حتى تنحسم الأباطيل والأماني ، وتمحى عن صحائف الخواطر وساوس ماني ، واجازى بالشكر من عرف قدري فأسمانى .

(قال الراوي) : فبادر الفقر قائلا رب انى دعوت هذا الخصم للرشاد ليلا ونهارا ، ونصحته با لبيان المستفاد سراً وجهارا ، فلم يزده دعائى إلا فرارا ، واصرارا على الجور واستكبارا ، ثم لم يكتف بذلك حتى اخذ يمكر بى مكرا كبارا ، ويتقرب للحظرة السلطانية استظهارا على وانتصارا ، ويظن ان سينال بذلك لديها ايثارا ، كلا والله تلك حضرة شوط الباطل فيها قصير ، وهي للحق واهله نعم النصير ، ولا يميز عندها للمتربع فوق السرير ، على الجاثى على الحصير ، وقد وقف الكلام بمنتهاه وغايته وصار الى مصير ، ثم اقبل على العقل وقال يا مولانا

الوزير ، أنت المدبر والمشير ، والحاكم على كل مأمور وأمير ، وانت لسان الملك الناطق بلا اعتراض ، ويده المتصرفة في جميع الأغراض ، وطبيب احكامه الشافي من كل الامراض ، ولك الامر فاقض ماانت قاض .

قال كريم الطباع : الراوي لهذه الاسجاع ، فلما سمع العقل ماقالاه ، ورأى أنهما ألزماه الحكومة وان عثر ما اقالاه ، لبث هنيهة ينتظر الاذن في الكلام ، ويحرر من القول ما يخرجه عن الملام ، اجلالا للحضرة السلطانية وتبجيلا ، وعملا بما قيل :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

حتى حصلت له الاشاره ، ووصلت نتائج أفكاره المستشاره ، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقال بسم الله الرحمن الرحيم .

(أما بعد) : فالحكومة معيار الذمم ، ومحك الهمم ، وميزان الفضل والمعرفه ، وميدان الافكار المتصرفه ، وممر أنهار البلاغة والفصاحه ، ومقر أطواد الرصانة والرجاحه ، ومصرع جنوب المودة والصداقه ، لكن في معارك ذي الجهل والحماقه ، والحق يأبى الجمع بين النقيضين ، والعقل يحرض على الاصلاح بين المبغيضين ، والتوفيق عزيز ، وخير الكلام الجامع الوجيز ، وبحر المدح والقدح لاتفنى عجائبه :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

ومن هنا أيها الفقر والغنى ، ينبغي ان تعلما أنكما ادخلتماني في اضيق من سم الخياط ، وكلفتماني المرور على جهنم فوق الصراط ، وأشق المسائل الشرعيه باب الاحتياط ، وأنا أستعين بالله واستهديه ، واسأله ان يوفقكما لقبول ماأبديه ، فقد اجبت السؤال واطعت ، وما اريد الا الاصلاح مااستطعت ، اما انت ايها الغنى ، فانك المحمود المذموم ، والميمون المشئوم ، المحبوب المبغوض ، المطلوب المرفوض ، النافع الضار ، المقيم الفار ، المنبه الغار ، واما أنت ايها الفقر ، فانك العدو الصديق ، المسعف الرفيق ، المشقي المسعد ، المهبط المصعد ، الممرض المعافي ، المعرض الموافي ،

المخل الكافى ، الناقص الوافي ، وانا أفصل لكما هذين الاجمالين ، وأرفع التناقض بين الاحتمالين ، حتى تنزهاني عن الجهل والمين ، وتنقلبا بحقائق الامور عالمين ، اعلما ان الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ولعبا ، ولا يظلم ربك أحدا اولاه راحة وتعبا ، وجميع نعمه ونقمه ، منتظمة في اسلاك حكمه ، وكل ما أودعه في عالم الكون والفساد ذريعة للعباد ، الى كسب الفوز فى المعاد ، وملاك نتيجة كل قضيه ، ما يهدي الله الى اختياره حضرة النفس الانسانيه ، وقد أحلكما الله من عباده في مواقع ، يجوزها الشرع ولا يدافع ، من وافاها حقها ظفر بالعلم النافع ، ومن قصر جوزى بعذاب واقع ، ماله من الله من دافع ، فيكون الغنى منحة استعد لها العبد المطيع فحواها ، أو مصلحة لايصلح للعبد سواها ، أو محنة للاختبار والابتلا ، أو فتنة للاستدراج والاملا ، ويكون الفقر نعمة طبق الاستحقاق المسطور ، أو نقمة لتنزيه النفوس البشريه عن متاع الغرور ، ويشارك الغنى في الابتلاء والاختبار ، والمصلحة التي يعلمها الحكيم المختار ، فحق المحبو بالغنى ان لا يألو جهدا ، في ان يوالى شكرا وحمدا ، وان يتوصل به لاكتساب الأخرى ، ويتصرف فيه بما هو الأولى والأحرى ، ويتخرج من عهدة النوافل والحقوق ، ويتحرج عن وصمة التغافل والعقوق ، ويستعيذ بالله من املائه وفتنته ، ويحذر ان تغلب الغفلة على فطنته ، واياه ثم اياه ، ان يشغله عن مولاه ، وتحت هذا الاجمال ، تفصيل طويل ، الويل لمن ضرب عنه والعويل ، وحق الممنو بالفقر أن يأخذ بالرضى والتسليم ويقابل حكم الحكيم بقلب سليم ، ويشكره على آلائه ، حيث خصه بشعار غالب انبيائه واوليائه ، وينيب الى باريه بالتوبه ، ويستعيذ به من شؤم الاثم والحوبه ، ويعتاض بعز القناعة والعفاف ، ويرتاض على الزهد والكفاف ، ويعتصم بحبل التقى ، ويحذر من التخلص بالشقاء من الشقا ، ولا ييأس من روح الفرج ، وان عز في الضيق المخرج ، ولا يدع التلطف في الحيله ، لتكلف المظاهر الجميله ، فهذه السنن المنيعة مقنعه ، في الخروج من عهدة المواقع الاربعه ، فاذا

علم ذلك وتقرر ، وثبت لديكما وتحرر ، فاعلما ان كلا منكما متى جاور من هذه صفاته ، وحاور من لاتصدع بالجهل صفاته ، فهو في معرك المفاخرة فارس الصفين ، والحائز للقسم المحمود من الوصفين ، والا فهو المتسم بالوصف الاخير ، الحري وان قدم با لتأخير ، ثم ان أبيتما ، الا التميز في الصفات بينكما ، فانت أيها الغنى كا لسيف الصقيل يضيء حده في اعناق المعتدين والمهتدين ، والجواد الاصيل ، يصلح جده لقطع السبيل ، واعزاز الدين ، فلك الفخر الذي يزاحم الكواكب بالمناكب ، لكن بعد النظر الى الضارب والراكب ، وأنت ايها الفقر كا لبحر الاجاج ، تجري فيه الفلك مواخر ، ويستخرج منه الدر الفاخر ، والقفر الفجاج ، ينجو سالكه من طلب اعدائه ، ويرجو عند انتهاء المسير لقاء اودائه ، فأنت الحائز للمناقب ، لكن باعتبار العواقب .

ثم اني اقول ولا اخشى ملامه ان الفقر ادل على منهج الاستقامه ، واقرب الى ساحل السلامه ، وان كان الغنى اذا كشف عن صاحبه الدين ، ووفق الى عزه التوفيق لاحد الاختبارين ، فهو الظافر بسعادة الدارين وبهذا التأصيل الوثيق ، والتفصيل المطابق للتحقيق ، يرتفع التناقض بين ما اوردتماه من الحجج وقلتماه عند الخوض في تلك الاجج ، فتأملاه بعين البصيره ، وتناولاه بيد غير قصيرة وعلى كل حال فانا المبتلى الممتحن بكما ، والمرآة المجلي فيها شكلكما ، ولم يكفكما تكليفي المشاق منفردين ، حتى جئتما مجتمعين ، وحملتماني مالو عرض على الجبال لأبين ، وانا اسأل الله تعالى ان يمنح حكمي القبول ، ويوفق بينكما بالاصلاح وهيهات ان يتفق الدبور والقبول .

(قال كريم الطباع) : الراوي لهذه الاسجاع فلما سمع الغنى والفقر ماجلاه العقل من الدلائل ، وعلما انه لم يبق مقالا لقائل ، ولا مصالا لصائل ، قاما حامدين للحكومة راضيين ، وانطلقا لشأنهما كا لسيفين الماضيين ، وتفرق ارباب المجلس ، وكل يقول هذا هو الحكم العدل ، والمنطق الفصل ، ولواهب العقل جزيل الحمد والمنة

والفضل ، وصلى الله على اكرم خلقه ، وسراج افقه ، سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، والحمد لله رب العالمين .

(رجع الى ترجمة العم) قدس الله روحه ، ونور ضريحه وهذا الذي اوردته ، ودونته وسطرته ، هو قطرة من غزير بليغ فصيح فسيح بحره ، ودرة من فريد نضيد حميد نظمه ونثره ، وإلا فالصبح لا يخفى لذي عينين ، وهو امام هذه الفنون في كلا الحالين .

﴿ فائدة ﴾

أعلم ان العرب ألحقت بباب المثنى اشياء ليست بمثنيات حقيقة كما فعلوا بباب جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم ، وهي كلا وكلتا بشرط الاضافة إلى مضمر كقولك جاءني كلاهما ورأيت كليهما ومررت بكليهما فلو اضيفا إلى مظهر لم يكن اعرابهما اعراب المثنى وتقول جاءني كلا الرجلين ورأيت كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين ، وكذلك اثنان واثنتان فأن هذه الالفاظ اعربت اعراب المثنى وليست من بابه على الحقيقة لان حد المثنى لا يتناولهما ، إذ ليس كل منهما في آخره زيادة صالحة للتجريد ، ولا عطف احدهما على مثله لانه لا مفرد لكلا ولا كلتا ولا اثنين ولا اثنتين فاعرف ذلك .

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ان التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصل

قال الحريري وغيره : اخبر بالتي عن مفرد فوحد ، ثم قال : كلتاهما فثنى وما معنى كلتاهما حلب العصير ، ولم يذكر إلا خمرة واحدة . وأخبر عن كلتاهما بأرخاهما والصحيح الاخبار عنهما بمفرد لانهم لحنوا من قال كلا الرجلين قاما ، وكلتا المرأتين حضرتا ، على اللغة الفصيحة . ويدل على ذلك قوله تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها

وايضاً الرواية صحت في المفصل انه بكسر الميم وفتح الصاد ، وانما يقال مفصل بفتح الميم وكسر الصاد .

وأجاب الحريري وغيره بان قال : أما قوله ان التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت ، فانه خاطب به الساقي الذي كان ناوله كأسها ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة إذا مزجتها فكانه أراد يعلمه انه فطن لما فعله ، ثم انه دعا عليه بقوله قتلت وقوله ارخاها للمفصل ، يعني به اللسان لانه يفصل بين الحق والباطل .

وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري : اجتمع قوم على شراب فغناهم المغني بالبيتين المتقدمين ، فقال بعضهم : امرأتي طالق ان لم اسأل الليلة القاضي عبيد الله بن الحسن عن علة هذا الشعر لم قال ان التي فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا إلى بني شقرة وعبيد الله يصلي ، فلما فرغ شرحوا له القصة وسألوه الجواب فقال لهم ان التي عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ، ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمرة المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات ، قال الله تعالى (وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) انتهى .

قال النقيب الشجري رحمه الله تعالى : هذا التأويل يمنع منه ثلاثة اشياء : احدها انه قال كلتاهما حلب العصير ، وكلتا موضوعة لمؤنثين والماء مذكر والتذكير ابداً يغلب على التأنيث كتغليب القمر على الشمس .

قال الشاعر :

لنا قمراها والنجوم طوالع

وليس للماء اسم آخر مؤنث فيقال : يحمل على المعنى كما قالوا : أتته كتابي فاحتقرها ، لان الكتاب في معنى الصحيفة ، وكما قال الشاعر :

قامت تبكيه على قبره من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر

وكان الوجه ان يقول ذات غربة ، وإنما ذكر لان المرأة انسان والثانى انه قال ارخاهما للمفصل وأفعل هـذا موضوع لمشتركين في معنى وأحـدهما يزيد على الآخر في الوصف كقولك يزيد أفضل الرجلين ، فزيد والرجل المضاف اليه مشتركان في الفضل ، إلا ان الفضل لزيد يزيد على الرجل والماء لا يشارك الخمر في ارخاء المفصل والثالث الخمر هو عصير العنب ، وقوله حلب العصير يمنع من هذا لانه إذا كان العصير هو الخمر والحلب هو الخمر فقد اضيفت الخمر إلى نفسها والشيء لايضاف إلى نفسه ، والصواب انه اراد كلتا الخمرتين الصرف والممزوجة ، انتهى .

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم :

ومدامـــة كاساتها تعطي الامان من الزمان
قد احكمت علم النجو م وبعـده علم البيان
فاذا حساها الشاربو ن وأوقعتهم في الامان
بدأت باخراج الضمير وبعـده عقـد اللسان

ويعجبني قول ناصر الدين حسن بن النقيب :

ايها الساقى بجفن وبجام خسروانى
لا تلمني ان تلجلجت فلم تفهم بياني
سحر عينيك وسكري احكما عقد لسانى

﴿ فائدة ﴾

لا يستغني عنها كل شاعر ماهر ، وأديب بليغ متفرد بنظم الجواهر ، إذا امتدح ممدوحـه بقصيدة ان يتنبه في مطلعها ويلتفت إلي ، يجاوزه حال غفلته من كلمة يتطير بها ممدوحه فان هذا هو تفقه الادب .

روي ان رجلا شاعراً أنشد الشريف فخر الدولة ابن ابى الحسن نقيب الطالبيين قصيدة يهنيه فيها بشهر رمضان وكان الشريف يتأذى بالصوم لمرض يجده

فكان اولها (أيامنا بك كلها رمضان) فقال الشريف طوال والله مشؤمة مكروهة عندي مبغوضة إلي وحرمه ولم يعطه شيأ .

ومن هذا القبيل ماجرى لجرير لما انشد عبد الملك بن مروان قوله (أتصحو ام فؤادك غير صاح) فقال عبد الملك : بل فؤادك يا ابن الفاعلة ، كأنه استقبح هذا لمواجهته .

وكذلك انشد ذو الرمة قوله (مابال عينك منها الدمع ينسكب) وكان بعين عبد الملك مرض لا يزال عينه تدمع منه ، فقال له : وما سؤالك عن هذا يا جاهل ! وامر باخراجه ، وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم لما انشده قوله :

صفراء قد كادت ولما تفعل فكأنها في الافق عين الاحول

وكان هشام يعرف بالاحول فظن انه عرض به فامر باخراجه وطرده .

وكذلك ما وقع لابي جعفر يحيى بن خالد البرمكي لما انتقل إلى قصر جديد كان قد بناه ، فمدحه ابو نؤاس بقصيدة اولها :

اربع البلى ان الخشوع لباد عليك وانى لم اخنك ودادى

وختمها بقوله :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتمو بني برمك من رائحين وغادي

فتطير جعفر واشمأز وقال له قد نعيت الينا انفسنا ، وبعد أيام اوقع بهم الرشيد ، وقيل ان ابا نؤاس قصد التشاؤم لهم ، وكان في نفسه شيء من جعفر .

وأنشد ابو تمام ابادلف قصيدته التي اولها: (على مثلها من اربع وملاعب) وكان في المجلس رجل يبغضه فقال : لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، وكانت في ابي تمام حبسة شديدة ، فانقطع خجلا .

قال ابن ظافر : صنعت بالشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة قصيدة في الملك الافضل ابي الحسن علي بن الملك الناصر ، اولها :

دعها ولا تحبس زمام المقود تطوي بايديها بساط الفدفد

وأنشدتها لمن كان بالعسكر من اصحابنا المنتسبين إلى الادب ، فما منهم إلا من بذل جهده في نقدها ، ثم حملتها إلى حضرته فصادفت قبولا فاتفق بعد ذلك أن أنشدتها لابن الاجل التكريتي ، فلما أنشدته البيت الاول قال ما كان يؤمنك إذا أخذها منك وفتحها فوجد اول ما فيها دعها فيلقيها من يديه ويقول قد فعلت ألست كنت تفتضح ؟ قلت : بلى والله ولكن قد ستر الله .

قلت : وهذا من غريب النقد .

وأنشد ابن مقاتل احد شعراء الجبال الداعي إلى الحق العلوي بطبرستان ابياتاً في يوم مهرجان اولها :

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

فنفر منه وتطير به وقال له غيره واجعله ، ان تقل بشرى فهذي بشريان .

وروى حسن بن سعيد الكاتب المعروف بالمكربل قال أنشدني ابو المناقب قصيدة عيدية في الملك الافضل اولها : (نهنيك كلا بل نهني بك الدهرا) فقلت له هذا مما يتطير به الممدوح وذكرت له خبر ابن مقاتل فوافقني على ما قلته وغير الابتداء فقال : (نهنيك والإولى نهني بك الدهرا) فلما تبسم ثغر الصباح ، وتغنى القمري على الاغصان وصاح ، عن رابع جماد الاول عام الف ومائة واحد وثلاثين من هجرة النبي المكمل رحلنا من كربلا مشهد الحسين زين العباد ، إلى دار الخلافة بغداد ، وفي خامس الشهر المذكور أتينا على موضع يقال له المسيب وفي سادسه أتينا على موضع يسمى الخانه زاد ، وفي سابعه دخلنا دار السلام بغـــداد ، ونزلنا بالكاظميين بفرح وقرة عين ، وأقمنا هناك شهراً تام ، مع الامير المذكور سالفا احسن مقام وبلغنا السؤل والمراد بزيارة الامام موسى الكاظم والامام محمد الجواد وزيارة القطب الرباني محيي الدين عبد القادر الجيلاني وزيارة بحر المعارف والبيان ابي حنيفة النعمان وزيارة كثير من الاولياء الاحباب الاصفياء :

استودع الله في بغداد لي قمرا بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

ودعته وبودي ان يودعني طيب الحياة وانى لا اودعه

قال البستي من لبس البياض وقرأ لابي عمرو وتختم بالعقيق وتمذهب للشافعي وحفظ قصيدة ابن زريق البغدادي فقد كمل الادب ، وهي هذه :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حد المضر به من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا عن عذله فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله فضلعت بخطوب الدهر أضلعه
يكفيه عن لوعة التفنيد ان له من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر إلا وأزعجه رأي إلى سفر بالبين يجمعه
تأبى المطالب إلا ان تجشمه للرزق كدحا وكم ممن تودعه
كانما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء الارض يذرعه
إذا الزمان أراه في الرحيل غنى ولو إلى السد اضحى وهو يزمعه
وما مجاهدة الانسان واصلة رزقا ولا دعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم لم يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا رزقا فلست ترى مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص في الرزق والارزاق قد قسمت
بغي ألا ان بغى المرء يصرعه
والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعه اربا ويمنعه من حيث يطمعه
استودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

أقول قوله : استودع الله البيت له قصة لطيفة ذكرها القاضي ابن خلكان لا باس بذكرها في هذا المكان ، وهي ان ابا علي الحسن بن الاشكري ، قال كنت من جلاس الامير تميم وممن يخف عليه جداً ، وهذا تميم هو ابن المعز بن باديس فارسلني إلى بغداد فابتعت له جارية فائقة رائقة في الغناء فسر بها سروراً عظيما

فدعا يوما جلساءه ، وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمر الجارية بالغناء فغنت بهذه الابيات :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألق موهن لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنع اركانه
فمضى لينظر كيف لاح فلم يطق نظراً اليه وصده سجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سحت به اجفانه

وهذه الابيات للشريف ابى عبد الله محمد بن صالح الحسنى .

قال ابن الاشكري : فاحسنت الجارية ما انشدت ، واستحسن الامير منها ذلك وطرب ومن حضر ، ثم غنت بصوت حسن رائق استودع الله الابيات فاستطرب الامير ومن معه جداً ، ثم قال لها : تمني ما شئت ، فقالت اتمني عافية الامير وسلامته ، فقال : لا والله لا بد لك من ذلك ، فقالت على الوفاء ايها الامير؟ قال : نعم ، قالت : اتمنى ان انشد بهذه الابيات في بغداد فانتقع لون الامير وتغير وجهه وتكدر مجلسه وقام وقمنا قال ابن الاشكري فلقيني بعض خدام الامير وقال: ارجع فالامير يدعوك فرجعت فوجدته جالساً ينتظرني ، فسلمت عليه ووقفت بين يديه فقال ويحك أرأيت ما امتحنا به فقلت نعم ايها الامير ، فقال لا بد من الوفاء لها ولا اثق في هذا بغيرك ، فتأهب لتحملها إلى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعاً وطاعة .

قال ثم قمت وقامت وامرها بالتأهب واصحبها جارية سوداء تعادلها وتخدمها وامر بناقة وتحمل ، فأدخلت فيه والجارية ، فسرنا إلى مكة مع القافلة وقضينا حجنا ثم رحلنا في راحلة العراق وسرنا ، فلما وردنا القادسية اثنى الجارية السوداء عنها ، فقالت تقول لك سيدتي انخ ، قلت لها نزولا بالقادسية فانصرفت اليها واخبرتها فلم انشب ان سمعت صوتها وقد ارتفع بالغناء ، وغنت بهذه الابيات:

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق

ايقنت لي ولمن احب بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق
لم يبق إلا جسمهم من هذه السبع البواقي
حتى يطول حديثنا بصفاء ما كنا نلاقي

قال : فتصايح الناس من اقطار القافلة اعيدى بالله اعيدي بالله ، قال : فما سمع لها كلمة ، قال : ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد خمسة اميال في بساتين متصلة ينزل الناس فيبيتون ليلتهم ، ثم يبكرون بالدخول إلى بغداد ، فلما كان وقت الصباح اتتنى الجارية السوداء مذعورة ، فقلت لها ما الذي دهاك ؟ فقالت : ان سيدتى ليست بحاضرة ! فقلت لها : ويلك وانى هي ؟ فقالت : والله لا ادري ، قال فلم احس لها اثراً بعد ذلك ودخلت بغداد وقضيت حوائجي وانصرفت إلى مصر للامير واخبرته خبرها فعظم ذلك عليه ، وكبر لديه ، واغتم غما شديداً ، ثم لم يزل بعد ذلك ذاكراً لها مترحما عليها .

رجع إلى قصيدة ابن زريق البغدادي :

ووديعته وبودي ان يودعنى طيب الحياة واني لا اودعه
كم قد تلطفت بى أن لا افارقه وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بى يوم الرحيل ضحى وادمعي مستهلات وادمعه
لا اكذب الله ثوب الصبر منخرق عنى بفرقته لكن ارقعه
انى اوسم غدري في جنايته بالبين عنى وجرمي لا يوسعه
رزقت ملكا فلم احسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا شكر عليه فعنه الله ينزعه
اعتضت عن وجه خلى بعد فرقته كأساً تجرع منها ما اجرعه
كم قائل لي ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لست ادفعه
هلا اقمت فكان الرشد اجمعه لو انني يوم بان الرشد اتبعه

اني لاقطع آمالي واتفذها بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن إذا هجع النوام بت له بلوعة منه ليلى لست اهجعه
لا يطمئن لجسمي مضجع وكذا لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ماكنت احسب ان الدهر يفجعني به ولا ان بي الايام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد عسراء تمنعني حقي وتمنعه
قد كنت من ريب دهري جازعا فزعا
فلم اوق الذى قد كنت اجزعه
بالله يا منزل العيش الذي درست آثاره وعفت مذ بنت اربعه
هل الزمان معيد فيك عيشنا أم الليالي التى امضته ترجعه
في ذمة الله من اصبحت منزله وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لي عهد لايضيعه كما له عهد صدق لا اضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره واذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لأصبرن لدهر لا يمتعني به ولابى في حال يمتعه
علما بان اصطباري معقب فرجا فأضيق الضيق ان فكرت أوسعه
عسى الليالي التي اضنت بفرقتنا جسمى ستجمعني يوما وتجمعه
وان تغل أحدا منا منيته فما الذي بقضاء الله نصنعه

(عود الى ذكر بغداد) : بلدة تكل عن حسن وصفها الألسن كانها الفردوس فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين ، الا أن غالب اهلها اهل غلاظه ، وقسوة قلب وفظاظه ، وبخل عجيب وعدم محبة للغريب ، كأنهم خلقوا من طينة الامساك ، وما أدراك ما الامساك ، ترى المأمور منهم والأمير ، والغني والفقير ، والكبير والصغير ، والجاهل والخبير ، مهمهما منبس ، مكرشما معبس ، مغضبا كاره ، ان رآك مررت بباب داره ، ولا عجب فالجنة حفت بالمكاره ، واجتمعت فيها بصاحب الرتبة السنيه ، والاخلاق المحمدية ، والهمة الاريحية ، مولانا السيد

علي نقيب السادة القادرية ، وأخذت على يديه الطريقة في مسلك القوم والعهد ، ولله الامر من قبل ومن بعد ، فالبسني خرقة القوم الصوفية ، وقلدني الخلافة القادريه .

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والامرا

وتلقنت منه الاذكار ، وبلغت بها الأوطار .

﴿ فائدة ﴾

بغداد من أعظم المدائن وهي قاعدة ارض العراق وتسمى الزوراء لازورار قبلتها ، وتسمى دار السلام .

وفي تسميتها بذلك قولان الاول : ان السلام اسم للدجلة ، الثانى : انه يسلّم فيها على الخلفاء .

وفي بغداد لغات بغداذ بذال معجمة أخيرة ، وبذالين معجمتين ، وبدالين مهملتين ، وبغدان بنون بدل الذال الأخيرة ، ومغدان بميم بدل الباء .

وكان الاصمعي يأبى أن يقول بغداذ بالذال المعجمة الاخيرة ، ويقول داذ شيطان وبغ بستان .

وقيل ان اسمها بكداد ، ومعنى بك بالتركية الرب وداد العادل وكأنهم يقولون الله العادل .

وقيل غير ذلك ، وهى بلدة احدثها المنصور العباسي الدوانيقي سنة اربعين ومائة ونزلها في سنة ست واربعين وفي سنة تسع واربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التى بالجانب الغربى على الدجلة ، وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث.

(قيل) : ان المنصور انفق على بنائها اربعة آلاف الف دينار ونقل ابواب مدينة واسط وجعلها عليها وجعل عليها سوراً محكماً عظيما ابتداؤه من الدجلة وانتهاؤه الى الدجلة وهو محيط بها كشبه الهلال .

وبغداد الثانية هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبينهما جسر عظيم من السفن ، ومنصوب على جانبيه سلسلتان عظيمتان من اوله الى آخره .

قال الطبري في تاريخه : ان المنصور بنى بغداد واسسها على طالع القوس والشمس في درجة الطالع فلا تخرب الا بخراب الدنيا .

وقيل ان المنصور بنى اربع مدن على اربع طوالع فلا تخرب الا بخراب الدنيا وهي الرافقة بأرض الجزيرة والمصيصة بكسر الميم على بحر الشأم والمنصورة بالسند ، وطولها ميل في ميل وبغداد بالعراق .

وقيل ان اللبنة الأولى وضعها المنصور بيده وبنى بها قصراً عظيما ، قيل ان دوره اثنا عشر الف قصبة ومقابل قصر المنصور قصر ابنه المهدي وبنى جامعه في وسط المدينة وجعل على كل باب من ابواب المدينة قبة طولها ثمانون ذراعا وجعل في وسط المسجد قبة خضراء وعلى رأسها تمثال فارس وبيده رمح وقد سقط من على رأس القبة في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

وأما بساتينها فهي من الجانب الشرقي وهي تسقى بماء النهروان وعلى النهروان كورة تعرف بالنهروان وهي بين بغداد وواسط في شرقي الدجلة وكانت من اجل نواحي بغداد ، كثيرة الفواكه والثمار ، حسنة البساتين والازهار ، وهي الآن قفار ، والى هذه القرية ينسب القاضي أبو الفرج بن المعافى بن زكريا النهرواني وكان من أعيان العلماء وبهذه القرية كانت الوقعة بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والخوارج لعنهم الله .

وفي بغداد نهران عظيمان نهر عيسى ونهر الصراة ، ونهر الصراة لا تركب فيه سفينة لكثرة الطواحين المركبة عليه .

وكانت بغداد في أيام البرامكة من اعظم المدن ، وهي عبارة عن سبع محلات لا تفتقر محلة منها الى غيرها على شاطىء الدجلة فالذي في الجانب الشرقي الرصافة

بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بغداد بالرعية والاجناد سنة احدى وخمسين ، وهي مدينة مسورة ، والثانية مشهد ابي حنيفة ، والثالثة جامع السلطان غير مسور ، والرابعة مدينة المنصور من الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون الف مسجد وخمسة آلاف حمام ، وكان في ليلة العيد اذا دخلها نساء المدينة يستعملن من الصابون الخاص ثلاثمائة قنطار دون سائر الاصناف ، والخامسة مشهد موسى بن جعفر الصادق مسورة ، والسادسة الكرخ مسورة ، والسابعة دار العز مسورة يقال ان المنصور سأل راهباً كان في صومعة في مكان ببغداد عندما اراد ان يختطها اريد ان ابني هنا مدينة فقال له الراهب انما يبنيها ملك يقال له ابو الدوانيق فضحك وقال انا هو .

وقيل : قال له انما يبنيها من يقال له مقلاص فقال انا كنت ادعى بذلك واختطها ، وكان المنصور مع جلالة قدره يحاسب على الدانق فسمى الدوانيقي

قال الصفدي قرات على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد ابن احمد بن عثمان الذهبي بدمشق المحروسة في ترجمة سنة ست واربعين ومائة من تاريخه الكبير .

قال : قال المدائني ، حدثني الفضل بن الربيع ان المنصور لما فرغ من بناء قصره بمدينة بغداد دخله وطاف به واعجبه لكنه استكثر النفقة فقال لي احضر بناءاً فارها فاحضرته فقال له كيف عملت لنا في هذا القصر وكم اخذت لكل الف من الآجر فبقي البناء لا يقدران يرد عليه مخافه من الذي كان على العمل فقال له المنصور مالك ساكت ؟ فقال البناء لاعلم لي قال ويحك ، قل وانت آمن قال والله لااقف عليه ولا ادر به قال فأخذ بيده وقال تعال لاعلمك الله خيرا وادخله الحجرة التي استحسنها ، وقال له ابن لي طاقا يكون شبيها بالبيت لا يدخل فيه الخشب ، قال نعم فاقبل على البناء واخذ يحصى جميع ما يدخل في الطاق من الآجر والجص ففرغ له في يومين ودعا السبب الذي كان على العمل ، وقال له الاجرة على حساب ما عمل

معك فدفع له خمسة دراهم فاستكثر ذلك المنصور ، وقال : لا ارضى بذلك فلم يزل حتى نقصه درهما .

ثم انه اخذ الوكلاء والمسبب بحساب ما انفقوا على نسبة ذلك حتى فضل عليهم ستة آلاف درهم ، ولم تزل بغداد عامرة حتى خربها هلاكو عند ما قتل الخليفة المستعصم بالله وجرى منه ما جرى وذلك في سنة ست وخمسين وخمسمائة .

قال ابو العلاء المعري في بغداد :

بت الزمان حبالي من حبالكم ... اعز علي يكون الوصل مبتوتا
ذم الوليد ولم أذمم جواركم ... فقال ما انصفت بغداد حوشيتا

يشير إلى قول البحتري :

ما انصفت بغداد حين توحشت ... بنزيلها وهي المحل الآنس

وقال ابن الرومي يتشوق اليها :

بلد صحبت بها الشبيبة والصبا ... ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيته ... وعليه أغصان الشباب تميد

وقال الآخرة متأسفاً على فراقها :

لهفي على بغداد من بلدة ... كانت من الاسقام لي جنه
كأنني عند فراقي لها ... آدم لما فارق الجنه

وقال الشيخ زين الدين بن الوردي في تفضيل مصر عليها :

ديار مصر هي الدنيا وساكنها ... هم الانام فقابلها بتفضيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها ... مصر مقدمة والشرح للنيل

ثم قلب المعنى فقال :

ان للدجلة ماء ... لم تصل مصر اليها
كم بمصر من وجوه ... نغض النيل عليها

وقال الشريف الرضى يذمها :

ما لى لا ارغب عن بلدة يكثر فيها الدهر حسادي
ما الرزق في الكرخ مقيما ولا طوق العلى في جيد بغداد

وقال القاضى عبد الوهاب المالكى يذمها :

بغداد دار لاهل المال طيبة وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران امشى في ازقتها كأنني مصحف في دار زنديق

قيل انه لما خرج من بغداد خرج لمشايعته من الرؤساء والاكابر ما ينوف عددهم على المائتين فالتفت اليهم وقال : لو وجدت فيكم من يكفيني كل يوم رغيف خبز وكوز ماء لما ترحلت عنكم فلم يجد فيهم من يكفيه ذلك فتأمل هؤلاء البخلاء ولا حول ولا :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

﴿ فائدة ﴾

قال العلامة السيد محمد كبريت المدنى في رحلته ، قال القاضى شهاب الدين في الفوائد السنية : اشتهر ان ملك الروم لا يموت بالطاعون ، كما ان صاحب مصر لا يموت بالفصل ، كما ان بغداد لا يموت بها خليفة . وفي ذلك يقول عمارة :

قضى ربها ان لا يموت خليفة بها ما يشاء الله في حكمه يقضى

وعلى ذكر الفصل لابى عبد الله الفيومى :

أرى الفصل داء والرحيل دواؤه فلا تسكنوا في بلدة قد حوت فصلا
وأملي لكم ان ترحلوا ببنيكم ولا تقتلوا اولادكم خشية املا
فمن يترحل عنه يكفى شروره ومن يتثبت يكسب الاجر والفضلا

ونقل عن العلامة نور الدين الغزي حمل كتابة خلاق عليم يدفع الطاعون وانه مجرب .

وقيل : ان التختم بالعقيق في اليمنى يمنع الطاعون ، وإذا انقضت المدة ، لم تنفع العدة :

ان الطبيب له علم ومعرفة ما دام في اجل الانسان تأخير
حتى إذا ما انقضت ايام مدته حار الطبيب وخانته العقاقير

وذكر الخطيب علي بن عراق في التذكرة : انه ظهر الطاعون بدمشق ايام عبد الملك بن مروان فخرج عبد الملك ومعه غلام له فكان يغلبه النوم ، والفرس تعدل به عن الجادة ، فقال لغلامه : ويلك حدثني بما تحدث به امثالك ، فقال الغلام بلغني ان ثعلباً صادق أسداً على ان يجيره من السباع ، فكان أبداً بين يديه فظهر في يوم من الايام عقاب في الهواء ، فخافه الثعلب ووثب على ظهر الاسد فانحط عليه العقاب فاختطفه ، فقال الثعلب العهد يا ابا الحارث ، فقال له الاسد انما عاهدتك على الارض ان احفظك من اهل الارض ، وأما اهل السماء فلا قدرة لي عليهم فقال عبد الملك لقد وعظتني يا غلام ، ورجع إلى الشام وهو يقول لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم ، توفي سنة ست وثمانين وفيها كان الطاعون الفتياني ، وسمي بذلك لانه بدأ بالنساء :

مهما قضى يا نفس فاصطبري له ولك الامان من الذي لم يقدر
وتيقني ان المقدر كائن حتما عليك صبرت أم لم تصبري

﴿ فائدة ﴾

قال السيد محمد كبريت في رحلته : الطاعون يوناني .

قال البصير : هو كل ورم يظهر ، ثم خص بالحار السريع القتال ويطلق على الوباء لتلازم الحاصل بينهما وإلا فبينهما عموم وخصوص ، ثم سرنا بعد ايام إلى مدائن كسرى صحبة الامير الذي كل عن وصف همته العلية لساني ، لزيارة سلمان الفارسي وحذيفة اليماني ، فزرناهما رضي الله عنهما وبلغنا الاماني .

﴿ فائدة ﴾

المدائن كانت سبع مدن من بناء الاكاسرة بنيت على طرف الدجلة ، وكان يسكنها ملوك بني ساسان إلى زمن عمر بن الخطاب ، فلما ملكت العرب الفرس واختطت البصرة والكوفة انتقل الناس اليهما فلما اختط الحجاج واسط وصارت دار الامارة انتقل الناس اليها فلما اختط المنصور بغداد انتقل اليها اكثر الناس والآن هذه المدائن كلها خراب .

وقيل : ان قد ما سكن بها جماعة بكثرة من الفلاحين ، وكانوا شيعة إمامية ومن عادتهم ان نساءهم لا يخرجون بالنهار أصلا دائماً .

وكانت الاكاسرة بنت هناك قصوراً مشيدة وكانت باقية إلى زمن المكتفي بالله العباس فامر بهدمها ، وبنى بانقاضها داراً على الدجلة وسماها التاج ، ولما هدم تلك القصور وترك ما بقي من ابواب كسرى انو شروان .

وكان بقي منه طاق الايوان وجناحاه وازجه وقد بنى بآجر طوال عراض وآثاره باقية إلى الآن ، وكان من اعظم الابنية واعلاها .

ثم سرنا من بغداد إلى سامرا صحبة الامير المذكور الشهم السري ، لزيارة الامام علي الهادي والامام حسن العسكري فزرناهما عليهما السلام ، وفزنا بالقبول ، وبلوغ المأمول ، وأقمنا بها ثلاثة ايام ، ورجعنا إلى بغداد دار السلام .

﴿ فائدة ﴾

مدينة سامراء على طرف شرقي الدجلة وهي بغداد وتكريت بناها المعتصم بالله العباسي سنة احدى وعشرين ومائتين عند ما ضاقت بغداد بعبيد الاتراك وانشأ جامعاً وعدة دور جليلة ، قيل انه انفق على بنائها خمسمائه الف الف دينار ، وبنى بها المنارة التي كانت من احدى العجائب ، وبنى بها قصوراً على شاطىء الدجلة

وبها نهران يشقان شوارعها ويشقان الجامع الذى بها ، وفي الجامع سرداب قد ثبت عند الشيعة الامامية ان المهدي محمد بن الحسن العسكري وهو صاحب الامر المنتظر قد غاب فيه الغيبة الكبرى ايام المتوكل العباسي .

قال عيسى على نبينا وعليه السلام : مثل عالم السوء مثل صخرة وقعت في فم النهر ، لا هى تشرب الماء ولا هي تترك الماء ليتخلص إلى الزرع .

ذكر عند مولانا الامام جعفر الصادق عليه السلام قول النبي صلى الله عليه وسلم : النظر إلى وجه العالم عبادة ، فقال: هو العالم الذي إذا نظرت اليه ذكرك الآخرة ، ومن كان على خلاف ذلك فالنظر اليه فتنة .

قال بعضهم : لا عيش اطيب من العافية ولا حارس احفظ من الصمت ، ولا آت اقرب من الموت ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا جهاد كمخالفة الهوى ، ولا نور كذكر المولى .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فان خالطوه وادخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم .

وعنه صلى الله عليه وآله انه قال لاصحابه: تعلموا العلم وتعلموا له السكينة ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم .

قيل لرجل ادركه الغرق: أتريد ان تنجوا ؟ قال: لا ، قيل: أتريد ان تغرق؟ قال : لا ، قالوا له : فماذا تريد ؟ قال : مرادي في مراده ، وانما اريد ما يريد .

﴿ فائدة ﴾

الذين رزقوا السعادة في اشياء لم يأت بعدهم من نالها وهم : ابوبكر الصديق فى النسب فانه كان نسابة عصره ، علي بن ابي طالب في القضاء ، ابوعبيدة في الامانة ابو ذر في صدق اللهجة ، ابي بن كعب في القرآن ، الحسن البصري في التذكير ابن سيرين في التعبير ، وهب بن منبه في القصص ، ابن اسحاق في المغازي ، نافع

في القراءة ، أبو حنيفةفي الفقه قياسا ، مقاتل في التأويل ، الكلبي في قصص القرآن ، ابن الكلبي الصغير في النسب ، أبو الحسن المدايني في الاخبار ، أبو عبيدة في الشعبية ، محمد بن جرير الطبري في علوم الأثر ، الخليل بن أحمد في العروض ، فضيل ابن عياض في العبارة ، مالك في العلم ، الشافعي في فقه الحديث ، أبو عبيدة في الغرائب ، علي بن المدايني في علل الحديث ، يحيى بن معين في الرجال ، أحمد بن حنبل في السنة ، البخاري في نقل الصحيح ، الجنيد في التصوف ، محمد بن نصر المروزى في الاختلاف ، الجبائى في الاعتزال ، الأشعري في الكلام ، أبو القاسم الطبرانى فى العوالي ، عبد الرزاق في ارتحال الناس اليه ، ابن منده في سعة الرحلة ، الهروي في السياحة ، أبو بكر الخطيب فى سرعة القراءة ، ابن حزم في الظاهرية ، سيبويه في النحو ، التفتازانى في الصرف ، أبو الحسين البكري فى الكذب ، اياس في التفرس ، عبد الحميـــد في الكتابة والوفاء ، أبو مسلم الخراساني فى علو الهمة والحزم ، الموصلى النديم فى الغناء ، ابو الفرج الاصفهانى صاحب الاغانى في المحاضره ، أبو معشر في النجوم ، الرازى في الطب ، عمارة بن حزم في التيه ، الفضل بن يحيى في الجود ، جعفر بن يحيى في التوقيع ، ابن زيدون في سعة العباره ، ابن القرية في البلاغة ، الجاحظ في الادب والبيان ، الحريري في المقامات ، البديع الهمدانى في الحفظ ، أبو نواس فى المجون والخلاعة ، ابن حجاج في سخف الالفاظ ، المتنبي في الحكم والامثال شعرا ، الزمخشري في تعاطى العربية ، النسفى في الجدل ، جرير في الهجاء الخبيث ، الفرزدق في الحسد ، حماد الراوية فى شعر العرب ، معاوية في الحلم ، المأمون في حب العفو ، عمرو بن العاص في الدهاء ، الوليد في شرب الخمر ، أبو موسى فى سلامة الباطن ، عطاء السلمى في الخوف من الله ، أبو البواب فى الكتابة ، القاضي الفاضل في الترسل ، العماد الكاتب في الجناس ، ابن الجوزي في الوعظ ، أشعب فى الطمع ، أبو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره ، حنين بن اسحاق في ترجمة اليونانى الى العربى ، ثابت بن قرة الصابى في تهذيب ما نقل

من الرياضى الى العربى ، ابن سينا في الفلسفة وعلوم الاوائل ، الامام فخر الدين الرازي في الاطلاع على العلوم ، السيف الآمدي في التحقيق ، النصير الطوسي فى المجصطى ، أبو الهيثم فى الرياضى ، نجم الدين الكاتبي فى المنطق ، أبو العلاء المعرى في الاطلاع على اللغة ، أبو العيناء في الاجوبة المسكتة ، مزيد في البخل ، القاضي أحمد بن أبى داودفى المرأة وحسن التقاضى ، ابن المعتز في التشبيه ، ابن الرومي فى النظير ، حجة الاسلام ابو محمد الغزالي في الجمع بين المعقول والمنقول ، ابن يعقوب في القاموس ، ابن الوليد بن رشد في تلخيص كتب الاقدمين الفلسفية والطبية ، الشيخ محيي الدين بن عربى في علوم التصوف ، الصولي في الشطرنج .

(لطيفة) : يقال ان بعضهم كان اذا لعب بالشطرنج مع أي من كان تضاربا فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألعب معه وألتزم انه ما يحصل بيني وبينه ضراب فلما أتى اليه ولعبا قال له في اثناء اللعب شاه أستر فقال مليح والله القرنان أنت والقواد أنت فقال له ياأخي وماالذي قلت لك؟ قال: قلت استر وهو تصحيف اشتر ومايشترإلاالجمل والجمل تصحيفه حمل والحمل هوالكبش والكبش هوالقرنان والقرنان هوالذي يقود فقال له ياأخى مارأيت من يضارب بتصحيف وتفسير وتسلسل غيرك.

(قلت) : وهذا غلط لان أشتر لايعرفه اهل اللغة وانما هو لفظ فارسى والذي يقولونه في كل ذى كرش انه يجتر بالجيم فاعرف ذلك .

﴿ ترجمة ابن عمى ، ومن أرجوه فى الحادثات والمشكلات لكشف غمى ﴾

السيد النسيب ، الشريف الحسيب ، الاديب الاريب ، المصقع المنبر الخطيب ، الذي بذكره ينشرح القلب ويطيب ، العلم السامى الاكبر ، الرئيس الكريم البر ، السيد رضى الدين بن العلامة الفهامة الحبر البحر ، السيد محمد حيدر هو مقدام البلغاء المترجمين في هذه الرحلة ، عالم عامل رحله ، تشد إلى جنابه الرحال

وتزدحم على بابه الرجال ، لتحصيل الفوائد ، وتنويل الصلات والعوائد ، يسعى اليه كل ذي أمل ، إذا نادى مناديه بحى على خير العمل : كيف لا وهو فاضل اقرت له الفضائل بالوحده ، وذلك فضل الله يؤتيه عبده ، وأديب تربى في حجر الآداب ، ورضع لبان العقل والصواب ، ونام في مهد البلاغة فأيقظ بفصاحة تحريره وتقريره قلوب الطلاب ، وعلى كل حال فأليه في البلاغة المرجع والمآب وتحرير ما سمحنا بمثله ولا رأينا ، ورئيس كريم ينشد لسان حاله ، ان آثارنا تدل علينا ، تفرد بالاريحية والفضل ، فما جعفر لدى جوده وما الفضل ، كان والده معدناً لكل فضل وافادة ، وتاج الاماجد السادة ، وهو من بعده اخلفه وزيادة ، على رغم كل حلاف حناث مشاء بنميم نفاث ، وكانت ولادته عام الف ومائة وثلاث ، واسمه تاريخه كما لا يخفى لذي عينين ، لكنه زاد في العدد اثنين ، فاستثناها ولده رحمه الله بقوله :

رضي الدين تاريخ لعام فطامه الشرعي

وقال ايضاً :

رضي الدين تاريخه بحذف اثنين من عدده

له التصانيف الحالية ، الفريدة المفيدة الغالية ، منها تنضيد العقود السنية بتمهيد الدولة الحسنية ، تاريخ جليل القدر جم الفوائد ، وله شعر يزري بعقود الجواهر في اجياد الابكار الخرائد ، بليغ الالفاظ لطيف المعانى ، يطرب لسماعه الحسن بن هانى ، فمنه قوله مادحا شريف مكة المشرفة السيد الأنجد ، الشهم الامجد الشريف مبارك بن احمد :

لعلوى ربوع با للوى وخدور فهل لك يا حادي الظعون تزور
نجدد عهداً با للوى جاده الحيا فلى في رباه روضة وغدير
ونذكر اياما تقضت بسفحه وعصراً به غصن الشباب نضير
سقى مربعا للعامرية با للوى ملث تعم الارض منه بحور
فلم انس سرا قد اذاعته عندما تدانى فراق بيننا ومسير

عشية قالت يا لحى سوف نلتقى ... وقال لها الواشى ابوك غيور
فدتها الغوانى كيف تفشى حديثها ... اما علمت ان الوشاة حضور
اطعت الهوى في حبها ولو انه ... وفي كبدي منه لظى وسعير
وقلت محب قد اتى يطلب الثوى ... فقالت يقيم اليوم ثم يسير
فقلت لها ياعلو فى غير ارضكم ... اسير واما عندكم فأسير
اهاجرتى لا فرق الله بيننا ... الى كم صدود فى الهوى ونفور
أفي كل يوم لي اليكم وسيلة ... أقدمها انى اذاً لصبور
على أننى لم أفش سرا ولم اخن ... عهودا ولم تسند الي أمور
فقالت حماك الله من كل شيمة ... تشين ولكن الوشاة كثير
اذا ظفروا يوماً بحر تبادروا ... الى ذمه ان اللسان عثور
فقلت دعيهم لا أبا لأبيهم ... فانى مليك في الهوى وأمير
فقالت نعم قد أيدتك شواهد ... لدينا واخبار بذاك تسير
ولكن اذا فاض الحديث بمحفل ... وأرجئنا منه شذى وعبير
رايتك للاداب تصغى وللعلى ... تميل وذاود لديك تمير
وتنظم من در الكلام قلائدا ... تحلى بها للغانيات نحور
ألست الذي تطوى القفار لماجد ... له بين سادات الأنام ظهور
فقلت بلى لله درك هذه ... مطامح مثلى لا طلا وبخور
فقالت اذن فاقصد أخا المجد والتقى ... ومن بالخصال الصالحات شهير
مبارك نجل الشهم أحمد من له ... جميع البرايا بالاكف تشير
فقلت هو المولى الذى قط ماله ... كما صح بين العالمين نظير
مليك عظيم ماجد متواضع ... عليم باعقاب الامور خبير
مليك رقى هام السماكين واغتذى ... لبان العلى والمجد وهو صغير
وساد بني السبط الذين هم هم ... ملوك الورى بالسيف وهو كبير

مليك له يومان يوم لبؤسه فكل الفيافي للعصاة قبور
ويوم ندى عم الخلائق بره فلم يلف بين العالمين فقير
مليك عريق فاطمي مهذب علا أورثاه شبر وشبير
مليك خطيب مصقع ذو بلاغة يقصر عنها دعبل وجرير
مليك زهت أم القرى بقدومه وحف جميع الخلق منه سرور
فيا ملكا تروى أحاديث فضله ثقات عدول في الورى وصدور
عن السبط عن مولى الأنام باسرهم علي كما قد اوضحته سطور
ويا ماجداً حاز القلوب بلطفه وكل وداد قد حواه ضمير
الم تدر انى لم ازل منذ اشرقت علي شموس من علاك تنير
واصفيتنى محض الوداد تفضلا وظنا بأني عالم وبصير
رجوت بأني ارتقى كل رتبة ذراها يرد الطرف وهو حسير
فكان جزائى ضد ماقد رجوته على انني بالفضل منك جدير
على حظي المنحوس عتبي لانني ارى ان حظي قد علاه قصور
فان تولنى منك الجميل فحبذا وإلا فانى عاذر وشكور

(اقول) : هذا البيت ضمنه في هذه القصيدة فانى رأيته مسطورا في كتاب مناهج التوصل ، في مباهج الترسل ، في ضمن رسالة ، هذه صورتها :

عندي حدائق جود من نوالكم قد مسها عطش فليسق من غرسا
تدار كوها وفي اغصانها رمق فليس يرجى اخضرار العود أن يبسا

من رفعت له الدرجات ، ارتفعت اليه الحاجات .

لهمتك العلياء وجهت حاجتي وحاشا لقصاد الكريم تخيب

واعلم ان تفقد الاخوان ، وزيارة الخلان ، عادة الصالحين ، بل سنة المرسلين .

قال الله تعالى حاكياً عن سليمان عليه الصلاة والسلام ، وتفقد الطير فقال مالي لاارى الهدهد ، وذلك مايخل بجلالة قدره ، ونباهة امره ، وعلو شأنه ،

ورفعة ملكه ومكانه .

تفقد الخلان مستحسن فمن بداه فنعما بدا
سن سليمان لنا سنة وكان فيما سنه مقتدى
تفقد الطير على ملكه فقال مالي لا أرى الهدهدا

وهذه السنة السنية ، والطريقة الحسنة المرضية ، هي سنة الأنبياء والمرسلين ، والاولياء الكرام المكرمين ، وطريقة العلماء الاخيار ، والحكماء الأبرار .

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

فالعبارة في الحال ، أفصح من المقال ، ولكن الى متى يافتى ، اذا كان المرسل حليما ، والمرسل اليه عليما .

اذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه
أفضل المعروف اغاثة الملهوف
فان تولني منك الجميل فمبتدا وإلا فاني عاذر وشكور

وما أحسن ماسمعت من لطيف التضمين ماحكى ان الامير بدر الدين بيلبك الخازندار احضره الى البلاد المصرية تاجر كان يحسن اليه وهو في رقه فلما باعه على الملك الظاهر وتنقلت به الايام الى ماصار اليه من علو الرتبة والمنصب وافتقر التاجر فيما بعد فحضر الى الديار المصريه ، وكتب اليه رقعة فيها :

كنا جميعين في بؤس نكابده وقلت والطرف مني في أذى وقذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسى ان الكرام اذا

اشارة الى قول من قال :

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

ولعمري ان فيه من البلاغة حسن التضمين مع الاختصار ، الذي هو أشرف انواع البلاغة ، حكى ان الملك الظاهر لما استعرضه ليشتريه قال له التاجر ياخوندانه يكتب ويقرأ فأحضرت له دواة وقلم وورقة وتقدم اليه بان يكتب شيئاً فكتب :

لولا الضرورات مافارقتكم أبداً ولا تنقلت من ناس الى ناس

فاعجب الملك الظاهر الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك في مشتراه ، وقد أوردت في ترجمة والده قدس الله سره عدة قصائد كلها متضمنة تضمين بيتي الذهبي في الحمامة كما تقدم ، فراجعه ثمة والله أعلم ، بتتمة قصيدته المذكورة :

وهاك لآل في سموط نظمتها عقودا وفي اثناء ذاك شذور

هدية رق مخلص قد هفا به زمان لارباب الكمال كفور

وجد بقبول لابرحت معظما مهابا عزيزا والعدو حقير

ختام القصيدة :

ودم مالكا للمجد تم متمما له بفخار لم يصبه دثور

وقوله على لسان بعض الاعزاء ، وطلب منه جريان الماء في العود ، وعود ليالي السعود ، والقصيدة ذات قوافٍ أربع وهي :

لقد آن السرور بلا امتراء ووقت للمحبة والاخاء

لا العتاب لاالصدود والتدانى

وود صادق اضحى وثيقا لدى اهل التصادق والوفاء

والتصابى والعهود في الجنان

ويابن الاكرمين أباً وأماً لك الفضل الجميل مع الثناء

الثواب السعود بلا امتنان

فأنت فريد هذا العصر طرا على رغم الحسود بلا خفاء

تغابى جحود دهان

وبيت قصيده نسبا ومجدا بآباء كرام أصفياء

بالرغاب للوفود في الزمان

ودرة تاجه فضلا وعلما وقولا لايمازج بالخطاء

بالكذاب بالحقود بالهوان

فلا زالت بك الايام تزهو كنور جاده قطر السماء
السحاب الرعود الرثان
ولا برحت لك الدنيا فتاة تنيلك ما تؤمل من لقاء
طلاب وعود امانى
ولا فتىء الزمان لكم غلام مطيعاً في الغدو وفي المساء
الايات الورود التدانى
فدونكها تزف اليك بكرا سمت اوج المحاسن باعتلاء
بانتخاب بالصعود بالبيان
ودم ما قال مشتاق لخل لقد آن السرور بلا امتراء
ارتياب نكود توانى

وقوله مؤرخاً ولاية الشريف ذي العزم والايد ، مولانا الشريف علي بن سعيد بن زيد :

يا سيداً قد حاز فخر الأولى سبحان من بالملك قد كملك
ويا فريد العصر طراً ويا درة تاج الملك ما اعدلك
بسطت عدلا شاملا للورى بمنهج يسلكه من سلك
لذا اتى التاريخ عام الهنا بملكك الصاعد اوج الفلك
من بعد اخراج لجن علوا وأسعد الرحمن مستقبلك
فقد اتى بالسعد تاريخه ما تم للعالم ما تم لك

قلت : الشطر الاخير وهو التاريخ للبها زهير المصري رحمه الله تعالى من قصيدة اولها :

ويحك يا قلب أما قلت لك اياك ان تهلك فيمن هلك
حركت من نار الهوى ساكناً ما كان اغناك وما أجملك

ولو لا الاطالة لاوردتها بجملتها فانها في غاية من الرقة والانسجام ، وانما

ضمن هذا الشطر لمطابقته مقتضى الحال مع كونه صالحاً ان يكون تاريخاً وانما زاد ثلاثة وثمانين فاستثناها بقوله من بعد اخراج لجن علواً وهو لفظ لجن بمفرده وهو ثلاثة وثمانون . ولا يخفى ما في ذلك من التورية اللطيفة ، وقد قدمنا الكلام على هذا النوع من التاريخ في ترجمة والده قدس الله سره ، ومثله للشيخ ابراهيم بن ابي الحزم المدني تاريخ مقعد له :

عند ما تم مقعد الصدق هذا قيل ارخه قلت يا صاح حاضر
هاك تاريخه ولا شين فيه مقعد للجليل عال وعامر

أي باسقاط عدد حروف شين والتورية فى هذا التاريخ ايضاً ظاهرة :

قيل : جلس نحوي إلى جانب واعظ فلحن الواعظ ، فقال له النحوى : اخطأت ولحنت ، فقال الواعظ : بديهة ايها المعرب في اقواله ، اللاحن في افعاله ، لأجل ضمة رفعت ، وفتحة نصبت ، وجرة خفضت ، وجزمة جزمت ، هلا رفعت إلى الله يدك في جميع الحاجات ، ونصبت بين عينيك ذكر الممات ، وخفضت نفسك عن اتباع الشهوات ، وجزمتها على ترك المحرمات ، أما علمت انه لا يقال لك يوم القيامة لم لا كنت فصيحاً معربا ، بل يقال لك لم كنت عاصياً مذنباً ، ولو كان الامر كما ذكرت لكان هارون احق بالخلافة من موسى إذ قال الله اخباراً عنه واخي هارون هو افصح مني لساناً فجعل الرسالة في موسى لثبات جنانه ، لا لفصاحة لسانه ، وأنشأ يقول :

وجاهل في الفعال ذي زلل حتى إذا قال قوله وزنه
قال وقد اعجبته لفظته تيها وعجبا اخطأت يالحنه
فقلت اخطأ الذى يقوم غداً ولا يرى في كتابه حسنه

قيل : اتى نحوي إلى بعض الولاة ، فقال : اعزالله الامير انى لي ابناخ أشر بطر ، قد انطوى على كل سكير وخمير ، عمد إلى عود فنحته ، وإلى شعر برذون فعصبه به ، فطن وطنطن حتى فطن به فآذانى بتطنطنه فأحب عقوبته حتى ينتهي

عن ذلك ، فأمر الامير باحضاره ، فلما مثل بين يديه قال له : يا ابن اخى ألم اطعمك اطيب الطعام ، ألم اسقك ألذ الشراب ؟ قال : بلى يا عم ، قال : فمالك والتعدي ، أضجعوه وجبوا أنفه ، فالتفت اليه الشاب وقال : والله يا عم لضرب بالسياط على بدنى خير من وقع كلامك في اذني ، فضحك منه الامير وأطلقه .

قيل : ان العتابي : هاج به الدم يوما فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فاقبل اليه اصحابه ، وجعل بعضهم يفرك انامله ، وقوم يؤذنون في اذنه ظناً به انه مصروع ، فلما افاق من غشيته ورأى اصحابه محدقين به فقال لهم : ما لكم تكأكأتم علي كتكأكأكم على ذى جنة افرنقعوا عنى ، فقال بعضهم لبعض دعوه فان جنيه يتكلم بالهندية .

وقيل : نظر بعض الناس إلى العتابى وهو يأكل في السوق ، فقال له : أما تستحي بأن تأكل في السوق والناس تراك ؟ فقال له العتابى : أرأيت لو كنت في دار فيها بقر كنت تستحي بأن تأكل وهى تراك ، قال : لا ، فقال له : اصبر قليلا لأريك صدق ما قلته ، فصعد على دكه حانوت ووعظ فاجتمع عليه الناس ، فلما رأى كثرة اجتماعهم ، قال : ايها الناس قد روينا من غير وجعانه من بلغ لسانه إلى رأس انفه لم يدخل النار ، فلم يبق احد من القوم إلا وأخرج لسانه إلى رأس انفه لينظر هل يبلغ اليه أم لا ، فلما تفرقوا عنه قال للرجل ألم اخبرك انهم بقر .

وقيل : سأر منه مرة بعض اصحابه اعارة حمار وكان في مجلسه جماعة من اصحابه ، فأخرج له برذعة وقال له : ضعها على ظهر من شئت من هؤلاء الجماعة فاني اتيت اليوم من طريق بعيد وحماري اهلكه التعب .

لطيفة : ولى المنصور الدوانيقى سليمان بن راشد على الموصل وضم اليه الفاً من العجم وقال له : قد ضممت اليك الف شيطان تذلل بهم العباد وتملك بهم البلاد فلما اتى الموصل عتوا في البلاد وقطعوا السبيل ، فأتى خبرهم إلى المنصور ، فكتب اليه كفرت النعمة يا سليمان ، فاجابه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فقبل

عذره وصرفهم عنه .

قيل : حبس عمرو بن العاص عن جنده العطاء ، فقام اليه رجل حميري وقال اصلح الله الامير إذا لم تعطنا شيئا فانحت لك جنداً من حجارة لا يأكلون ولا يشربون ، فقال له عمرو : اسكت يا كلب العرب ، فقال الحميري : فأنت إذاً أمير الكلاب . لبعضهم :

ايها المرء ان دنياك بحر موجه طافح فلا تأمنها
وسبيل النجاة منها منير وهو اخذ الكفاف والقوت منها

لطيفة : لما ماتت حمادة بنت عيسى عمة المنصور العباسي فخرج في جنازتها فرأى ابا دلامة واقفاً على قبرها ، فقال له : ما اعددت لهذه الحفرة يا ابا دلامة ؟ فقال : عمة امير المؤمنين يؤتى بها الساعة ، فغلب المنصور الضحك حتى ستر وجهه بطرف رداءه حياء من الناس .

قيل : دخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة والده ، فقال له الشاب: رحم الله ابي مرض يوم كذا ، وسار إلى رحمة الله يوم كذا ، وخلف من المال والمتاع كذا وكذا فانتهر الربيع وزير المنصور وقال له أما تستحي بحضرة أمير المؤمنين وأنت تعرف والدك ، فقال له الشاب : صدقت يا ربيع لانك ما تعرف حلاوة الآباء والامهات ، فضحك المنصور وخجل الربيع .

قال ابو الفرج الاصبهاني : كان الربيع هذا يدعي انه ابن يونس بن ابي فروة ، وبنو فروة يدعون انه لقيط وجدوه مرمياً على باب يونس فرباه فلما كبر وهبه المنصور قبل خلافته ، فلما تولى المنصور الخلافة جعله حاجباً ، ثم جعله وزيراً .

وقيل: ان الربيع لما كبر كان يونس مقلا فابتاعه ، على زياد بن عبد الله خال ابي العباس السفاح فاهداه إلى السفاح فلم يزل في خدمته حتى مات السفاح فخدم بعده ابا جعفر المنصور فلم يزل عنده في حظ وسعد حتى تولى الوزارة

وذلك لحزابته وهمته ونباهته .

لا تقل أصلي وفصلي أبداً ... انما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أب ... وبحسن السبك قد ينفى الزغل
وكذا الورد من الشوك وما ... ينبت النرجس إلا من بصل

لما وصل المعز ابو تميم معد بن منصور العبيدي إلى الديار المصرية بعد ما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر واختط له القاهرة ، وكان العبيديون ينسبون إلى فاطمة الزهراء عليها السلام خرج الناس إلى لقائه لما قرب من مصر وأجتمع به الاشراف ، فقال له: من بينهم ابو محمد عبد الله بن طباطبا العلوي إلى من ينتسب مولانا ؟ فقال له المعز سنعقد لكم مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام ، ثم جلس لهم ، وقال : هل بقى من رؤسائكم احد فقالوا : لم يبق معتبر ، فسل عند ذلك نصف سيفه ، وقال : هذا نسبي ثم نثر عليهم ذهباً كثيراً ، وقال : هذا حسبي ، فقالوا جميعاً سمعنا واطعنا ومازال هؤلاء الخلفاء بمصر يدعون الشرف ويقولون نحن من ولد فاطمة يريدون بذلك التبجح على بنى العباس خلفاء بغداد ، فيقولون : ابونا علي بن ابى طالب وأمنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكان الحاكم منهم في كل جمعة يقول مثل هذا على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر في اشغال الناس ، فرفعت اليه رقعة فيها :

انا سمعنا نسباً منكراً ... يتلى على المنبر في الجامع
ان كنت فيما قلته صادقاً ... فانسب لنا نفسك كالطائع
او كان حقاً كل ما تدعي ... فاعددلنا بعد الاب السابع
أو فدع الاشياء مستورة ... وأدخل بنا في النسب الواسع
فان انساب بنى هاشم ... يقصر عنها طمع الطامع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد ، والقيمون بعلم الانساب والتاريخ لا يثبتون لهم هذه النسبة .

قلت : قال الصفدي كذا رأيت جماعة من الفضلاء يروي هذه الواقعة للحاكم وليس بشيء لان الحاكم توفى سنة احدى عشرة واربعمائة ، وكان الخليفة ببغداد إذ ذاك القادر بالله لانه توفى سنة اثنين وعشرين واربعمائة ، والطائع لله خلع من الخلافة سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ، توفى مخلوعا سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، والذي كان خليفة مصر في ايامه انما هو العزيز ابو منصور نزار بن المعز لانه مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة ولي الامر سنة خمس وثلاثمائة وهو والد الحاكم ، وإذا كان كذلك فصاحب الواقعة انما هو العزيز ويحتمل ان يكون الحاكم بتأويل في الشعر ، بل الذي اتفق للحاكم انه كان يدعي علم الغيب ، فيقول فلان في بيته كذا وكذا ، وكان يفعل كذا وكذا ، وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز الذين يدخلون بيوت الناس ويتجسسون اخبارهم ، فرفعت اليه رقعة فيها :

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكذب والحماقة
ان كنت اوتيت علم غيب بين لنا كاتب البطاقة

فسكت بعد ذلك عن الكلام في المغيبات .

حكى ان فخر القضاة ابن بصاقة امسك له فأرة بيضاء فصنع لها قفصاً وكتب عليه من نظمه :

وفارة بيضاء لم تمنهن يوماً باطعام السنانير
إذ فارة المسك سمعنا بها وهذه فارة كافور

ومما يستغرب انه وجد في ذخائر ابى كاليجار سلطان الدولة ابن بهاء الدوله ابن بويه نملة في حلقها سلسلة تأكل كل يوم رطلى لحم بالبغدادي ، وعندي ان هذا مستبعد ، ذكر ذلك الصفدي في شرح لامية العجم عند آخر هذا البيت :

تنام عيني وعين النجم ساهرة وتستحيل وصبغ الليل لم يحل

ولى الحجاج أعرابيا ولاية فتصرف في الخراج فعزله فلما حضر بين يديه قال له ياعدو الله أكلت مال الله فقال الاعرابي ومالـ من آكل ان لم آكل مال الله

لقد راودت ابليس ان يعطيني فلساً واحدا فلم يقبل فضحك منه وعفا عنه .

فلما كان ليلة الخميس ، المبارك الانيس ، توكلنا على رب المثانى ، ورحلنا من بغداد ليلة الخامس من جمادي الثانى ، قاصدين دار السلطنة اصفهان ، لا زالت معمورة مغمورة على ممر الازمان ، صحبة الامير الشهم المذكور ، لا زال محبوراً ومشهوراً ، ولا برح مستوراً ، وأقمنا بها يوماً وهى قرية لطيفة على الشط يعبر اليها بالسفن في غاية الشراحة ، ما احسن ما كتب به ابن حكينا البغدادي إلى ابن التلميذ الطبيب وقد مرض بان يعبر اليه الدجلة ليداويه :

ان امرأ القيس الذي هام بذات المحمل
كان شفاه عبرة وعبرة تصلح لي

ويريد قول امرىء القيس :

وان شفائى دمعة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

فنقل ابن جكينا العبرة من كلام امرىء القيس من الدمع إلى العبرة في كلامه وهي التعدية في الدجلة ، والعبرة الدمع نفسه تجمع على عبرات يقال منها استعبر الرجل وتقول عبر الرجل يعبر عبراً فهو عابر والمرأة عابر ايضاً ، وعبرت عينه واستعبرت إذا انهل دمعها والعبران الباكي ، والعبر بالتحريك سخنة في العين يبكيها والعبر بالضم مثلها يقال رأى عبر عينه ، أي ما يسخن عينه ، فاضافنا ذلك اليوم حاكم بهروز عثمان أغا ، ثم رحلنا فاتينا على قرية تسمى بلاد الروز وهى قرية كل ما فيها طيب حسن ، عامرة كانها من جنان عدن ، فاقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى بندر علي وهي قرية حسنة معمورة ، وبكل خير مغمورة ، وهذه الاربع المنازل من تعلقات بغداد كلها مشمولة بالخيرات ، محفوفة بالبركات ، فاقمنا هناك يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى سومار ، وهي اول حد العجم يسكنها الاكراد الاشرار ، فاقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى جنسور واقمنا بها باعزاز واكرام ثلاثة ايام في بيت حاكم الاكراد الامير محمد علي خان وفي كل

يوم يخرج بنا بين تلك المياه والزهور والآكام والربى ، لصيد الارانب والظبا ، وما أحسن قولـ عمي الفاضل الاب الاكبر ، السيد محمد بن علي بن حيدر ، المتقدم ذكره :

أقول لقلبي اذ تولع بالهوى وشرق في حب الملاح وغربا
اذا عز صيد الظبي فاقنع بغيره فكل الفلا صيدوان كان أرنبا

واسلوب هؤلاء الاكـــراد ، كالعرب البواد ، تراهم في كل جبل وواد ، متفرقين كالجراد .

﴿ لطيفة ﴾ : سمع بعضهم قارئاً يقرأ الاكراد أشد كفرا ونفاقا ، فقالـ له انما الآية الاعراب أشد كفراً ونفاقا ، فقال كلهم قطاع الطريق لعنة الله عليهم أجمعين ، قال بعض الاكراد يمدح الصاحب بن عباد ويتضمن فضل العجم على العرب :

غنينا بالطبول عن الطلول وعن عيس عذافرة ذمول
وأشغلني عقارى عن عقارى ففي أست القضاة مع العدول
فلست بتارك ايوان كسرى لحومل او لتوضح فالذحول
وضب بالفلا ساع وذئب بها يعوى وليث وسط غيل
اذا نحروا فذلك يوم عيد وان ذبحوا ففي عرس جليل
بأية رتبة قـدمتموهـــا على ذي البيت والشرف الاصيل
أما لو لم يكن للفرس الا نجاد الصاحب العدل الجليل
لكان لهم بذلك خير عـز وجيلهم بذلك خير جيل

فقالـ له الصاحب : لقد تجاوزت حدك ، ثم أمر بديع الزمان الهمذاني ان يجيبه ، فقال بديهة في الحال :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت رأسك من فضول
طلبت على مكارمنا دليلا متى احتاج النهار الى دليل
ألسنا الضاربين جزى عليكم فأي الخزي أقعد بالذليل

متى قرع المنابر فارسي ... متى عرف الأغر من الحجول
متى علقت وأنت بها زعيم ... اكف الفرس اعراف الخيول
نفخرت بملء ما ضغتيك فخراً ... على قحطان والبيت الأصيل
نفخرت بأن مأكولا ولبسا ... وذلك فخر ربات الحجول
تفاخرهن في خد أسيل ... وشعر في مفارقه أسيل

قال : فلما أجبته بهذه الابيات نظر الصاحب الى الرجل فقال له ماترى ، قال : لو رأيت ما صدقت ، قال اذاً جائزتك عندي ان وجدتك بعدها في مملكتي أمرت بضرب عنقك ، ثم قال : ألا ترون احداً يفضل العجم على العرب الاوفيه عرق من المجوسية .

وقال بعض العجم أيضا مفتخراً على العرب :

أنا ابن الاكارم من آل جم ... وطالب ارث ملوك العجم
لنا علم الكاويان الذي ... به نرتجي ان نسود الامم
فقل لبني هاشم أجمعين ... هلموا الى الخلع قبل الندم
وعودوا الى أرضكم بالحجاز ... واكل الضباب ورعى الغنم
فاني سأرقى سرير الملوك ... بحد الحسام ورأس القلم

(أقول) : قوله لنا علم الكاويان هو علم من جلد واصله الكابيء الحداد وهو كان عند الفرس يتوارثونه من زمن الملك الضحاك وله قصة ذكرها الفردوسى الطوسي في كتاب الشاه نامه الذي خدم به السلطان محمود الغزنوي .

ورأيت أيضاً في شرح رسالة الوزير أحمد بن زيدون التى جعلها على لسان ولادة بنت المستكفى بالله المعروف بالداخل في بني امية حين هام بها الوزير ابو عامر ابن عبدوس وأرسل اليها امرأة تستميلها اليه وتعد لها مناقبه وترغبها في الانفراد به ، وكانت ولادة هذه تتعشق الوزير أحمد بن زيدون وتميل اليه ونظمها وحكاياتها

منه مشهورة ، فمن نظمها ما كتبته اليه :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك مالو كان بالبدر لم يبر وبالشمس لم تشرق وبالنجم لم يسر

ومن قولها ما كتبته بالذهب على كم ثوبها :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكن عاشقي من صحن خدي واعطي قبلتي من يشتهيها

فكتب ابن زيدون هذه الرسالة وهي مشهورة بديعة تتضمن غرائب من نسب أبي عامر والتهكم به والجهالة وجعلها جوابا عن لسان ولادة وارسلها عقيب رجوع المرأة فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها في الآفاق وأمسك ابن عبدوس من التعرض لولادة الى ان انتقل ابن زيدون الى اشبيلية ومات بها تغمدهم الله برحمته وشارح هـــذه الرسالة الأديب ابن نباتة وهو شرح وجيز مفيد رأيت فيه عند قوله : قاطعة انك انفردت بالجمال ، واستأثرت بالكمال ، واستعليت في مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال ، حتى خلت ان يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وان قارون اصاب بعض ما كنزت ، والنطف عثر على فضل مار كزت ، وكسرى حامل غاشيتك ، وقيصر راعي ماشيتك ، والاسكندر قتل دارا في طاعتك ، وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك ، والضحاك استدعى مسالمتك .

(ما صورته) : واختلف في نسب الضحاك فقيل هو من العرب من قحطان واليمانية تدعيه ، وفي ذلك يقول أبو نؤاس :

وكان منا الضحاك تحذره الحامل والوحش في مساربها

وقال قوم هو الضحاك بن الاهبوب بن عوج بن طهمورث بن آدم عليه السلام ، وزمنه بعد الطوفان وهو ابن اخت جمشيد بن أوشهنج ملك الاقاليم .

وقال قوم هو الضحاك بن علوان أول الفراعنة وهو الذي ولى اخاه سنان

بمصر على عهد ابراهيم عليه السلام ، وكان من سيرته ان جمشيد ومعناه سيد الشعاع ملك الاقاليم السبعة ، وهو اول من عمل السلاح واستخرج الابريسم والقز وألزم أهل الفساد في الاعمال الشاقة في قلع الصخور واستخراج المعادن وطال عمره وتجبر وادعى الربوبية فخرج عليه الضحاك هذا ، وتبعه خلق كثير فظفر بجمشيد ونشره بمنشار ، وقال له ان كنت إلها فادفع عن نفسك ، وملك بعده الضحاك فطغى أيضاً وتجبر وفجر ودان بدين البراهمة ، وهو اول من غنى بين يديه وضربت له الدراهم والدنانير ولبس التاج ووضع العشور وكان له سلعتان على كتفيه يدعى انهما حيتان يهول بهما الضعيف وكان يزعم انهما يضربان عليه ولا يسكنان حتى يطليهما بدماغي انسانين يذبحان له في كل يوم وكان له وزير صالح يذبح له كل يوم كبشاً ويترك الرجل ويقول عليك بالجبل فلا تظهر فيقال انهم الاكراد لأنهم يكردون الجبال .

ثم كثر فساد الضحاك فاجتمع الناس على افريدون بن اخت جمشيد وكان قد ترعرع فاستعد لقتال الضحاك وكان بأصبهان رجل حداد يقال له كاوى قتل له الضحاك ولدين فاجتمع عليه خلق كثير وكان له قطعة جلد يتقي بها حر النار فوضعها على رمح وخرج امام افريدون فبمجرد ما رآه الضحاك وقع الرعب في قلبه وانهزم وملك افريدون وعظم علم كاوى وصفحه بالذهب ورصعه بالجواهر وكانت الملوك تقدمه امام الجيوش فينصرون به وما يعلم سر هذا إلا الله وكان في الفرس كالتابوت في بني اسرائيل ويعرف هذا بدرفش كاويان ولم يزل في ايام الفرس في خزائنهم يتوارثونه الى ايام يزدجرد فأخذه المسلمون في وقعة القادسية وحملوه الى عمر بن الخطاب ففرق جوهره وذهبه في المسلمين .

(وقيل) : اجتمع الناس على باب الضحاك وفيهم كاوى الحداد فلما دخلوا عليه قال له كاوى السلام عليك سلام من ملك هذا الاقليم ام سلام من ملك الاقاليم ، قال بل سلام من ملك الاقاليم ، قال كاوى فاذا كنت قد ملكت الاقاليم فلم لا تجعل

لكل اقليم حظا من مكثك وبركتك ولم خصصت هذا الاقليم ؟ فأحجم الضحاك وانصف الناس وكانت أمه حاضرة فأنكرت عليه ذلك وقالت له لقد أجرأتهم فهلا قتلتهم فقال انهم يدعوني الى الحق فكنت كلما هممت بهم رأيت الحق يحول بيني وبينهم كالجبل ثم لم يزل كذلك الى ان كان من امره ما كان من قتل ابنى كاوى وخروج كاوى عليه مع افريدون .

(ثم رحلنا) من جنسورت فأتينا على قرية تسمى كيلانك ، فأقمنا هناك يوماً ورحلنا فأتيناعلى قرية تسمى جشمت قنبر ، قرية عليها الله اكبر ، والجشمت با لفارسية عين الماء يعنى عين قنبر اسم لمن اجراها ، كانها من شدة بردها زمهرير ، ويصير بها ثلج عظيم يصد المسافرين عن المسير ، لانه ربما يعلو على الارض بقدر قامة أو أزيد من ذلك ، فيسد الطرقات والمسالك ، وربما تقطع يد الانسان أو رجله من شدة البرد وهو لم يشعر بذلك ، من قوة الثلج الهالك ، وبهذه القرية خان عظيم مكين ، بني للمسافرين ، فأقمنا بها يوماً ورحلنا فأتينا هارون أباد ، وهى قرية لطيفة ويوجد بها الصافنات الجياد ، يباع أنجبها بثمن بخس احقر ، بخمسة حمران وان عز فبعشرة الى خمسة عشر أحمر ، فأقمنا بها يوماً ورحلنا ، فأتينا على ماهي دشت ، وكل هذه القرى عامرة ، ذات خيرات وافرة ، فأقمنا بها يوماً ورحلنا فأتينا مدينة كرمان شاه ، مدينة ليس لها فى الحسن من شبيه ، بها كل ما يهوى القلب والنفس تشتهيه ، ويوجد بها بطيخ يبلغ وزن الواحدة منين وأكثر ، تخاله في الحلاوة كالسكر المكرر ، بعضه باطنه أحمر كالجلنار ، وبعضه أصفر كالزعفران في نهاية الاصفرار ، وغير ذلك من انواع الفواكه النفيسه ، الطيبة الانيسه ، وفيها القصور العالية ، والبدور الغالية ، والازهار الفائحة ، والانهار السائحة والبساتين التي كأنها من جنان النعيم ، والاسواق المملوأة بأنواع الخير العميم ، والحوانيت المعمورة بأصناف البز العظيم ، والسماسر التي يصبح لسان الواصف عنها قاصر ، فأقمنا بها ثلاثة أيام ، ونحن بعز مدام ، في دار حاكمها رفيع البنيان ، الغنى بذاته

الحميدة عن الوصف والتبيان ، الامير المظفر المعان ، حسن علي خان ، وحصل لي منه القبول والاكرام ، وبلغني من نواله المرام .

﴿ فائدة ﴾

كرمان شاه : بناها كرمان بن فارس بن طهمورس وهو الذي بنى كرمان الآتي ذكرها ان شاء الرحيم الرحمان .

وفي سنة أربعين وألف تمت عمارة الكعبة الشريفة زادها الله شرفا وذلك بأمر سلطان الحرمين الشريفين ، والروم والعراقين ، صاحب العزم والنجاد ، السلطان مراد ، وللقاضي تاج الدين المالكي مؤرخا لعمارتها وممتدحا معمرها بقوله :

هنيأ لملك خصه الله واجتبى وصدّاه للبيت العتيق مجده
بنى البيت بعد ابن الزبير ولم يفز سواه بهذا الفخر لازال سعده
مليك أقام الله ايام ملكه ولا زال خفاقا مدى الدهر بنده
مليك ملوك الأرض طرا عبيده تدين له شرقا وغربا وجنده
مليك حباه الله فخراً وسؤددا وصيتاً مداه لاينالـ وحـده
بتعميره بيت الاله على يدى من اختاره رب العلى دام رشده
فدونك تاريخاً لعام بنائه وفيا بضبط العام حين تعده
مراد بنى بيت الاله وزاده سناء بهى يزهى به زيد مجده

وله رحمه الله تاريخها نثراً ، أسس بنيانه على تقى من الله وهدى ، ثم نظمه فقالـ :

تاريخه اسس بنيانه على هدى تقوى من الله

قيل ان الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي رحمه الله حضر ذات يوم عند القاضي بهاء الدين بن شداد قاضي حلب فجرى ذكر زرقاء اليمامة فجعل الحاضرون يقولون ماعلموه من أمرها ، فقال الشيخ موفق الدين ان كانت الزرقاء

ترى الشيء من مسيرة ثلاثة أيام فأنا أرى الشيء من مسيرة شهرين قال فتعجب الكل وما أمكنهم أن يقولوا للشيخ شيئاً فقال له القاضي كيف هذا يا موفق الدين قال لأني أرى الهلال فقال كنت تقول من مسيرة كذا وكذا سنة فقال لو قلت كذلك عرف الحاضرون غرضي فقصدت الايهام عليهم ، قلت لو قال الشيخ موفق الدين أنظر الى الشيء من مسيرة شهرين واكثر كان أحسن ايهاما .

ويقال ان هذه زرقاء اليمامة نظرت الى حمام يطير في الجو فقالت رجزا :

ياليت ذا القطا لنا ومثل نصفه معه الى قطاة أهلنا اذن لنا قطاميه

وذكر أبو حاتم انها قالت :

ليت الحمام ليه الى حمامتيه ونصفه قديه ـ تم الحمام ميه

فالحمام اذن ستة وستون ونصفه ثلاث وثلاثون الجملة ، تسعة وتسعون تضاف الى هذه الجملة حمامتها فتكمل المائة يقال انها وقعت في شبكة صائد فعرف عددها وعندي ان هذا من المستحيل أن يتفق لأحد مع التساهل في تجويز الرؤية وسرعتها فكيف يتهيأ احصاؤه وهو في طيرانه وبعضه يتقدم ثم انه يتأخر وبعضه ينسفل ثم انه يعتلي ، وأغرب من هذا ماقاله النابغة في قصيدته وهو :

احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق ويتبعه مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت ستاً وستين لم ينقص ولم يزد
فكملت مائة فيها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد

يريد بجانبي النيق حافتي الجبل واذا كان الحمام في مضيق بين جبلين ضاق المكان عليه وركب بعضه على بعض مترا كما فيكون البعد لاحصاء عدده بخلاف ما اذا كان منبسطاً في الجو فتأمل ذلك ، ومما يمتحن به الاذهان في الحساب .

قالوا صفان من الحمام قال الأعلى للاسفل كم عدد كم؟ فقالوا اذا طلع منا اليكم

واحد كنتم مثلينا ، واذا نزل منكم الينا واحد تساوينا فكم عدة كل صف ؟ الجواب الصف الأعلى سبع والصف الاسفل خمسة .

﴿ مسألة اخري ﴾

رفيقان اصطحبا في طريق مع احدهما خمسة ارغفة ومع الآخر ثلاثة ارغفة قعدا يأكلان فمر بهما آخر فأكل معهما وأكل كل منهم من الخبز على التساوي فلما فرغوا دفع ذلك الرجل اليهما ثمانية دراهم ، وسار فكيف يقسم ذلك بينهما والذي يبدو فى بادىء الرأى ان صاحب الخمسة له خمسة وصاحب الثلاثة له ثلاثة وليس كذلك ، والجواب ان صاحب الخمسة يستحق سبعة وصاحب الثلاثة يستحق واحدا والعلة في ذلك ان كلا منهم أكل رغيفين وثلثي رغيف يخص كل ثلث درهم .

﴿ مسألة اخرى ﴾

رفيقان في طريق مشتركان فى ثمانية أرطال زيتا أرادا قسمته بينهما ولم يكن معهما إلا وعاء يسع خمسة أرطال ووعاء يسع ثلاثة كيف الحيلة في قسمته ؟ الجواب أن يفرغ في وعاء الثلاثة ملأه ثم يقلب ذلك فى وعاء الخمسة ويملأ وعاء الثلاثة مرة ثانية ويفرغ منه في وعاء الخمسة تكملة وسعة وهو رطلان ويبقى في وعاء الثلاثة رطل واحد فيفرغ مافي الخمسة في وعاء الأصل ويقلب الرطل الذي بقى فى وعاء الخمسة ثم يملأ وعاء الثلاثة مرة ثالثة من الاصل ويضاف الى الرطل الذي في وعاء الخمسة فيجتمع فيه أربعة أرطال .

﴿ مسألة اخرى ﴾

بركة تمتلىء من نهر في يومين ومن نهر في ثلاثة أيام ومن نهر في أربعة أيام فتحت الانهار الثلاثة دفعة واحدة في كم تمتلىء ؟ الجواب في اثنى عشر جزأ من

ثلاثة عشر جزأ من يوم واحد لأنك تأخذ مخرج النصف والثلث والربع وهو اثنا عشر وتقسمه على مجموع الاجزاء وهي ثلاثة عشر المخارج اثنا عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانه ينصب اليها من النهر الأعظم ستة اجزاء من ثلاثة عشر ومن الاوسط أربعة اجزاء ومن الاصغر ثلاثة اجزاء وذلك مجموعها .

(قيل) : أهجى بيت قالته العرب قول الاخطل وهو :

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النـــار
فضيقت فرجها بخلا ببولتهـا كيلا تبول لهم إلا بمقدار

اشتمل هذا البيت على عدة معائب من أهله اولها انهم قليلون حتى تنصت الاضياف لنباح كلابهم ، وثانيها أن نارهم قليلة لفقرهم فهي تطفأ ببول امرأة ، وثالثها ان امهم هي التي تخدمهم فليس لهم خدم غيرها ، ورابعها أنهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها امهم ، وخامسها عقوقهم والدتهم بحيث انهم يمتهنونها في الخدمة ، وسادسها عدم ادبهم لأنهم يخاطبون امهم بهذه المخاطبة التي يستحي الكرام من التفوه بها ، وسابعها انهم يتركون امهم تبيت عند مواقدهم لأنهم قالوا لها بولي على النار ولم يقولوا لها قومي الى النار فبولي ، وثامنها انهم جبناء لا يرقدون لأنهم مستيقظون يستمعون الحس الخفي من بعد ، وتاسعها قذارتهم لأنهم لا يبالون بما يصعد من رائحة البول اذا وقع في النار ، وعاشرها الزام والدتهم بأن لاتبول لهم إلا بمقدار وتدخر بولها لوقت الحاجة اليه والا فما كل وقت يطلب الانسان البول يجده فتجد لذلك مشقة وألما من احتباس البول ، وحادي عشر افراطهم في البخل الى غاية يشفقون معها على الماء ان تطفأ به النار فيروح مجاناً ، وثاني عشرها انه تأكد بهذا القول عداوة المجوس للعرب لان الفرس يعبدون النار واولئك يبولون عليها فيتأكد الحقد حينئذ ،

حكي ان بعضهم اضاف بعض الكسالى فلما اتى باللحم قال له ياأخي قطع اللحم حتى اوقد النار ،فقال الضيف لا احسن ذلك فقال له نق هذا الارز إلى ان اشتغل

أنا بأمر اللحم على النار فقالـ له الضيف لا أحسن ذلك فقال له يا اخي مدّ السفرة فقالـ له لا أحسن ذلك فقال له ياسيدي قم وكل فقال الضيف والله لقد استحيت من كثرة خلافي لك وتقدم فأكل وما أحسن قول القاضي محيي الدين عبد الله ابن عبد الظاهر :

سلفتنا على العقول السلافة فتقاضت ديونها بلطافة
ضيفتنا بالبشر والنشر واليسر ألا هكذا تكون الضيافة

لما مات ابن حزم رآه أحد اصحابه معلقا بين السماء والأرض وهو يقولـ :

أسفي ما مثله أسف ندمي ما مثله نـــدم
هكذا بالبر يفعل بي كيف لو زلت بي القـــدم

فائدة

البندق اذا اكل نفع من لدغ العقرب ومن أمسك معه بندقة صحيحة لم تضر به عقرب مادامت معه صحيح مجرب

(اعلم) : أن للشعراء الفاظاً صارت بينهم حقائق عرفية وإن كانت في الاصل مجازاً لكثرة دورها في كلامهم وتعاطيهم إستعمالها لانهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم ، فمن ذلك السلافة والعسل اذا أطلقوهما فهم منهما الريق ، والنرجس اذا اطلقوه فهم منه العيون ، وكذلك السيف والسحر ، والسقم اذا اطلقوه فهم منه الاهداب ، والغصن اذا اطلقوه فهم منه القوام ، والكثيب اذا اطلقوه فهم منه الردف ، والورد اذا اطلقوه فهم منه الوجنة ، والرمان اذا اطلقوه فهم منه النهد ، والاقاحي اذا اطلقوه فهم منه الثغر ، والطلع اذا اطلقوه فهم منه الاسنان ، وكذلك البرد والدر ، والعناب اذا أطلقوه فهم منه الشفة ، وكذلك العقيق ، واذا أطلقوا الآس والبنفسج أو الريحان فهم منه العذار ، كل هذه الاشياء انتقلت عن وضعها الاصلي وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح الى هذه

الاشياء وما احسن قول الشاعر :

واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

أحجية في المسامير :

يا فاضلا جوده توالى وهو على السائلين منعم
اجب سؤالي بلا توان مامثل قولي العشاء اطعم

أحجية في المعتصم :

يا فاضلا سار عنه ذكر يسر اهل الآداب اجمع
مثّل فلا زلت ذا بيان قول محاجيك مس تمنع

احجية في حاذقين :

يامن اضحى يشجي الاضداد نظر قولي قارون حداد

أحجية في لبادين :

يامن بفن الآداب امسى فى كل معنى اصلا وفرعا
اوضح لنادمت في نعيم ما مثل قولي اجاب شرعا

قيل ان الخليل بن احمد صاحب عروض الشعر رحمه الله اتى اليه رسول الخليفة يطلبه وهو جالس يبل خبزاً يابساً في ماء فاذا انتقع اكله فقال له الرسول اجب امير المؤمنين فقال له الخليل ما دمت اجد هذين فاني لااحتاج اليه .

﴿ فائدة ﴾

اصحاب النوادر : ابن عتيق ، اشعب الطماع ، ابو الغصن جحا ، ابو العيناء ، ابو العبر ، ابو العنبس ، ابن الجصاص ، مزبد المدني ، وسنذكر بعض نوادرهم فيما بعد .

﴿ فائدة ﴾

الذي يشبه النبي ﷺ خمسة ، وقد نظمهم الحافظ محمد بن سيد الناس اليعمري ، فقال :

لخمسة تشبه المختار من مضر ياشبه ماخولوا من شبهه الحسن
كجعفر وابن عم المصطفى قثم وسائب وابى سفيان والحسن

أما جعفر فهو ابن ابى طالب ، وأما قثم فهو ابن العباس ، وأما السائب فهو ابن عبيد جد الشافعي ، وأما ابو سفيان فهو ابن الحارث بن عبد المطلب ، وأما الحسن فهو ابن علي بن ابى طالب .

﴿ فائدة ﴾

الطلحات الممدودون في الجود ، طلحة بن عبيد الله احد العشرة وهو طلحة الفياض طلحة الخير طلحة الجود هو ابن عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي ، طلحة الندى هو ابن عبد الله بن عوف الزهري ، طلحة الطلحات هو ابن عبد الله بن خلف الخزاعي

﴿ فائدة ﴾

أجود الاسلام عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، عبدالله بن جعفر بن ابى طالب الحسن بن علي بن ابي طالب ، سعيد بن العاص بن سعد بن العاص بن امية ، عبد الله ابن عامر بن كريز حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، عمر بن عبد الله بن معمر التميمي ، خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن العيص ، قيس بن سعد بن عبادة الانصاري ، عتاب بن ابى ورقاء احد بنى رياح بن يربوع بن حنظلة ، أسماء بن خارجة ابن حصين بن بدر الفزاري ، عبيد الله بن ابى بكرة مولى رسول الله ﷺ .

ترجمة : الجواد الكريم النبيل العظيم ، الرئيس الكامل الفاضل ، عزيزي وسندي ، وصاحبي وابن بلدي ، الاديب الالمعي الحاذق ، الحسيب النسيب السيد صادق نجل العالم الفاضل ، الصالح العاقل ، السيد عبد المطلب الحسيني المكي ، سيد شريف النسب ، ورئيس رقى إلى اعلى ذروة الرتب ، وإمام مقدم في محاريب البلاغة

والادب ، الناظم الباهر الاديب اللوذعي الماهر ، الناثر على الطروس فاخر الجواهر ، لو رأى نظمه المتنبي لأثبت له فخراً وفضلا ، ولو شاهد نثره الفائق الحريري لقال له اهلا برئيس المنشئين وسهلا ، له الكرم والأريحية ، والهمم العلوية طلب العلوم بمكة المشرفة ، واجتهد في تحصيلها ، فاطلع باجتهاده على جملها وتفاصيلها ، وتبحر في فنون علوم الادب ، فنال منها الارب ، ثم سافر إلى الهند فاقام بها مدة وحصل من الاموال عدة ، ثم عاد إلى مكة المشرفة ، وهو مشرف مبجل في مركب المنلا عبد الغفور فتح جنك الاول ، فانكسر بقدرة الحكيم القادر في مرسى عامر وذهب كل ما جاء به من نقد وذخائر فدخل مكة صفر اليدين وآب بخفي حنين ، فاقام بها مدة ، وقاسى فيها في الحقيقة عظيم الشدة ، ثم ابت همته العلية عن الاقامة على الاذلال ، والعسر والاقلال لانها من سيمة الجهال :

ولا يقيم على ذل يراع به إلا الاذلان عير الحي والوتد
فذاك يصبح مقرونا برمته وذا يدق فلا يرثى له احد

فاخذته الحمية ، والهمة الهاشمية ، فكر راجعاً إلى الهند ، وتسلى عن هوى ليلى بهند ، فاقام ببندر سورت اياماً ثم رحل إلى شاه جهان اباد ، واجتهد في تحصيل المناصب ، وعلو المراتب ، فأظهر الرياسة والنظام ، وأقبلت الدنيا منقادة اليه بالزمام ، فهو اليوم من جملة الامراء الاجواد في شاه جان اباد ركن الغرباء وابناء البلاد ، ثم رفعه الامير سعادت خان بقدرة الملك السلطان ، رتبة علية ، وقلده منصب البخشية ، يعني امير الجيوش بلغة الهندية ، فما زال عنده في منصب كبير وكرم شهير بين الكبير والصغير ، والغني والفقير على الخصوص مع ابناء بلده ، فانه قلد اعناقهم بورقه وعسجده ، إلى ان دعاه إلى قربه ملك الملوك ورزاق العباد ، فنقله من منصب الدنيا الفاني إلى منصب الاخرى الباقي من شاه جهان اباد رحمه الرحيم الرحمن ، واسكنه في أعلى فراديس الجنان ، مع الحور والولدان وله نظم رقيق حالي ، ونثر انيق كالدر الغالي ، يشتاق اليه اهل الآداب والنفوس السامية ،

شوق المريض إلى العافية ، فمن نظمه قوله متغزلا :

جارت على مهجتي ظلما وما عدلت ... فليت شعري إلى من في الهوى عدلت
هيفاء كم اسرت صباً وكم قتلت ... وكم قلوب شوت يوم النوى وقلت
بهجرها اسقمت جسمي ووجنتها ... تسعرت نارها في مهجتي وغلت
تريك بدراً إذا ماست على غصن ... فاعجب لها بانة بدر الدجى حملت
عنها الغصون حديث البان ترفعها ... عن القوام وعندي صح ما نقلت
ماالظبي ان نفرت ماالغصن ان خطرت ... ماالصبح ان سفرت ماالليل ان سدلت
فالبدر ان ظهرت لم يبد من خجل ... والشمس ان ابصرتها في الضحى أفلت
والنرجس الغض عنها غض ناظره ... من الحيا وخدود الورد قد خجلت
تصدرت لخلافي وهي فارغة ... وبالصدود لقلبي في الهوى شغلت
تقلدت بسيوف من لواحظها ... ولي بما اهتز من اعطافها عقلت
مليكة بكنوز المال مسرفة ... لكن بدينار ذاك الخد قد بخلت
سحارة الطرف للالباب سالبة ... كأن بالسحر عيناها قد اكتحلت
لا واخذ الله هاتيك العيون بما ... أسيافها صنعت فينا وما فعلت

وكنت قد جمعت شيئاً كثيراً من رقيق شعره ، وأنيق نثره ، فلم أدر أين ضاع مني ، لكن هذه القصيدة التي أثبتناها له هي عن الجميع تغني ، كتب نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيق إلى الامام الناصر يعرض بالوزير القمي ، وكان يدعي انه شريف علوي :

خليلي قولا للخليفة أحمد ... توق وقيت الشر ما انت صانع
وزيرك هذا بين امرين فيهما ... صنيعك يا خير البرية ضائع
فان كان حقاً من سلالة احمد ... فهذا وزير في الخلافة طامع
وان كان فيما يدعي غير صادق ... فأضيع ما كانت لديه الصنائع

فلما وقف الناصر عليها ، كانت سبب تغيره عليه وأمر بحبسه ، فخرج اليه

مملوكان فهجما عليه وضرباه بدواته على رأسه وحملاه إلى المطبق ، فكتب إلى الخليفة :

ألقني في لظى فإن احرقتني فتيقن أن لست بالياقوت
عرف النسج كل من حاك لكن نسج داود ليس كالعنكبوت

فكتب الخليفة الجواب اليه :

نسج داود لم يفد ليلة الغار وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النار مزيل فضيلة الياقوت

اختبرناك فصرفناك ، واختبرناك فصرفناك ، والسلام .

﴿ ذكر الياقوت وأنواعه وخاصيته ﴾

والياقوت سيد الاحجار التي لاتذوب ولاتتكلس بالنار ، زعموا انه يتكون في كهوف الجبال ، ويتم نضجه في عشر سنين ، وعلة تكوينها ان مياه الامطار التي ترسخ في المغارات والكهوف متى لم تجد ما يخالطها من الترابية والطينية ، وطال وقوفها هناك ازدادت صفاء وثقلا وغلظاً بتسليط حرارة المعدن على تجفيفها وطبخها فانعقدت وصارت حجارة صلبة شفافة ، وتكون ألوانها وخفتها وثقلها بحسب أنوار الكواكب المستولية على ذلك الجنس من الجواهر على تلك البقاع على ما زعم اصحاب الكلام في احكام النجوم فانهم يقولون : السواد لزحل ، والحمرة للمريخ ، والخضرة للمشتري ، والصفرة للشمس ، والزرقة للزهرة ، والملون لعطارد والبياض للقمر .

وأصحاب الكلام في الطبائع يقولون : سبب اختلاف الالوان بقاع الأرض التي تكون فيها ذلك لان الماء إذا وقع عليها وغاص فيها ودام تغير بما انحل فيه من يبس الارض وتسخين الشمس له فعلى قدر حرارته يتلون ، فاذا اشتدت حرارته وأفرطت وأستولى عليها اليبس عرض له السواد ، وظهر على اعلاه وبطنت الحمرة

التي هي عن الحرارة المعتدلة في باطنه ، وربما طرحت لونها ونورها إلى خارج مع ظهور السواد ، فقام بينهما اللون الاسما نجوني ، وان كانت الحرارة معتدلة انعقد احمر ، وهو أجود الياقوت ، وإذا قصرت الحرارة بمغالبة الرطوبة لها انعقد اصفر وان افرطت الرطوبة واستولت على الحرارة انعقد ابيض صافياً .

والاسمانجوني والاصفر إذا وضعا على النار ابيضا ولا يتغيران من البياض فهذه الالوان الاربعة يشملها جنس الياقوت .

والاحمر منها ينقسم إلى اربعة أصناف: البهرمان وهو أشدها حمرة واكثرها صفاء ، ويوجد منه ماوزنه اثنا عشر مثقالا . ثم الوردي وهو أردأ انواع الأحمر ويوجد منه ماوزنه ثلاثون مثقالا. ثم الخمري وأردأه ماقرب إلى البياض ، ثم الاحمر العصفري وأردأه ما قرب من لون الورس ، وأما الاصفر فمنه الرقيق الكثير الماء ثم الخلوق وهو اشبع صفرة من الاول ، ثم الجلناري ، وهو اشبع من الثاني واشد شعاعا واكثر ماء ، وهو اكثر من انواع الاصفر ويوجد من هذه الاصناف ما وزنه اربعون مثقالا .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأما الاسمانجوني : فمنه الازرق ، واللازوردي ، والنيلي ، والكحلي وهو أرأدها ويوجد منه ما وزنه اربعون مثقالا .

وأما الابيض فمنه المهاوي وهو اشدها بياضاً واكثرها ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أردأ الاصناف من الياقوت .

والرماني اعلاها وأغلاها ، وهو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء .

وذكر القدماء أن قيمة المثقال الفائق من الياقوت ثلاثة آلاف دينار .

وأما في الدولة العباسية فان الغالب من قيمته ان الجيد منه إذا كان وزن طسوج يساوي خمسة دنانير وضعفه عشرين ديناراً ، وسدس مثقال ثلاثين ديناراً وثلث مثقال مائة وعشرين ديناراً ، ونصف مثقال اربعمائة دينار ، والمثقال بألف

دينار ، هذا ما تقرر في زمن المأمون مع كثرة الجواهر في ذلك الزمن .

والبهرماني مثقاله بثمانمائة دينار . والارجواني بخمسمائة دينار . والجلناري بمائتي دينار . واللحمي بمائة دينار . والبنفسجي يقاربه . والوردي دون ذلك .

وكان في خزانة الأمير عين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالا قومت بعشرين الف دينار .

قال ابن سينا : كان للمقتدر فص يسمى ورقة الآس لانه على شكلها ، وزنه مثقالان إلا شعرتين ، اشتراه بستين الف دينار .

قال ابن سينا : وخاصية الياقوت للتفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم .

وقال ابن زهير : شرب سحيقه ينفع الجذام ، والتختم به ينفع حدوث الصرع ، انتهى .

وخاصية الياقوت انه يقطع جميع الحجارة إلا الماس فانه يقطعه لصلابته وقلة مائيته وشدة الشعاع والملامسة والثبات على النار ، وهو لا ينجلي إلا على صفيحة من نحاس بكلس الجزع اليماني ، وهو أن يحرق حتى يصير كالنورة ، ثم يسخن الماء حتى يعود كالغراء ، ثم يحك به الياقوت لانه يخرج من معدنه وظاهره مظلم فيحتاج إلى الجلاء وربما وجد في باطن الحجر بعد جلائه طين وهو ما قصرت عنه حرارة المعدن في الطبخ ، فيطين ويجفف بعد ان يثقب بالماس ، ثم يلقى في النار ويوقد عليه بالحطب الجزل بقدر معلوم ، فانه يتقمر فاذا كان لونه اسمانجونياً او اصفر لم يدخل النار إلا ان كان في الاسمانجوني صفرة فيدخل قليلا بقدر ما ينغسل عنه فان زيد في حميه انسلخت لونيته وابيض وصار كالبلور ، وما احسن قول البلخي

أقمت لي قيمة مذ صرت تلحظني ... شمس الكفاة بعيني محسن النظر

كذا اليواقيت فيما قد سمعت به ... من حسن تأثير عين الشمس في الحجر

وقال بعضهم في مليح اسمه يا قوت :

ياقوت يا قوت قلبي المستهام به ... من المروءة أن لا يمنع القوت

سكنت قلبي وما تخشى تلهبه وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

﴿ ذكر السمند ﴾

وأما السمند فقال الصفدي في شرح لامية العجم ، قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين ابوعبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال: اخبرني عز الدين عبد العزيز الحلبي المعروف بالكولمي ان السمند شيء بين غبار القطن ونسج العنكبوت يوجد بأرض الهند وانه قليل جداً لا يظفر منه إلا باليسير .

وقال الشيخ العلامة صلاح الدين محمد بن البرهان : ان الباى زهر الحيوانى يوجد في بعضه تجويف وفيه شيء شبيه بالقطن او الصوف إذا وضع في النار لم يحترق منه شيء البتة .

قال : واخبرني الشيخ شمس الدين ايضاً انه عاين عند الامير علاء الدين علي ابن عبدالبر وأتاه بالديار المصرية منشفة قدر طولها اربعة اشبار وعرضها دون ذلك يمسح بها الوجه واليدين فاذا تدنست تلقى في النار فتنقى ، وذكروا أنها من السمند ولم يذكروا هل هو حيوان اوغيره ؟

وحكي انسان انه رأى عند انسان يعمل النشاب بين القصرين بالقاهرة ريشة بيضاء وانها توضع على الزيت وتلقى في النار فلا تزال تعمل فيها إلى ان تنفد المادة من الزيت ، ثم يخرجها وهي سليمة بيضاء نقية .

واخبر الشيخ شمس الدين ايضاً انه رأى عند شرف الدين بن الزنبور انساناً مغربياً يعرف بزيد الصائغ دهن لحيته بدهن كان معه ووضع السراج فيها فاشتعلت ذقنه إلى ان نفدت مادة الدهن فضرب بيده ذقنه فطفئت النار ولم يحترق منها شيء

قلت : ولعل تلك الريشة التي ذكرها ذلك الرجل ، تدهن بهذا الدهن وهو معروف عند اصحاب الملح وذكر اصحاب الملح انه إذا أخذ الانسان جزأ من الطلق المحلول وجزأ من المغرة المكية وجزأ من عرف الخطمي الابيض وجزأ من الكثيرى

البيضاء ، وعجن ذلك بزلال البيض عجناً جيداً ولطخ به بدنه ودخل التنور او حمل النار فانها لا تؤثر فيه البتة .

وكذلك اذا دهن الانسان بدنه بشحم ضفدع لا تحرقه النار أبداً وهذه الخصوصيات كثيرة في الدهانات ، فان كانت الريشة التي ذكرناها من طائر ولها هذه الخصوصية فنقول هذا يؤيد حجة الاشاعرة في دعواهم ان الله تعالى يخلق الاحراق للنار عند قربها من الاجسام وليس الاحراق للنار نفسها ويخلق الشبع عند تناول الخبز وليس الشبع بنفس الخبز ويخلق الري عقيب شرب الماء وليس الري لنفس الماء فانا رأينا من يفرط في أكل الخبز ولم يشبع ومن يفرط في شرب الماء ولم يرو وما ورد في الاخبار الصحيحة من بقاء الحيات والعقارب في نار جهنم وعظم مقاديرهن فيها وهن حيوانات وليس هذا ممتنعاً على الفاعل المختار سبحانه وتعالى وهذا الطائر يمكن أنه يتولد في النار كما يتولد في كور الزجاجين الحيوان المسمى بالسرفوت وهو أشبه شيء بسام أبرص لا يزال حيا مادام في النار وهي مضطرمة فاذا طفئت وبرد المكان مات .

وقال ارسطو لا يبعد أن يكون في كل عنصر حيوان يتولد فيه كما يحكى ، انه في بلاد الترك طيور بيض اذا حصل لها مرض معروف عندهم حلقت في الهواء ونزلت ومعها حية بيضاء قدر الشبر فتأكلها فتبرأ مما تشكوه ، وذكر ارسطو أيضاً السرفوت المذكور تأييداً لما ادعاه انتهى .

﴿ فائدة ﴾

سمت العرب ساعات النهار باسماء : فالاولى الدرور ، ثم البزوغ ، ثم الضحى ، ثم الغزالة ، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم الدلوك ، ثم العصر ، ثم الاصيل ، ثم الصبوب ، ثم الحدود ، ثم الغروب ، ويقارب فيها أيضاً البكور ، ثم الشروق ، ثم الاشراق ، ثم الضحى ، ثم المنوع ، ثم الهاجرة ، ثم الاصيل ، ثم العصر ، ثم الطفل ، ثم الغروب .

﴿ فائدة ﴾

أسماء الشهور عندالعرب : محرم المؤتمر ، صفر ناجر ، ربيع الأول خوان ، ربيع الثاني بصان ، جمادي الاولى الحنين ، جمادي الآخرة الريه ، رجب الاصم ، شعبان العاذل ، رمضان الناتق ، شوال غلا ، ذو القعدة هواع ، ذو الحجة برك ، وما أحسن قول الشاعر وهو من أبيات المعاني وفيه تورية لطيفة :

وشادن مبتسم عن حبب مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه ومادرى شعبان أني رجب

حكي ان ابا الحسين الجزار والسراج الوراق : اصطحبا في طريق الحجاز فشكى السراج الوراق اسهالا معه فوصف له بعض الاطباء سفوفاً ، فلما تناوله وافرط به الاسهال ، فقال :

فتحت علي بابا للسفوف وصلت به إلى الامر المخوف
ولكن الحكيم أراد خيراً فجاء بغير ياء في الحروف

لله در البديع الهمداني حيث يقول في رسالة اجاب بها استاذه ابا الحسين بن فارس صاحب المجمل في اللغة عن رسالة كتبها اليه في ذم الزمان ، نعم اطال الله بقاء الشيخ ، انه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون ، والناس لآدم ، وان كان العهد قد تقادم ، نقول فسد الزمان ، ولا نقول متى كان صالحاً أفي الدولة العباسية ؟ وقد رأينا آخرها ، وسمعنا اولها ، أم في الدولة المروانية ؟ وفي اخبارها ، ما يكسع القول بأغيارها ، أم في السنين الحربية ؟ والسيف يغمد في الطلى ، والرمح يركز في الكلى ، والحرتين وكربلا ، ومنية حجر في الفلا ، أم البيعة الهاشمية ، والعشرة براس ، من بني فراس ، أم الايام الاموية ، والنفير إلى الحجاز ، والبعوث على الاعجاز ، أم الامارة العدوية وصاحبها يقول ، وهل بعد الصعود إلا النزول ، أم في الخلافة التيمية ، وهو يقول ، طوبى لمن مات في نأنأة الاسلام ، أم على عهد الرسالة وبوم الفتح قيل اسكتي يا فلانة قد ذهبت الامانة ، أم في الجاهلية ولبيد يقول :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك واخو عاد يقول :

بلاد بها كنا ونحن من اهلها إذا الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ، ويروى عن آدم عليه السلام انه قال :

تغيرت البلاد ومن عليها ووجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك ، وقد قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ما فسد الناس ، وانما اطرد القياس ، ولا اظلمت الايام ، وانما امتد الظلام ، وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح ، ويعسى المرء إلا عن صباح ، انتهى .

قلت : استدل بعضهم بهذه الآية الكريمة على انه كان قبل آدم خلق آخر في الارض ، وانهم افسدوا فيها واهلكهم الله تعالى ، لان الملائكة قالت : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء .

وقال آخرون لم يسكن الارض قبل آدم خلق آخر غيره ، وانما الملائكة علموا ان ذرية آدم يفسدون في الأرض ، من قوله تعالى (انى جاعل في الأرض خليفة) قالوا الخليفة الذي يحكم بين الخصوم والخصم ، أما ان يكون ظالماً او مظلوماً ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد في الأرض وسفك الدماء ، فلهذا قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ انتهى .

فلما اسفر صبح سادس عشر جمادى الثانى ، بالعز والسعد والتهانى ، رحلنا من كرمان شاه في وقت مأمون ، وأتينا بيستون ، وهو اسم لجبل عظيم ، وتحته قرية لطيفة تنسب اليه ، وبها خان حصين لمن يأتى من المسافرين ، وهناك عين ماء تحت ذلك الجبل ، ابرد من الثلج وأحلى من العسل ، ومعنى بيستون يعني من غير عمد بلسان الفرس ، والجبل منحوت من اوله إلى آخره ، كأنما قسم بالمنشار نصفين ، وبه صورة خمسة من الرجال منقوشة على صخرة في ذلك الجبل قبل الاول في دبر الآخر ، وهكذا إلى الآخر .

وصانع هذا فرهاد البهلوان ، وعلى قدر أربعة فراسخ من ذلك الجبل جبل آخر يسمى أيضاً بيستون وله قصة عجيبة مشهورة عند الاعجام ، بين الخاص والعام وهو ان ملكا من ملوك الفرس ، يسمى خسرو وله زوجة تسمى شيرين ، وكانت عديمة المثال في الحسن والجمال ، والتيه والدلال ، فولع بها هذا البهلوان فرهاد ، وكان قويا شجاعا من الجبابرة الشداد فلم يزل من حبها يهيم ، وسكن بهذا الجبل وبقلبه من حبها نار الكليم ، وكثرت لاجلها على الملك مضراته ، واتصلت به في هواها معراته ، وكان الملك كلما أراد وقوعه في شباك المهالك ، لم يقدر على ذلك لبطش فرهاد وقوته واقدامه وشدته .

فلما رأى حال الملك الوزير ، وما يقاسيه من هـذا الامر الخطير ، والحال العسير ، مع هذا الجبار الكبير ، قال له : الرأي عندي أن تأمر شيرين بارسال كتاب تعطف له ولين ، ويكون مضمونه اني احبك محبة صادقة، لما سمعت بهمتك العالية التي هي بالافلاك لاحقة ، واني سوف احتال على قتل الملك خسرو وأصل بنفسي اليك ، وإنما اولا أشرط شرط عليك ، وهو انك تنحت لي بيتاً بأعلى جبل بيستون ، يعجز عن مثله الذين كانوا يبنون بكل ربع آية يعبثون ، فاذا تم ذلك أصل اليك هنالك ، فهو لا شك إذا أغتر منها بمثل هذا الكلام يسعى لها في نيل المرام ، لانه عاشق مستهام .

ويرتاح للمعروف فى طلب العلى لتحمد يوما عند ليلى شمائله

فلايفرغ من هذا العمل إلا بعد أعوام عديدة ، فنحن ندبر الحيلة على قتله في هـذه المدة المديدة فاستصوب الملك رأي الوزير الصالح ، وانفتحت له ابواب المصالح ، فأمر إذ ذاك شيرين بارسال الكتاب اليه ، لعل ان تتم الحيلة عليه ، فلما وصلت فرهاد الرسالة ، وسمع هـــذه الاشارة من الغزالة ، اشتعل قلبه بالعشق كاشتعال الذبالة ، وراق فكره ، وانشرح صدره .

ثم انه أخذ بيده قدوما وصعد على جبل بيستون ، فنحت به بيتاً من رآه

صار من حسن صنعته مفتون ، واتخذ في ذلك الجبل مصانع ، يحتار فيها عقل كل صانع ، وفكر كل بارع ، وفي ذلك يقول بعض شعرائهم بالفارسية :

بي ستون راعشق كند وشهرتش فرهاد برد
صد جفا بلبل كشيد وبرك كلراباد برد

وملخص الكلام معناه ان هذا البيت المنحوت من هذا الجبل تحته قوة العشق لا قوة فرهاد .

فلما تم له البنا ، وأيقن انه قد بلغ المنى ، ارسل إلى شيرين وطلب منها وفاء الوعد بالوصول في الحين ، فاخبرت الملك الخبر ، وقصت عليه الاثر فتغير حاله وزاد همه وبلباله ، وطلب الوزير وسأله التدبير ، فطلب الوزير إذ ذاك عجوزاً مشهورة بالعيارة ، للمكر في وجهها امارة ، فخلع عليها واسدى بالعطاء اليها ، وسألها ان تحتال فى قتل فرهاد ، وتخلص من أذاه العباد والبلاد ، فأخذت العجوز الخلع والاموال ، وشرعت تدبر في قتل فرهاد وتحتال ، فصنعت خبزاً وحلوى في الحين ومضت إلى فرهاد ، وكان جالساً في انتظار شيرين فحين رأته سلمت عليه ووضعت الخبز والحلوى بين يديه ، وكان فرهاد جائعاً إذ ذاك ولم يعلم ما خبىء له هناك :

كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم

فأخذ يأكل وجعلت العجوز تئن وتبكي ، وتحن وتشكى ، فالتفت اليها فرهاد وقال لها ما الذي دهاك ، ومن بشره رماك ، فقالت العجوز يا بهلوان أبكاني فقد من صنعت هذه الحلوى لأجلها ، وأتأسف على ذلك الوجه الصبيح ، والقوام الرجيح ، كيف سكن تحت التراب ، وفارق الاتراب ، فقال لها ويحك ومن صاحبة هذه الحلوى ؟ التي حلت بها البلوى ، فقالت له : اعلم انني امرأة غريبة عن الاهل والاوطان ، وأتيت في هذه الايام إلى بلدة شهربان ، فاتفق انى دخلت الحمام ، في بعض الأيام ، فرأيت فيه نسوة حسان ، كأنهن من حور الجنان ، قد فررن من رضوان ، وبينهن غادة ليس لها في حسنها نظير ، يخجل بضوء محياها البدر المنير ،

فسألت عنها ، فقيل لي ان هذه شيرين ، زوجة الملك خسرو ذات التعطف واللين فصرت إذ ذاك في حاله ، وبهت من نور تلك الغزاله ، ثم انى بعد مضي ثلاثة ايام من هذا الكلام ، رأيت جنازة قد مشى خلفها الخاص والعام ، وهم لا بسون السواد ، حتى ملك البلاد ، فسألت عن هذا الميت الكبير ، هل هو من اهل الملك أم الوزير ؟ فقيل لي ان هذه شيرين ذات الطلعة البهية ، قد تجرعت مرارة كأس المنية ، وهذه الحلوى قسمت على قبرها المرحوم ، ولكل امرىء اجل معلوم :

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلة الحدباء محمول

فحين سمع منها هذا الخبر فرهاد ، زعق زعقة دوت منها البلاد ، وحلق بالقدوم الذي كان بيده في الهواء وتلقاه برأسه ، فانفلق إلى ان سمع صرير القدوم في اضراسه ، فمات من تلك الضربة وسكتت حواسه ، وخمدت انفاسه ، فلما بلغ الملك خسرو هذا الخبر ، وتحقق ان فرهاد قد هلك ومحى منه الاثر ، انشرح صدره ، وضحك وجهه واستبشر ، ثم طلب تلك العجوز وأغناها بالمال واصلح امورها والأحوال ، وهذا الجبل الآن يعرف ببيستون .

فاقمنا به يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى صحنه ، وأقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى كنكاور ، وأقمنا بها يوما ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى فلسبه وأقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى كسب ننا وأقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى ديز آباد وأقمنا بها يوما ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى صارو وأقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا على قرية تسمى المشهد واقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية شهر كرد ، يعني بلدة مدورة وبها يوجد الجبن اللطيف الذكي الطعم الدسم ، ويباع بثمن بخس ، فاقمنا بها يوماً ورحلنا ، فاتينا باغ شاه خليل الله اسم لبستان بناه شاه خليل الله المذكور في ذلك المكان وحوله قرية لطيفة تنسب اليه وبها خان حصين للتجار والمسافرين ، وبها تصنع الاخفاف الشعر للأرجل وهي في غاية من حسن الصنعة والنقش العجيب ، واللون الغريب .

﴿ فائدة ﴾

الباغ : البستان جمعه باغات ، وهو معرب ولم يذكره صاحب القاموس .

قال العلامة المحقق عمي السيد الصدر محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه في حاشيته على القاموس ما هـذا لفظه : (باب الغين) فصل الباء (البوغاء) التربة الرخوة إلى آخر المادة ، ولم يذكر في مادة (ب ي غ) الباغ بمعنى البستان .

وقد قال الامام النووي في تهذيب الاسماء واللغات ما هـذا لفظه (قوله في الوسيط في باب بيع الاصول والثمار) اللفظ الثاني (الباغ هو بالباء الموحدة والغين المعجمة وهو البستان وهي لفظة فارسية) .

وذكر ابو عمرو في شرح الفصيح عن الأصمعي انه كان يأبى ان يقول بغداذ بالذال المعجمة ، ويقول داذ شيطان وباغ بستان .

وقال الكسائي : هي بغذاذ وبغداد وبغداد وبغدان ومغدان وقد تقدم ذلك وهو كلام يشعر بان اللفظ معرب إذ لو لا ذلك لم يذكره الفقهاء فيما تنطق به العرب في بيوع الإصول والثمار .

ومما يدل على تعريبه قول ابي الفتح البستي :

لاتنكرن اذا أهديت نحوك من علومك الغر أو آدابك النتفا
فقيم الباغ قد يهدي لصاحبه برسم خدمته من باغه التحفا

وقد اورد هذين البيتين أبو منصور الثعالبي في خطبة كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .

وابو الفتح البستي من أئمة علوم الأدب فلو لم يكن اللفظ عربيا با لتعريب لم يستعمله وهذا الاستدلال على طريقة احتجاج الزمخشري بكلام ابي تمام وقوله نزل مايقوله منزلة مايرويه وقد ذكرنا ذلك في غير موضع من هذا الكتاب ، ويؤيد

ماذكرناه ايراد الثعالبي وهو من أئمة الأدب ، والمصنفين في اللغة للبيتين ولم ينبه على لحن البستي اذ لو لم يكن اللفظ معرباً لكان البستي لاحنا مخلا با لفصاحة والله تعالى اعلم ، فأقمنا به يوماً ورحلنا فأتينا على قرية تسمى ميشيان واقمنا بها يوماً ورحلنا فاتينا على قرية تسمى قوقه ويوجد بها بصل في نهاية الكبر يبلغ وزن البصلة ثلاثة ارطال بل اكثر وهو حلو كا لسكر فاقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى در وهي مشهورة بالبرد الشديد المهلك فاقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى جالسياه وهى مشهورة ايضاً با لبرد الذي لايطاق فاقمنا بها يوما ورحلنا فاتينا على قرية تسمى انو شهروان فاقمنا بها يوما ورحلنا وكل هذه القرى المذكورة با لخير الوافر معمورة ، وبها البساتين والانهار ، والثمار والازهار ، واهلها من الكرام الاخيار فلما اسفر وجه الصباح ، وفاح نشر الصبا ، والديك صاح ، عن يوم الاحد حادى عشر رجب الفرد ، عام ألف ومائة واحد وثلاثين من هجرة سيد المرسلين ، دخلنا بالعز والفرح والامان ، دار السلطنة الصفوية اصفهان .

﴿ فائدة ﴾

أصفهان مدينة عظيمة من اعظم المدن طيبة التراب صحيحة الهواء عذبة المياه كثيرة الأشجار ، انيقة الازهار ، مختلفة الثمار .

قيل انها من بناء الاسكندر وكان اسمها من قديم الزمان اليهودية ، قال ابن اياس في نشق الازهار وسبب ذلك ان بخت نصر لما وصل الى اصفهان وجد ماءها وهواءها وترابها شبيهاً ببيت المقدس فاختارها وطناً وأقام بها وعمرها فوجد الحنطة لاتسوس بها واللحم لايتغير من طيب هواها ، وهى في الحقيقة دمشق الثانية واهلها مشهورون با لثروة والرياسة والكرم على غيرهم من العجم ولهم اليد الطولى فى الصناعات الدقيقة المحكمة في كل فن ولا اعتبار بقول محمد بن اياس انهم موصوفين با لبخل بل هم في غاية السخاء يجودون في الشدة والرخاء وبها نهر عظيم مرصوف

جنباه بالاحجار اللطيفة المنحوتة وهو يشق المدينة ودورها وأسواقها واصله من أرض رملة ويخرج الى كرمان على ستين فرسخا منها فيسقى أرض كرمان ثم ينصب في بحر الهند وينسب اليها الاديب الفاضل أبو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني والحافظ ابو نعيم صاحب حلية الاولياء وصدر الدين عبد اللطيف الخجندري ، وكان واعظاً محدثاً توفي سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، والامام الراغب صاحب كتاب، الذريعة والشيخ كمال الدين بن اسماعيل الاصفهاني الشاعر ، والوزير مؤيد الدين ابو اسماعيل الحسين بن علي الاصفهاني الشاعر المشهور بالطغرائي صاحب لامية العجم ، الآتي ذكر ترجمته ان شاء باريء النسم ، وينسب اليها غير ذلك من العلماء والشعراء فنزلنا بدار معدن الجود ومنبع الكرم ، الامير حسين قلي بيك ايشك اغاسي باشي الحرم ، وقد قدمنا معنى هذا الخطاب ، فى اوائل الكتاب ، في حارة مطبخ السلطان ، ما احلاه واعلاه من مكان ، واقمنا باصفهان المحروسة ، الطيبة البهية المأنوسة ، ونحن بعيشة هنية ، جميلة مرضية ، بلدة ما مثلها فى البلاد ، كانها ارم ذات العماد ، بها الانهار السائحة ، والازهار الفائحة ، والفواكه المختلفة الاشكال ، والاطيار الغريبة المثال ، والقصور العالية ، والبدور الغالية ، والحمامات العظيمة اللطيفة ، قيل انها حصرت قديماً فكانت اثنى عشر الفاً ، والخانات المغمورة بأنواع البز لعزيز القيمة والمقدار ، قيل انها حصرت سالفاً ، فكانت سبعة آلاف والمساجد الكبار ، المشرقة بالانوار ، قيل انها حصرت آنفاً فكانت اثنى عشر ألفاً والاسواق العامرة ، ذات الخيرات الوافرة ، وجميعها مسقفة على بناء لطيف وعقود لطيفة ، وأرض المدينة كلها مرصوفة بالاحجار المنحوتة ، فأما سوق القيصرية ياصاح ، فان النفوس الى رؤياه ترتاح ، وبه من انواع البز ، ماغلا قدره وعز ، وبها كل بستان كانه من رياض الجنان ، فأما بستان جهارباغ ، فجل من أنشأه وصاغ ، وهو كناية عن اربع بساتين ، حاكمة من طرف الشمال واليمين ، وممتدة من دار السلطنة الى بستان هزار جريب نحو ميلين أو اكثر وهذا هزار جريب ،

بستان يحار في حسن صنعته الحكيم اللبيب ، وهو كناية عن ألف جريب طولا وعرضاً بناه الشاه عباس الأول وهو حاكم في الصدر آخر هذه البساتين وبه عمارات عجيبة ، وصناعات غريبة ، وكله مزخرف بالذهب والفضة واللاز ورد وسائر الالوان من داخل وخارج . وهذه الاربع البساتين التي ذكرناها حاكمة من طرفيه وكلها مزخرفة بالذهب والفضة واللاز ورد وأنواع الدهانات ، الغريبة الصفات ، وفيها قصور عالية ، وغرف سامية ، وبين هذه البساتين نهر عظيم مرصوف بالاحجار اللطيفة ، وبوسط النهر ثلاث برك كل بركة بينها وبين الاخرى فاصلة بقدر رمية سهم وعلى كل بركة سلسبيل منقوش لطيف ، وعلى طرف النهر مغروس انواع الاشجار ، ومفروش اصناف الازهار ، ومن طرفي تلك الاشجار الاسواق العظيمة ، والمقاهي الواسعة الوسيمة ، ومقابل الاسواق والمقاهي غرف مبنية مزخرفة بالذهب والفضة ، من أول البساتين الى آخرها من الطرفين وكل غرفتين على شكل واحد ، واما فرح أباد ، فانها نزهة تلك البلاد ، وهي مدينة عجيبة الشكل من فوق بستان هزار جريب المذكور بنصف ميل انشأها الشاه سلطان حسين وانفق على بنائها اموالا جمة وبنى بها قصراً كالدرة الفاخرة ، تعجز عن بناء مثله الأكاسرة ، ويحيط به بستان عظيم ، كانه من جنان النعيم ، وغرس به صنوف الاشجار ، مختلفة الثمار ، وبه من انواع الازهار ، واصناف الاطيار ، ما تحار فيه عقول ذوي البصائر والابصار ، ويشق هذه المدينة نهر عظيم يصب في بركة تحت القصر واسعة عظيمة طولها نحو مائتي ذراع في عرض ذلك ، وعلى اكناف تلك البركة قصور مشيدة مزخرفة بالذهب والفضة وسائر الدهانات الغريبة الألوان ، ومن خارج القصر قصور عظيمة للامراء والوزراء ومقابل كل قصر بستان عظيم وبها حمام فريد الصنعة والشكل ، واما بستان الشبكة ، فان القلوب بحبه مشتبكة ، وهو بستان عظيم وكل جداره مشبك ، واما بستان باغ نظر ، فانه يجلو بحسنه النظر ، سمي بذلك لأنه واسع على مد النظر ، وأما بستان الطاوس خانه ، فما احلى شكله وبنيانه ، وكله مشبك من اعلاه بالسلك

الاصفر وداخله جميع أنواع الأطيار ، واجناس الوحوش من كل الاشكال من ذي مخلب وناب وهي مسيبة داخل البستان عدا السباع فانها محبوسة داخل الاقفاص، واما بستان سعادة اباد ، فتكل عن وصف حسنه ورونقه ألسنة العباد ، وكل هذه البساتين سلطانية ، واما بساتين الرعية ، فلا يحصيها إلا رب البرية ، واما قنطرة الماء المسماة بالرود خانه ، فان القلوب الى رؤياها ظمآنة ، وهي مبنية على نهر الماء عرضاً وطولها نحو نصف ميل وعرضها نحو ثمانية اذرع بذراع الشاه وهو ثلاثة أشبار مبنية على عواميد عظيمة من الحجر الصلد المنحوت وعقود لطيفة بقدر ثلاث قامات من الماء الى اعلى العواميد ومن فوق العواميد مبنى بالآجر اللطيف المحكم على مقاعد لطيفة ، ومجالس انيسة ظريفة ، وكلها مشرفة على الماء والبساتين ، من الشمال واليمين ، ولعمري ان هذا لهو النعيم المقيم ، ذلك تقدير العزيز العليم ، وبها كل حارة بهية ، كأنها مدينة محمية ، وكلها ذات اسواق عامرة ، بالخيرات الوافرة وبساتين واسعة ، وازهار فائحة ، وانهار سائحة ، واما حارة الارامنة المسماة بالجلفا فانها بالحسن تختال وتهتز عطفا ، وبها عشرون الف بيت عامر ، هكذا سمعت من بعض الاكابر ، واما حارة عباس اباد ، فانها فاقت على كل حارة في تلك البلاد ، وتزاحمها في الحسن حارة شمس اباد، واما حارة جو باره ، فما احلاها من حاره ، واما حارة مسجد لبنون ، فانها تشرح المغبون ، واما حارة شهر كهنه ، فانها تذهب الهم عن قلب الغريب والمحنه ، وبها جامع عظيم بناه عمر بن عبد العزيز الاموى فريد البناء والصنعة ، وبوسطه محل مربع الشكل جعلوه شبيهاً بالكعبة الشريفة ، واما حارة الباغات ، فانها تجلب المسرات ، واما حارة باغ كران ، فيبهت في حسنها الانسان ، واما حارة القلعة ، فانها بهية الطلعة ، واما حارة سيد احمديان ، فكانها من رياض الجنان ، واما حارة منار كله ، فانها نزهة الغريب المولة ، ومعنى منار كله يعني منارة الرؤس والحارة ، تنسب الى المناره ، وطولها خمسون ذراعا بالعمل كلها مبنية برؤس الغزلان وانواع الوحوش مبنى بقدر ذراعين بالآجر ومن فوقه بقدر

ذراع برؤس الوحوش ، وهي من عجائب الزمان في أصفهان .

قيل ان الشاه عباس الكبير خرج يوماً الى الصيد فاصطيد له هذا القدر فأمر أن تبنى به هذه المنارة .

وأما حارة ذات البطيخ المشهورة ، فانها بالافراح معمورة ، واما حارة الخاجو ياصاح ، فانها تذهب الاتراح ، واما ميدان الشاه ، فجل من انشأه ، وهو مربع الشكل واسع جداً ومن اطرافه الاربع خيام منصوبة واسعة وحوانيت عظيمة مغمورة من جميع الخيرات وكل ماتطلبه من اي شيء كان ، تراه موجوداً في ذلك الميدان ، وهو حاكم تحت قصر السلطان ، وخلف الدكاكين والخيام من الجهات الأربع اسواق واسعة ، من كل خير جامعة ، ومقاهي عظيمة ، بزينة وسيمة ، ويشق الجميع نهر عظيم ، وفي وسط الميدان ، منصوب علم عظيم للسلطان ، طوله نحو مأئة وخمسين ذراعا يوضع على رأسه صينية عظيمة من الذهب الاحمر ، يبلغ قيمتها الف دينار او اكثر ، فتأتي الاجناد ، على ظهور الخيل الجياد ، بعضهم با لسهام الخوارق ، وبعضهم با لبنادق ، فتركض الفرسان ، بأفراسهم في ذلك الميدان ، ومن فوق الكشك ينظر اليهم السلطان ، فاذا كاد الخيال ذلك العلم ، وبعد عنه من الطرف الآخر بقدر رمية السهم ، التفت الى ذلك العلم المنصوب ، والفرس يركض كأنه الهبوب ، ورمى تلك الصينية الذهب اما بسهم او ببندقية فان اصابها ووقعت الى الارض فهي له .

واما مسجد الشاه عباس ، فيقصر عن وصفه القياس ، وهو عظيم واسع جداً وبابه من الفضة الخالصة ومنبره قطعة واحدة من المرمر الاخضر وله سبع درج منه فيه وهو من عجائب الدهر ، ومن طرفه الشرقي سوق الطيب ، وهو سوق من دخله ينشرح صدره ويطيب ، واما مدرسة الشاه سلطان حسين ، فما رأت مثلها عين ، وهي واسعة وبابها من الفضة النقية وبها غرف عجيبة ، ومساكن غريبة ، وداخلها بستان كبير ونهر عظيم ، ولها رواتب يومية ، لكل عالم عباسية ، ولكل

متعلم محمديه ، واماسرايا السلطان ، فيعجز عن وصفها اللسان ، واجتمعت بابن عمي العلامة السيد مرتضى ، واجتمعت بنجل ابن عمي العلامة السيد كمال الدين العالم العامل السيد بدر الدين ، واجتمعت بنجل ابن عمتي العلامة الشيخ عبد اللطيف وحضرت درسه في شرح الملا جامى على الكافية. واجتمعت بابن عمتي العلامة الشيخ زين الدين وكان علامة عصره ، ووحيد دهره ، حاز علماً وعملا وصلاحا ، وتقى ووقاراً وفلاحا ، ومجداً وسعداً ونجاحا، ورياسة ودولة وسماحا ، وجاهاً مكينا عند السلطان والوزراء ، والاكابر والامراء ، ورأيت في بعض مجاميع أصحابنا ان هذه الابيات منسوبة له والله أعلم :

لا تركنن الى هذا الزمان ولا ... أبنائه أبداً واستعمل الحذرا
فان ابيت فجرب من تعاشره ... حتى يقول لك التجريب كيف ترى

وقوله ايضاً :

لا يخدعنك في دنياك ذو ملق ... يريك من نطقه في وده العجبا
وقلبه عنك بالاحقاد منقلب ... لا يستر الحقد مالم يظهر الأدبا
يخفي العداوة من عجز مخادعة ... حتى إذا فرصة يوماً رأى وثبا
كأنه الأرقم الوثاب ظاهره ... لين وباطنه يستصحب العطبا

والأرقم هو الثعبان ، وأقمنا في مدينة أصفهان في أنس وفرح وأمان رجب وشعبان والنصف من رمضان :

لله أيامنا اللواتى ... مرت بحالي اللعى المهند
في مجلس الانس والتهانى ... والوقت قد طاب لي وأسعد
باصفهان السرور حقاً ... والعز والسؤدد المؤبد
مدينة ما لها نظير ... اوصافها يا صحاب تحمد
فارقتها مكرهاً وارجو ... عودي اليها فالعود احمد

﴿ مسألة ﴾

ذكرها الشيخ شهاب الدين احمد بن ادريس القرافي رحمه الله في انوار البروق قال أنشدني بعض الفضلاء :

ما يقول الفقيه ايده الله ولا زال عنده الاحسان

في فتى علق الطلاق بشهر قبل ما بعد قبله رمضان

ثم انه بعد ذلك ذكر قريباً من كراسة من كلام شيخه جمال الدين بن الحاجب ومن كلام نفسه ، وقال ان البيت الثاني ينشد على ثمانية اوجه بالتقديم والتأخير والتغيير مع اللفظ في الحقائق دون المجاز وصحة الوزن، وكل بيت منها يشتمل على مسألة من الفقه في التعاليق الشرعية والالفاظ اللغوية وتلك المسألة تشتمل على سبعمائة وعشرين مسألة من المسائل الفقهية والتعاليق اللغوية بشرط التزام المجاز في الالفاظ واطراح الحقائق وعدم الوزن ، ثم ذكر من كلام ابن الحاجب ان البيت الثاني ينشد على ثمانية اوجه لان ما بعد قبل الاول قد يكون قبلين ، وقد يكون بعدين وقد يكونا مختلفين ، فهذه اربعة اوجه كل منها قد يكون قبله قبل . وقد يكون قبله بعد ، فصارت ثمانية اوجه ، وذكر قاعدة يبنى عليها تفسير الجميع وهي انه كل ما كان قبل وبعد فألقهما لان كل شهر حاصل قبل ماهو بعده وحاصل بعد ما هو قبله فلا يبقى بعد حينئذ إلا رمضان ، فيكون شعبان ، اوقبله رمضان فيكون شوالا فلم يبق إلا ما جميعه قبل اوجميعه بعد ، والاول هو الشهر الرابع من رمضان وهو ذو الحجة ، والثاني هو الرابع ولكن على العكس وذلك جمادى الآخرة انتهى

قال الصفدي في شرح لامية العجم : وقد أطال الكلام في تقسيم ذلك وتقديره ، فاذا نظر الواقف عليه في ذلك تشعب ذهنه من كثرة التقسيم وتردده وقد وضعت انا لذلك مشجراً لأن الاشياء إذا برزت إلى الخارج زادت وضوحا وزال غموضها ، وصورة ذلك على ما تراه في هذه الشجرة ، فتدبره مع مراعاة

القاعدة التي ذكرها ابن الحاجب ، يظهر لك صحة ذلك ، وهي هذه :

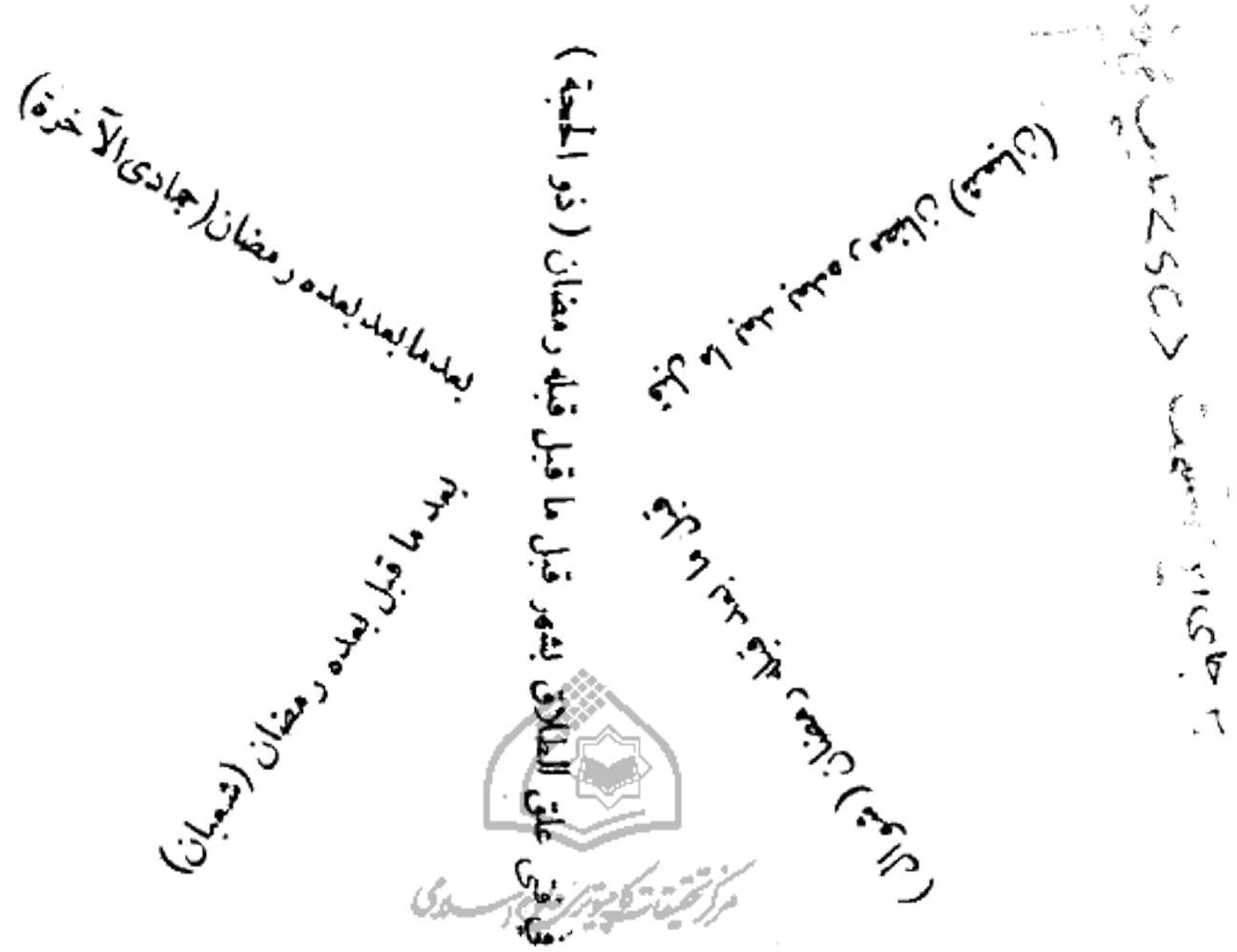

ما يقول الفقيه ايده الله ولا زال عنده الاحسان

﴿ فائدة ﴾

(افهم هذه الفائدة) نص النحاة والأصوليون على ان أن لايعلق عليها إلا مشكوك فيه ، فلا تقول : ان غربت الشمس آتيك بل إذا غربت الشمس آتيك وأن إذا يعلق عليها المشكوك والمعلوم وقد جاء في القرآن الكريم في عدة مواضع كقوله تعالى : (ان كنتم اياه تعبدون وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) والشك على الله تعالى محال ، والجواب ان الخصائص الإلهية لا تدخل في اوضاع العربية بل هي مبنية على خصائص الخلق ، وهذا منزل منزلة كلامهم ، فيما بينهم كانه

قيل ان العادة بين الناس الشك في امر الاٍله والرسول والمعاد ، وليس ذلك مما وقع القطع به في الذهن إلا بعد النظر وقيام الادلة ، فلهذا ورد في القرآن العظيم على العادة فيما بينهم لانه خطاب لهم وعكس هذا الايراد ، قولنا ان كان الواحد نصف العشرة فالعشرة اثنان وهـذا مما لا يشك فيه ، والتعليق جائز وما يرده وارد فقد علق عليها امر قطعي ، والجواب: ان هذه امور مفروضة في الذهن دون غيره ، والفروض والمقدر قد يحتمل انه يقع ، وان لا يقع فصار هذا من قبيل المشكوك فيه ، فلهذا حسن تعليقه بان .

قال الصفدي في شرح لامية الطغرائي: ذكرت بالتعليق ها هنا انه وقع ببغداذ فتيا صورتها في رجـل قال لزوجته ان تم وقف عند أن فأنت طالق ، فقرأه جميع من افتى فيها، ان تم وقف عبد ان وكتبوا تحتها ان، ثم وقف الشخص المذكور طلقت فلما وقف عليها القاضي البيضاوي علم ان التصحيف قد وقع على المفتين فيها ، وان بعضهم قلد البعض في قراءتها، وقال: الصحيح انها في رجل قال لزوجته ان تم وقف عند ان ثم انه كشف عن ذلك من صاحب المسألة فوجد الأمر كما قاله البيضاوي ، انتهى .

اعرف هـذه القاعدة : جميع افعال الأمر فاعلها تحت استتارة ، ولا وجـه لابرازه إلا أن يقصد التوكيد كقوله تعالى (اسكن أنت وزوجك الجنة) وعلى هذا فيرد على الشيخ جمال الدين بن الحاجب ومن تابعه في قوله: الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد ، فان ضمير الفاعل المستتر في الأمر كلمة باجماع النحاة ولم يتلفظ به واجيب بأن المراد باللفظ ما كان بالقوة او بالفعل ، فالضمائر المستترة في الأوامر كلها لفظ في القوة أي في قوة المنطوق به ، ولهـذا قال الشيخ جمال الدين بن مالك في التسهيل : الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقاً او تقديراً او منويا معه كذلك .

وقال ولده بدر الدين : الكلمة لفظ بالقوة او الفعل مستقل دالـ بجملته على معنى بالوضع انتهى .

﴿ ذكر ظرف وقعت مع الرشيد العباسي ﴾

حكى الاصمعي قال : حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد إذ دخل عليه ابو نؤاس ، فقال له : ما أحدثت بعدنا يا ابا نؤاس ؟ فقال : يا امير المؤمنين ولو في الخمر ، قال : قاتلك الله ولو في الخمر ، فانشده :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم انم

حتى اتى على آخرها وسيجيء الكلام على هذه القصيدة في ترجمة ابى نؤاس ان شاء رب الناس .

فقال له الرشيد : احسنت والله ، اعطيه يا غلام عشرة آلاف درهم وعشر خلع ، فاخذها وخرج ، فلما خرجنا من عند الرشيد قال لي مسلم بن الوليد : ألم تر يا ابا سعيد إلى الحسن بن هانيء كيف سرق شعري وأخذ به مالاً وخلعاً ، فقال له وأي معنى سرق ؟ قال قوله :

فتمشت في مفاصلهم كتمشى البرء في السقم

فقلت : وأي شيء قلت انت ؟ قال : قلت

غراء في فرعها ليل على قمر على قضيب على دعص النقا الدهس
اذكى من المسك انفاساً ومهجتها أرق ديباجة من رقة النفس
كأن قلبي وشاحاها إذا خطرت وقلبها قلبها في الصمت والخرس
تجري محبتها في قلب عاشقها مجرى السلامة في أعضاء منتكس

فقلت له : ممن سرقت أنت هذا المعنى ؟ فقال : لا اعلم انى سرقته من احد فقلت بلى من عمرو بن ابى ربيعة حيث يقول :

أما والراقصات بذات عرق ورب البيت والركن العتيق
وزمزم والمقام ومشعريها ومشتاق يحن إلى مشوق
لقد دب الهوى لك في فؤادي دبيب دم الحياة إلى العروق

فقال لي: ممن سرق عمرو هذا المعنى؟ فقلت: من بعض العذريين حيث يقول:

وأشرب قلبي حبها ومشى به تمشي حميا الكاس في عقل شارب
ودب هواها في عظامي وحبها كما دب في الملسو ع سم العقارب

فقال لي: وممن اخذ العذري هذا المعنى؟ قلت: من اسقف نجران حيث يقول:

منع البقاء تقلب الشمس وطلوعها من حيث لا تمسى
وطلوعها حمراء صافية وغروبها صفراء كالورس
تجرى على كبد السماء كما يجري حمام الموت في النفس

انتهى ما حكاه الاصمعي.

قال الصفدي: وقد اخذ ابو نواس هذا المعنى برمته من قول بعض الهذليين يصف قانصاً يختل صيداً بسرعة مشى حيث يقول:

فتمشى لا يحس به كتمشى النار في الفحم

فان بعض الروايات عن ابي نواس على هذا النص، وهي أصح الروايات عنه لانها آخر ما استقرت عليه الحال.

قلت: وقد اخذ ابو الشيص قول عمرو بن ابي ربيعة بلفظه فقال:

أما وحرمة كاس من المدام العتيق
وعقد نحر بنحر ومزج ريق بريق
لقد جرى الحب مني مجرى دمي في عروقي

وأخذه ابو الطيب المتنبي فقال:

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي فاصبح لي عن كل شغل بها شغل

قال ابو الفرج بن هند:

رب هم على الفراق حشوم أزعجته عني بنات الكروم
فتمشت في قلبي المهموم كتمشى الدرياق في المسموم

وأنى عبد الله بن محض بهذا المعنى من غير تشبيه فقال :

فامسيت اسقاها سلافا مدامة لها في عظام الشاربين دبيب

قال بعض الحكماء : معائب السفر سبعة ، الأول : مفارقة الانسان من يألفه ، الثانى : مقارنة من لا يشاكله ، الثالث : المخاطرة بما يمكه ، الرابع : مخالفة عادته في مأكله ومنامه ، الخامس : مجاهدة الحر والبرد بنفسه ، السادس : احتمال منة الملاح والمكاري ، السابع : السعي كل يوم في تحصيل منزل جديد .

﴿ ظريفة ﴾

كان بعض اولاد الملوك إذا سكر عربد على واحد من جلسائه ، ثم إذا أفاق وهب للذى عربد عليه الف درهم ، فسمع بخبره بعض الظرفاء فجاءه وقال له انا رجل ضعيف الحال والبدن فان رأيت أن تعربد علي عربدة خفيفة إلى مائتي درهم فلا بأس فاستظرفه وأعطاه مائتى درهم من غير أن يعربد عليه .

قال الاصمعي : تنكرت اخلاق الرشيد فبعدت عنه فأصابنى ضرر عظيم من بعده حتى احتجت إلى بيع خاتمي ، فقلت لا رغبة لي في الحياة بعد هـذا ، والله لأذهبن اليه وان كان فيه القتل ! قال : فلما حضرت قال لي البوابون : كم يطلبك أمير المؤمنين ، ، ادخل فقد وافيت في وقتك ، قال : فدخلت فاذا في بعض الدهاليز باب قد فتح وخرج منه وجه مذ رأيته ما قدرت امشي ، فقالت : أتعرفني؟ قلت: لا والله ، قالت أنا فتنة جارية أمير المؤمنين وهو مغضب عني ، فقلت : انت والله فتنة كما سميت ، فقالت هذه صرة فيها دنانير خفف بها همك وثقل بها كمك واجتهد أن ترضيه عني فان فعلت اتصلت جوائزي اليك ، وان لم تفعل فوالله لا أبقيت رأسك ابداً ولست بداخل هذه الدار بعدها ابداً ، قال : فدخلت على الرشيد فاذا عنده اسحاق النديم وهو ينشد :

خف الله لا تحبسه ان شبيهه حبيبي وقد ارعدت منه فرائصي

فقال : يا اصمعي أسمعت أحسن من هذا البيت قط ؟ فقلت يا امير المؤمنين هذا من أبيات أحفظها ، ولا ادري تكمل لها اسحاق أم لا ، فانما حسن هـذا أن يعرف الشعر وخبره ، قال : وما خبره ؟ قلت : حدثني السهمي عن الهدى ، قال : خرجت أقتنص صيداً فبقيت ليلة أتعبتني فيها ظبية حتى ظفرت بها ، فلما اصبحت جئت بها أطلب ثمنها ، فاذا أنا بغلام كأن وجهه فلقة قمر وله ذوأبتان تلعبان على كتفه ، فحين رآني شهق وبكى وأنشأ يقول :

وذكرني من لا أبوح بذكره محاجر ظبي في حبالة قانص
فقلت ودمع العين يجري بحرقة وعيني إلى عينيه نظرة شاخص
ألا أيا هذا القانص الظبي خله فانا فديناه بعشر قلائص
خف الله لا تحبسه ان شبيهه حبيبي وقد ارعدت منه فرائصي

ثم قال : بالله اعطني اياها ، ففعلت ، فقبل عينيها ومسح وجهها وأرسلها ، فقلت له: ما حملك على هذا ! فقد أتعبتني هذه طول ليلتي ، فقال : تعال معي إلى البادية ، فقلت: اليك عني فقد آذيتني وتحملني معك إلى البادية ، قال : فدلني على بيتك ، فمضى معي ، حتى دللته على بيتي وذهب ، فلما كان من الغد وافاني بعشر قلائص ، فوالله يا امير المؤمنين ما كانت عيناها بأحسن من عيني فتنة جاريتك فقال يا اصمعي انها سيئة الخلق والادب ، فقلت : يا امير المؤمنين لا يفي تأديبك لها بما يفوتك من الالتذاذ بها ، قال : فاقوم لها ! فقلت : أي والله يا امير المؤمنين ، قال : قدموا نعلي فأمسكت كمه وقلت : يا امير المؤمنين القلائص ، قال : فقوموها بألف درهم ، فأمر لي بها .

روى محمد بن قتيبة في عيون الاخبار قال : قرأت في تاريخ الهند انه أهـدى لملك الهند ثياب وحلي ، فدعا بامرأتين له وخير أحظاهما عنده اللباس او الحلي ، وكان وزيره حاضراً ، فنظرت المرأة إلى الوزير كالمستشيرة له فغمزها بعينه إلى اللباس ، ولحظه الملك فاختارت المرأة الحلي كيلا يفطن الملك لتلك الغمزة ومكث

الوزير كاسراً عينيه اربعين سنة كى لاتقر تلك الغمزة في قلب الملك ليظن انها عادة وخلقة ، وصار اللباس للاخرى .

من كلام بعض الوزراء : عجبت ممن يشترى العبيد بماله ولا يشتري الاحرار بحسن فعاله .

حكى القاضى يحيى بن اكثم قال : دخلت على الرشيد يوما وهو مطرق مفكر فقال : أتعرف قائل هذا البيت :

الخير ابقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما اوعيت من زاد

فقلت : يا امير المؤمنين ان لهذا البيت قصة مع عبيد الله بن الابرص فقال : علي بعبيد الله ، فلما حضر بين يديه قال له : اخبرنى عن شأن هذا البيت ، قال : يا امير المؤمنين كنت حاجا في بعض السنين ، فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر إذ سمعت ضجة عظيمة في القافلة ألحقت اولها بآخرها ، فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم تر ما بالناس فتقدمت إلى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه يخور كخوار الثور ويرغو كرغاء الابل فهالنى امره وبقيت لا أهتدي إلى ما اعمل في امره ، فعدلنا عن طريقه إلى ناحية اخرى ، فعارضنا ثانياً فعلمت انه لسبب ، ولم يجسر أحد من القوم يقربه ، وإذا رمي بسهم نأى عنه ولم يعمل فيه ، فقلت : أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب إلى الله تعالى بخلاصهم من هذا ، فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت اليه ، فلما رآنى قد تقربت منه سكن ، وأنا اتوقع منه وثبة يزدردني فيها ، فلما رأى القربة من الماء فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الاناء ، فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى ، فعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا فقضيناه ، وعدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة ظلماء مدلهمة ، فاخذت سطيحة من الماء وعدلت إلى ناحية من الطريق فقضيت حاجتي وفرغت من صلاتى وجلست مكاني ، والقافلة على حالها فاخذتنى عيناي فنمت

مكاني ، فلما استيقظت من النوم لم اسمع للقافلة حساً وقد ارتحلوا وبقيت منفرداً فلما لم أر أحداً ولم اهتد إلى الطريق اخذتني حيرة وجعلت اضطرب ، وإذا بهاتف يقول ولا أرى له شخصاً :

يا أيها الشخص المضل مركبه وليس معه من انيس يصحبه
دونك هذا البكر خذه واركبه وبكرك الميمون ايضاً فاجنبه
حتى إذا ما الليل جن غيهبه ومال عن افق السماء كوكبه
فحط عنه رحله وسيبه

قال : فنظرت وإذا ببكر عند بكري، فأنخته وركبته، فلما سرت قدر عشرة اميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر ، فعلمت انه قد حان نزولي فتحولت إلى بكري وقلت :

يا ايها البكر قد انجيت من كرب ومن فيافٍ تضل المدلج الهادي
ألا تخبرنا بالله خالقنا من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي
فارجع حميداً فقد أبلغت مأمننا بورك من ذي سنام رائح غادي

فالتفت إلى البكر وسمعت منه صوتاً يقول :

أنا الشجاع الذي اكفيتني رمقاً والله يكشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما ضن حامله تكرما منك لم تمنن بانكادي
فالخير أبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما اوعيت من زاد

فعجب الرشيد من قوله وأمر له بجائزة وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال : لا يضيع المعروف اين وضع .

قال رسول الله ﷺ : ان ثلاثة من بني اسرائيل ابرص واقرع واعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص ، فقال له: أي شيء احب اليك ؟ قال : اريد لوناً حسناً وجلداً حسناً فيذهب عني الذي قذرني الناس له فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً ثم قال له : فأي المال احب اليك؟

قال الابل ، فاعطى ناقة عشراء ، فقال له : بارك الله لك فيها .

ثم اتى الاقرع فقال له : أي شيء احب اليك ؟ قال : شعراً حسناً ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس له ، فمسحه فذهب عنه قذره واعطى شعراً حسناً ثم قال له : فأي المال أحب اليك ؟ قال : البقر ، فاعطي بقرة حاملا ، فقال له : بارك الله لك فيها ، ثم اتى الأعمى ، فقال له : أي شيء احب اليك ؟ فقال : ان يرد الله على بصري ، فابصر به الناس فمسحه ، فرد الله اليه بصره ، ثم قال له : فأي المال احب اليك ؟ قال : الغنم ، فاعطي شاة والداً فانتج هذا وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ، ولهذا واد من الغنم ، ولهذا واد من البقر ، ثم ان الملك اتى الابرص في صورته وهيئته ، فقال له : انا رجل مسكين قد انقطعت في الجبال في سفري هذا فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله . ثم بك أسألك بالذي اعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال الكثير بعيراً أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق في المال كثيرة ، فقال له : كأني اعرفك ألم تكن ابرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله ؟ فقال : انما ورثت هذا المال كابراً عن كابر ، فقال له الملك : ان كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ثم اتى الاقرع في صورته ، فقال له مثل ماقال لذلك ، فرد عليه مثل ما رد عليه ذاك ثم اتى الاعمى في صورته ، فقال له : انا رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت في الجبال في سفري هذا ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثم بك اسألك بالذي رد عليك بصرك شاة اتبلغ بها في سفري ، فقال له : انا قد كنت اعمى فرد الله علي بصري فخذ ما شئت فوالله لا اجهدك أبداً بشيء أخذته لله تعالى ، فقال له الملك أمسك عليك مالك فانما ابتليتكم وقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك ، وعادا إلى ما كانا فيه .

ولهذا يقال من شيمة الصدق تجتلي عروس السلامة ، وتجتني غروس الكرامة ومن شيمة الكذب تحتسي كؤس الملامة ، ويكتسي لبوس العسر والندامة .

ما أحسن قول ابن الخيمي يخاطب قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في

عمل محضر لأخوين معسرين ، إسم أحدهما حسن والآخر حسين :

يا ثاني القمرين بل يا ثالث العمرين هـذا محضر الحسنين
أخوان قد نزفت عيونهما دما بالفقر فانظر في دم الاخوين

قال الصاحب ابن عباد هذان البيتان أن اردت كانا أعرابياً في شملته ، وان أردت كانا عراقيا في حلته ، وهما قول كشاجم الكاتب :

ما لذة أكمل في طيبها من قبلة في أثرها عضه
خلستها بالكره من شادن يعشق منه بعضه بعضه

﴿ ترجمة الشيخ الأديب المصقع النبار الخطيب ، بليغ الزمان نزيل ﴾
(مكة شرفها الرحمن ، شهاب الدين الشيخ أحمد بن علان)

فاضل تربى في حجر الفضائل ونشا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشا ، والمعي أقرت له الاقران ، وسحب ذيول الفصاحة على سحبان ، وفضل ابن علان ، لا يحتاج إلى تبيان ، له الكرم المخجل الرباب ، الشامل للاعداء والاحباب ، والاخلاق الاحمدية المرضية ، والهمم العلية الحاتمية ، كان في مكة المشرفة ملجأ في كل شدة وضيق ، كيف لا وهو من نسل محمد بن ابى بكر الصديق ، وما زال كهفاً للغريب والفقير ، ومحبوبا لدى الكبير والصغير ، ومشهوراً بكل ثناء جميل وذكر حسن ، وموقراً عند السادة الاشراف بنى الحسن ، وما برح مقيما بمكة المشرفة المحمية ، في عيشة هنية ، ونعمة سرمدية ، إلى ان ولاه الشريف علي بن سعيد منصب الالجية فأرسله إلى الهند ، حيث لا ليلى ولا هند ، فانشده لسان الحال ، غداة الترحال :

ولو ان ارض الهند يا صاح جنة وسكانها حوراً وأملكها وحدي
لما قوبلت عندي ببطحاء مكة ولا اخترت عن ليلى بديلا هوى هندي

وكان مسيره إلى الديار الهندية عام تسع وعشرين بعد الالف والمائة من هجرة شفيع البرية ، فقاسى كل كربة ، في ديار الغربة ولاقى منها عرق القربة مع كونه

في ابتداء دخوله إلى ديار السلطنة التيمورية حصل في يده ما ينوف على ستين الف ربية غير ما حصله من التحف ، ومن أنواع الظرف ، لكن الشيخ المذكور كرمه في الناس مشهور لا يبقى على المال ولا يذر تحار في وصف جوده الفكر :

تعود بسط الكف حتى لو انه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

وكان السعد خادمه ، والاقبال منادمه ، والزمان مساعده ، والطالع معاضده ببقاء سلطنة الملك العادل ، ذي الجود العميم الشامل ، محمود الفعال والسير السلطان المظفر الغازي محمـــد فرخ سير ، ودوام دولة الوزير الاعظم المسدد ، والشجاع الفسور المؤيد ، مـدبر أمور السلطنة برأيه الصائب ، ومـدمر ثغور الكفرة بقوة عزمه الغالب ، كيف لا وهو من نسل علي بن ابي طالب :

بطل لو رام تمزيق الدجى لأتاه من عمود الصبح رمح

الغني بذاته الحميدة عن الوصف والبيان ، الوزير المكرم السيد عبد الله خان ووجود أخيه امير الامراء ، كنز الغرباء والايتام والفقراء ، الكريم الذي تضرب بحديث فضله الامثال ، والبطل الذي من بأسه تدك الجبال :

كل الانام لما اولاه شاكرة فما له غير بيت المال من شاكى

عين الامراء الاعيان وواسطة عقد الزمان ، الامير المظفر السيد حسن علي خان فبوجودهم أقبلت على الشيخ المذكور الدنيا ، ورقى الرتبة العليا ، ولم يزل في جاه مكين ، إلى عام ثلاث وثلاثين ، ثم ان السلطان دارت عليه دوائر الكروب ، واختطفته ايدي شعوب ، فهجم الوزير عليه في داره ، وأخذه من بين اهله وأنصاره فوقع في كصيصة القبض ، ورجع من منصب الرفع إلى الخفض ، وكحل بالنار ، ثم قطع بالبتار ، وكان سبب قتله لامور جرت بينه وبين الوزير واخيه يطول شرحها فسبحان الملك السلطان ، الدائم بعد فناء خلقه من الانس والجنان :

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

فبعد ان قتل السلطان فرخ سير، خرب ملك الهند ودمر ، ثم تولى السلطنة رفيع الشان فسم ومات في اسرع زمان . ثم تولى رفيع الدرجات ، فسم ايضاً ومات ، ثم تولى محمد شاه وذلك في عام اربع وثلاثين فخرب البلاد وأظهر في الأرض الظلم والفساد ، ورفع الجزية عن عبدة الاوثان ، واشتهر بشرب الخمور وحب الغلمان ، وترك الصلاة ، ومنع الصلات ، وقطع وظائف السادات والفقراء ، واوقع القتل بالامراء والوزراء ، فاول من أذاقه حد الحسام وجرعه كأس الحمام حضرة الخان ، رفيع القدر والشان ، امير الامراء الشهيد السيد حسن علي خان ، وقصة قتله طويلة .

ثم انه لم يكفه ذلك ، حتى ثنى بقتل اخيه الوزير السيد عبد الله خان ،وأورده حياض المهالك ، وقصة قتله ايضاً طويلة البيان ، لا حاجة إلى ذكرها خوف الملل من الاخوان ، فبعد قتل هذين الاخوين ظهر الفساد بقطر الهند رأيا بالعين ، وخربت الممالك وقطعت المسالك ، واستقوت عبدة الاوثان ، على عبدة الرحمن ، وتقلد الاحكام الازابكة ، فبكت الهند من ظلمهم بعد ما كانت من كرم اولئك السادة الشهداء مستبشرة ضاحكة ، وتعب الشيخ المذكور في دولتهم غاية التعب ، وابيضه في زمانهم حمل اعباء الهم والنصب ، فان السلطان بخيل والازبك ابخل ، فحار الشيخ بين البخيلين ولم يدر ماذا يفعل :

إذا ملك لم يكن ذاهبـه فدعـه فدولته ذاهبـه

وكان الشيخ في تلك الاوقات ، تولى الأحجية ثلاث مرات ، الاولى من طرف الشريف علي بن سعيد ، والثانية من طرف الشريف يحيى بن بركات ، والثالثة من من صوب الشريف مبارك بن احمد . لكنه لم يقع على مطلب من الكل ولا مقصد سوى معاناة الاسفار ، ومقاساة الاخطار ، في بلاد الكفرة الاشرار . ولقـد اجتمعت به عام سبع وثلاثين ببندرسورت ، ثم سافرت معه إلى احمد أباد ، ومن هناك إلى مدينة دلى وتسمى شاه جهان اباد ، بهدية الشريف الاسجد ، ملك مكة

المشرفة الشريف مبارك بن احمد ، فالتقينا في بعض البلدان ، بعم الوزير نظام الملك الامير حامد خان ، وكان وصوله من الدكن إلى احمد اباد لحرب حاكمها الامير شجاعت خان ، وذلك لأمور يطول شرحها الآن ، وسنذكرها فيما بعد ان شاء الرحمن ، فصدنا عن السفر وعدنا معه إلى احمد اباد في أضيق حال ، وشاهدنا مع الامير شجاعت خان ، ما تشيب منه رؤس الاطفال ، وأقمنا مع الشيخ في احمد اباد ثلاثة اشهر كاملة ، إلى ان ادركتنا رحمة من الله شاملة ، وذلك بورود الامير عظيم القدر والشان السيد سيف الدين علي خان ، نجل اخت الاميرين الشهيدين السيد عبد الله خان والسيد حسن علي خان ، المتقدم ذكرهما فاكرم الشيخ غاية الاكرام وغمره بنهاية الانعام ، وأقام معه نصف شهر في احمد اباد ، ثم رحلا جميعاً إلى شاه جهان اباد ، وهو مقيم هناك الآن ، منتظراً فرج الرحيم الرحمن ، وان يعيده إلى بلده ويجمع شمله بأهله وولده :

رده الله مردا حسنا وحباه بالعطايا والمنى

وله نظم يشتاق اليه ارباب الأدب والكمال ، اشتياق الظمآن إلى بارد الزلال فمن نظمه الفريد ، الفائق على نظم جرير ولبيد ، قوله متغزلا وملمحاً فيها بعتاب للسلطان محمدشاه ، حيث انه لم يفز منه بنوال ، ولم يستقم له في سلطنته حال وذلك في عام الف ومائة وست وثلاثين من هجرة خاتم المرسلين وهي :

هلا نصبت الحسن حين وليتا يا من تسلح مقلتين وليتا
مهما رفعت اليك شرح قضيتي اوسمتني عوض الجواب سكوتا
أتريد مني غير سهدي والضنا في مدعاي بأن اقيم ثبوتا
وزعمت هاروتاً يخيل سحره كلا لحاظك علمت هاروتا
او ما تراني كل يوم التقى من لحظ جفنك صارما مصلوتا
ويشت شمل تصبري مهما ارى بين الشفاه اللعس منك شتيتا
لولا وجوب الذل في شرع الهوى ما كان حبل تملقي مبتوتا

وتغزلي لذيول حسنك لازم لا ينبغي ابداً له تفليتا
يا موعدى حسن الوفاء على الصفا ماذا الجفا اوعدت ثم نسيتا
صولات داود انحرافك مهدت من حسن صبري في الهوى جالوتا
فلأجل ذلك صرت من ألم الجوى في تيه عشقي هائماً مبهوتا
ولفرط طول مقام قلبي في لظى اغضاك عني خلته ياقوتا
لا تسألن عن حالـ كنه حقيقتي ما نابني يا ذا الجمال كنهيتا
طيفي يبيت لدى جنابك ليلة ضيفاً ويصبح ليس يحرز بيتا
أيجوز أن الضيف يمكث خاملا بين الكرام ويمنعوه القوتا
فلابعثن من القريض قوارساً أدنى طعام رماحها تبكيتا
في مقنب تخذ البلاغة ملبساً قد احكمته يد الذكا تشبيتا
جيش إذا عطس الصباح بأنفه كانت اغارة خيله تشميتا
فاجبر بلطفك كسر قلبي واتخذ عند الإله يداً وقل ما شيتا

وقوله وهو إذ ذاك بالهند :

لطائف الهند ثلاث أتت الأنب والنرجس والبان
وقال لي الخان نسيت النسا والحق ما قـد قاله الخان

والأنب أحسن فواكه الهند وأطيبها ، وعندي انه احسن الفواكه على الاطلاق ، وهو اصناف ، والنرجس معروف ، والبان هو التامول ، ويسمى ايضاً التانبول والعامة تسميه التنبل وهو ضرب من اليقطين الهندي طعم ورقه كالقرنفل يمضغون ورقه بقليل من كلس وفوفل وهو مشهي مطرب مبهي مقوى للثة والمعدة والكبد ، وهو خمر الهند يمازج العقل قليلا ، وهو ينبت كاللوبيا ويرتقي في الشجر.

وقوله مادحا الشريف صاحب المقام الاعلى ، مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى ، ومهنئاً له بما ناله من الفتح المبين ، والنصر والتمكين ، عام الف ومائة وسبع عشرة وذلك حين اقبل في ذي القعدة الشريف سعيد بن سعد من اليمن ببادية

كبيرة فسمع به الشريف عبد الكريم فتهيأ لقتاله ، فلما بلغه وصوله إلى العابدية خرج اليه وصحبته سليمان باشا وجرى بينهم حرب عظيم وأبعد الشريف سعيد عن العابدية وعطف ناحية الكشار بقرب من عرفة ، فادركه الشريف عبد الكريم ونزل بمسجد نمرة ، والباشا بأرض عرفة ، وباتوا تلك الليلة واصبحوا على الحرب والكفاح إلى وقت الغروب وتفرقوا ، ووصل إلى عرفـــة في ذلك الحين الامير ايواز بيك من بندر جدة مساعداً للشريف عبد الكريم ، فاجتمع به وسليمان باشا وباتوا جميعاً واصبحوا أخـذوا أهبة الحرب ، ووقع بينهم رمي الرصاص بالبنادق والمدافع ، وبلغ مولانا الشريف سعيد ان ايواز بيك وصل اليهم فنجا بطائفة معه وغنم العسكر منهم غنيمة عظيمة ، ووصل البشير إلى مكة بالفتح وعاد مولانا الشريف عبد الكريم ودخل مكة في موكب عظيم وجلس للتهنئة في داره ، وهناه الشعراء فامتدحه الشيخ بقوله :

ابا شاكر دم قبلة للمحامد ... موقى على رغم العدا والحواسد
فمولاك قد اولاك ما انت اهله ... وما انت راج من جميل العوائد
أغاث بك الله البلاد وأهلها ... فخيرهم في كل يوم لرائد
وقد بذلوا بالخوف أمناً فاصبحوا ... لمولاهم ما بين داع وحامـد
وصار من البشرى الصديق مبادراً ... أخاه إذا ما شامه بالتعايد
وهنيت بالفتح المبين وكيف لا ... وانت الذي قد حزت اجر مجاهد
شفيت فؤاد الدين بعد ضنائه ... بقتلة زهران وقتلة عامد
وآل سليم كيف اضحت جسومهم ... توازعها ايدي الضباع الجواهد
فان تسألوا المخوات عن حال اهلها ... وعماد ها هم في الديار الاباعد
فمند عتاق الطير تحقيق شأنهم ... سلوها فهل ينبيك مثل المشاهد
لقد أنزل الله الشديد عقابه ... عليهم وعدوا في القرون الاوابد
أتوا بحمى البيت الحرام وقصدهم ... على زعمهم تعطيل خير المساجد

وقد تركوا أرض السراة وراءهم ... يجوسون مابين الذرى والفدافد
فعارضهم من دونه ذو عزيمة ... طويل نجاد السيف جم الفوائد
أغر عليه للسيادة رونق ... لديه لها ألفا دليل وشاهد
يباشر تدبير الحروب بنفسه ... باقدام ذي رأي صحيح المقاصد
فابعدهم من مترس بعد مترس ... وأدنى فناهم واحد بعد واحد
يحف به من آل هاشم عصبة ... طوال الرديني ات زرق الحدائد
عراض مراكيض الجياد تزينهم ... حداد المواضي في طوال السواعد
كأنهم يوم الوغا في دلاصهم ... أسود تهادى في جلود الاساود
على كل مصقول الأديم مظهر ... بعيد مدى المطراد قيد الاوابد
تخال الجبال الشامخات وخيلهم ... تجالد في لباتها والقلائد
معلمة الارساغ شوك كأنما ... سنابكها قد رصعت من جلامد
ومن آل قنطور اليوث كواسر ... كأنهم قد كونوا من شدائد
يقودهم الليث الغضنفر عازم ... على الطعن وقاف له غير حائد
سليمان باشا الشهم آصف عصره ... وحافظ ناموس الملوك الأماجد
وعن فعل ايواز الامير فلا تسل ... لقد كاد في مركاضه كل كائد
وعداهم بالطعن عن كل مترس ... وهم بين ايدي خيله كالطرائد
ومن آل حام كل قوم مباسل ... إذا ماا عتزي في الصف عين الفلائد
ينادي بضرب في الجهام مبرح ... وطعن باطراف الاسنة نافد
فلله من يوم اغر محجل ... ومن عثير في الجو كالسحب عائد
وقد اسفرت فيه المنون قناعها ... تدير لهم فيه كئوس التجالد
يوردهم عبد الكريم حياضها ... وذلك ورد رشفه غير بارد
فما لبثوا أهل الحجاز لديهم ... سوى ساعة حتى رموا بالتفاقد
كان جليلات المدافع عندما ... أصيبوا بها مثل السحاب الرواعد

فولوا ولم يعطف على ذي قرابة قريب ولا البر الحفي بوالد
وقد خلفوا في السبي كل خريدة شبيهة ظبي في حبالة صائد
فلم ينجها من قتلها غير دلها وتقويم هاتيك الثدي النواهد

أقول اخذ المعنى برمته من قول ابي الطيب المتنبي في سيف الدولة :

اخو غزوات ما تغب سيوفه رقابهم إلا وسيحان جامد
فلم يبق إلا من حماها من الظبا لمى شفتيها والثدي النواهد

رجع إلى كلام الشيخ ابقاه الله :

ولو لا انتهاز الجند نهب أثارهم لما عاد في آثارهم من معاود
إذا لم يكن مثل ابن يعلى مملكا لأس دعام المجد احكم شاهد
فليس إلى نيل الفخار وسيلة له تتبدى في صدور المشاهد
شريف عليه هيبة وجلالة يدين لها في سره كل جاحد
وينتهب الارواح في كل مارق يدمر فيه كل باغ وحاسد
أدام به النعما علينا الذي بها أفاء عليه مرغما للمعاند

وله ايضاً هذه القصيدة الغراء الفريدة ، مادحا بها صاحب مصر المحروسة رامي باشا ، وأرسلها اليه في شهر محرم الحرام ، سنة ثمان عشرة ومائة والف من هجرة سيد الأنام :

سق الوابل الوسمي مرتجس الحيا ربى المنحنى ما طاب فيه بكور
وروى ضواحي السفح من شعب عامر غمام جهام ما لديه سفور
وحيا الحيا ما ضمن الخيف من منى ومن حل فيه ما اتاه ثبير
إذا ارزمت بالأزمين غمامة فاى فؤاد لا يكاد يطير
وان هينمت ريح النعامى سحيرة لدى عرفات فالغرام غزير
فياليت اياما هناك نقيمها نعوض من مضمونهن شهور

عشية يلقى كل مسعار لوعة مساغ شجاه ما عليه خفير
هراكيل امثال البدور تقلها غصون نقى احقادهن ثمور
يجرون اذيال المروط تبختراً فيعبق بين الاخشبين عبير
متى مسن مابين الاجارع فاللوى عليهن من ربط الحياء ستور
كان الظبا العفر تعطوا سوانحاً تراءى لها روض هناك نضير
من اللاء ما باشرن يوما خيانة وعف حيا ذيل لها وضمير
فلا وصلة الاوني واصابع يشابهها العناب حين تشير
ولن يلتقي الجثمان منا ويلتقى إلى قلبها قلبي الشجي سفير
من الحول حتى يخلف الحول مثله نراقب نجم الوصل حيث ينير
وكم من ظلام بت في طى جنحه يؤرقني فيه جوى وزفير
فتخذلني زهر النجوم لانها تسير وابقى بعدهن اسير
ومن فجر يوم راعني وهو طالع كأن على الآفاق منه غدير
كأن النجوم الزاهرات بلجة وقد غض من اضوائهن زهور
ونحن نشاوى صبوة لا يروعنا زمان ولا وال هناك يجور
إلى ان اتت تلك السنون فنالنا بأسبابها خطب ألد خطير
فأودى بها قوم لشدة قحمها مآكلهم فيها جرى ووبور
وما زال فينا القحط يمتد عمره إلى ان خلت منه قرى وقصور
ووالت علينا شدة بعد شدة إذا ما مضت هذى فتلك تزور
صبرنا على ايوب صبر سميه إلى ان اتته الدائرات تدور
ولم يبق منا رافل في شبابه اخو غبطة إلا علاه قتير
نصالى بها الحرب العوان تواليا يغار علينا تارة وتغير
فتحسبها ايام بكر وتغلب غداة كليب في الدماء يخور
ولا سيما يوماً غلي بكوارث كأن شب في الآفاق منه سعير

ويوماً يسفح المنحنى حين حومت ... به الروس في ضمن الطيور تطير
فلم تر منه العين اكثر مقتلا ... وكم فيه مطعون اللهى وعفير
وبالزاهر الميمون يا رب غارة ... أصاب بها صم الصلاد فطور
فكم من قتيل ليس يعبأ بقتله ... تحوم عليه في الفلاة نسور
وعن كثب يوم العابدية لا تسل ... لقد حرجت للقوم فيه صدور
غداة أتى جمع الحجاز كانما ... وقد أجفلوا فوق الحمير حمير
وقد فرغت تلك المجاري كأنها ... رجوم نجوم في السماء تمور
فعارضهم عبد الكريم كأنه ... بنعمان ليث لا يرام هصور
فأوسعهم طعناً وضرباً مبرحا ... تقطع اعناق به وخصور
تحف به الامجاد من آل هاشم ... كأنهم يوم الجلاد صقور
ولم لا توافيه السعود وعنده ... هناك سليمان الوزير ظهير
فتالله قد اعطى الرياسة حقها ... فأي همام بالفخار جدير
وايواز إذ وافى بنعمان جمعه ... بطعن يرد الطرف وهو حسير
وقام مقاما ما سمعنا بمثله ... وصادفه حظ هناك كبير
فلله منا الحمد في كل حالة ... تعبق منها حامد وشكور
لقد اصبحت ام القرى في غضارة ... تألم منها جاحد وكفور
وما ذاك إلا انها حين اصبحت ... وفي دستها عبد الكريم امير
فتى ينهل الخرصان في كل مأزق ... فتنهل وردان به وتحور
وكم فيلق قد عاقه عن مرامه ... فأصبح بعد الكور عنه يحور
فيارب جفن كحل السهد موقه ... بها بات بعد الخوف وهو قرير
وبدلت الأرزاء عنها بضدها ... ودام لأهليها حبى وحبور
وظلوا بها في ظل عيش مرفه ... تجلى عليه للاله ظهور
وانى يصيب الضيم سكان مكة ... ومصر بها كافي الكفاة وزير

وزير إلى ذا اليوم من عهد آصف ... له ما أتى في العالمين نظير
أخو همة لو حاولت يوم بأسها ... زوال ثبير عاد وهو ثبير
ولو صد نجم الافق عن كنه قصده ... لما ساغ للشعرى العبور عبور
واحكام رأي لو يحاول دركه ... قصير تنحى عنه وهو قصير
تود أقاليم البلاد لو انها ... جميعاً لدى التصريف منه تصير
حكيم يعاني كل شيء بضده ... بصير بادواء الخطوب خبير
فلو شاهدت عين الوليد بن دومع ... آتي حباه العذب وهو نمير
لما شك في بطلان تهويل زعمه ... وان الذي قد كان فيه حقير
ولم يفتخر يوما بمصر ونيلها ... فكيف ورام من يديه بحور
فكم قلعة في شاخ متمنع ... بعقوتها للفرقدين وكور
تخطى اليها بالصوارم والقنا ... وليس لها غير الرماح مهور
فزفت إلى الاسلام في خير ملبس ... تبسم فيه للسرور ثغور
وكم قائل من ذا بمصر تؤمه ... بمدحك هذا أنت فيه غرور
فقلت إلى مولى الجميل ومن غدا ... يجير على الايام حين تجور
إلى ملك ان رام دحض عداته ... تقوم مقام الجيش منه سطور
إلى ملك قد انقذ الله مكة ... بجدوى يديه والزمان غدور
فأولى اهاليها نوالا وغبطة ... وعم جميع الناس منه سرور
لعمري لو لاقى ابن هاني زمانه ... توهم هبات الخصيب نزور
ولو نزل ابنى بدر عقوة جاهه ... لما نالهم يوم الهبات عثور
او اصطحب الرجال منه براءة ... لعاق مضى البراض عنه فتور
ويا واهب النعما التي جل قدرها ... ومن كل معسور لديه يسير
أجزني على مدحى جنابك بالغنى ... فاني إلى جدوى يديك فقير
فقد حالف فكري فيك مالا يحوكه ... بمدح ابن مروان البليغ جرير

لأمر تسخطنا الزمان الذي مضى فكل له لما وليت عذير
إذا حركتك الاريحية للندى فاياك ان يطرا عليك مشير
وبادر إلى تسويفه تقتنى به ثناء له حتى النشور نشور
وصلى إلهى ما تغنت حمامة بدوح اراك لاح فيه بريز
على خير مبعوث بأفضل بلدة وآل وصحب ما استحث بعير

لعلي عليه السلام فيما يصلح فعله في الايام السبعة :

أرى الاحد المبارك يوم سعد لغرس العود يصلح والبناء
وفي الاثنين للتعليم امن وبالبركات يعرف والرخاء
وان رمت الحجامة في الثلاثا فذاك اليوم اهراق الدماء
وان احببت ان تسقى دواء فنعم اليوم يوم الاربعاء
وفي يوم الخميس طلاب رزق لادراك الفوائد والغناء
ويوم الجمعة التزويج فيه ولذات الرجال مع النساء
ويوم السبت ان سافرت فيه وقيت من المكاره والعناء

هكذا ذكره الكفعمي في مصباحه . وأما في الديوان المنسوب إلى علي عليه السلام فالفاظ الشعر غير هذا ، وفي المعنى يقرب من هذا قال هناك في اختيار يوم الأحد

وفى الاحد البناء لان فيه تبدى الله في خلق السماء

صنع ابوالحسن خمارويه بن احمد بن طولون بمصر بستاناً لم يكن له في الدنيا نظير ، غرس فيه سائر الاشجار وسائر الرياحين ، وغرس فيه النخل المثمر ، وجعله صفوفاً متساوية بحيث يناله النائم فيأخذ ما يحتاجه من ثمره بيده ، وكساه النحاس الاصفر ، وجعل بين النخلة والنخلة ميازيب رصاص وصير اليها الماء ، ورخم ارضه بالرخام الملون ، واحضر من سائر الاقطار من كل شيء غريب من صنوف الرياحين ، وزرع الزعفران والوردالاحمر والازرق والاصفر وجميع الاصناف الغريبة من السند والهند واليمن والشام والعجم ومصر والمغرب ، وجميع اصناف الطيور على اختلاف

لغاتها وجعلها في موضع من البستان، وجعل فوقهم شبكة ابريسم وصنع بيت الذهب الذى لانظير له وصور فيه صورته وصورة خواصه بأبدع تصور بالذهب واللازورد وفي وسطه بركة مربعة مملوأة زئبقاً كان يفرش عليه نطع ويجلس عليه ، وعليها قبة يضاهي فيها الهواء ، بديعة الصنعة والشكل ، عالية البناء ، وزينها احسن زينة ، وفرشها بأحسن فرش ، وكان له فرش من ادم ينفخ ويرقد فوقه على ذلك الزئبق فلا يرى شيئاً اوطأ منه .

وكان راتب مطبخه في كل شهر ثلاثة وعشرين الف دينار ، وكان موكبه مهيباً عجيباً ، وكان ادنى الرجال اليه الف عبد اسود لابسين السواد ، على رؤسهم البيض الفولاذ المصقولة كالمرآة ، فاذا عاينهم الناس علموا ان الملك قرب منهم .

حضر إلى الرشيد طبيب اعمى فامر جارية تأخذ بيده ، فلما سأله عما اراد امر الجارية ان تأخذ بيده وتخرجه ، فمشت به خطوات ، ثم عاد إلى الرشيد فقال له ما شأنك ؟ قال : يا امير المؤمنين لما دخلت اخذت بيدي هذه الجارية وهي بكر فلما خرجت اخذت بيدي وهي ثيب فضربت الجارية فقالت: ان ولد امير المؤمنين افتضني ، فعجب الرشيد من الطبيب وحذقه .

قدم رجل من اهل مصر على عمر بن الخطاب فقال : يا امير المؤمنين هذا مقام العائذ بك قال : ما شأنك ؟ قال : انا رجل من مصر سابقت ولد الامير عمرو ابن العاص فسبقته فجعل يضربني بسوطه ويقول أنا فلان فشكوته لأبيه فحبسني حتى لا آتيك فلما تخلصت أتيتك فكتب عمر إلى عمرو بن العاص اشهد الموسم انت وابنك ، فلما حضر امر المصري ان يضرب ابنه بالسوط عدد ما ضربه ، فما زال يضربه وعمر يقول اضرب ابن الامير حتى قال المصري حسبي هكذا ضربني ثم قال : خذ الدرة واضرب بها رأس الامير على صلعته ، فقال ياامير المؤمنين ان اباه لم يضربني قال : أما انك لو فعلت لم تجد مانعاً ، ثم التفت إلى عمرو وقال : متى تعبدتم الناس وقد ولدوا احرارا ، ارجع إلى عملك .

﴿ لطيفة ﴾

يحكى ان ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب أيام خلافته : بلغني ان ببلدك شجرة تخرج ثمرها كآذان الحمر ، ثم تنشق عن احسن من اللؤلؤ النضيد ثم تخضر فتكون كالزمرد الاحمر ، ثم تحمر فتكون كقطع الياقوت الاحمر ، ثم تصفر فتكون كشذور الذهب ، ثم تينع فتكون كاطيب الفالوذج ، ثم تيبس فتكون قوتاً فان كان كذلك فلا شك انها من شجر الجنة .

فكتب اليه : صدقت رسلك ، وانها الشجرة التي ولد تحتها المسيح .

وقال خالد بن صفوان يصفها : هي الراسخة في الوحل ، المطعمة في المحل الملقحة بالفحل ، المنبعة كشهد النحل ، تخرج اسفاطاً ، غلاظاً واوساطاً ، ثم تنشق عن قضبان لجين وعسجد كالدر المنضد ، ثم تصير ذهباً احمر بعد ان كانت في لون الزبرجد :

كأن النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد
وقد علقت في فرعها زينة لها قناديل ياقوت بامراس عسجد

يروى ان النخلة اول شجرة استقرت على وجه الارض وانها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام .

وفي الحديث : اكرموا عماتكم النخيل . قال البهلول :

وعماتك النخل كن مثلها لرامي الحجارة ترمي الرطب

﴿ حكمة ﴾

ثلاثة لا تستغني عن ثلاثة : اكمل ملك عن وزير ، واعقل امرأة عن زوج واجود دابة عن سوط .

قيل لابي عمرو بن العلاء : لأي شيء قرأت وتفقد الطير ؟ فقال : ما لي لا

أرى الهدهد ، بسكون الياء ، وقرأت: وما لي لا اعبد الذي فطرني ، فاخترت تحريك الياء هنا وما ثم ضرورة إلى تحريكها ، فقال : لان السكون ضرب من الوقف ، فلو سكنت الياء هنا كنت كالذي ابتدأ ، وقال لا اعبد الذي فطرنى ، فاخترت حركة الياء هربا من ضرب من الوقف ، وهناك لا ضرورة تؤدى إلى فساد المعنى ، فاخترت التسكين لانه اخف .

قلت : وهذا من ابي عمرو رحمه الله تعالى في غاية من دقة النظر فى المعانى اللطيفة .

حكى صاحب الاغانى قال : صلى الدلال يوماً خلف الامام بمكة ، فقرأ الامام ومالي لا اعبد الذى فطرني ، وسكن الياء ، فقال الدلال : ما ادري والله ! فضحك الناس وقطعوا الصلاة ، فلما قضى الامام صلاته دعا به وقال له : ويلك انت لا تدع المجون والسفه حتى في الصلاة ! فقال له الدلال : كنت عندى على انك تعبد الله فلما سمعتك تستفهم ظننت انك قد شككت فى ربك فثبتك ، فقال له : انا اشك في ربى وانت تثبتني ؟ اذهب عليك لعنة الله .

﴿ فائدة ﴾

قولهم : سيف الفرزدق ، يضربون به المثل للسيف الكليل في يد الجبان واصله : ان جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك فجاء رجل من عبس إلى الفرزدق وكان ممن يتعصب عليه لجرير فقال له ان الخليفة غداً سيأمرك بضرب عنق اسير من الروم ، وقد علمت وان كنت تحسن وصف السيوف ، لكنك لم تماصع بها ، وهذا سيفى يكفيك منه ضربة واحدة ، فأتاه بسيف كهام ، فقال الفرزدق: ومن انت ؟ قال : انا من اخوالك بني ضبة ، فأخذ السيف ووثق به فلما كان الغد حضر الفرزدق والوفود مجلس سليمان وجيء بالاسرى فأمر سليمان واحد منهم هائل النظر ان يروع الفرزدق ويلتفت اليه ويفزعه ووعده ان يطلقه ، ثم قال

للفرزدق : قم فاضرب عنقه ، فسل الفرزدق ذلك السيف وضربه به ، فلم يؤثر شيئاً وكلح الروى في وجهه فارتاع الفرزدق وضحك سليمان والقوم ، فقال جرير :

بسيف ابي دعوان سيف مشاجع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فارعشت يداك وقالوا مجذب غير صارم

فاجابه الفرزدق :

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم إذا ثقل الاعناق حمل المغارم
فهل ضربة الرومي جاعلة لكم ابا كليب او اخاً مثل دارم

لما صار سيف عمرو بن معدي كرب الذي يسمى الصمصامة إلى موسى الهادي دعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة ، فقال: قولوا في هذا السيف فبدر ابن مأمين البصري فقال ابياتاً ، منها :

ما يبالي من انتضاه لضرب اشمال سطت به ام يمين
يستطير الابصار كالقبس المشعل ما تستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجاري على صفحتيه ماء معين

فقال موسى : لقد اصاب ما فى نفسي ، واستخفه الطرب فامر له بالسيف والبدرة فلما خرج قال للشعراء : انما حرمتم من اجلي ، فدفع اليهم البدرة ، واخذ السيف فاشتري منه بمال عظيم .

حكى ان عمر بن الخطاب سأل عمرو بن معدي كرب ان يريه سيفه المشهور فاحضره عمرو له فانتضاه عمر وضرب به ، فما اعاك فطرحه بين يديه وقال ما هذا بشيء فقال له عمرو: يا امير المؤمنين انت طلبت مني السيف ولم تطلب الساعد الذي يضرب به فعاتبه وربما قيل انه ضربه ، وضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان ابن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره فقده على القربوس ، فقالوا : ما اجود سيفك ، فغضب يريد ان العمل ليده لا للسيف .

وذكر المؤرخون أن علياً عليه السلام قتل من الخوارج يوم النهروان الفي نفس

وكان يدخل فيضرب بسيفه حتى ينثني ، ويخرج ويقول : لا تلوموني ولوموا هذا ويقومه بعد ذلك .

وذكر ابن حجر صاحب فتح الباري في التلخيص انه الف وخمسمائة .

ما احسن قول بعض شعراء الاندلس :

فعاقر سيفك حتى انثنى وعربد رمحك حتى انكسر

وكم نبت في حربهم عن علي وناب عن النهروان النهر

ومن ضربات علي عليه السلام المشهورة ضربته مرحباً فانه ضربه على البيضة فقدها وقده نصفين ، وما أحلى قول ابى الحسين الجزار يمدح علي بن سيف الدين قلج بقصيدة منها :

اقول لفقري مرحباً لتيقني بأن علياً بالمكارم قاتله

ومن ضرباته عليه السلام ضربته عمرو بن عبد ود العامرى ، وكان جباراً غليظاً عتلا من الرجال ، فقطع فخذه من اصلها ، وترك عمرواً فأخذ فخذ نفسه فضرب بها علياً فتوارى عنها فوقعت في قوائم بعير فكسرتها وما احسن قول عمر بن الفارض:

ذو الفقار اللحظ منها ابداً والحشا منى عمرو وحي

ذكر صاحب الاغاني قال : هوى محمد بن عيسى الجعفري بصبص وطال ذلك عليه فقال لصديق له : لقد شغلتني هذه عن صنعتي وكل امري ، وقد وجدت مس السلو عنها فاذهب بنا حتى اكاشفها فاستريح ، فاتياها ، فلما غنت لهما ، قال لها محمد بن عيسى أتغنيني ؟

وكنت احبكم فسلوت عنكم عليكم في ديار كم السلام

فقالت لا ولكنى اغني :

تحمل اهلها عنى فبانوا على آثار من ذهب العفاء

قال : فاستحى وزاد بها كلفاً فاطرق ، ثم قال : اتغنين ؟

واخضع بالعتبى إذا كنت مذنباً وان اذنبت كنت الذي اتنصل

قالت : نعم وأغني احسن منه :

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله ونزلكم منا باقرب منزل

قال : فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين ، وما شعر بهما احد .

قلت : هذه بصبص جارية من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء وهي جارية يحيى بن يعيش ، يقال ان المهدي اشتراها وهو ولي العهد سراً من ابيه بسبعة عشر الف دينار ، فولدت منه علية بنت المهدى .

أنشد الرئيس ابو منصور علي بن صردر في الوزير ابى الفرج بن فسابخس:

وزير رضى من بأسه وانتقامه بطى رقاع حشوها النظم والنثر

كما تسجع الورقاء فوق غصونها وليس لها نهى يطاع ولا امر

قال بعضهم : دخلت مدينة بها غلام حسن فراودته فاجاب ، فلما خلونا ذكرت الله تعالى وانصرفت عما هممت به وامرته بالخروج ، فقال : ادفع لي شيئاً فقلت : ما جرى بيننا ما يوجب العطاء ، فتنازعنا وطال بيننا اللجاج ، فبينما نحن كذلك إذ مر بنا رجل ، فتحاكمنا اليه وحكينا له الصورة ، فقال : حدثني ابى عن جدي عن المزنى عن الشافعي انه قال: إذا أغلق الباب وأسبل الستر فقد وجب المهر فاعطه حقه ، قال : فدفعت للامرد درهمين وقلت للرجل اعيذك بالله من قواد ، فما رأيت من يقود على مذهب الشافعي بسند متصل غيرك .

وفي المثل (أقود من ظلمة) بعض الناس يظنه الليل ، من قولهم (فانما الليل نهار الاريب) ومن قولهم : الشمس نمامة والليل قواد ، وليس بشيء وانما اصل المثل انه كان في هذيل امرأة تسمى ظلمة زنت اربعين سنة ، وقادت اربعين سنة فلما عجزت عن ذلك اتخذت تيساً وعنزاً ، وكانت تنزي التيس على العنز ، فقيل لها: لم تفعلين ذلك ؟ فقالت : حتى اسمع انفاس الجماع !

قال الصفدي : وما احقها ان ينشد في حقها :

شيخة الفسق لا تحول عن العهد كما تستبيح ما لن يجوزا

ساحقت طفلة وليطت فتاة وزنت كهلة وقادت عجوزا

وما رأيت من استعمل هذه المادة من الصغر إلى الكبر إلا الذي قال :

حاشا المثلى عن هواه يتوب هو دون كل العالمين حبيب

أهواه طفلا في القماط وامردا وبلحية وإذا علاه مشيب

أخذه الآخر فقال موالياً :

هويت شيخ اسمر أكحل ماله عائب إلا مشيبه وما قلبي بذا تايب

يجي على كل حاله ما يروح خايب امرد معذر منقرش ملتحي شايب

﴿ فائدة ﴾

من الاحياء العالم قسمان مؤمن وكافر ، فالكافر في النار بالاجماع ، والمؤمن قسمان طائع وعاص ، فالطائع إلى الجنة بالاجماع ، والعاصى قسمان عاصي الصغائر وعاصي الكبائر ، فعاصى الصغائر إلى الجنة بالاجماع ، فيسأل ولا يعاقب ، وعاصى الكبائر قسمان مستحل نعوذ بالله وغير مستحل ، فالمستحل في النار بالاجماع ، وغير المستحل قسمان تائب نادم ، ونادم غير تائب ، فالتائب النادم إلى الجنة بالاجماع ، والنادم الذى هو غير تائب قسمان ، مصر وغير مصر ، فغير المصر إلى الجنة بالاجماع والمصر امره إلى الله تعالى ، ان شاء رحمه وان شاء عذبه .

قال الفاكهانى : تأمل تصب والله اعلم .

فلما كان خامس وعشرون من شهر شعبان المعظم عام الف ومائة واحدو ثلاثين من هجرة النبي المكرم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وصل الينا في اصفهان من قزوين اميرالحاج السيد مصطفى من صوب باشه بغداد حسن باشا ، وفي سادس وعشرين من الشهر المذكور دارت ناقة الحاج باصفهان ، وكيفية ذلك انهم يشدون المحامل ، ويسمونها الكجاوات على ظهور الجمال ، ويركبون فوقها الاطفال ، وكلهم لابسون الاحرام ورافعون اصواتهم بالتلبية لرب الانام يحثون الناس لحج البيت الحرام

فيحصل الشوق للحج ويهرع الناس ، من كل فج ، ويركب ذلك اليوم الامير ويطوف في البلاد موكب كبير ، فمن اشتاق لزيارة رسول الله وحج بيته أخوة الامير الذي انا نازل في بيته ، وهما الامير المكرم محمد جواد بيك ، والامير المعظم احمد بيك وكان قد صارت بيني وبينهما الفة ومصادقة ، فلم يستطع قلبي بعدهما حمل اعباء المفارقة ، وكنت ذات ليلة باصفهان وأنا بين النائم واليقظان إذ سمعت هاتفاً ولم أر شخصه في المكان ، وهو يقول لي انتبه من نومة الغفلة والنسيان واقصد مكة فان حبها من الايمان فعزمت حينئذ مع الاميرين المذكورين على المسير ، وتوكلت على اللطيف الخبير ، واشتقت إذ ذاك إلى الاوطان وتجديد العهد بالاهل والأخوان :

وحبب اوطان الرجال اليهم مآرب قضاها الشباب هنا لكا
إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

فائدة

القوة المتخيلة لا يختص فعلها باليقظة دون المنام ، بل تفعل في النوم اقوى لانها لاتحتاج إلى تحريك البدن، وانما تستعمل عين الروح النفساني المتكون في البطن المقدم من الدماغ وهو لا يتحلل بالاستعمال ، فلهذه القوة المتخيلة قادرة على افعالها في جميع الافعال ، إلا انها لا تتصور الاشياء باختيارها لانها ليست قوة ارادية ، وانما في اليقظة ، كانت القوة الاختيارية تصرفها على حسب اختيارها ، وإذا اتى النوم اتى امر آخر واضطرها إلى افعالها ، وذلك الامر لا يخلو من احد اربعة امور ، الأول : ارتسام صورة المحسوسات التى ادركتها الحواس في ذلك اليوم في الخيال ، فاذا نام الانسان تصرفت القوة المخيلة في رسوم الصور لقرب عهدها بها ويسمى هذا اتصال الحس بالخيال ، وعكسه اتصال الخيال بالحس كالاحلام وكمن يرى انه يأكل شيئاً في النوم فيستيقظ وطعمه في فمه ، الثاني : ان تنظر القوة

الفكرية في أمر من الامور مثل سفر او ملاقاة صديق او رجاء اوخوف واستخدم الخيال في احضارها صورها ، وبقيت تلك الصورة في النوم ، فتصرفت القوة فيها وفي معانيها ، وتسمى حديث النفس ، وعده بعضهم ضربا من الوسواس . الثالث ان يتغير المزاج من الروح الذي هو محل القوة ، فتختلف افعالها بحسب تغيره ، فان غلب على مزاجها الحرارة رأت الحمام والشمس والنيران وما اشبه ذلك وهي طبيعة الصفراء ، وان غلب على مزاجها البرودة رأت الامطار والسيول والبحار والثلوج وما اشبه ذلك وهي طبيعة البلغم ، وان غلب على مزاجها الحرارة المعتدلة رأت المطاعم الحلوة والالوان المصبغة والملاهي والحجامة والفصد وما اشبه ذلك ، وهي طبيعة الدم ، وان غلب على مزاجها البرودة واليبوسة ، رأت المخاوف والظلمات والسواد وما اشبه ذلك ، وهي طبيعة السوداء ، وان غلب على مزاجها الخفة رأت الطيران والظفر والعدو وما اشبه ذلك ، وان غلب على مزاجها الثقل رأت الاحمال الثقيلة والاشخاص والانضغاط وما اشبه ذلك ، وان غلب على مزاجها الاعتدال في الاخلاط رأت الرياض والرائحة الطيبة وما اشبه ذلك ، وان غلب على مزاجها عفونة الاخلاط رأت الاماكن القذرة والرائحة المنتنة وما اشبه ذلك ، وعلى الجملة فاذا خرج مزاج الروح الحامل للقوة المخيلة عن الاعتدال رأت المنامات المذطربة بغير نظام لان المزاج لا يثبت على حالة واحدة ، وهذه من اضغاث الاحلام ، فما تعلق من الرؤيا بهذه الاضغاث لم يكن له تعبير ، وقل ان تصدق رؤيا الشعراء لانهم يستعملون قوتهم المخيلة في اليقظة كثيراً لما يحاكونه في معاني التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك ، والرابع : ما يفيضه واهب الصور على القوة المخيلة حال النوم بمثال تدركها النفس وعلم تعبير الرؤيا تطبيق تلك المثل على ما قصد بها ، وربما القى صريحاً ذلك بغير مثال فيستغنى عن التأويل ، وتسمى رؤية المثل بالمثل .

فمن ذلك المرائى التي ذكرها جالينوس في كتابه حيلة البرء ، ومنامات الشيخ محيي الدين عربى التي ذكرها في ضمن كتابه الفتوحات المكية .

وما احسن قول القائل :

له آمر بالرشد في يقضاته وفي النوم يهديه لخير الطرائق

فان قام لم يدأب لغير فضيلة وان نام لم يحلم بغير الحقائق

وما أليق هذا بجناب النبي ﷺ فانه كان في مبدأ الأمر قبل النبوة لا يرى الرؤيا إلا جاءت كأنها فلق صبح .

واعلم ان القوة المتخيلة لاتستقل بنفسها في رؤية المنام ، بل تفتقر إلى رؤية القوة المفكرة والحافظة وسائر القوى العقلية .

فمن رأى كأن اسداً تخطى اليه وتعطى ليفترسه ، فالقوة الفكرية تدرك ماهية سبع ضار والذاكرة تدرك افتراسه وبطشه ، والحافظة تدرك حركاته وهيآته والمخيلة هى التي رأت ذلك جميعه وتخيلته .

واعلم ان المنامات التي تحتاج إلى التعبير هى الرؤيا التي تكون من الله تعالى أما بشارة اونذارة لطفاً من الله تعالى ليتنبه الانسان لما يحدث في المستقبل. ولهذا ورد عن النبي ﷺ انه قال : لم يبق من الوحي إلا الرؤيا الصادقة .

وقال ﷺ الرؤيا الصادقة جزء من اربعة وستين جزأ من النبوة .

وفسر ذلك القاضى عياض رحمه الله تعالى بأن قال ما معناه ان مدة ما كان النبي ﷺ يتعبد بجبل حراء قبل النبوة يكون قدر جزء من اربعة وستين جزء من مدة النبوة ، وهى احدى وعشرون او ثلاث وعشرون ، اوخمس وعشرون سنة.

قال الصفدي : أصح الاقوال انه عاش ﷺ ثلاثاً وستين سنة ، وانه نبيء على رأس الاربعين سنة ، فمدة النبوة ثلاث وعشرون سنة ، وثبت انه كان يوحى اليه مناماً قبل البعثة ستة اشهر ، وهي نصف سنة ، فاذا نسبنا ستة اشهر من ثلاث وعشرين سنة كان جزء من ستة وأربعين ، وهو كما جاء في اشهر الاقوال .

واعلم ان السبب في تأخير تحقيق المنامات الجيدة وسرعة تحقيق المنامات الرديئة هو ان القوة الالهية المظهرة لهذه المنامات تعجل البشارات بالخيرات الكائنة قبل

اوانها بمدة طويلة فتكون مدة الفرح والسرور اطول فتكون النفس المغتبطة بالبشارة مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها ، وتوجب الانذار بالشرور الكائنة في زمان يقرب حصولها ليقصر زمان الهم والغم ، وكثير يشعر بالهم ، ولا ينذر به إذا لم يكن للانسان منه اشفاق عليه لئلا ينضاف إلى ذلك الشر الهم الحاصل من الشعور بحصوله وليس حصول الشر سريعاً ، وحصول الخير بطيئاً من القواعد المطردة .

قيل لجعفر الصادق عليه السلام كم تتأخر الرؤيا ؟ فقال: رأى النبي صلى الله عليه وآله كأن كلباً ابقع يلغ في دمه ، فكان شمر بن ذي الجوشن لعنه الله قاتل الحسين عليه السلام وكان ابرص وكان تأخير الرؤيا خمسين سنة .

وقال بعضهم تتأخر الرؤيا إلى عشرين سنة فان يوسف عليه السلام انما رأى تأويل رؤياه بعد عشرين سنة .

قال الرئيس ابو علي بن سينا في كتاب الشفاء : والصبي لا يحلم حلماً يعتد به إلا بعد اربع سنين . ومن الناس من لا يحلم إلى ان يسن ، ومنهم من لا يحلم البتة ، ثم قال في اثناء كتابه ويضحك الصبي بعد اربعين يوماً ، وذلك اول ماتفعل النفس الناطقة في بدنه ، ويرى المنامات بعد شهرين فيما يظن به وينساها لانه في مثل ذلك الوقت بالتقريب ، وتختلف عنده المحسوسات ويميز بينها وترتسم في خياله .

وقال ايضاً: كل حيوان دموي مشاء فانه ينام ويستيقظ ، وكل ذي جفن فانه يطبقه عند النوم ، وقد يحلم غير الانسان من ذوات الاربع ، ويظهر ذلك من شمائلها وحركاتها واصواتها ، انتهى .

يقال من انكد الوجود أن الانسان يرى في منامه انه وجد مالا أو اصاب جواهراً أو ظفر بخير ، فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئاً ، وربما يرى انه قد احدث في سراويله او في فراشه ، فاذا انتبه رأى ذلك يقيناً ، قال الشاعر :

أرى في منامي كل شيء يسوءني ورؤياي بعد النوم ادهى واقبح

فان كان خيراً فهو أضغاث حالم وان كان شراً جاءنى قبل اصبح

ومثله قولـ ابى العلا المعري :

إلى الله اشكو أننى كل ليلة إذا نمت لم اعدم خواطر اوهام

فان كان شراً فهو لا بد واقع وان كان خيراً فهو اضغاث احلام

وقال الاحنف العكبري :

واحلم في المنام بكل خير فاصبح لا اراه ولا يرانى

ولو ابصرت شراً في منامى لقيت الشر من قبل الأذان

ما ارق قول القائل :

وزارنى طيف من اهوى عنى حذر من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا

فكدت اوقظ من حولي به فرحاً وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا

ثم انتبهت وآمالي تخيبني نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

دخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوماً على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص الشاعر ، فقال : قد عملت بيتين لا يمكن ان يعمل لهما ثالث لأني قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير : ما هما ؟ فأنشده :

زار الخيال بخيلا مثل مرسله فما شفاني منه الضم والقبل

ما زارني قط إلا كى يدافعني عن الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه ؟ فقال : ان اعادهما سمع لهما ثالثاً ، فأعادهما ، فقال الحيص بيص :

وما دري ان نومى حيلة نصبت لطيفه حين اعيا اليقظة الحيل

ومن نوادر الخيال حكى ان بعضهم كتب إلى امرأة كان يهواها مرني خيالك ان يلم بي في المنام ، فكتبت اليه تقول ابعث لي بدينارين حتى اجيء اليك بنفسي في اليقظة .

ومن هذا ماحكى ان بعض البخلاء كتب إلى غلام يهواه (وضعت على الثرى

خدي لترضى) فكتب اليه الغلام يقول : ابعث إلي ديناراً حتى ادعك تضع خدك على خدي .

وقيل: ان بعض المغفلين تعب في تحصيل من كان يهواه ، فلما كان ذات يوم حصلت عنده فوضع رأسه في حجرها ونام ، فقالت له : لاي شيء تفعل هذا ؟ فقال : من عشق فيك انام ، لعلي ان ارى خيالك في المنام .

ما احسن قول السراج الوراق :

فسر لي عابر مناماً فصل في قوله واجمل
وقال لا بد من طلوع فكان ذاك الطلوع دمل

قال الشريف الرضي الآتي ذكر ترجمته ان شاء الله تعالى من ابيات :

سلبت عظامي لحمها فتركتها عواري في اجلادها تتكسر
واخليت منها مخها فتركتها انابيب في اجوافها الريح تصفر
خذي بيدي ثم اكشفي الثوب تنظري
ضنى جسدي لكنني أتستر
وليس الذي يجرى من العين ماؤها ولكنها نفس تذوب فتقطر

أقول : وقد ضمن بعض المتأخرين البيت الثالث في الفانوس فقال :

يقول لي الفانوس حين رأيته وفي قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدي ثم اكشفوا الثوب تنظروا ضنى جسدي لكنني اتستر

ولبعضهم في الفانوس ايضاً :

انظر إلى الفانوس تلق متيما ذرفت على فقد الحبيب دموعه
أحيا لياليه بقلب مضرم وتعد من تحت القميص ضلوعه

قال في الكشكول: من تضمين البيتين ما يحكى عن الحيص بيص الشاعر وقد خرج بعض الليالي من عند الوزير ابن هبيرة والسكر قد غلب عليه ، فنبح عليه جرو كلبة فوكزه بالسيف فمات ، فاخذ بعض الشعراء الكلبة وعلق على رقبتها

رقعة وأطلقها عند باب الوزير المذكور فأخذت الرقعة فاذا فيها مكتوب :

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى بجرأة ألبسته العار في البلد
أبدى شجاعته في الليل مجترئاً على كليب ضعيف البطش والجلد

(قلت) : وهذا البيت أيضاً من جملة هذه الابيات ولم يذكره صاحب الكشكول وهو :

وليس في يده مال يديه به ولم يكن بيواء عنه في القود

يقال دم فلان بواء لدم فلان اذا كان مكافئاً له ، وهو بالباء الموحدة على وزن سواء في معناه وأيضاً لم يذكر صاحب الكشكول إسم ناظم الأبيات ، وهو ابو القاسم عبد الله بن الفضل القطان البغدادي ، تتمه الأبيات :

فأ نشدت أمه من بعدما احتسبت دم الابيلق عند الواحد الصمد
أقول للنفس تأساء وتعزية احدى يدي أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من بعد صاحبه هذا أخي حين ادعوه وذا ولدي

قال صاحب الكشكول : والبيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل اخوها ابنها .

(قلت) : قد اشتبه على صاحب الكشكول رحمه الله تعالى في هذين البيتين أنهما لامرأة من العرب وانما هما لقيس بن عاصم المنقرى سيد الاوبار هكذا رأيته في شرح البسامة .

(روي) ان الاحنف بن قيس قيل له ممن تعلمت الحلم ، قال من قيس بن عاصم المنقري وذلك انه كان يوما محتبيا في نادي قومه يتحدث اذ اتى اليه بغلام مقتول وآخر مربوط فقيل له قتل اخوك ولدك فقال لهم اذهبوا باخيكم المقتول فواروه واطلقوا عن اخيكم الآخر رباطه ورجع الى اصحابه يتحدث معهم وما نقص له حبوة ولا تغير له وجه ثم انشأ يقول ، اقول للنفس تأساء وتعزية ، الخ ومن شعر قيس بن عاصم المذكور قوله :

اني امرؤ لايعتري خلقي دنس يفنده ولا افن

من منقر في بيت مكرمة والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحق جـــواره فطن

(ترجمة) : صاحب العلم والسيف ، حامي الجار ومقرى الضيف ، السيد الشريف ، الايد في اكتساب المجد المنيف ، صاحب الفضل والذكر الحسن ؛ مقلد أعناق الرجال بالمنن ، مولانا السيد شبير بن مبارك بن فضل بن مسعود بن الشريف حسن ، لازال رافلا في برود النعيم ، بين الحور والولدان مع اجداده ذوي البرهان في جنات النعيم ، درة تاج بني الحسن وباقعة ذوي البلاغة واللسن ، أديب لانت له المعاني الصعاب ، كما لان الحديد لداود الأواب ، وسخرت له قوافي الموشحات كما سخرت الريح لسليمان فهي تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، فهو نبي الأدب بلا ارتياب ، وكريم أريحي لايقاس بندى راحته البحر .

ومن قال ان القطر والبحر اخلفا نداه فقد اثنى على القطر والبحر

كان مقيما بالطائف ، كهفا للملتجي والخائف .

كان ركناً للمؤمنين وغوثاً للبتامى وملجأ للعديم

يقصده العفاة من كل مكان ، كالبيت ذي الاركان .

هكذا هكذا وإلا فلا لا طرق الجد غير طرق المزاح

ثم انه مازال ذلك الجناب المحفوف باللطائف ، تارة يقيم بمكة وتارة بالطائف .

هو غيث بالعطايا هاطل حيث ما صرفه الله انصرف

إلى ان ناداه الى قربه رب الارباب ، فلباه واجاب ، وكانت وفاته بمكة المشرفة ليلة الاثنين ثالث وعشرين من جمادي الاولى عام ألف ومائة وثمانية وثلاثين وخطب عليه الرئيس من أعلى المقام على سالف آبائه واجداده الكرام ، ودفن بالمعلاة الى جنب مقبرة جدي مقابل خديجة الكبرى رحمه الرحيم الرحمن ، واسكنه بحابيح الجنان ، وله الموشحات الرقيقة البديعة الانيقة ، منها هذا الموشح الفريد ،

الذي تتحلى به الغيد كالدر النضيد ، وهو :

صاحب الزمام أبو سته مشالى فى الورش امام لربات الحجال
حالى الوشام نشر فى الحب اعلام قد حوى نظام يبارز كل من رام
حانى الجميد صدوده والرضا عيد منية العميد غزيل صاد ما صيد
ريم في العقيق حكى البدرين تحقيق كيف انا افيق وسكرى خمرة الريق

﴿ توشيح ﴾

﴿ عذب اللمى وردي الخدود سبي برمان النهود فريد في هذا الوجود ﴾
حدت له وحيد مظفر سار الجيد قلت له أريد أزورك قال ما اريد
فيه خصلتين وقاه الله من شين مايني بدين ووعده في الرضى مين
قط ما عدل ولا يصغي لعذل ان عتبت مل وان اعرضت يزعل
في الدلال تاه فوا شوق للقياه آه ثم آه يجافيني وأرعاه

﴿ توشيح ﴾

﴿ في البعد والقرب سوا ماقط يوما ارعوي ولا سمح لي بالدوا ﴾
مترف الحشا اشا وصله واخشى قول من وشى وللأسرار افشى
قل لمن نشر لسلوانى واشهر حقق الخبر بأنى رق الاخضر
اشهر الخطاب ولا تخشى العتاب ان ذا صواب ولا تنظر لمن عاب
فالورش حكم بملكى له واحكم لا تقل ظلم فمدلي عنه اظلم

﴿ توشيح ﴾

﴿ فلو تراني يا عذول لكنت تترك ما تقول لما بدا مرخى السدول ﴾
جادل الحبش لعقل الصب ادهش مر واحترش بسيف اللحظ ارهش

قلت له امان ولك نهدين رمان كافيه طعان وقاها الله ما شان
فالتفت بجيد وقال يا مبتلى حيد أنت ماتريد فقلت العفو ياسيد
قال مادهاك فقلت أسهام عيناك كنت أنا فداك اصابت قلب مضناك

﴿ توشيح ﴾

(أبو عثمان مرهفات عملك الست الجهات وقال لي مابات فات)
صرت في ذهول فهل تسمع ما أقول لاتقل فضول فما أبقيت معقول
من أحل لك دمي يامن عملك ان من ملك ترفق أين عدلك
عند ما ابتسم عن الدر المنظم بعد ما انتقم سمح بالوصل وانعم
جاد بالوصال وزال القيل والقال بت في مجال فلا تسأل عن الحال

﴿ توشيح ﴾

(فمت بغيظك والعنا ياواشياً ذني جنى فالسعد حظي والمنى)
بت في نعيم مشاهد وجه بدري وهولي نديم وثغره كأس خمرى
قال لي وقد تثنى مائس القد حاسدك رقد دعه لازال مكمد
فأحمد الاله على فوزي بلقياه واشهر الصلاه على طه وابناه
ما اضا صباح وماهبت لنا ارياح صبح اورواح وما قمرى الهناصاح

وقوله هذا الموشح ، الذي هو بانواع اللطافة موشح ، وهو :

سامك النهدين تايه في صباه قد حوي راحا وشهداً في شفاه قد حماه
آه واشوقي الى بارد لماه

ان تثنى يخجل الغصن الرطيب او بسم فالدر من ذاك الشنيب الحبيب
في خديده ورد اعيا بي جناه

مذ خطر في ادرني وردي رقيق صحت من وجدي ممناك الغريق مايفيق
في بحار العشق هجرانك رماه

فالتفت نحوي ولم يبدي ابتسام لا ولا ابرد ناري بالسلام واستفام
قال يهزو بى خطابك من عناه

قلت يامن حل مني في الحشا يا اخا البدرين قل لي ما تشا يا رشا
فمذولي فيك ابلغته مناه

يا عذولي ما الذي اغراك بى انت لاشك بأحوالي غبى والنبي
فا تئد تركك غرامى لا اراه

انا من سكر غرامي لااعي وعن العذال صم مسمعي لا دعى
قيس دوني فى زمانى وعناه

قسماً بالله رب العالمين وبطه سيد الرسل الأمين يا ضنين
مغرمك ماحل غيرك في حشاه

ان حبك صار فخري في الانام وسلوي عنك يا بدري حرام والامام
من بطه وبه ترجو النجاة

يا شفيعي يا نبي الثقلين يا ابا الزهرا وجد الحسنين بالحسين
واخيه وبنيه اوصياء

كن شفيعي من ذنوب اثقلت كاهلي يامن به الدنيا حلت وعلت
أمة نالت من الباري رضاه

لا تقل عاص فانى عاصيا غير انى لنجاتى راجيا راميا
حمل أوزارى على منهى الشكاه

صلوات الله تغشى المصطفى ما سعى لله ساع بالصفا والوفا
وببيت الله طافت عتقاه

وعلى الآل وصحب راشدين من بقول المصطفى مستمسكين قائمين
بحقوق الله ما قامت صلاه

﴿ فائدة ﴾

قال العلامة السيد محمد كبريت المدني في رحلته : سبب قيام آل عثمان عند ضرب النوبة ان السلطان علاء الدين السلجوقي لما شاهد عزم السلطان عثمان وعلم قابليته في فتح اطراف تلك البلاد اكرمه وامده وبعث اليه الراية السلطانية والطبل والزمر ووسمه باسم السلطنة تقوية ليده وشد العضد ، فلما وصل اليه ذلك وضربت النوبة بين يديه قام عند أول سماعه لها على قدميه ، تعظيما لذلك فهم يقومون عند ضرب النوبة احياء لتلك السنة انتهى .

وفي سنة ثلاث وألف توفي السلطان مراد بن السلطان سليم بن السلطان سليمان بن السلطان سليم بن بايزيد خان بن محمد خان بن مراد خان بن محمد خان بن يلدرم بايزيد خان بن مراد خان بن أورخان بن عثمان الغازي وهو الذي ينسبون اليه وأصله من التتار وهو أول من ولي منهم سلطنة الروم سنة تسع وتسعين وستمائة ومات سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، ثم ولي ولده اورخان ومات سنة احدى وستين وسبعمائة ، ثم ولي ولده مراد خان واستشهد سنة اثنين وتسعين وسبعمائة ، ثم ولي ولده يلدرم بايزيد خان ، وهو الذي حارب تيمور لنك الذي أهلك الحرث والنسل وحبسه ومات سنة خمس وثمانمائة ثم ولي ولده محمد خان سنة ست عشرة وثمانمائة بعد حروب بينه وبين اخوانه وهو الذي خرج عليه بدر الدين بن سماوية فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف وحبس بدر الدين وكان يرمى بسوء العقيدة ، وله كتب تشير الى ذلك ، ثم قتله وصلبه فسكنت الفتنة ومحمد خان هذا أول من عمل الصر لأهل الحرمين وتوفي سنة خمس وعشرين وثمانمائة وولي بعده مراد خان وجلس على التخت سنة ست وخمسين وثمانمائة وافتتح القسطنطينية الكبرى سنة سبع وخمسين وثمانمائة ومات سنة ست وثمانين وثمانمائة ، ثم ولي ولده بايزيد خان ومات سنة ثمان عشرة وتسعمائة ، ثم ولي ولده السلطان سليم خان ، وهو أول من ارسل صدقة

الحب من بني عثمان ، وأول من ملك الشأم ومصر والحجاز ، وتوفي سنة ست وعشرين وتسعمائة ، ثم ولى ولده السلطان سليمان خان وتوفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، ثم ولى ولده سليم خان وتوفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ، ثم ولى ولده السلطان مراد خان وكان مولده سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ، وولى السلطنة لعشر خلون من رمضان سنة اثنين وثمانين وتسعمائة ، وسنه يومئذ ثلاثون سنة ، وكان ملكا هماما ، واسداً ضرغاما ، وسيفاً صمصاما ، وبحراً قمقاما ، كم شيد للعلوم من مدارس ، واحيا لها من معالم وآثار دوارس ، اتم بناء الجانب الغربي واليماني من المسجد الحرام ، وارخ ذلك بعض الفضلاء بقوله :

جدد المسجد الحرام مراد دام سلطانه وطال اوانه

وكان ابوه ابتدأ في عمارة المسجد في سادس جمادى الاولى سنة ثمانين وتسعمائة وعمل الجانب الشرقي والشمالي واتم مراد عمارته في اواخر سنة أربعة وثمانين وتسعمائة ومدحه جماعة من الشعراء والأدباء ، وتشبث به الفصحاء والبلغاء ، ومدحه القطب الحنفي بقوله :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ان سلطاننا مراد لظل الله في الارض باهر السلطان
ملك صار من مضى من ملوك الارض لفظا وجاء عين المعاني
ملك وهو في الحقيقة عندى ملك صيغ صيغة الانسان
ملك عادل فكل ضعيف وقوى في حكمه سيان
سيفه والمنون طرفا رهان لحلوق العدو يبتدران
كمل المسجد الحرام بناه فاق في العالمين كل المباني
هكذا هكذا وإلا فلالا انما الملك في بني عثمان

وكان كثير الخير باذل الاحسان لاسيما لأهل الحرمين الشريفين ، واقفا عند الشرع فلا يتعداه ، عاملا في اموره بتقوى الله ، مراعياً للعدل والفضل فيما استرعاه ولم يزل يعمل الخيرات في السر والعلن ، الى ان رحل عن اوطانه وظعن ، وتوفي

لست عشرة مضت من جمادى الاولى ورثاه جماعة من الفضلاء منهم الاديب أحمد المرجوشي المصري بقوله :

تهايل من قبر الصلاح مشيد بموت شهنشاه الملوك مراد
فلم يبق في تلك الممالك مالكا مراد الورى من بعد فقد مراد

ثم أقام بالملك بعده السلطان محمد خان .

« فلما » عطس أنف الصباح ، ونادى منادي الصبوح يحي على الاصطباح ، عن خامس عشر شهر رمضان ، عام ألف ومائة واحد وثلاثين من هجرة ذي الدلائل والبرهان ، خرجنا من اصفهان ، الى خان السلطان ، مع الاميرين المذكورين لازالا في نعمة وقرة عين ، وأقمنا به ثلاثة ايام ، بأهنأ عيش مدام ، ففي ثامن عشر ، من هذا الشهر ، عزم أمير الحاج على المسير ، وضرب الطبل ونقر النقير ، فتوادعنا مع الاصحاب ورحلنا متوكلين على رب الأرباب .

اذا دناك الوداع فاصبر ولا يروعنك البعاد
وانتظر العود من قريب فان قلب الوداع عادوا

فعدنا الى مكة من الطريق التي أتينا منها ولم نزل في حط وشيل ، آناء النهار واطراف الليل ، الى ان أتينا ارض لينة ، وهي من اراضي نجد الامينة ، وبها آبار كثيرة بالعذوبة مشهورة وكلها من الصخر منقورة ، سمعت من بعض الاجواد ، انها من عمل قوم عاد ، فتنزل كل فرقة من الحجاج على بئر منها وكان قد نزل على بئر من تلك الآبار ، السيد الشريف سامي المقدار من هو بالاوصاف السليمة حري ، ومن الاخلاق الذميمة بري ، مولانا الشريف حرشبير بن سعيد الشنبري فأتى بعض اجناد الامير ، قصداً لسقاية من تلك البير ، فلم ترض عبيد مولانا الشريف بالغلب ، ومنعوهم عن النزول على الجب ، فلم يسمع الجند لهم كلام ، وآل أمرهم الى الحرب والكلام ، فاقتتلوا ساعة ، والشجاع أسفر وجهه وارخى الجبان قناعه .

اذا المرء لم يكرم صديقا ولم يهن عدواً ولم يبرز لقوم يحاربه

فذاك الذي ان عاش لا أسفا به وان مات لاتبكي عليه أقاربه

فجرح العبيد اثنين من الأتراك ، وأوقعوها في الهلاك وجرح الترك أربعة من العبيد وطرحوهم على الصعيد ، فلما حمى الوطيس ، وتقابل الخميس مع الخميس دخل بينهم الحملدارية ، وفصلوا تلك القضية ، التي آل آخر أمرها الى نهب الحاج بأسره وحلول الرزية .

عواقب البغي لها مصرع ينزل السلطان عن عرشه

فركب الشريف وسار الى الامير يشكو اليه الحال ، ويحذره عاقبة المآل ، فما أجابه الامير سوى ان قام بالبتار ، يريد قتل الشريف نسل الاطهار ، فدخل الناس بينهم ، بعد ماخلنا ان قد قرب بينهم ، فحين رأى الشريف من الامير وجنده ما هالهم ، أسرها في نفسه ولم يبدها لهم .

لا تأمنن فتى أسكنت مهجته حراً وتزعم ذاك الحر قد بردا

فلم نزل نحث النوق ، ونجد في السوق ، الى أن اتينا ياالخوان على وادي مران ، وهو ميقات الحاج العراقي المشهور با لعقيق فنزل الحاج هناك وخيم ، واغتسل وصلى ولبى وأحرم ، فلما كان عصر ذلك اليوم وصل الينا من مكة المشرفة السيد الشريف الانجد ، زيد بن أحمد نجل صنو الشريف شبير المذكور وكان قد أرسله الشريف يحيي بن بركات ، لاستقبال الحج وحفظه من الآفات ، وله شيء من الحجاج لم يحضرني كم مقدره فنزل على عمه ، فرآه غارقا في بحر غمه ، فسأله عن الخبر ، وما سبب هذا الغم والكدر ، فأخبره عما صنع الامير ، حين وثب عليه والحسام في يده شهير ، فثارت عند سماعه لهذا الخبر شرارة الفتنة ، واضمر أن يوقع الامير في اضيق المصيبة وأوسع المحنة ، وكنت قد ذكرت في أول الكتاب ، ما اتفق ليوسف باشا حاكم الحلة من الطعان والضراب ، مع عتيبة انجس الاعراب ، وسدوا المضيق با لاحجار على الحاج والاحطاب ، وهو الريع الذي صار سائقاً فيه الحرب ، ووقعت العرب في القتل من أيدي عسكر بغداد والنهب ، فرصدوا

الحاج على قلل تلك الجبال ، وهم في عدد الحصى والرمال ، وعزموا على نهب الحاج وقتل الأمير ، وأضمروا لعسكر بغداد البلاء الخطير ، فأرسل اليهم السيد زيد بن أحمد ، واخبرهم عماله من مقصد ، وانهم يحفظون نساءهم وأطفالهم في البيوت ، ويصلون من ليلتهم الى ريع المنحوت ، وهو ريع بطريق الطائف صعب الطريق ، في غاية الضيق ، وأمرهم بنهب الحاج بأسره ، وقتل الامير أو أسره .

فما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وقد تمت على الحاج هـــذه الحجة ، في السابع من ذى الحجة ، والناس في بكاء وضج وعج وثج خيفة من أن يفوتهم الحج ، فسار السيد زيد بن أحمد الى الامير ، وأخبره عن جميع عتيبة الغفير وانه لاسبيل له الى المسير من ذلك الطريق ، وضمن له انه اذا سار من طريق ريع المنحوت دخل مكة ثامن ذي الحجة بلا تعويق ، فاستصوب رأيه الامير ، ولم يدر ماخبىء له من البلاء الكبير ، فلم نزل نحث العيس ، ظناً بأن ليس هناك تدليس ولا تلبيس ، فوصلنا ريع المنحوت في ثامن ذى الحجة عند الزوال ، واذا بعرب عتيبة كالجراد المنتشر على رؤس تلك الجبال فحين شاهد الامير ماحل به وبا لناس من البلاء ، وعلم انه قد صار مذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، جمع اذ ذاك الجنود ، وأمرهم على الجبل بالصعود .

أى يومي من الموت أفر يوم لم يقدر أم يوم قدر
يوم لم يقدر لا أحذره وعن المقدر لاينجو الحذر

فوقع الرمى بالرصاص ، وتيقن الجبان أن لاخلاص ، ولم يزالوا في كر وفر ، وقال الشجاع اليوم لا مفر ، الى ربك يومئذ المستقر ، وقد حل بالامير وجنده الثبور والويل الى أن ولى جيش النهار واقبل جيش الليل ، فنزلت الاعراب حينئذ من فوق الريع ، ونهبت الحج نهباً شنيع ، وقتلت الاتراك قتلا ذريع ، وما ابقت على كبير ولا صغير ، ولا غني ولا فقير ، ونهبت كل ماكان للامير من متاع ، وشاع القتل في الحاج وذاع ، وتفرقت الناس بين تلك الجبال ، وتاهت في التلول

والرمال ، فما وصلنا أرض السيل ، إلا بعد زام من الليل ، وكانت لنا ليلة يالها من ليلة لم تذق أعيننا فيها الهجوع ، أمر من ليلة الملسوع فأنخنا بأرض السيل ساعة الى أن وصل الينا المقاطيع ، بعضهم يستطيع المشي والبعض لا يستطيع ، ثم انا توكلنا على الله ، ورحلنا قاصدين بيت الله ، ففي نصف الليلة التاسعة من ذي الحجة الحرام ، وردنا البيت الحرام ، فأتينا على الابطح وأنخنا الركاب هناك ، والكل منا قـــد أشرف على الهلاك ، ووصل الينا في تلك الساعة أخي الشقيق الشفيق وعضدي القوي وركني الوثيق ، السيد سليمان بن علي نور الدين ، عليه رحمة الله رب العالمين وحشره في زمرة اجداده الاطهار ، الميامين الابرار ، فانه توفي في غيبتي بأرض الهند عام ألف ومائة وأربع وثلاثين .

(وقلت) راثياً له حين بلغني خبر موته :

الا ان هـذا الخطب للقلب صدعا ... وواصل من عيني ما عشت أدمعا
لقد دك في هذا المصاب تصبري ... ولو حل با لطود العظيم تصدعا
فما بعد هذا الرزء في العيش لذة ... وما أنا راج بعد ذاك تمتعا
فجعت بصنو كان في الدهر عاضدي ... فما مثلنا في مثله قط أفجعا
فيا ليتني أصممت قبل أقوله ... وأذني لا تصغي لناعيه اذ نعى
فيا أيها الصنو الذي حل مهجتي ... وسار لقد خلفت قلبي موجعا
ويا شامتا با لموت والموت خلفه ... فلا بد يوماً أن تجيب اذا دعا
أما نحن أغراض العوارض والردى ... أما الموت مثل السهم يأتيك مسرعاً

فسرت معه الى البيت واجتمعت بالأهل والاخوان ، والاصحاب والجيران .

لئن عاد جمع الشمل في ذلك الحمى ... غفرت لدهري كل ذنب تقدما

ثم اني خرجت من البيت ، ودخلت الى البيت ، فطفت وسعيت ، فلما أضاء نور الصباح ، وأشرقت الشمس على الروابي والبطاح ، عن تاسع ذي الحجة الحرام ، أهلنا بالتلبيات ، وصعدنا الى عرفات ، فوقفنا مع الناس ، وطلبنا الغفران من رب الناس .

لو تنظر الملمين وقت عشية والركب منتشر كنشر جراد
حجوا وقد بلغوا جميع مرادهم وأنا حججت وما بلغت مرادى
يارب أنت وصلتهم وقطعت بي فبجاههم يارب فك قيادي

ثم نفرنا عند الغروب ، وشكرنا علام الغيوب ، فأتينا مزدلفة فبتنا بهـــا ولقطنا منها الجمار وأقمنا فيها الى ان أشرق النهار ، فرحلنا منها واتينا منى ، وقد بلغنا المنى .

لله ما احلى المقيل على منى في يوم عيد اشرف الاعياد

فأقمنا بها ثلاثة ايام الاعياد ، ثم رحلنا الى مكة اشرف البلاد ، وقد قضينا بحمد الله جميع المناسك المفروضة في الكتاب ، والتقينا بالأهل والاحباب ، وكسوت اهلي الفخر كسوة فان لهم بى اسوء ، واصلحت لهم من فضل الله جميع الاحوال ، وأقمت معهم في أمتع حال ، والحمد في كل حال ، للكريم المتعال .

﴿ فائدة ﴾

الجامع الازهر بمصر هو أول مسجد أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الصقلى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وما أحلى ماقال من قال :

هويت مصر يا غدا قاهراً بصارم من لحظه يشهر
أزهر وجه وغـدا جامعـا للحسن فهو الجامع الازهر

ثم جدده الحاكم بأمر الله ، وجعل عليه أرقاما وكان به طلسم فلا يسكنه الطير .

﴿ فائدة ﴾

علم الطلسمات : علم يتعرف منه كيفية تمزيج القوى العالية الفعالة بالسافلة المنفعلة ليحدث عنها أمر غريب في عالم الكون والفساد واختلف في معنى طلسم والمشهور فيه أقوال ثلاثة :

(الأول) : أن الطل بمعنى الأثر فالمعنى أثر اسم .

(الثاني) : أنه لفظ يوناني معناه عقد لا ينحل .

(الثالث) : أنه كناية عن مقلوب اعنى مسلط . وعلم الطلسمات اسرع تناولا من علم السحر واقرب مسلكا ، وللسكاكي في هذا الفن كتاب جليل القدر عظيم الخطر .

(روي) عن محمد بن كعب القرظي قال : بينما عمر بن الخطاب جالس ومعه أصحابه اذ مر به رجل فسلم عليه فقال له رجل من القوم يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المسلم قال لا قال هذا سواد بن قارب الذي اتاه جنية بظهور رسول الله ﷺ فقال له عمر أنت سواد بن قارب قال نعم قال انت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد غضبا شديدا وقال ما استقبلني أحد بهذا منذ أسلمت فقال له عمر ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من الكهانة فأخبرني بالذي أنبأك به جنيك من ظهور رسول الله ﷺ قال نعم بينما أنا بين النائم واليقظان اذ اتاني رئي وضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى ثم أنشأ الجني يقول :

عجبت للجن وأخبارها وشدها العيس بأكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم بين روابيها واحجارها

فقلت له دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كان الليلة الثانية اتاني فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله وإلى عبادته ثم انشأ الجني يقول :

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم قدامها ليس كأذنابها

فقلت له دعني انام فاني امسيت ناعساً فلما كان في الليلة الثالثة اتاني وضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب فافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى عبادة الله ثم انشأ الجني يقول :

عجبت للجن واجناسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ما جيد الجن كأنحاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى راسها

قال فلما اصبحت شددت على راحلتي رحلها وسرت الى مكة فقيل لي قد سار الى المدينة فأتيت المدينة فسرت الى المسجد فعقلت ناقتي فاذا رسول الله ﷺ في جماعة من اصحابه فلما نظر الي قال هلت يا سواد بن قارب فقلت :

اتاني رئيي بعد هدء ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة اتاك رسول من لؤى بن غالب
فشمرت عن ذيل الازار ووسطت بي الدلعب الوجناء بين السباسب
واشهد ان الله لارب غيره وانك مأمون على كل غالب
وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله يابن الاكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لاذوشفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح رسول الله ﷺ واصحابه فرحا شديداً فقام اليه عمر فالتزمه وقبل بين عينيه وقال لقد كنت احب ان اسمع هذا الخبر منك فأخبرني هل يأتيك جنيك اليوم قال أمامنذ قرأت كتاب الله فلا ونعم العوض من الجن كتاب الله تعالى.

قال ابن حبيب في المحبر أسماء من جاء الاسلام وعنده عشر نسوة مسعود ابن عمر بن عمير عروة بن مسعود ، سفيان بن عبد الله غيلان بن سلمة أبو عقيل مسعود بن عامر بن معتب وكلهم من ثقيف فنزل غيلان وسفيان وأبو عقيل للاسلام عن ست ست وأمسكوا أربعاً اربعا ومات عروة مسلما ولم يكن امر

بالنزول عن بعض نسائه ، وقال ابن سعد في الطبقات قيس بن الربيع الاسدي من أولاد الحارث بن قيس الذي أسلم وعنده تسع نسوة فأمره النبي ﷺ أن يمسك منهن أربعا ويفارق سائرهن .

ما قيل من الكلمات التى تقرأ طرداً وعكسا وهو ان الكلمة لايتغير معناها با لقلب وقد عبر عنها الحريري في مقاماته بما لا يستحيل با لانعكاس ، ومثله بقوله ساكب كاس ، ومنه قوله تعالى كل في فلك ، وقوله تعالى ربك فكبر .

س ا ك ب ك ا س ، ك ل ف ى ف ل ك ، ر ب ك ف ك ب ر

ومنه قول رسول الله ﷺ يقال لصاحب القرآن إقرأ وارتأ .

ومنه قول الحريري : كبر رجاء أجر ربك . وقول القاضي الفاضل رحمه الله تعالى ، ابداً لاتدوم إلا مودة الأدبا .

وقال العماد الكاتب للقاضي الفاضل رحمهما الله تعالى ، سر فلا كبابك الفرس فقال له القاضي دام علا العماد ، ومنه مودتى لحلي تدوم ، ومنه أرض خضراء ، فيها أهيف ، ساكب كاس ، ومنه وهو موزون ، أرانا الاله هلالا أنارا ، ومنه باب ، ومنه مراكب كارم ، ومنه مطرق قرطم ، ومنه سر فسار براس فرس ، ومنه حوت فمه مفتوح ، ومنه آدم حمد محمدا ، ومنه رمح أحمر ، ومنه هريره ، ومنه هره ، ومنه كبرت آيات ربك ، ومنه عقرب تحت برقع ، وقول الارجانى :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم

م و د ت ه ت د و م ل ك ل ه و ل و ه ل ك ل م و د ت ه ت د و م

﴿ ترجمة أديب العصر بالاجماع : الشيخ سالم بن أحمد الصفدى الشماع ﴾

فارس النظم والنثر ، وانسان عين الدهر ، وأشعر اهل العصر ، وغرة وجه الكمال ، وناظم عقود اللآل ، وترجمان لسان البلاغة بالتفصيل والاجمال ، فاضل ان

نظم القريض ، اونثر منثور الكلام على الطروس من روض فصاحة الزاهر الاريض ، أشفى بعذوبة سحره الحلال كل قلب كليم مريض ، وأغرق حاسده في البحر الطويل الوافر العريض ، يشهد له بالفضل الخاص والعام ، وتناديه البلاغة مرحبا بالامام ، لم تتشنف الاسماع بأحسن من در نظامه ، ولم تتشوق القلوب الصادية لأعذب من سحر كلامه ، فهو الآن بمكة المشرفة أبو فراسها ومحتريها ومتنبيها ، وقاضي أدبها وبلاغتها ومفتيها .

أديب أريب لو تجسم لفظه أصابته عقداً للنحور الكواعب

له النظم العالي ، كالجوهر الغالي ، اقرت له فيه بالامامة مصاقع البلغا ، وأخرس بفصاحته لسان أبي الفرج الببغا ، وما برح يزداد كمالا وأدباً بين العباد .

حتى تشهد بالكمال له الورى والفضل ماشهدت به الاضداد

فمن نظمه الفصيح ، المطبوع الرقيق المليح ، قوله مادحا السيد الشريف ، صاحب الظل الوريف ، السيد عمرو بن محمد بن بركات ، ومعارضاً حائية ابن النحاس التي ذكرها آت وهو .

لفؤادي من لحاظ الغيد جرح ولأجفاني من التسهيد قرح
ولقلبي من لظى زند الجوى شرر يذكيه اضرام وقدح
ولعيني من جفا ذات الوفا وتنائيها بسفح الخد سفح
ولجسمي في ميادين القلى كلما جن الدجى شطح وسبح
لم أنل للهجع بالعشق متى ماسرى من بارق الاشواق لمح
كم الى بطحاء وادى المنحنى لي بأذيال الهوى العذري مرح
وبميد الريم أخشاف الظبا يعترينى بعد خوض الجد مزح
لا ترانى أملك اللب اذا هب من أيم الصبا النجدي نفح
أرو في للسمع من ورق الحمى باعثات الشجو تغريد وصدح

يا خلي البال دعني لاهيا بفتاة حبها رشد وربح
كيف لا ألهو بهيفاء لها طلعة يبدو بها ليل وصبح
تفتن الغيد بطرف مفطر وبخصر صائم يعلوه كشح
طالما باتت تعاطيني اللمى ولأبواب الرضى والبشر فتح
في مروج ضحك الآس بها وغدا يقفوه قيصوم وطلح
ينثر الطل علينا لؤلؤا مثل ما للزهر فوق السمط طرح
يتهادى حولنا جيش الهنا بشموع ماؤها وهج ولفح
فاغتنم يا صاح أيام الصبا واتبع اثار اهل الحب وانح
وارتض التعذيب في شأن الهوى فهو عذب ولمضنى القلب صح
فلكم في حب حي باللوى نالني عن جيرتي والأهل ترح
لم يكن يشغلني عن حبهم ان تناؤا أودنوا كد وكدح
غير نظم المدح من معدنه لفتى منه لمتن القول شرح
عمر المفضال موفور العلى خير مولى لقوافي الشعر منح
ثاقب الرأي الذي قام به عند تنفيذ قضايا الحكم رجح
هو رب الجود مدرار العطا وهو طلق الوجه طلق الكف سمح
مالك الانسان بالاحسان من لا يرى المن ولا يغشاه شح
أروع ان همنا قرح فما بات عنا منه انجاد وقرح
واذا ما زارنا ليل أسى فهو من صبح ضيا علياه يمحو
بحر جود لا يبارى فيضه حين يبدو منه للعافين نضح
كم غدا يكتب في وجه الحيا مناً لا يعتريها قط مسح
ولكم شكر لجدوى كفه ولسطوى عزمه حمد ومدح
ولكم بالسمر والبيض له في نحور وكلى طعن وذبح
يرد الهيجا بقلب كالصفا وله من عزمه سيف ورمح

في يديه الضر والنفـــع كما في ظباه والقنى حرب وصلح
يهزم الصيد الصناديد اذا صال لو أنهم حرب وصبح
ان غزا يوما وان لاقى العدي جاءه نصر من الله وفتح
لم يزل يسبح في بحر الردى بسبوح لم يكن يحييه سبح
بطل أضحى لماضى عضبه من دم الباغين في الشعواء لفح
فهو أقوى الناس في البأس فما قيل في ترجيحه فهو الأصح
يا وفياً طالما أضحى له ان أتاه مذنب عفو وصفح
يا ليوث الحرب يا ثبتا اذا صار للفرسان في الميدان ضبح
يا عقيد الخيل يا بدراً متى لاح من تحت عجاج الخيل جنح
هاك من جوهر فكري غادة حل منها في جبين الطرس وضح
تزدري بالدر في معدنه اذ لها في صفحة الاعناق وشح
تشبه الراح معانيها التي كل من ذاق حلاها ليس يصحو
زارني الفتح بها حتى غدا شاهداً لي ولها بالفضل فتح
فأجرني من يد الدهر فقد نالني من جوره المتعب برح
لا برحت الدهر لي ملتجأ ماشذا بالروض نسرين وأقح
وغدا ينشد مشغوف الحشا لفؤادي من لحاظ الغيد جرح

وقوله يمدح القائد سنبل حاكم الشريف أحمد بن غالب ومعارضاً كافية العلامة بهاء الدين محمد العاملي المشهورة وقد قدمنا ذكر مطلعها وسنذكرها بتمامها في ترجمة صاحبها ان شاء الله تعالى .

من لصب قضى غراما فيك مذ تمنعت عن لمى في فيك
يا أخا الغصن والغزالة في الحسن هذا وذاك في التحريك
صل أخا لوعة وفرط أسى ذاب سقما من طرفك الفتيك
واتق الله ان تصيخ الى قول واش على الجفا يغريك

أنا مضنى هواك فارث لما ... حل بى من جوى ومن توعيك
وأنا المغرم الذى لعبت ... بي يد السقم لا عدت شانيك
خدني الوجد والهوى شغلي ... وحليفى الكرى أما يكفيك
قسما بالهوى أليـة من ... ليس فيما يقوله تأفيك
ان لي مهجة وقـد فنيت ... فيك وهي التي بها أفديك
فالى اللهو قم بنا فعسى ... يسمح الدهر بالوفا لأخيك
وترفق بمن أطاعك في ... كل ما تشتهى ولن يعصيك
صب لو ان مابه بصفا ... لعراه من الاسى تدكيك
طالما بات وهـو في قلق ... من تجنيك هل ترى يرضيك
يرقب النجم في الدجى فاذا ... فاح عرف الخزامى من ناديك
ذكـر الملتقى بـه وغـدا ... عصان الهوى له تهتيك
ليس يصبيه غير ذكرك مع ... ذكر من طاب ذكره يصبيك
سنبل القائد بن أحمـد من ... شاد ربع العلى بلا تشكيك
مفخر الدهـر من تمسك ... بالعز والمجـد أيما تمسيك
عين انسان دهره وكـذا ... هو انسان عين كل مليك
خير ذي نجـدة نشا وله ... باحتشام على الوفا نشبيك
قل اذا مر ذكـر مفتخر ... بين اهل الحجى به ناهيك
رب جـود حديث همتـه ... عن احاديث حاتم يغنيك
ماجد ان ضللت ساحته ... فشذا عرف طيبها يهديك
واذا ما قصدته لندى ... لم تجـد غير واهب يعطيك
كفـه بالنـوال منهمر ... صاح فابسط لو كفه ايديك
يا مراع الفؤاد من زمن ... بسهام الردي غـدا يرميك
ثق بهذا المطاع عمدتنا ... فهو من جور خطبه ينجيك

ومتى ازمة بك احتكمت فهو منها بعزمه يحميك
فارس الخيل اذ يجول وللبيض وللسمر في الوغا تصييك
ايها الحاكم المهاب اليك مديحا اتى ارتجالا فيك
واصغ سمعك الذكي لماه انا من وشى فكرتي امليك
درراً عارضت بها فكري يا نديمي بمهجتي افديك
وعليك السلام مني ما ام صوب الحيا ربى واديك
وابق واسلم ما الصب منشدنا من لصب قضى غراما فيك

وقوله مادحا مولانا الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن ابي نمي شريف مكة المشرفة عام الف وتسعة وسبعين ومعارضاً قصيدة الخطيب بن داريا المشهورة التي مطلعها :

هات اسقني الصهباء يا مؤنسي قد فاح عرف الورد والنرجس

فقال ما يخجل اللآلي :

ادهق اخا الندمان لي اكؤسي في حب ظبي بالبها قد كمى
وعاطنيها خمرة مزجها رضاب ثغر الاغيد الانفس
فانما الراح بها راحتي لأنها تجلو صدا الانفس
وهاتها عذراء في حلة حمراء لاتبقى دجى الحندس
وهاتها بين قيان لهم محاسن تهزأ بالكنس
كالانجم الزهر وشمس الضحى كالبدر كالصبح وكالخنس
من كل رعناء اذا ما انثنت فكا لقضيب الاملد الاميس
تفتر عن در مصان وان تلحظ بالمحظ فعن نرجس
تحيي قتيل الحب ان أنعمت بظلم ذاك الشنب الالعس
فهذه سنة أهل الهوى وهي التي دامت ولم تدرس
واخلع جلابيب الحيا وادرع أبراد أرباب الصبا والبس

مهما ترائي وسقاة الطلا بها واخوان الصبا تحتسي
ولا تلم في شربها انها توقد ذهن الفطن الكيس
وصب واشرب واسقنيها ولو ألفيتني يا صاح كالأخرس
وغن واطرب كالمنا بالغنا في مجلس اللذات حقاً نسي
وانثر علينا الزهر وابسط لنا بساط لهو حيك من سندس
فلو ترائي تاركا شربها كيف وقد طارحني مؤنسي
لأتي صب ولي صبوة بكل خشف لين الملمس
يقول للأغصان من عجبه عن مثل هذا يا غصون ايأسي
تفعل بالألباب ألحاظه فعل سيوف الملك الأرأس

أقول : كأنه اخذ هذا المعنى من قول الشاعر :

فعلت مقلتاه في عاشقيه فعل سيف الامام يوم حنين

* * *

رجع

الملك الأصيد رب الوفا بركات رب الشرف الاقدس
الاشجع الاروع ليث الوغا كيهما طنديدها المدعس
البطل الاروع ذاك الذي يفتك بالفارس والافرس
ليث ولكن يفتمي لبني عبد مناف شامخ المعطس
يحسن للسلم كما أنه للحرب ان شاء عقاباً يسى
يجود الضرب ببيض الظبا كذلك الطعن بسمر القنا
وفي ميادين المنايا له اقدام من كر ولم ينكس
كما له من عزمه فارس يغنيه عن درع وعن مترس
يقابل الابطال فرداً ولا يفوته ذو نجدة ملبس
يلقاهم طلق المحيا اذا قال اخو الهيجا لها عبسي
على سبوح صافن سابق اجرد لم يكب ولم يدقس

كأنه الريح ولكنه يروم درك الفلك الاطلس
فهو سمير الجود من لم يزل فيه به ترب الندى يأتسى
فيا له من ذي نخار رقى ذروة مجد قط لم تمس
مهذب يدنى له فكره رأيا به الاقبال لم يهجس
غصن نمته دوحة المصطفى اكرم بغصن طيب المغرس
طابت معاليه فمن اجل ذا طابت معانيه لدى الاكيس
طرزت من وشى مديحى له ثوبا بديع الحسن لم يلبس
يفوح منه المسك مهما غدا ينشر في الديوان والمجلس
فيا سليل الفضل يا ابن الذي من فضله الاعلام لم تفلس
سرح عيون الفكر في روضة أثمارها تجنى من الاطرس
أتتك تشكو شرح حالي وما لاقيت من جور الزمان المسى
فارفع بها قدري فانى امرؤ أصبح حظى في الورى موكسى
لا زال سعر الشعر فى سوقه اليك يا بركات لم يبخس

وللشيخ الاديب الشيخ سالم الشماع المترجم في هذا الكتاب هذا (الحميني) الهذلي اللطيف ، وهو متداول على السن المستمعين يغنون به وعلمه من حرابى الرصد ، وهو :

أيها الظبي راعي العيون الكحيله وحالي اللما يا رشيق القوام الرجيح
راقب الله وارحم متيم بحبك غداً مغرما صب ولهان مضنى جريح
كلما جن جنح الدجى بات يرعى نجوم السما وهو ملقى معنى طريح
طالما سال دمعه على صحن خده يحاكى الدما من شجون الغرام الصحيح
يا علي قل صبري ولا عاد حيله قتلنى الظما اسقنى من معتق قريح
هات من كاس مذهب مرصع بلؤلؤ يطفى الظما خمر يشفي فؤادي الذبيح
ان شرب الحميا تداوى سقامى ولا تحرما ما علي من شربها قبيح

يا مناي ترفق بيه لا عدمتك وقف بالحمى لا تكن بالتلاق شحيح
واغتفر زلتي لا تشمت علي الاعادى فما قصدهم في إلا القبيح
والنبي لو تقصيت فيه بطو ل النكبه لما حدثني فيك ارضى النصيح
غير انى معالم شيوخك وربعك هذيلا بما كان من أمريه يا مليح

وفي اختتام سنة ثمان واربعين وتسعمائة خرجت طائفة عظيمة من الافرنج وخربت غالب البنادر ، ثم قصدوا بندر جدة المحروسة ونزلوا بالمرسى المعروف بأبى الدوارفي خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم ابو نمى شريف مكة المشرفة بنفسه وترك الحج واشخص معه ابنه ونزله إلى جدة في جيش عرمرم عظيم بعد أن أمر بالنداء في نواحى مكة من صحبنا فله أجر الجهاد ، وعلينا السلاح والنفقة فبلغ أهل الجهاد مبلغاً عظيما ، وعيون الكفار تدور عليهم في كل حين فشاهدوهم يزيدون عدداً في كل يوم ، واستمر ذلك مدة ، ولما رأى الكفار صبر المسلمين على القتال ، ومددهم في كل حين عادوا على الاعقاب ناكصين بالاذلال ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وبلغ السلطان سليمان خبر الواقعة فوقعت منه أجل موقع واكرم الشريف بنصف مدخول جدة الباقى زيادة على النصف الذى كان بيده ، وحباه بهدايا وتحف ، وإلى هذه الواقعة يشير الشيخ الفاضل عبد العزيز الرمزمى ويمتدح بها الشريف ابا نمى المذكور ومعارضاً قصيدة الفاضل الخطيب بن داريا المتقدم ذكر مطلعها بقوله :

ليحتسي الصهباء من يحتسى حسبي لمى مرشفك الالعس
علي أطلق منه كاسي ولا تبخل بحبس الكاس يا مؤنسى
في طرفك الوسنان والخد ما يهزأ بالورد وبالنرجس
وجهك لي روض جديد إذا أخلفت الارض القبا السندسى
رنحت قداً قال للغصن من عطفى استعرلينا ومثلي مس
غرد لنا واشد فها انت من شعرك كالشحرور في برنس

اقته سجيري وتديمي فلى فاكهة من لفظك الاكيس
ضوءك في جنح الدجى ساطع فذكر ضوء الشمس منه نسي
فيك جميع البسط يا فاتني بسطى إذا خلتك في المجلس
لقد صفا العيش بسفح الصفا واحسن الصنع الزمان المسى
فناولني من فيك مسكية يفوح منها الطيب في النفس
واجل صدا نفسي بأنفاسها فانها تجلو صدا الانفس
لها حباب من ثناياك قد حكته شهب الفلك الاطلس
طاهرة حلت وطابت فلم يحرم تعاطيها ولم تنجس
تلك سلافي لست من غيرها ارتشف الراح ولا احتسى
ما لي وللخمر وشرابها اياك يا نفس بهم تأنسى
من كل سفاف إذا سفها يبذى ويهذي ثم لم يحسس
قد نجسوا منها فكم يفكروا في نجس الماء ولم ينجس
أخبارها قد درست بينهم في كتبهم ياليت لم تدرس
حديثهم فحش وجهل فلم تسمع لافتاء ولا ادرس
لله اوقات تقضت لنا مع كل شهم فكه كيس
ونحن في مجلس انس به ابو نمي صاحب المجلس
سلطان اقطار الحجاز الذي بغيره الاقطار لم تحرس
مولى له ذوق وفهم ففي مجلسه الآداب لم تبخس
للفضل سوق عنده نافق لكل مثر منه لم يفلس
لله اخلاق له سمحة تقول للضيف ادن واستأنس
آيسني دهري فلما رنى إلي قال ارج ولا تيأس
يفتر وجه الارض من جوده ان يقل الجدب لها عبسي
ينسى الذي يذكر من فضله لكن ثناه شائع ما نسي

اعداؤه دنسهم لؤمهم وعرضه الابيض لم يدنس
ان عدت الفرسان فهو الذي يدعى غداة الروع بالافرس
هو المليك الممتطي سطوة من المعالي قط لم تلمس
تدبيره الملك له ديدن فلم ينم عنه ولم ينعس
مد ظلال الامن في ارضه فلن ترى من موقف مشمس
كل عزيز ذل في بابه وهابه التركي والشركسى
سل النصارى عنه مذ قاربوا جدة عن جدهم الاتعس
من ذا الذى نكس اعلامهم بها نعم لولاه لم تنكس
فاستبعدوا الاقرب واستقربوا الا بعد من طورهم الاقدس
اتوك كالبحر فصاروا لدى بحرك كالجرعة المحتسى
أتاهم آلك في قوة من العوالى والظبى والقسى
اعددت جيشاً لو بهم بحره أحاط لم ينج من المغطس
وكل طرف سابق سابح في بحر لج النقع لم يغطس
يفترس الاسد على ظهره من الاعادي كل مستفرس
هم كأسود الغاب لكنها دونهم في شرف الانفس
من حسن يسمو الى سيد لهم جرىء فى الوغى احمس
نجومهم دارت على ابلج كبدر تم بالسنا مكتسى
من دوحة نابتة غضة والاصل منها طيب المغرس
ينمى إلى السبطين من فاطم اكرم به من نسب أقعس
جيد المعالى قد تحلى بما نظم من جوهره الانفس
يا ملكا لو قابل السعد من غرته كيوان لم ينحس
محسنهم تحسن في حقه وان اساؤا لست ممن يسي
انت لنا نجم حمى افقنا شرابه من بارد اشرس

يا لكما من مالكي كورة قد كساها افخر الملبس
يا لكما من قائدي عسكر حديده من نقمه مكتسى
شمس وبدر ينفعان الورى نورهم يجلو دجى الحندس
ابو نمي وابنه احمد القسورى الخشن الملمس
زفت له غيداء خرعوبة عذراء لم تطمث ولم تمسس
ليهنه هـذا الزواج الذي أبهجه بالرشأ الالعس
لا زال في عيش لذيذ بها ودام من قهوتها محتسي
فاحفظ علينا الاصل والفرع يا رب وحط ملكهما واحرس
يا من به الثغر سما دره على درارى الفلك الاطلس
هاك قريظاً انت ادرى به في سلكه من جوهر انفس

قلت : ربما تشوف الناظر، وتشوق الخاطر العاطر، إلى شميم عرف المسك الداري من بنت افكار الخطيب بن داريا المشهورة، التي ذكرها على الالسن جاري فهي هذه:

هات اسقني الصهباء يا مؤنسي قد فاح نشر الورد والنرجس
والوقت قد راق ورق الهوى وجاد بالوصل الزمان المسى
والروض قد وافى بازهاره يتيه في زاه من الملبس
كأنما الاغصان غيد وقد لبسن ألواناً من الاطلس
كأنما شحرورها راهب يردد الانجيل في برنس
كأنما صفيرها عاشق صب بأثواب الضنا مكتسى
كأن غصن البان قد الذي أهواه في اثوابه السندسي
كأن بدر التم تحت الدجى جبينه الباهر في قندس
كأنما الوجنات نار ذكت لكن بغير العين لم تقبس
فعاطنيها غير ممزوجة راحا بها يجلي صدا الانفس
وان يكن لابد من مزجها فمن رضاب الشادن الالعس

واملأ وناولني إلى ان ترى طلق لساني صار كالاخرس
ولا تكن مني بذا قانعاً حتى ترائى ضحكة المجلس
هذا هو العيش ومن لي به في دير مار الياس او بطرس
مع فتية مثل بدور الدجى إذا بدوا في اسود الملبس

وفي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة صفح باب الكعبة شرفها الله تعالى بالفضة وطليت بالذهب ، وكان الفاً ومائتين وثمانين ديناراً ، واعيدت الحلقات الأربع على الباب الشريف ، ووضع الباب المصفح في يوم الأحد رابع شوال ، واصلح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب ، إلى ان غير بعد ذلك وعمل الميزاب في الباب السلطاني مصفحاً بالذهب ، وارسل إلى هناك ، فوضع الميزاب الذي كان في الكعبة ، وجهز الأول إلى الباب الخاقاني ، فوصل ووضع في الخزانة المعمورة .

وأرخت الادباء تصفيح الباب الشريف نظما ونثراً .

فمن النظم قول الشيخ الزيني عبد الرؤف بن يحيى بن عبد الرؤف المكي :

صفح هذا الباب سلطاننا أعني سليمان هو العادل
وقد اتى تاريخ تصفيحه ولم يخب في بابه النازل

وقال ايضاً :

أشار بأن يصفح باب بيت سليمان المعظم خير عادل
أتى تاريخ تصفيح بديع بهذا الباب ينجح كل نازل

﴿ فائدة ﴾

أسماء الاسبوع في الجاهلية وأولها الأحد ، قال الشاعر :

مرادي ان اعيش وان يومي بأول او بأهون او جبار
الأحد الاثنين الثلاثا
او التالي دبار فان أفته فموئس او عروبة او شيار
الاربعاء الخميس الجمعة السبت

﴿ فائدة ﴾

شبه بعض الفضلاء الهلال بما يقارب السبعين ، ولكل من هذه التشابيه بيت شعر شاهد له ، وقد ذكرت ما امكن منها بحذف الشاهد خوف الاطالة .

فأقول : المقدم من التشابيه قول علام الغيوب : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) أي كعود الشماريخ إذا عتق ، فانه يدق ويتقوس ويصفر .

وشبهه الشعراء بحاجب النوبي الشائب ، وبقلامة الظفر ، وبضلع ملقاة في الفلاة ، وبالصفدع في الزجاج ، وبالزورق ، وبحرف النون ، وبشفرة السكين ، وبالنوى ، وبالسرج ، وبالمخلب ، وبناب الفيل ، وبالخلخال ، وبالسوار وبالدملج ، وبطوق عروس ، وبوقف من عاج ، وبالقوس وبمليحة انتقبت ، وبأثر الظفر في تفاحة ، وبزبان عقرب من فضة ، وبمقصى سرطان من ذهب ، وبراكع منحني ، وبخشكناجة ، وبقراضة دينار ، وبالفخ وبالمنجل ، وشبهوه بطرف الصدغ وبشفة الكاس ، وبوجه مسافر رفع العمامة عن جبينه ، وبجانب مرآة انكشف عنها الغلاف ، وباكليل ملك ، وبآثار الحافر ، وبنعل الحافر ، وبالعذار الشائب ، وبالسنان المنعطف ، وبعطفة اللام ، وبصولجان ، وبطيلسان مقور ، وبنصف زردة

وأقول : ان ابن المعتز رحمه الله فارس هذا الميدان ، وحاز قصب الرهان ولم يأت احد من جهابذة الشعراء بمثل ما قال :

وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

قال التوزري لما ولى ابان بن عثمان المدينة كان يطوف بالبلد بنفسه ليسمع ما يحدث خوفا من ان يعاب بشيء ، فسمع قائلا يقول : اللهم اعزل ابانا ، فقال أبان : والمدنى لا يعرفه ما صنع بك ابان ؟ فقال : ما صنع بى شيئاً ، ولكنى استبطأت ولايته ومللتها ، قال : ويحك انما له ستة اشهر فقال : فمن دون هذا يقع الملل والله اني

لأمل كنيتي فاغيرها في كل جمعة ، وانى لأؤذن فاذا توسطته مللت فجئت بمن يتمه

قالـ الصفدي في تذكرته : ولقد كان شيخنا الامام العلامة ركن الدين بن القويع نسأله المسألة فيتكلم عليها من احسن ما يكون فاذا توسط الكلام وقارب الانتهاء تركنا ومر وقال سئمت سئمت وكان يلعب الشطرنج فيكون في وسط الدست وهو من احسن ما يكون ، واخرجه فيقلب الرقعة ويقول سئمت سئمت ، انتهى قول امرىء القيس .

لها متنتان خظاتا كما أكب على ساعديه النمر

جرى في هذا البيت بين ابوى العباس في ذلك مجرى لا بأس بذكره ، قال ابو العباس احمد بن يحيى : دخلت على محمد بن عبد الله يوما وعنده محمد بن يزيد وجماعة من اسبابه وكتابه ، وكان محمد بن عيسى وصفه له ، فلما قعدت قال لى محمد ابن عبد الله : ما تقولـ في بيت امرىء القيس ؟ وذكره ، فقلت : اما الغريب فانه يقال لحم خظا بظا إذا كان صلباً مكتنزاً وصفه بقوله (كما اكب على ساعديه النمر) أي هو في صلابته كساعدي النمر إذا اعتمد على يديه والمتن الطريقة الممتدة من عن يمين الصلب وشماله .

وأما ما فيه من العربية فانه خظتا ، فلما تحركت التاء أعاد الالف من اجل الحركة ، فأقبل بوجهه على محمد بن يزيد ، فقال : اعز الله الأمير انما اراد خظاتا بالاضافة أضاف خظاتا إلى كما ، فقلت : ما قال هذا أحدا فقال : بلى سيبويه يقوله فقلت لمحمد بن عبد الله : والله ما قال هذا سيبويه قط ، وهذا كتابه فليحضر ، ثم قلت : ما حاجتنا إلى كتاب سيبويه ، أيقال : مررت بالزيدين ظريفى عمرو فيضاف نعت الشيء إلى غيره ، فقالـ محمد : لا والله ما يقال هذا ، ونظر إلى محمد بن يزيد فأمسك ولم يقل شيئاً .

وقد قيل : انه اراد متنتان خظاتان ، فحذف نون التثنية للضرورة .

ويقال خظا لحمه يخظو ، اي اكتنز . قالـ الجوهري : ولا يقالـ خظي .

وقال الشيخ ابو العلاء : أراد خظيتا عند البصريين ، قال : الشيخ علم الدين السخاوي هذا على لغة طيء في قولهم بقاتا يريدون بقيتا .

وقيل : أراد خظتا مثل رمتا ، ولكنه اشبع الفتحة فتولد من ذلك الف كمتزاح والخظوان بالتحريك الذي ركب بعض لحمه بعضاً .

ويقال : خظا بظا ، وبظا اتباع والله اعلم .

فلما اسفر وجه الصباح الزاهر ، خرجنا من مكة المشرفة صحبة امير الحاج الشامي، وانخنا الركاب بالزاهر، وذلك في اثنين وعشرين من ذي الحجة الحرام ، عام اثنين وثلاثين بعد المائة والألف من هجرة النبي عليه وآله واصحابه افضل الصلاة وازكى السلام ، ثم رحلنا مع الحج الشامي إلى المدينة المنورة ، الطيبة المعطرة ، فلم نزل نقطع باليعملات البر ، إلى ان أتينا على ارض بدر ، فوصل الينا شيخ حرب مبارك بن مضيان عند العصر، فحلق على الحج العراق بالعسكر ، واخذ من الاعجام ثلاثة آلاف احمر ، ثم عزم الحاج على المسير لزيارة البشير النذير ، فاتينا المدينة ، مأوى الحبيب ذي السكينة ، وتشرفنا بزيارة الرسول والاصحاب ، واجتمعنا بالاحباب والاصحاب ، وزرنا أحداً والبقيع ، وجميع جيران الشفيع ، وزرنا قبا والعشرة المساجد ، وشكرنا الله ما سجد له ساجد :

بالله يا زوار قبر محمد ... من كان منكم رائحاً او غادي
فليبلغوا المختار الف تحيـة ... من عاشق متقطع الاكباد

فلما أنار وجه الصباح ، وزالت عنا الهموم والاتراح ، ثامن محرم عام الف ومائة واثنين وثلاثين من هجرة سيد الملاح ، رحلنا من المدينة المنورة ، وقصدنا ارض نجد وقد تحرك لرؤية جمال العراق من قلوب أهل المودة الوجد .

﴿ فائدة ﴾

العراق مدينة خصبة مشهورة ، كل قراها معمورة وهي عرضاً من القادسية إلى حلوان ، وطولا من الموصل إلى عبادان ، هواؤها ينعش القلب ، فيصير به كالصب ، وماؤها غير عذب ، وترابها كالكافور صنعة الحكيم القديم ، وهي عين القلادة لما كان للعرب من الاقاليم ، واهلها اهل صحة في العقول والابدان اهل آراء راجحة ورزانة ورجحان ، وهمة مامثلها في الهمم ، وكرم لا له نظير في العرب ولا العجم ، ولا اعتبار بقول صاحب نشق الازهار ، ان الغالب على اهلها المكر وكثرة الشر وبغض الغريب ، وانه يقال لهم النبط ، وانهم شبهوهم برجل كان اسمه نبط ، وكان من شرار الخلق ، كبعض اصحابنا تاب الله عليه ، وكان هذا النبط في ايام سليمان بن داود عليهما السلام ، ولا التفات إلى قول الشيخ قوام الدين الرومي حيث قال :

إذا ما وقعت بأرض تسمى عراقاً فآثر فراقا فراقا

وإلا تكون ذليلا مهانا إذا لم تباشر لديهم نفاقا

وبهذه المدينة الدجلة العظيمة ، ومخرجها من قرب آمد ، من جبل ثمة قريب من حصن ذي القرنين ، ثم تمتد إلى البصرة وواسط وبغداد وتكريت والموصل إلى ميا فارقين ، وغير ذلك ، وبها نهر الفرات ايضاً ومنبعه من ارمينية إلى سميساط والرقة ، وغير ذلك وتصب جميع هذه المياه المذكورة في بحر فارس . وينسب اليها العارف بالله الشيخ سمنون العراقي العابد ، وسليمان بن مهران الاعمش الراوي وكانت ولادته يوم قتل الحسين عليه السلام ، ووفاته سنة ثمان وأربعين ومائة ، وينسب اليها كثير من الاولياء والصلحاء ، فلم نزل نحث على الوصول إلى ذلك الجناب الخيل والركاب ، ونطلب العون من رب الارباب ، إلى ان اتينا بعون الملك العلي إلى مشهد علي فتشرفنا بزيارته ، وسعدنا ثانياً وذلك من سعادته .

ثم رحلنا بعد أيام إلى الحلة ، وقد شفى قلبنا من كل علة ، بزيارة ابن عم خير خلق الله ملة ، وزرنا مسجد الشمس المشهور ، المشرف المأثور ، المشرق بالنور ورأينا المنارة التي هي من عجائب الدهور ، فانها تهتز بقوة إذا حلفتها بعلي بن ابى طالب أسد الله المنصور ، فصعدنا فوقها وحلفناها ان تهتز بعلي ، فاهتزت حتى خشينا ان تقع من علي ، بل نقول ان هذه المنارة ليست من العجائب ، فكم مثلها من معجزات وغرائب ، وهذا قليل من كثير من معجزاته ، وبراهينه ، وآياته كيف لا وهو :

داحي الباب علي المرتضى هل تجد يا صاحبي مثل علي
ذل عمرو يوم لاقاه وقد شهد الله بتفضيل علي

قال المأمون لبعض اولاده وقد سمع منه لحناً : ما على احدكم ان يتعلم العربية فيقيم بها اوده ، ويزين بها مشهده ، ويفل بها حجج خصمه ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ، أيسر احدكم ان يكون لسانه كلسان عبده او امته ؟ فلا يزال الدهر أسير كلمته .

وحكى المسعودي في شرح المقامات : ان المهدي لما دخل البصرة رأى اياس ابن معاوية وهو صبي ، وخلفه اربعمائة من العلماء واصحاب الطيالسة ، وأياس يقدمهم ، فقال المهدي : أف لهذه العثانير ! أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ؟ ثم ان المهدى التفت اليه وقال له : كم سنك يا فتى ؟ قال : سنى اطال الله بقاء امير المؤمنين سن اسامة بن زيد بن حارثة ، لما ولاه رسول الله ﷺ جيشاً فيهم ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ، فقال له : تقدم بارك الله فيك ، هكذا ذكره المسعودي .

وقال الصفدي : والصحيح ما ذكره الحافظ الذهبي في تاريخه الكبير ان اياساً قاضى البصرة توفى في زمن بنى امية سنة مائة وتسعة عشرة ، ولم يلحق دولة بني العباس ، ويقال كان سنه إذ ذاك سبع عشرة سنة ، وكان معروفا بالذكاء

والفطنة والفراسة ، ولاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز ، وحسبك بمن يختاره عمر بن عبد العزيز لهذا المنصب .

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد : ان يحيى بن اكثم ولى قضاء البصرة وسنه عشرون سنة او نحوها فاستصغره أهل البصرة ، فقالوا له : كم سن القاضي ؟ فقال لهم : انا اكبر من عتاب بن اسيد الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على مكة يوم الفتح ، وأنا اكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل اليمن وأنا اكبر من كعب بن سوار الذي وجه به عمر بن الخطاب قاضياً على البصرة فجعل جوابه احتجاجا .

وقد جمع بعض العلماء مجلداً في ذكاء أياس بن معاوية ، يقال انه نظر إلى ثلاثة نسوة فزعن من شيء، فقال: هذه حامل ، وهذه مرضع ، وهذه بكر، فسئلن فكان الامر على ما ذكر ، فقيل له: من اين لك ذلك ؟ قال : لما فزعن وضعت احداهن يدها على بطنها ، والأخرى على ثديها ، والأخرى على فرجها .

ونظر يوما إلى رجل غريب لم يره قط ، فقال : هذا غريب واسطي معلم كتاب هرب له غلام اسود ، فسئل فوجد الامر كذلك ، فقيل له : من أين علمت ذلك ؟ قال: رأيته يمشي ويلتفت ، فعلمت انه غريب ، ورأيت على ثوبه حمرة ثياب واسط ، ورأيته يمر بالصبيان فيسلم عليهم ويدع الرجال ، وإذا مر بذي هيئة لم يلتفت اليه ، وإذا مر بأسود ذي اسمال يتأمل فيه ، وأين هذه الفراسة من فراسة ابى الحارث حمير ، وقد انشد بين يديه قول العباس بن الاحنف :

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر اسقامي واوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين اضلاعي
لقلما ابكى على كل ذا يوشك ان ينعاني الناعي

فبكى وقال : هذا رجل جائع يصف جارية طباخة مليحة ، فقيل له : من اين لك هذا ؟ فقال : انه بدأ ، فقال : قلبي إلى ماضرني داعي ، وكذلك الانسان

تدعوه شهواته وقلبه إلى ما يضره من الطعام والشراب فيأكل فتكثر عليه اوجاعه فهـذا تمريض ، ثم صرح فقال : كيف احتراسي البيت فعلمت انه ليس للانسان عدو بين اضلاعه إلا معدته ، فكيف تتلف ماله وهي سبب اسقامه ومفتاح كل بلاء عليه ، ثم قال : ان دام بي هجرك البيت فعلمت ان الطباخـة كانت صديقته وهجرته ففقدها وفقد الطعام ولو دام عليه لمات جوعا ونعى :

﴿ ترجمة الأديب الأريب ، المصقع المنير الخطيب ، من هو ﴾
(بالبلاغة والفضل جدير ، الشيخ عبد الرحمن بن على)
(ابن محمد على بن سليم الوزير)

فاضل وقع عليه اتفاق الجمهور بأنه امام الأدب بمكة وفارس المنظوم والمنثور تربى في حجر العلوم ، ورضع لبان المنطوق والمفهوم ، فنشأ في بيت الفضل خير منشا ، وضرب المثل به في رقيق الغزل وأنيق الانشا ، ان شعر في الحماسة ، اخرس ابن المقرب ونكس راسه ، او حاك برود القريض الرقيق ، فياخجلة الشاب الظريف وابن رشيق ، اونثر على صفحات الطروس فاخر الدر النضيد ، صار له ابن حبيب من بعض العبيد ، او تكلم في المعانى والبديع ، اقر له بالوحدانية البديع ، فهو ملك الشعراء بمكة باديها والحاضر ، ووارث الادب والرياسة كابراً عن كابر ، ينشده لسان حاله في حله وترحاله :

خليلي ان زرتما منزلي ولن تجداه فسيحاً فسيحا
وان رمتما منطقا من فمي ولن ترياه فصيحاً فصيحا

وله نظم فريد الوجود ، أطرب للعقول من ابنة العنقود ، وأشهى إلى القلوب ، من وصال الغزال الرعبوب ، الرداح الخرعوب ، فمن نظمه : المطرب الأنيس ، المغنى عن نشأة الخندريس ، قوله مخمساً قصيدة فاضل المصر ، صاحب

(سلافة العصر) السيد علي خان ، رحمه الرحيم الرحمان :

ياأغيداً فى حلى الكمال زمك جل الذي بالجمال قد وسمك بالله قل للمحب لاعدمك

من أودع الراح والاقاح فمك ومن أعار الصباح مبتسمك ،

يامن حكى الدر والاقاح فما والخمر والشهد والزلال لمى كم لي الى ورده الشهي الظما

أصبح من قد رآك ملتثما يتيه سكراً فكيف من لثمك

يا من غدت وجنتاه سالبة ومقلتاه للعقول جالبة وطاوعته النفوس راغبة

لو أنصفتك الملاح قاطبة أمسيت مولى واصبحوا خدمك

تناقضوا حين شبهو او رووا لانهم ذاهلون حين رأوا وعندما للخطاء فيك خطوا

قالوا حكى فرقك الصباح ولو حكمت فيه أوطأته قدمك

رضا بك العذب للسقام شفا فكن يوصل ياغصن منعطفا يكفيك صداً وقسوة وجفا

يا مقسما أن يذيبني كلفا حسبك أبرزت بالجفا قسمك

أجريت دمعي على الخدود دما حتى لقد صرت في الهوى عدما فراقب الله في فتى ظلما

وأنت يا طرفه السقيم أما تكف عن ظلم غير من ظلمك

يا ساحراً في القلوب قد حكا وفاتراً كل جلمد قصما وكاسياً من جفونه سقما

سلبتني صبري الجميل وما كفاك حتى كسوتني سقمك

وقوله مخمساً أبيات الأديب الفاضل إسحاق بن الامام المهدي صاحب الغراس ، قالها وهو في الحبس وهي مشهورة بالحمامة :

يا فاق الحب المقدر والنوى أشكو من الشوق المبرح والنوى

وخفوق قلب في الهوى أذكى الجوى وحمامة صدحت على فنن اللوى

فغدا يسيل دمى من الآماق

طارحتها شوق وقلت لها خذي ما شئت مني في الهوى أوفا نبذي

طوبى لمثلك بالمحبة قد غذي فشدت وقد خلصت من القفص الذى

قد قيدت فيه على الاطلاق

عجبا لها تشكو هناك خليلها وجناحها أضحى اليه دليلها
يا ليتني في الحب كنت مثيلها ناديتها لما سمعت هديلها
يا ذات طوق نحن في الاطواق
فسقاك وسمي المحبة والولى ان الهوى يسبى الخليع مع الولى
فأنا الذي لي في الغرام ولي ولى بي مثل ما بك يا حمامة فاسألى
من فك قيدك أن يحل وثاق

﴿ فائدة ﴾

قوله في البيت الثالث ناديتها لما سمعت هديلها .

قال المحقق المدقق الأديب : يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد في تاريخه (نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر) ، عند ترجمة إسحاق المذكور انه احسن في هذه الابيات غاية الاحسان ، والهديل باللام آخره والراء أيضاً يطلق على صوت الحمامة وهي نوع من الطير لها أصناف، كالاهلي والبري ، وهو مراد الشعراء لتوحشه عن البيوت والفه بالبساتين والاماكن الرائعة ، ومنها الوراشين ، والقماري والفواخت كما يشهد بذلك شعر العرب ، ومن الحمام صنف تؤدبه الملوك فيبلغ من أدبه أن يحمل البطائق فيها الرسائل مثلا من مصر الى دمشق في يومين او نحوهما .

قال في نسمة السحر، والعرب تزعم ان هديلا اسم حمامة كانت في عهد نوح عليه السلام بعثها لتنظر هل جف الماء من كل البلاد فعرض لها جارح فصادها فكل الحمام تنوح عليها الى يوم القيامة ، وان نوحا عليه السلام بارك عليها ومسح رقبتها فكان من مسحه الطوق وكانت معه في السفينة ، وكل الحمام من نسلها ، ولما وقع في مثل شعر أبي العلا المعري الآتي ذكر ترجمته ذكر الهديل بمعنى الهدير وهو امام في اللغة وجب أن نحكم بثبوته ، وما احسن قول الأمير أبي فراس وقد اقام في اسر الروم بالقسطنطينية اربع سنين ، وسمع يوما نوح حمامة بقربه :

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ايا جارتا هل بات حالك حالي

معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببال
أيحمل محزون الفؤاد قوادم على غصن نائى المسافة عال
ايا جارتا ماانصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي
تعالي تري روحا لدي ضعيفة تردد في جسم يعذب بال
ايضحك مأسور وتبكى طليقة ويسكت محزون ويندب سال
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعي في الشدائد غال

قال صاحب نسمة السحر لله در هذا الامير الجليل فانه ماترك الحماسة ولا في مثل هذا الحال وهذا الشعر المذب الزلال .

ولأبي المميثل شعر قاله وقد ساير الامير عبد الله بن طاهر معادلا له في محمله فسمع حمامة تنوح وهما بقرب الري عند السحر فاستأذن الامير في ابيات عرضت له فأذن له فقال :

أفي كل يوم غربة وتزوح أما للنوى من اوبة فتريح
لقد طلح البين المشت ركائبي فهل أرين البين وهو طليح
وارقني بالري صوت حمامة فنحت وذوالشجوالشديدينوح
على انها ناحت ولم تذر دمعة ونحت واذراف الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ومن دون افراخي مهامه فيح

فأجازه عبد الله بثلاثين الف درهم واذن له بالانصراف الى اهله وهم بالجزيرة بعد ان كان لايفارقه لعلمه باللغة وكتابته وادبه .

وذكر الخطيب ابو بكر في تاريخ بغداد انه غاب عن أهله ثلاثين سنة وان عبد الله لما أذن له انصرف فرحا فمات ببغداد قبل ان يصل إلى اهله .

قال صاحب نسمة السحر وأجادبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي في قوله :

وتنبهت ذات الجناح بسحرة في الواديين فهيجت اشواقي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن يعقوب والالحان عن اسحاق

قامت على ساق تطارحني الهوى من دون صحبي في الهوى ورفاقي
أنى تباريني جوى وصبابة وكآبة وأسى وفيض مآقي
وانا الذي أملي الهوى من خاطري وهي التي تملي من الاوراق

ومن الجيد في هذه المادة قول الاديب إبراهيم بن المبلط المصري من شعراء الريحانة :

وقسيمي في الشوق ذات جناح ظاهر حزنها وباد جواها
فارقت من تحب مثلي ولكن ما هواي المصون مثل هواها
فعيوني على الدوام دوام وهي لم تبك مرة عيناها
وكتمت الهوى عن الناس طراً وهي باحت به لمن في حماها
وهجرت الرياض وهي ثوتها ورقت من غصونها أعلاها
فاجتمعنا بصورة من بعيد وافترقنا من بعد فيما عداها

قال صاحب نسمة السحر وإذا قرأ الانسان قول ابن قرناص :

نسب الناس للحمامة حزناً وأراها في الحزن ليست هنالك
خضبت كفها وطوقت الجيد وغنت وما الحزين كذلك

علم انه وغيره مستمد من بحر أبي العميثل المذكور أولا ولم يعلم ان احداً من الكرام ودي الحمامة دية الحر الف دينار الى المهلب بن ابي صفرة الأزدي فان ابا الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني ، ذكر في ترجمة زياد الاعجم الشاعر المشهور انه وفد على المهلب فقعد يوما يشرب مع حبيب بن المهلب اذ وقعت حمامة بقربهما واقبلت تغنى فقال زياد :

تغنى انت في ذمي وعهدي وذمة والدي ان لم تطاري
فاما يقتلوك طلبت ثاراً له نبأ لانك في جواري

فقال حبيب يا غلام القوس والنشاب فأتى به اليه فرماها سهما فما اخطأها فغضب زياد وقام من فوره فدخل على المهلب وشكا اليه صنيع حبيب فاستدعاه ابوه

واستخبره عن القصة فأخبره وقال أيها الامير انما كنت مازحا معه فقال له المهلب أما علمت ان جارة ابى امامة جارتى ثم امره ان يسلم له دية الحر ألف دينار فأعطاها اياه من ماله كارها فقال زياد :

فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها شيخ العراق المهلب
رماها حبيب بن المهلب رمية ... فاقصدها والسهم يخطى ويغرب
فالزمه عقل القتيل بن حـــرة ... وقال حبيب انما كنت ألعب
وقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جاري وأقرب

ولحم الاهلي حار في وسط الثانيةرطب في أولها ، والبري اكثر يبساوالجميع لطيف يولد دما جيداً ويزيد في مادة الجماع ويسمن ويصلح للناقة خاصة من المرض السوداوي والمنزف ، ولحم الفواخت مذموم لرهوته والله تعالى اعلم .

رجع إلى ترجمة الشيخ عبد الرحمن الوزير ، وكتب اليه الأديب الفاضل الشيخ زين العابدين ابن الشيخ سعيد المتوفى ملغزاً :

يا هاماً أبدى بيان المعانى ... ببديع البيـان والتبيان
ما اسم شيء ذي أربع وهو باثنين تراه يسمى لكل مكان
واذا ما حذفت حرفين منه ... صار رياً للصادىء الظمآن
ناطق صامت تفور ألوف ... مكرم عند نوعنا الانسانى
يبعث الانس والسرور ويجلو ... عن جليس له صدا الاحزان
هجر الناس في القرايا وأضحى ... لقفار الفلا من السكان
يألف العشق والمحبة والوجد لفقد الاحباب والاخدان
فأزل بالجواب عنه نقابا ... موضحاً متحفاً بأوفى بيان
دمت في حلبة الفضائل تحوى ... قصب السبق فائق الاقران

فأجابه الشيخ عبد الرحمن المذكور بقوله :

أحمام غنى على الافنان ... أم رخيم النايات والعيدان

أم مثان تتلى بمحكم نظم أعجزت آيه بديع الزمان
أنشأته قريحة الندب زين العابدين البليغ عضب اللسان
ملغزاً في مطوق احرقته جمرات الغضا من الاشجان
طالما قام في الرياض خطيباً قد تعلى منابر الاغصان
صامت يحسن الغناء ويشجي كل صب دامي الفؤاد وعانى
ليس للمغرم المفارق الف مسعد غيره على الاحزان
فهو للعاشق الكئيب انيس لم يحد عنه قط بالسلوان
وإذا ما صحفت اوله كان مع الضم ظرف حب الجمان
ذاك اسم الذي عنيت فقل لي يا اخا الفضل كيف جاء بياني
وجوابي مخبر عن جوابي بمريض الجفون حين جفاني
ذي رضاب عن المبرد يروي ونهود تروى عن الرمان
آه من هجره ولولا دموع فضحتني بهجره ما رماني
فاقبل العذر يا اخي وسامح وتجاوز عوفيت عن نسيان
زادك الله رفعة وجلالا يا سليل الاماجد الاعيان

فراجعه الشيخ زين العابدين بقوله :

بأبي بل وبي اخا العرفان يتشكى من ناعس الاجفان
وبما قد رواه اورى زناداً في فؤاد المتيم الولهان
ولعمري خمر المحبة ليست يا اخا الظرف مثل خمر الحان
تلك يصحو سكر انها وهو بالعكس فخل المدام للندمان
وتردى ثوب المحبة واشرب بقداح الافراح بل بالدنان
وتأمل لغزي ترى البين باد بين ما قد ابديت من تبيان
وإذا ما خفى عن الفهم معناه فأنت المعذور بالاشجان
او يكن ذاك من محبك فاعـــذره وجازي المسيء بالاحسان

غير إنا إذا اجتمعنا رأينا الحق مع من ياصفوة الاعيان؟

فاجابه الشيخ عبد الرحمن مرتجلا بقوله :

يا خليلي وسيد الاخوان ومعيني ان رق فهم عصاني
قد تأملت لغزك العذب لما قلت ان الجواب فيه توان
فاذا الطرف يرمق القلب منه في ظهور مشاهد بالعيان
والذي قلته ابتداءاً فأحرى بمقام الوفاء في ذا الشان
بل أراه عند التأمل اولى من رقيق ينمى إلى السودان

ولما كان ببندر سورت أرسل إلى الأديب الفاضل الكامل المرحوم السيد علي الشاطري بهذه الابيات مع نسخة قلائد العقيان :

بسمت حين واصلت عن جمان وتثنت كأنها غصن بان
وتغنت فاطربت كل صب مغرم ذائب الحشا ولهان
غادة تسلب العقول بلحظ دونه السحر والحسام اليماني
يالها من خريدة اذكرتنا ما مضى في سوالف الازمان
بنظام يروق لفظاً ومعنى هو عندي قلائد العقيان
سيما نسخة الامام المفدى بهجة الدهر أنجب الاعيان
الشريف الظريف ذاك علي من علا قدره على الاقران
فلقد شنفت مسامع مشتاق إلى ساجعات تلك الجنان
صانه الله ذو العلى وحماه ووقاه من طارق الحدثان
ما تغنى الحمام في يوم دجن فوق غصن معنبر الاردان

وكتب اليه أيضاً الشيخ زين العابدين المتوفى ملغزاً في كوز وهو :

يا نور انسان النباهة والذكا وسلالة الامجاد والاعيان
ما سم ثلاثي الحروف بماحوى اضحى حياة الصادي اللهفان
وافى به الرشأ الاغن فخلته بيض النعامى في يد الغزلان

وبحذف اوله يكون اسما لمن ... في البحر اضحى آلف الطيران
وبجمل ثانى الاسم اوله يكن ... وصفاً لبعض الصحب والأخوان
يرضونه وصفاً ولا يرضى لهم ... إذ ذمه فى محكم القرآن
فازل نقاب اللبس عنه موضحاً ... تبيانه يا عابد الرحمان

فاجابه الشيخ عبد الرحمن بقوله :

يا زين اهل الفضل والعرفان ... وأخا الحجى وابن الرفيع الشان
لله ما نظمت من درر وما ... حررت من لفظ بحسن بيان
هـذبته فأتى إلي مهذبا ... ومذهباً بقلائد العقيان
ألغزت في ظرف حياة نفوسنا ... فيـه فمن للمغرم العطشان
لهفي على ترشافه من ثغره ... لو كان يسعد ناعس الاجفان
ومتى تصحف منه آخره تجد ... على ظهور اباعر الاظعان
فاعجب واحوال الزمان عجائب ... لا تنقضي ابداً بحصر لسان
واصفح بفضلك عن جواب مقصر ... حاكى بمختلب عقود جمان

وقوله مصدراً ومعجزاً بيتي الصاحب اسماعيل بن عباد ، الآتي ذكر ترجمته انشاء رب العباد :

ان كنت لزمت على هجرنا ... يا ايها الظبي الاغن الكحيل
وملت عنا طائعاً من نهى ... من غير ما جرم فصبر جميل
وان تبدلت بنا غيرنا ... فنحن لا نرضى سواك البديل
وان يكن هجرك من جفوة ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

قال شيخ الاسلام تقي الدين بن محمد بن علي بن دقيق العيد تغمده الله برحمته قرأت بخط ابي القاسم يعنى عمر بن احمد بن ابى جرادة قال : هـــذا دعاء كتبته بحلب من املاء الشيخ الزاهد علي بن عيسى المجنى رحمه الله تعالى ، اللهم اصلحنا بما اصلحت به عبادك الصالحين ، واحفظنا بما حفظت به كتابك المبين ، واعصمنا

من مسالك الغاوين ، وعرفنا منزلة اقدام الجاهلين ، وافض علينا من انوار معرفتك وغشنا من آثار رحمتك ، وحرك بواعثنا اليك ، وقو رغبتنا فيما لديك ، وعظم جلالك في قلوبنا ، وصغر الدنيا في أعيننا ، ودبرنا بتدبيرك ، ولا تشغلنا بغيرك ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمن سواك ، يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء ، يا لطيفاً لما يشاء ، يارب كل شيء اغفر لنا كل شيء ، ولا تسألنا عن شيء ولاتعذبنا على شيء ، وصل يارب على نبيك محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

حكى ان المفضل الضبي قال له الرشيد يوماً : دلني على بيت اوله اكتم بن صيفي في اصابة الرأي وجودة الموعظة ، وآخره بقراط في معرفة الدواء ، فقال : يا امير المؤمنين : لقد هولت علي : فقال الرشيد : هذا قول ابى نواس :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

وحكى صاحب الاغانى عن الهيثم بن عدي قال : قال لي صالح بن حسان يوماً مانصف بيت كأنه اعرابي في شملته ، والآخر كأنه مخنث يتفكك فى مشيته . قلت لا ادرى والله ، قال : اجلتك حولا كاملا ، قلت : لو اجلتنى عشراً ما عرفته ، قال أف لك قد كنت احسبك اجود ذهناً من هـذا ، قلت : فما هو ؟ قال : قول جميل (ألا ايها النوام ويحكم هبوا) فهذا كلام اعرابى في شملته ، ثم قال : (نسائلكم هل يقتل الرجل الحب) فهذا كأنه والله من مخنثى العقيق .

قلت : علم الله لو لا ايراد النادرة لا ستحييت ان اكتب النصف الثانى لانه محلول إلى الغاية .

ومن هذا القبيل قول الآخر :

مات الخليفة ايها الثقلان فكانني افطرت في رمضان

فانه عزي الثقلين في الاول ، وحل الثاني إلى الغاية وليس بين بيت جميـــل وهذا نسبة في الانحلال ، وقول جميل انما يجمل من مثل فريدة جارية الواثق العباسي فانها صنعت فيه لحناً لطيفاً ، وغنت به وكانت بارعة فى الحسن والجمال فاذا

سمع منها كان مناسباً ، وإلى بيت جميل أشار ابن نقادة بقوله :

أهجر وصد واغتراب وفرقة وبين فيالله كم يحمل الصب
فقل لمحب نبه الركب سائلا ونام نعم قد يقتل الرجل الحب

ويقال : أغنج بيت قالته العرب قول الاعشى :

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يا رجل

قيل : ان عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : أتعلمون ان النابغة كان مخنثاً ؟ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : أما سمعتم قوله :

سقط النصيف ولم ترد امساكه فتناولته واتقتنا باليد

والله ما هذه إلا اشارة مخنث !

وذكر صاحب الاغاني : ان المأمون قال لمن حضر من جلسائه : انشدوني بيتاً لملك يدل البيت عليه وان لم يعرف قائله انه لملك ، فانشده بعضهم قول امرىء القيس :

أمن اجل اعرابية حل اهلها جنوب الملا عيناك يبتدران

فقال المأمون : ما في هذا البيت ما يدل على ملكه ، قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر ، فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية ، ثم قال الشعر الذي يدل على ان قائله ملك قول الوليد بن يزيد :

اسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كاساً عقارا

أما ترى إلى اشارته وقوله : هذا النديم ، فانها اشارة ملك ، ومثله قوله ايضاً :

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

وهذا كلام من يقدر بالمال ، على طويات الرجال ، ببذل المعروف فيهم ويمكنه استخلاصها لنفسه .

ذكر ابن مسدى في معجمه في ترجمة ابى طالب محمد بن علي بن علي بن علي

الخيمي الكاتب ، قال: سمعته يقول وليت حوران في قديم الزمان ، وكنت كثير الجواز بقبور بني ايوب ، فأصابني ضيق فرأيت في النوم كأن من جملة قبورهم قبر شمس الدولة ، فقصدت اليه فوجدته قبراً عظيما مفتوح الباب ، وهو فيه مسجى بكفنه ، وكأن معي قصيدة أمتدحه بها فأنشدته اياها ، فلما فرغت من انشادي استتر عني في زاوية القبر واخذ كفنه فرمى به إلي ، فرأى في وجهي اثر الندم ، فعرف ذلك مني ، وأنشد :

لا تستقلن معروفا سمحت به ميتاً وامسيت منه عاري البدن
ولا تظنن جودي شابه بخل من بعد بذلي ملك الشام واليمن
اني خرجت من الدنيا وليس معي من كل ماملكت كفي سوى كفني

حكي ان خالد بن برمك جد البرامكة لما طلب للسفاح او للمنصور ليقلده الوزارة دخل عليه ، فلما وقع نظره عليه قال : اخرجوه وغضب عليه ، وكان كثير التطلع إلى رؤيته ، فعجب الحاضرون من ذلك ، وربما انه امر بقتله ، فقال : يا امير المؤمنين علام تقتلني ؟ قال: لانك دخلت علي ومعك السم ، فقال يا امير المؤمنين حاش لله ، وانما نحن معتادون بخدم الملوك ونخشى بادرتهم في وقت غضب فيمسك احدنا ويعذب ويخاف طول العذاب ، فنضع لأجل ذلك تحت فص الخاتم سما فاذا رأينا امتص احدنا ذلك السم ليموت سريعاً خوفا من تطويل العذاب ، فعفا عنه وقلده الوزارة ، ثم ان خالداً قال له : يا امير المؤمنين من أين علمت ان السم معي ؟ قال : ان في ساعدي دملجان ، إذا حصل في المكان الذي انا فيه سم انتطحا في ساعدي فمن هناك علمت ذلك وفي انتطاح الدملجين بعد كثير من العقل ، ولكن قال اصحاب الخواص: ان قرن الحية إذا قارب الطعام المسموم عرق والله تعالى اعلم .

سمع شامي خفق نعل اناس دخلوا عليه وبين يديه فراريج مشوية ، فغطاها بذيله وادخل رأسه في ثوبه وقال لهم انتظروني على الباب حتى افرغ من بخوري.

وقيل لأعرابي : أتغديت عند فلان ؟ قال : لا ولكن مررت ببابه وهو

يتغدى ، قيل : وكيف علمت ذلك ؟ قال : رأيت غلمانه بأيديهم قسي البنادق يرمون الطير في الهواء .

وقيل لبخيل : من أشجع الناس ؟ قال : من يسمع وقع اضراس الناس على طعامه فلا تنشق مراوته .

فلما كان عصر الأثنين ، المبارك الزين ، خامس وعشرين ربيع الأول ، عام الف ومائة واثنين وثلاثين من هجرة النبي المفضل ، رحلنا من الحلة وأتينا مشهد علي صاحب النور الساطع الجلي ، فزرنا وفزنا بالاكرام ، وأقمنا به ثلاثة ايام ثم سرنا إلى مسجد الكوفة فصلينا به وزرنا مآثر الانبياء ، الكرام الاصفياء ، ثم رحلنا إلى مشهد ابي عبد الله الحسين ، فزرنا وبلغنا المرام وأقمنا به ايضاً ثلاثة أيام ، ثم رحلنا منه فأتينا بغداد ، ونزلنا بالرقيقة على رأس الجسر في سمرة عظيمة على الدجلة ، وأقمنا خمسة عشر يوما ، ثم انى ابتعت لي من بغداد حصان ، وسرت مع القفل إلى اصفهان ، فلم نزل نسير ، بعون المعين النصير ، إلى ان دخلنا شمامة البلدان ، دار السلطنة اصفهان ، ونزلنا في حارة الخاجو ، في هفت مدرسة ، بجوار السيد الهمام الفضنفر ، السيد سمد بن جمفر ، نقيب السادة الحسينيه ، وكان ورودي إلى اصفهان في وقت سعيد مجمل ، صبح الأربعاء رابع وعشرين جماد الأول ، فلم نزل عند السيد المذكور في عز وانس وراحة ، لانه معدن الاريحية والسماحة ، شكر الله له الراحة ، ما أحسن قول الشيخ سعدي الشيرازي في القول بالموجب :

وصاحب لما أتاه الغنى تاه ونفس المرء طماحه
فقيل هل ابصرت منه يداً تشكرها قلت ولا راحه

هكذا حفظت هذين البيتين من الكشكول للعلامة الشيخ بهاء الدين محمد العاملي ، وذكر انهما للسعدى المذكور ، والشيخ بهاء الدين ثقة وكشكوله مشهور ورأيتهما من بعد في الغيث الذى انسجم ، شرح لامية العجم ، للصفدي وادعاها لنفسه ، وهو متأخر ، والسعدي اقدم ، والله تعالى ادرى وأعلم .

فلما كان يوم الجمعة تاسع شهر رجب ورد إلى اصفهان امير الحاج الحسائى محمد بن خالد آل غرير ، من صوب سعدون شيخ بني خالد ، ونزل بمحل لطيف فايح عاطر يسمى قهوة الناظر بأعلى حارة الخاجو، فاقام عشرة ايام باصفهان ، ثم رحل إلى مدينة قزوين لملازمة السلطان وقزوين هذه مدينتان واحدة في وسط الأخرى في فضاء من الارض ، طيبة الهواء ، عذبة المياه ، كثيرة البساتين والفواكه المختلفة والازهار والاشجار المؤتلفة . انشأها سابورذو الاكتاف ، وجدد بها الرشيد العباسى سوراً مانعاً وجامعاً واسعاً ، في سنة اربع وخمسين ومائة ومن العجائب ان كانت مقصورة هذا الجامع في غاية الارتفاع ، وهى على شكل بطيخة ليس لها مثال في الدنيا .

ومن العجائب انه كانت بساتين هذه المدينة تسقى في السنة مرة واحدة ومن العجائب ان تراب مقابر هذه المدينة ينفع لوجع بطون الدواب طلاء وينسب إلى هذه المدينة الشيخ ابو بكر الشيباني القزوينى ، والشيخ ابو القاسم محمد بن عبد الكريم الرافعي ، وكان من أكابر ائمة الشافعية ، توفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة وعاش خمساً وستين سنة، ونشأ بها الفاضل عبد الغفار صاحب كتاب الحاوي في الفقه ، وينسب اليها العلامة نجم الدين علي بن عمر الكاتبي صاحب الطوسي وله مصنفات حسنة في الحكمة والمنطق وغير ذلك ، وينسب اليها كثير من العلماء والاكابر .

﴿ لطيفة ﴾

أراد اعرابى سفراً ، فقال لزوجته :

عدي السنين لغيبتي وتصبري ودعي الشهور فانهن قصار

فاجابته تقول :

واذكر صبابتنا اليك وشوقنا وارحم بناتك انهن صغار

فاقام وترك سفره .

قيل : احضر المتوكل العباسي مجنونين ليمزح معهما ، فتكلم احدهما كلاماً أغضبه فامر بضرب عنقه ، فالتفت المجنون إلى صاحبه ، وقال له : أما تنظر يا اخي كنا مجنونين فصرنا ثلاثة ! فضحك واطلقه .

قيل : انه لما بلغ اسحاق بن ابراهيم ما في ابي العبر الشاعر من الحماقة والمجانة والخلاعة امر بحبسه فكتب اليه رقعة وهو في السجن يذكر انه تائب مما كان يفعل ، ويسأله ان يخرجه من الحبس حتى يعلمه برقية للعقرب ليس في الدنيا مثلها لصحتها ، وكان اسحاق يخاف كثيراً من ذكر العقرب فضلا من لدغتها ، فأمر باطلاقه واحضره وقال له: هات اعلمنا برقيتك ، فقال له: اعلمك ايها الامير على شرط انك تحلف لي على أن لاتتعرض لي بعدها أبداً ، فحلف ان لا يتعرض له ، فقال : ايها الامير إذا رأيت العقرب فتناول النعل واضربها به ضربة شديدة فانها تموت ولا تعود تتحرك ، وإذا ماتت لا تضر ، ولا تلسع ابداً ، ولو قبضت عليها بيديك فقال اسحاق : خلو عنه فانه لا يفلح ابداً .

وكان يزيد كل سنة حرفا في اسمه حتى صار ابو العبر طربك ذريك زرنك لؤلؤ حمق مق .

وقيل : انه كان آدب أهل زمانه إلا انه لما رأى الحماقة والجهل انفق عند أهل عصره اخذ فيه وترك العقل ، فصار في الرقاعة والسخافة رأساً ، وما اصدق قول ابي العلا المعرى في هذا المعنى من لاميته المشهورة :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن اني جاهل

وأنا اقول : ان من الواجب على كل عاقل في زماننا هذا ان يصير مثل ابى العبر فان زماننا واهله عبرة لمن اعتبر ، ولله در القائل :

زمان كل حب فيه خب وطعم الخل خل لو يذاق
له سوق بضاعته نفاق فنافق فالنفاق له نفاق

وقال بعضهم : اشتقت إلى ابى العبر يوما فسرت اليه فاذا هو جالس في ثغار

من ماء في اشد ما يكون من الحر وعلى رأسه سمورية وحواليه جماعة يكتبون عنه فجلست اسمع ، فقال له رجل : يا ابا العبر لم صارت دجلة ببغداد اعرض من الفرات والقطن ابيض من الكمأة ؟ فقال: لان الشاة ليس لها منقار ، وذنب الطاووس يقرب من اربعة اشبار ، وقال له آخر : لم صار العطار يبيع اللبد ، وصاحب السقط يبيع السمن ؟ فقال : لان المطر يكون في الشتاء والمنخل لا يقوم فيه الماء ، وقيل له لم صار كل خصي امرد ، والماء في حزيران لا يبرد ؟ فقال : لان السفينة تجنح والحمار يرمح ، قيل لابي مرة : أى الطعام احب اليك ؟ قال ثردة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص، بلقاء من الشحم ، ذات حفافين من اللحم ، لها جناحان من سمن العراق ، قيل له: وكيف اكلك لها ؟ قال : اصدع لها بهاتين ،يعني السبابة والوسطى وأسند بهذه ـ يعنى الابهام ـ واجمع منها بهاتين ـ يعني الخنصر والبنصر ـ واضرب فيها ضرب والي السوء في مال اليتيم .

قيل لاعرابي ما تسمون المرق ؟ قال السخين ، قيل فاذا برد ؟ قال انا لا ندعه يبرد ، أتى طفيلي باب قوم فمنعوه ثم اذنوا له فدخل وهو يقول :

نزوركم لا نكافئكم بجفوتكم ان المحب اذا لم يستزر زارا

(قالت الخنفساء) يوما لامها : يا اماه ماأمر بأحد إلا وبزق في وجهي فقالت يابنيتي من حسنك تعوذين .

وقف نحوي بياع أرز بعسل وبقل بخل فقال له النحوي: ياأخي بكم الارز بالاعسل والابقل بالاخلل ، فقال له بالاصفم في الأرؤس والاضرط في الاذقن .

(وكان لبعضهم) ولد نحوي يتشدق ويتفيهق في كلامه ويتقعر فيه فاعتل أبوه علة شديدة اشرف منها على الموت فاجتمع اليه أولاده وقالوا له ندعو لك اخانا فلانا فقال لئن جاءني قتلني بنحويته قالوا نحن نوصيه فدعوه بعدما أوصوه فلما دخل على ابيه قال له يا ابت قل اشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهدان محمداً عبده ورسوله تدخل بها الجنة وتبعد عن النار والله يا ابت ما أشغلني عنك

إلا أن فلانا دعاني بالامس ، فعرق ومرق ، وحبب ، وكبب ، وزبب ، واهرس ، وامرس ، ورزز ، وعدس ، وافرج ، ودجج ، ولوزج ، وافلوذج ، وعطر ، وبخر ، واعصر ، واسكر ، فصاح ابوه وقال غطوني وغمضوا عيني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي

(قيل) : خرج ابو حازم القاضي من داره الى المسجد يريد الصلاة واذا بسكران يمشي في الشارع فقال الناس سكران سكران فوقف القاضي وقال هاتوه فأدنوه منه فقال له القاضي من ربك؟ يريد امتحانه فقال له السكران ليس هذا من سؤال القضاة أصلحك الله انه من سؤال منكر ونكير فغلب القاضي الضحك وقال خلوا سبيله .

قيل لطفيلي لم أنت مصفر اللون قال للفترة بين القصعتين مخافة أن يكون قد فرغ الطعام .

قال بعضهم من ظرائف المحن وغرائبها : أني بت ليلة عند قوم فحركتني الطبيعة في بعض الليل ولم اعرف موضع بيت الخلاء فوقفت على موضع فيه مهد وصبي نائم فيه وليس عنده أحد فعمدت إلى الصبي واخرجته من المهد وجعلته في حجري وجعلت عليه ذيلي وتحولت إلى المهد وخريت فيه وذهبت أرد الصبي إلى موضعه وإذا به قد خرى في حجري أضعاف ما خريت في مهده فبقيت متحيراً في حاله وحالي .

(لما صلب) عضد الدولة محمد بن بقية وزير عز الدولة لأمور يطول شرحها ولم يزل مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة فانزل ودفن وكان ممن قد رثاه أبو الحسن محمد بن يعقوب بن عمر الانباري بقصيدة ما لا أجد مثلها وهي :

علواً في الحياة وفي الممات لحق انت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نداك ايام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصـــلاة

مددت يديك نحوهم احتفاءاً كمد كسها اليهم بالهبات
وتشعل حولك النيران ليلا كذلك كنت في حال الحياة
ولما ضاق وجه الارض عن أن يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو فبرك واستنابوا عن الاكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيت ترعى بحراس وحفاظ ثقات
ركبت مطية من قبل زيد علاها في السنين الماضيات
ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات
أسأت الى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثار النائبات
وكنت تجير من صرف الليالي فعاد مطالباً لك بالترات
غليل باطن لك في فؤادي يخفف بالدموع الجاريات
ولو اني قدرت على قيام بفرضك والحقوق الماضيات
ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات
ومالك تربة فأقول تسقى لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمان تتلى برحمات غواد رائحات

قيل انه لما عمل ابن الانباري هذه الابيات المرثية كتبها ورماها في شوارع بغداد فتداولها الناس إلى ان وصل خبرها إلى عضد الدولة فلما أنشدت بين يديه تمنى انه هو المصلوب دونه فقال علي بهذا الرجل فطلب سنة كاملة واتصل خبره بالصاحب ابن عباد وهو بالري فكتب له بالامان فلما سمع ابو الحسن بن الانباري بالامان قصد حضرته فلما قدم عليه قال له الصاحب انت القائل هذه الابيات ؟ قال نعم قال انشدنيها من فيك فلما انشده :

ولم أر قبل جذعك قط جذعا تمكن من عناق المكرمات

قام الصاحب اليه وعانقه وقبل فاه وانفذه إلى عضد الدولة بشيراز فلما مثل بين يديه قال له ماحملك على مرثية عدوي فقال ايها الملك حقوق مضت ، وأياد

انقضت ، فأثر الحزن في قلبي فمضا عنه ووصله .

(أقول) قوله ركبت معلية البيت يشير بذلك إلى زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام لانه صلب قدس الله روحه وكان الذى صلبه يوسف بن عمر في خلافة هشام وبقى معلقاً أربعة أعوام ، ثم أنزل واحرق وقصته مشهورة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وكذلك إبنه يحيى بن زيد صلب في خلافة الوليد بن يزيد بالجوزجان ولم يزل مصلوبا حتى جاء أبو مسلم الخراسانى فأنزله وواراه وصلى عليه وتصفح الديوان فقتل كثيراً ممن خرج إلى قتاله وسود أهل خراسان ثيابهم اذ ذاك فصار شعاراً لبني العباس وأمر باقامة المأتم عليه ببلخ ومرو سبعة ايام وناح عليه النساء ، وكل من ولد في تلك السنة من اولاد الاعيان سموه يحيى فانا لله وإنا اليه راجعون .

قال بعضهم مر عمارة اليمنى بمصلوب فقال يصفه :

ومد على صليب الصلب منه يميناً لا تطول إلى شمال
ونكس رأسه لعتاب قلب دعاه إلى الغواية والضلال

قال فلم تمض والله ثلاثة أيام حتى رأيته مصلوبا مع الجماعة بين القصرين .

وقال آخر : عبرت بين القصرين وأنا عائد من دار السلطان صلاح الدين عشية النهار الذي صلب فيه عمارة فشاهدته مصلوبا ، فذكرت ابياتاً عملها في ابن الصالح ، وهى :

إذا قدرت على المليء بالقلب فلا تعرج على سعي ولا طلب
ولا ترقن لي ان كربة عرضت فان قلبي مخلوق من الكرب
واستخبر الهول كم آنست وحشته وكم وهبت له روحي ولم اهب

قال الصفدي في شرح لامية الطغرائي .

قلت : هذا الفقيه نجم الدين عمارة اليمني كان فقيهاً اديباً ماهراً شاعراً ، شافعي المذهب ، من اهل السنة المتعصبين ، قدم إلى مصر في دولة الفاطميين ،

وصاحب مصر يومئذ الفائز بن الظافر ووزيره الصالح بن رزيك فكان عنده في اكرم محل واعز جانب واتحاد عظيم على ما بينهما من الاختلاف في العقيدة ، ثم رحل إلى اليمن ، ثم عاد إلى مصر وأقام بها إلى ان زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين ، ورثى أهل القصر بقصيدته اللامية التي اولها :

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ورعته بعد حسن الحلى بالعطل

إلى قوله منها :

قدمت مصراً فأولتني خلائقها من المكارم ما اربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن تمامها انها جاءت ولم اسل
يا عاذلي في هوى ابناء فاطمة لك الملامة ان قصرت في عذلي
بالله زر ساحة القصرين وابك معي عليهما لا على صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة بنسل آل امير المؤمنين علي
هل كان في الامر شيء غير قسمة ما ملكتم بين حكم السبي والنقل

وهي طويلة في غاية الحسن ومن أراد الاطلاع عليها فهي مثبتة في الجزء السابع من التذكرة للصفدي .

فلما بلغت السلطان هذه المرثية تغير عليه ، وقيل : انه استفتى عليه في قوله من قصيدته الميمية :

وكان مبدأ هذا الدين من رجل سعى فأصبح يدعى سيد الامم

وهذا الكلام هو رأى الفلاسفة في النبوة ، وانها تحصل بالتكسب ، وهي احدى المسائل التي كفروا بها ، والصحيح أن الله يجتبي من رسله من يشاء ، ولم يكن احد من الانبياء عليهم السلام عنده شعور بأنه يكون فيما بعد نبياً ، ولو كان ذلك ما انكر النبي ﷺ ورود الوحي عليه ، ولا حم وجاء إلى اهله وقال زملوني .

ثم قال الصفدي : وانا أرى ان هذا مفتعل على الفقيه عمارة عند السلطان ونظمه بعض اعدائه على لسانه ودسه في تلك القصيدة وأغروا به عند السلطان

وقالوا هذا يتعصب للمصريين ، ويريد اعادة الدولة لهم وضموه مع القاضي الموريس واولئك السبعة الذين صلبوا :

وما يبعد ان القاضي الفاضل سامحه الله تعالى عليه واختار هلاكه لانه لما استشاره السلطان صلاح الدين في ضرب الفقيه عمارة قال له : الكلب يسكت ثم ينبح ، قال : فيسجن ، قال : يرجى له الخلاص ، قال : فيقتل ، قال : الملوك إذا أرادوا شيئاً فعلوه ونهض ، فأمر السلطان بصلبه مع الجماعة ، فلما امسكوه قال لهم مروا بي على باب القاضي الفاضل عبد الرحمن ، فمروا به على بابه ، فلما رآه القاضي مقبلا قام ودخل واغلق الباب ، فقال عمارة :

عبد الرحيم قد احتجب ان الخلاص هو العجب

ثم صلب .

وذكر القاضي جمال الدين بن واصل في مفرج الكروب ان القاضي الموريس رأى في منامه المسيح عليه السلام وهو مطل عليه من السماء ، فقال له القاضي الصلب حق ؟ قال : نعم فقص ذلك المنام على العابر ، قال له : انت تصلب ! قال : لأي معنى؟ قال : لان المسيح عليه السلام لم يصلب فان الله تعالى قال في حقه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وقد قال لك ان الصلب حق وهو عليه السلام صادق القول فما بقي الصلب إلا في حقك فصلب بعد ايام مع الجماعة .

﴿ فائدة ﴾

لا بأس بذكر جماعة من اعيان المصلوبين : اول مصلوب صلب في الاسلام عقبة ابن ابي معيط قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من غزوة بدر ، وأمر بصلبه ، وخبيب ابن عدي وابن الدثنة الانصاريان اسرتهما هذيل يوم الرجيع ، ولهما حديث طويل فصلبوهما بالتنعيم ، وخبيب هذا أول من سن الركعتين قبل القتل .

وعقبة بن جشم بن هلال النمري صلبه خالد بن الوليد ، وهانىء بن عروة

المرادي ، ومسلم بن عقيل بن ابن طالب صلبهما عبيد الله بن زياد بسوق الكوفة وعبد الله بن الزبير صلبه الحجاج بمكة منكوسا ، وقال : لا انزله حتى تشفع فيه امه اسماء بنت ابى بكر الصديق ، فلم تتكلم فيه ، فيقال انه بقى سنة حتى مرت به يوما بعد ذلك ، فقالت : أما آن لراكب هذه المطية ان يترجل ! فانزل فيقال : انه لما اتى اليها بأشلائه وضعته في حجرها فحاضت من ساعتها وجرى اللبن في ثديها فقالت : حنت اليه مواضعه ، ودرت عليه مراضعه .

ويزيد بن المهلب بن ابى صفرة صلبه مسلمة بن عبد الملك بجسر بابل وعلق معه خنزيراً وسمكة وزق خمر .

وزيد بن علي بن الحسين وولده يحيى المتقدم ذكرهما ، وخالد بن عبد الله القسري صلبه مروان الحمار على باب الفراديس بدمشق .

وجعفر بن يحيى البرمكي صلبه الرشيد هارون وقطعه ، ثم احرقه ، وسيأتى خبر صلبه فيما بعد ان شاء الله تعالى .

لما عزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة ألفاه مجنون ليلى وأنشده :

ليت شعري أي قوم اجدبوا فأغيثوا منك من بعد العجف
نظر الله لهم من بيننا وحرمناك بذنب قد سلف
يا ابا اسحاق سر في نعمة وامض مصحوبا فما منك خلف
انما انت ربيع باكر حيثما صرفه الله انصرف

أمر الملك قرواش بعض شعرائه ان يصف الليل بهجاء وزيره سليمان وحاجبه ابى جابر ومغنيه البرقعيدي ، وان يستطرد وصف الصباح في مدحه ، فقال وابدع

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة وبرد اغانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نوم مشرد كعقل سليمان الوزير ودينه
على أبلق فيه التفات كأنه أبو جابر في خبطه وجنونه
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه

﴿ ترجمة السيد الجليل ، الأصيل النبيل ، بليغ العصر والزمان ﴾

(السيد على خان ، نجل السيد السند ، الوزير الصدر)

(المعتمد ، نظام الدين السيد أحمد بن محمد بن معصوم)

(ابن نصير الدين بن ابراهيم بن سلام الله)

(ابن مسعود بن محمد بن غياث الدين منصور)

(الحسنى الحسينى)

رئيس بعد صيته ، ولان له عطف العز وليته ، حتى صار نادرة الزمان ، وواسطة عقد البلاغة والبيان ، وإمام الفضل والادب ، والعلم الموروث والمكتسب ، فاضل لاتسجع الحمائم بدون نسيبه ، ولا يترنم المحب الهائم بسوى غزله في حبيبه ، لو هز خطي بلاغته وسطا ، لأنشأ في السطور والصدور أمة وسطا ، شعره كثير الفنون ، ونثره سلوة المحزون ، له المعاني العجيبة الانيقة ، والالفاظ البليغة الرقيقة ، ان نظم لم يبق للطلا طلاوه ، أو نثر لم يترك للزهر حلاوه . ولد بمكة المشرفة ، ورفل في حللها المفوفه ، ثم سافر إلى الهند واقام بها في كنف والده وبها تخرج على عدة من الجهابذة ، حتى أقرت له بالفضل جميع الاساتذة ، واما والده المنتجب ، فكان فريد عصره في فنون الادب ، خصوصاً في معرفة كلام العرب ، حفظ القرآن المجيد وجوده بالسبع ، واخذ الفقه عن الشيخ شرف الدين البافقى ، والحديث عن جدي السيد نور الدين المترجم في أوائل هـذا الـكتاب ، والعربية عن الملا علي المكى ، والمعقولات عن الشمس الجيلانى ، وكان في الحفظ غاية لاتدرك ، واما في شهامة النفس ، وسخاوة الكف ، فبه يضرب المثل ، دخل إلى الديار الهندية سنة اربع وخمسين وألف ، واجتمع بقطب شاه حيدر أباد ، فأكرمه غاية الاكرام ، وزوجه بابنته واستوزره وحكمه في جميع مملكته ، فلم يزل في رتبة علية وعيشة هنية ، إلى أن افلت شموس السلطنة الدكنية ، واستولى على السلطنة سلطان الهند محمد

اورنقزيب ، وذلك في مفتتح سنة ثلاث وثمانين والف ، ولهذا السيد المجيد نظم فريد ورسائل ، يتحلى بها جيد الدهر العاطل ، وأحسن ماسمعت من نظمه قوله في غلام له غضب عليه فضربه .

تراءى كظبي نافر من حبائل يصول بطرف فاتن منه فاتر
وقد ملئت عيناه من سحب جفنه كنرجس روض جاده وبل ماطر

وأجازه وزيره احمد بن محمد الجوهري بقوله :

وظبي غرير بالدلال محجب يرى أن فرض العين ستر المحاجر
رماني بطرف أسبل الدمع دونه لكيلا أرى عينيه من غير ساتر

قلت : لله در الجوهرى فلقد احسن ماشاء في نظم هذا الجوهر وما احسن قول إمرىء القيس من لاميته المشهورة :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب معتل

ويعجبني قول ابى فراس في غلام ضربه وكان يهواه :

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من كفي غلهما غيظا إلى عنقي
وأستعير إذا عاتبته حنقاً وأين ذل الهوى من عزة الحنق

قلت : جزاء هذا المحب ان يؤدب بالهجران والصد ، لضربه للحبيب مائس القد ، وما ألطف قول ابى عبد الله محمد بن غالب الرفا الاندلسى في غلام يبل عينيه بريقه ويوهم انه يبكي .

عذيري من جذلان يبكي تصابيا واعينه مما يحاوله صفر
يبل مآقي مقلتيه بريقـــه ويحكي البكا عمداً كما ابتسم الزهر

ومن ظريف الحكاية ان عنان جارية الناطفى الاديبة الشاعرة البغدادية الآتى ذكرها ان شاء رب العالمين ، ضربها سيدها يوماً فدخل عليها ابو نواس وهي تبكى وكان يهواها فقال :

بكت عنان فجرى دمعها كالدر إذ يستل من خيطه

فقالت بديها وهي تبكي :

فليت من يضربها ظالماً تبين يمناه على سوطـــه

فقالـ سيدها : اعتق جميع ما املك ان وجد في الانس والجن اشهر منها :

وتوفى السيد المذكور بحيدر أباد سنة خمس وثمانين والف رحمـه الله تعالى وأرخ وفاته ولده صاحب هذه الترجمة بقوله :

حزنت لموتك طيبة ومنى وزمزم والحطيم

فلذا اتى ببديهة تاريخه (حزن عظيم)

وحيدر آباد هذه مدينة عظيمة مشهورة بسهل الهند وهى قاعدة ارض الدكن والهند ممالك متسعة آخذة في عرض الاقليم الأول والثانى والثالث والرابع .

رجع إلى ترجمة ولده المذكور .

ثم عاد من الهند إلى بلد الله الحرام عام اربعة عشر والف من هجرة الشفيع في الخاص والعام ، فحج ثم سافر إلى بلاد فارس وبها دنت وفاته فمات بشيراز عام تسعة عشر او عشرين ومائة ودفن بحرم الشاه چراغ رحمه الله تعالى . وله التصانيف الـكثيرة ، المفيدة الشهيرة ، منها شرح الفوائد الصمدية في النحو ، وهو كتاب جليل ، وشرح الصحيفة الـكاملة لزين العابدين على بن الحسين ، وهو كتاب جليل لا له مثيل ، وانوار الربيع في انواع البديع شرح بديعيته ، وسلافة العصر في محاسن اعيان العصر تاريخ عجيب ، والطراز في علم اللغة ، وهو كتاب فريد الوجود نحا به نحو القاموس ، واورد على صاحب القاموس ايرادات ، وزاد على قاموسه لغزارة فضله زيادات ، وله ديوان شعر فريد جمع فيه كل در نضيد ، فمن بليغ شعره قوله وهو من رقيق خمرياته .

أما الصبوح فانه فرض فالام يكحل جفنك الغمض

هذا الصبوح بدت بشائره وخيله في ليله ركض

والليل قد شابت ذوائبه وعذاره بالفجر مبيض

فانهض إلى حمراء صافية قد كاد يشرب بعضها بعض
يسقيكها من كفه رشأ لدن القوام مهفهف بض
سيان خمرته وريقتـــه كلتاهما عنبية محض
تدمى اللواحظ خده نظراً فاللحظ في وجناته عض
من ضمه فتح السرور له باباً وكان لعيشه الخفض
باهت وقد ابدى محاسنه قمر السماء بحسنه الارض
يسعى بها كالشمس مشرقة للعين عن اشراقها غض
والكاس إذ تهوى بها يده نجم بجنح الليل منقض
بات الندامى لا حراك بهم إلا كما يتحرك النبض
في روضة يهدى لنا شقها أرج الحبائب زهرها الغض
ختم الحيا ازهارها فغدا بيد النسيم لختمها فض
فاشرب على حافاتها طربا وانهض لها ما امكن النهض
لا تنكرن لهوي على كبر فعلي من عهد الصبا فرض
أغرى العذول بلومه شغفي فكأنما ابرامه نقض
حالفته والرأي مختلف شأني الوداد وشأنه البغض
مهلا فليس على الفتى دنس في الحب ما لم يدنس العرض

كأن هذا الكلام مأخوذ من قول السموأل بن عاديا اليهودي الآتي ذكره وهو:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميـــل

وقوله وهي من شهي خمرياته ايضاً:

قم هاتها وحسام الصبح منذلق صهباء منها ضياء الصبح ينفلق
لم ندر حين توافينا اصبغتها تلوح ام وجنة الساقي ام الشفق
كأنها في الدجى شمس تضيء لنا فينجلي عن سنا انوارها الغسق
ألقت على الصبح لوناً من اشعتها فاحمر من خجل من نورها الافق

عذراء تغضى حياء من ملامسها فيستحيل حباباً فوقها العرق

هذا من التشبيهات الملوكية :

إذا تجلى لنا من افقها قدح دارت نطاقا على حافاته الحدق

ما الطف هذا الجناس اللفظي والمقلوب :

وان جلاها بلا مزج مشعشعها يكاد من لهب اللألاء يحترق
تخالها شفقاً حتى إذا لمعت حسبتها البدر في الظلماء يأتلق
من كف أهيف في خلخاله حرج إذا تثنى وفي اجراسه قلق
يديرها وهو مهتز لها طرباً كأنما هزه من روعة فرق
في خـــده ومحياه ومبسمه نار ونور ونور نشره عبق

ما احسن هذا اللف والنشر المرتب :

يجلو دجى فرعه لألاء غرته كأنما انشق عن ازراره الفلق
ترى الندامى سكارى حين تلحظه كأنهم من حميا ريقه اغتبقوا
يغضى بذى كحل بالسحر مكتحل وسنان ما راعه سهد ولا ارق
ظبي ولـكنه بالدر متشح بدر ولـكنه بالتبر منتطق
تطيب ريا شذاه كلما نسمت كالمسك يزداد طيباً حين ينتشق
كم من احاديث أبداها تعتبه كأنما درر قد زانها نسق
فود كاشحنا ان ناله صمم إذ بات مكتئباً للسمع يسترق

وقوله :

لمن ساريات بين وهن وتغليس تزف زفيف الطير في صور العيس
إذا أنشقتها عرف نجد ورنده صبا نفست من كربها بعض تنفيس
وان نفحتها نسمة حاجرية أبت من غرام ان تميل لتعريس
سرت تتهادى بالحدوج كأنها بروج نجوم او و كورطواويس
على كل فتلاء المرافق هودج نفيس به من حسنه عرش بلقيس

حوى بدرتم دونه ليل عثير وظبي كناس دونه ليث عريس
إذا رق لي مما اقاسي صبابة تنمر لي من قومه كل غطريس
وان قلت عج بى قال عجبي يصدني فيبدي بديع القول احسن تجنيس

ما احسن هذا الجناس التام وقوله من خمرياته :

لمعت ليلا فقالوا لهب وصفت لوناً فقالوا ذهب
وإذا ما اندفقت من دنها في الدجى قالوا طراز مذهب
خمرة رقت فلو لا كاسها لم يشاهد جرمها من يشرب

يعجبني قول ابى عثمان سعيد بن هاشم الخالدي الموصلي في هذا المعنى :

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها قهوة تترك الحليم سفيها
لست ادري لرقة وصفاء هي في كاسها ام الكاس فيها

وأجاد في هذا المعنى ابو القاسم علي بن اسحاق الزاهى حيث قال :

ومدامة لضيائها في كاسها نور على فلك الاصابع بازغ
رقت وغاب عن الزجاجة لطفها فكأنما الابريق منها فارغ

أخذ هذا المعنى الصاحب اسماعيل بن عباد فقال :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

رجع إلى قصيدة السيد المذكور :

ألبستها الكاس طوقا ذهباً وحباها باللآلي الحبب
عجبوا من نورها إذ أشرقت وشذاها من سناها أعجب
بنت كرم كرمت اوصافها أي بنت قام عنها العنب

وقوله هذه القصيدة الغراء :

يا دارميـة باللوى فالاجرع حياك منهل الحيا من ادمعى
وسرى نسيم الروض يسحب ذيله بمصيف انس في حماك ومربع

لو لم تبيتي من انيسك بلقعا ما بت اندب كل دار بلقع
لم انس عهدي والاحبة جيرة والعيش صفوفي راك الممرع
ايام لا اصغى للومة لائم سمعا وإذ تغرى الصبابة مسمعي
حيث الربى تسري برياها الصبا والروض زاهي النور عذب المشرع
تحنو علي عواطفاً افنانه عند المبيت به حنو المرضع

قلت : لعل هذا يشبه بقول ابى نصر احمد بن يوسف المنازي الشاعر المشهور في وصف وادي برغا :

نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم

وسنذكر بقية الابيات في ترجمة ابى العلا المعري ان شاء الله تعالى .

رجع :

والورق في اعلى الغصون سواجع تشدو بمرأى من سعاد ومسمع
كم بت فيه صريع كاس مدامة حلف البطالة لا افيق ولا اعي
أصبو بقلب لا يزال موزعا في الحب بين معمم ومقنع
ما ساءني ان كنت اول مغرم بجمال رب رداً وربة برقع
يعتادني زهو الشباب وعفتي فيه عفاف الناسك المتورع
لله ايامي بمنعرج اللوى حيث الهوى طوعي ومن اهوى معي
لم أنسه والبين ينعق بيننا متصاعد الزفرات وهو مودعي
ان شب في قلبي الغضا بفراقه فلقد ثوى بالمنحنى من اضلعي
أتجشم السلوان عنه تكلفا والطبع يغلب شيمة المتطبع

وشعره المطبوع كثير ، اقتصرت منه على هذا القدر اليسير ، والله تعالى اعلم .

حدث اشجع بن عمرو السلمي الشاعر المشهور ، وكان من فحول شعراء البرامكة ، ثم اختص بالرشيد ، قال : دخلت على الرشيد يوما بالرقة وفي مجلسه سبعة من الشعراء ، وكنت احدثهم سناً وارثهم حالا ، فما بلغت نوبتي في الانشاد حتى

كادت الصلاة أن تجب فخفت ان ابتدىء بالنسيب فيقطعه علي وجوب الصلاة وكان اول قصيدتي :

تذكر عهد البيض وهو لها ترب ... وأيام يصبي الغانيات ولا يصبو

فتركته وجئت بالمديح ، فقلت :

إلى ملك يستغرق المال جوده ... مكارمه نشر ومعروفه سكب
وما زال هارون الرضى بن محمد ... له من مياه النصر مشربها العذب
فتى تبلغ العيس المراسيل بابه ... بنا فهناك الرحب والمنزل الرحب
يبث على الاعداء ابناء دربة ... فلم تقهم منه حصون ولا درب
وما زلت ترميهم بهم متفرداً ... أنيساك حزم الرأي والصارم العضب
جهدت فلم ابلغ علاك بمدحه ... وليس على من كان مجتهداً عتب

فضحك الرشيد وقال: كانك خفت ان يجب وقت الصلاة فينقطع المديح عليك فبدأت به ، قلت : نعم يا امير المؤمنين فأمرني بقراءة النسيب وامر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لي بضعفها .

وقال الاصفهاني : اول من اول اشجع إلى الرشيد الفضل بن الربيع الحاجب وصفه له وقال له : هو اشعر الشعراء في هذا الزمان ، وقد اقتطعه عنك البرامكة ، فأمره بادخاله مع الشعراء ، فحضر وأنشده :

قصر عليه تحية وسلام ... نشرت عليه جمالها الايام
فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت ... للملك فيه سلامة وسلام
قصر سقوف المزن دون سقوفه ... فيه لأعلام الهدى اعلام
نشرت عليه الارض كسوتها التي ... نسج الربيع وزخرف الاوهام
ادنتك من ظل النبي وصية ... وقرابة وشجت بها الارحام
برقت سماؤك في العدو وأمطرت ... هاماً لها ظل السيوف غمام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد ... رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبـه رعته وإذا غفـا سلت عليه سيوفك الاحلام

قلت : هكذا يكون الشعر وإلا فلا لا ، فلله در هـذا الشاعر ، فانه ما ترك للأول ولا للآخر .

ورأيت في بعض مجاميع اصحابنا ان اشجع هذا كان منقطعاً إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فقال الرشيد يوما للعباس هذا : يا عم ان الشعراء قد اكثروا في مديح محمـد الامين بسببي وبسبب ام جعفر زبيدة ، ولم يقل احد منهم في المأمون شيئاً ، وانا احب ان اقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه فذكر العباس ذلك لاشجع فقال :

بيعة المأمون آخـذة بعنان الحق في افقه
احكمت مرآته عقداً تمنع المحتال في نفقه
لن يفك المرء ربقتها او يفك الدين من عنقه
وله من وجـه والده صورة تمت ومن خلقه

فأتى العباس الرشيد فأنشده إياها فاستحسنها وسأله : من قالها ؟ فقال : هي لي ، فقال له الرشيد : والله يا عم لقد سررت مرتين باصابتك ما في نفسي وبكونها لك ، وما كان لك فهو لي ، ثم امر له الرشيد بثلاثين الف دينار ، فاعطى العباس منها أشجع خمسة آلاف وأخذ باقيها لنفسه .

قلت: انظر بالله إلى سفالة العباس وخسته التي جلت عن القياس. وكان بخيلا جداً ، وسمعت له حكاية ظريفة وهي ان ربيعة الرقي الشاعر المشهور مدحه بقصيدة لا تليق إلا بالرشيد وامثاله ، وقال منها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل لا وانت مخلد ما قالها
ماان اعد من المكارم خصلة إلا وجدتك عمها او خالها

قلت : ليت شعري ما ذا يقوله الشعراء بعد هذه الابيات . ثم ارسلها اليه ، وقدر في نفسه ان يجيزه عنها الف دينار ، ان غلب الشح عليه ، فلم يشعر إلا

وغلامه قد جاء بشيء في قرطاس ، ففتحه فاذا ديناران ، فقال للغلام : الديناران لك منى واحتل في أخذ ورقة الشعر ورجوعها إلي ، فاخذها له العبد ، فقال ربيعة فيه :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فانت المرء ليس له وفاء كأني إذ مدحتك قد رثيت

الظاهر أنه يقرب من معنى البيت الاخير قول المتنبي من مقصورته التي هجا بها كافور الاخشيدي وهو :

وشعر مدحت به الكركدن بين القريض وبين الرقى
فما كان ذلك مدحا له ولكنه كان هجو الورى

ثم ان العباس لما قرأ هذه الابيات دخل من ساعته على الرشيد ، وقال له : ان ربيعة الرقى هجانى فغضب الرشيد لذلك لأن العباس كان مبجلا عنده ، وقد كان الرشيد أراد أن يتزوج ابنته فأمر باحضار ربيعة من فوره ، فلما حضر قال له : يا عاض بظر أمه اتهجو عمي واخص الناس منزلة عندي ، فقال ربيعة : والله يا امير المؤمنين لقد مدحته بقول ما قاله احد من الشعراء ، ثم انشده القصيدة فقال له الرشيد : صدق والله يا عم ان هذا الشعر ما قيل في احد من الخلفاء فكم اجزته عليه فتلجلج العباس وانتقع لونه ، فقال ربيعة أجازنى يا امير المؤمنين دينارين فظن الرشيد ان قوله مزح ، فقال لربيعة : بحياتي عليك كم اثابك ؟ قال : وحياتك ما أعطاني غير دينارين ، فتغير الرشيد جداً ، ثم التفت إلى العباس وقال له : ليت شعري ما الذي قعد بك عن طريق آبائك الكرام نسبك نسب لا يدرك والأموال فقد سوغتك منها فوق الحد ، ام هذا من نفسك الدنية ، فلا ذنب لي فهي والله نفسك ، فكاد العباس ان يموت من الخجل .

ثم ان الرشيد أمر لربيعة بثلاثين الف درهم ، وقال له : بحياتى عليك لا عدت تذكره فى شعرك ابداً .

قلت : بل كان ربيعة بعد هـذه الواقعة يعبث كثيراً بالعباس في مجلس الرشيد ، وأحسن ما سمعت من عبثه معه ان العباس دخل يوما على الرشيد ومعه حق فضة ، وكان الرقى حاضراً ففض العباس الحق فاذا فيه غالية فقال يا امير المؤمنين هذه غالية صنعتها لك بيدي واخترتها لك، فمسكها تبتى ، وعنبرها شحري، وعودها هندي ، فالوصف يقصر عن حسنها ، فاعترضه ربيعـة وقال : ما رأيت احمق منك تصف هذه الغالية بحضرة من تهدى اليه نفائس الدنيا وتتقرب الملوك لخدمته بأعز ما عندها ، وما قدر غاليتك هـذه ، ثم التفت إلى الرشيد وقال بحياة امير المؤمنين ان تجعل هذه الغالية نصيبي من عطائك إلي سنة ، فأمر له بها ، وقد غلبه الضحك ففض ربيعة ختمها وملأ يديه منها فدهن بها ابطه الايمن ، ثم ملأ يده ثانياً فدهن ابطـه الايسر ، ثم حل سراويله وملأ يده فطلى استه وبيضتيه ، ثم طلى ذكره ، ثم قال : ياامير المؤمنين أتأذن لي بدخول غلامي ! قال: قد اذنت لك . وقد كاد الرشيد ان يغشى عليه من الضحك ، فلما دخل الغـلام ناوله ربيعة الحق غير مختوم ، وقال له : اذهب الساعة إلى جاريتي فلانة فأعطها الحق وقل لها ادهني بهذا ابطك ، وحرك واستك حتى اصل اليك الساعة فأنيكك ، فذهب بها الغلام وضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ، وكاد العباس ان يموت من الغيظ ، فقام وخرج وهو يتعثر في أذيالـه من الخجل ، وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين الف درهم .

وكان الرشيد قـد جفا العباس هـذا من قصته الأولى مع ربيعة وسقط من عينه وترك ما كان هم به من تزوجه بابنته .

قلت : بل الأولى للرشيد انه كان ينزه مجلسه من حضور العباس هـذا فانه ما ترك للبخلاء اسما ولا رسما .

قيل : كان عباد بن زياد بن ابيه كبير اللحية جداً ، وكان اخوه عبيد الله بن زياد ولاه فارس ، وصحبه يزيد بن مفرغ الحميري الشاعر المشهور ، وعباد هذا كان مشهوراً بالبخل فركب يوما واتفق ان عصفت الريـــح ، فدخلت في لحية عباد

فانتفشت فضحك ابن مفزع وقال: وكانت تلك السنة مجدبة :

ألا ليت اللحى كانت حشيشا فنعلفها خيول المسلمينا

فكانت سبب غضب عباد عليه حتى حبسه وهجاه ابن مفزع بأهاجى فضحه بها .

يقال : لو كان في اللحى خير لحلى الله بها اولياءه في الجنة .

وما احلى قول ابن اللبان الاندلسي في غلام طلعت لحيته .

أبصرته قصر في المشيه لما بدت في خده اللحية

قد كتب الشعر على خده او كالذي مر على قريه

لله دره في هذا الاقتباس العجيب ، ويعجبني قول القاضي بدر الدين محمد الحسيمي في هذا المعنى :

لما رأى نبت عارضيه دعا إلى الله واستعاذا

وقال طرف له سقيم يا ليتني مت قبل هذا

في هذا الاقتباس عجائب وغرائب ، وقال حيدر اغا من شعراء نسمة السحر وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وهو السابق في هذا المعنى :

وقالع شعره بخيط قلت له يا رشا لماذا

اومى إلى خده ونادى يا ليتنى مت قبل هذا

وقال آخر وأجاد ما شاء :

يا ايها الاحباب قد ظفرنا عليكم من بعد ما التحيم

نسيتمونا اولا جميعاً فاليوم ننساكم كما نسيتم

هذه المقاطيع كلها خالية من فحش الاقتباس، وافحش ماسمعت من الاقتباس قول الصفى الحلى ، وأنا استغفر الله لي وله ولشعراء المسلمين :

ادخلت موسى منزلى وكان بدراً مشرقا

ففر اپرى قائماً فخر موسي صعقا

فلما كان ضحى السبت من ثامن شهر شعبان المعظم ، عام اثنين وثلاثين ومائة والف من هجرة النبي المكرم ، لازم امير الحاج المذكور في قزوين السلطان ، رفيع المرتبة والشان ، المشهور في الخافقين ، واهب الألوف من صنوف الورق والعين ، الملك المؤيد الشاه السلطان حسين ، لا زال بجوار ربه قرير العين ، صحبة الامير المكرم ميرزا رحيم الحكيم باشي ، أي حكيم الحكماء ، والفاضل العلامة شيخ الاسلام ، الملا محمد حسين ملا باشي ، أي عالم العلماء ، فأكرمه واحسن مثواه ، وأجزل صلته وعطاه .

ولا شك من ام الملوك فانه تلاحظه عين العناية حيثما

جزاه الملك الوهاب ، خير الاجر والثواب ، يوم العرض والحساب .

من قال آمين ابقى الله مهجته فان هذا دعاء ليس يحتجب

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمينا

وقد كان هذا السلطان ، درة تاج الزمان ، كرمه كوبل السحاب ، وفضله كالبحر العباب ، محباً للعلماء العاملين ، مكرما للغرباء والوافدين ، والسادات والمساكين ، يحب مجالسة اهل الفضل ، ويغمرهم بنائله والفضل ، وأما صلاحه فلا يحصره نقل .

ولو لا احتقار الاسد شبهتها به ولكنها معدودة فى البهائم

إلا انه كان غافلا جداً عن امور مملكته ، حتى آل الامر إلى قتله وذهاب سلطنته ، وذلك حين خرجت عليه طوائف السليمانية ، وكانوا له من الرعية ، وكبيرهم محمود بن ميرويس السليمانى ، فملك الهرات وكرمان ، ثم دار التخت اصفهان فادعى إذ ذاك السلطنة لنفسه بعد ان حبس السلطان ، وقتل كثيراً من الامراء والاعيان وقتل من ابناء السلطنة نحو عشرين انسان ، ولم ينج منهم إلا السلطان طهماس الذي هو موجود الآن ، فانه فر إلى بلاد الكرج ، وأذن له بالفرج .

ثم قتل محمود السليماني ، وجلس بعده قاتله اشرف خان السليماني ، وما زال السلطان حسين محبوساً إلى ان قتله اشرف هذا في عام الف ومائة وواحد واربعين رحمه الله تعالى .

وخربت مملكة العجم في ايام السليمانية ، وحلت بالناس البلية ، وصار بين السليمانية والروم سابقاً عدة حروب ، وقتل فيها عالم لا يحصى من الطرفين ، ثم ان الملك الدائم الخلاق ، اذن لشمس سعادة طهماس بالاشراق ، فخرج إلى خراسان ، بصحبة وزيره الوزير المسدد طهماس خان ، ويسمى طهماز ، فملك خراسان ، وقتل الملك محمود في ذلك المكان ، وافتتح العزيز طهماز خان ، بعد ذلك الهرات وكرمان وكثيراً من البلدان ثم افتتح مدينة اصفهان وقتل بها خلقاً لا يحصى من جماعة اشرف خان ، وفر اشرف إلى شيراز ، وتبعه الوزير طهماز ، فحاصره بها اياماً ، ثم فر إلى كرمان ، ومنها فر إلى موضعه الاصلي مدينة قندهار ، وحاكمها يومئذ السليماني حسين خان بن محمود خان ، فحين بلغه وصول اشرف ، قتله في الحال ولم يتوقف ، لان اشرف قتل اباه ! فكافاه وجازاه .

وصفت المملكة لسلطان العجم ، جميع المدن والبنادر ، ما عدا شيروان وايروان ، وكنج ، وتبريز ، وتفليس ، وشماخة ، وكرمان شاه ، وهمدان ، فان هذه البلدان كانت في ايدى الاروام ، وصار بين الروم والعجم حروب ووقائع مرة هؤلاء يغلبون ، وتارة هؤلاء يغلبون ، إلى سنة ١١٤٤ فصارت الهدنة بينهم إلى ثلاث سنين ، فالله تعالى يصلح الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ثم صارت بعد ذلك عجائب وغرائب ، سار ذكرها في المشارق والمغارب ، من قيام طهماس خان الوزير ، واخذه للسلطنة وقتل الشاه طهماس ولم يبق من ذرية الصفوية كبيراً ولا صغير واستبد بالسلطنة لنفسه ، وصارت منه امور لا يسعها هذا الموضع ، وأنا أذكرها بالتفصيل ان شاء الرب المعين ، في تاريخي أزهار الناظرين في أخبار الأولين والآخرين ، بعون رب العالمين .

من ظريف ما انشده ثعلب رحمه الله تعالى :

دموعٌ ليس تحملها المآقي وانفاس ترقى فى التراقى
ووصل قد أطاف به صدود وشمل بددته يد الفراق
خرجنا للوداع فأسلمتنا نفوس لم تمتع بالتلاق
ومتنا ساعة التوديع لو لا تعللنا بضمات العناق

وقال ثعلب : حدثنا عمر بن سعيد بن مسلم الباهلي قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال : انشدني شيئاً في شدة البرد ، فانشدته قول ابن محكار :

في ليلة من جمادى ذات اندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خيشومه الذنبا

فقال : هات غير هذا ، فانشدته :

وليلة قر يصطلى القوس ربها واقدحها اللاتي بها يتنبل

فقال : ما بعد هذا شيء ، وأحسن جائزتي .

قلت : واحسن ما سمع في هذا ما قاله ابن المعتز :

وليل يود المصطلون بناره لو انهم حتى الصباح وقودها

وما احسن قول خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي وقد عاد من الحج فلما كان بمنزل تبوك صادفه ذلك النهار هواء شديد البرد وهو :

قد فت هذا الهواء الصعب في عضدي
وأوهن البرد جلدي إذ وهى جلدي
فلو أتاني الورى حتى ابايعهم على الخلافة لم امدد لذاك يدي

وفي اول رجب الأصب سنة الف ومائة اتفق بالمدينة المنورة على ساكنها السلام ان رجلا من الهنود التجار فقد صندوقا من داخل الدار ، فيه ستة آلاف قرش ، والباب مغلق لم يفتح ولم يكسر ، فمضى الهندي إلى الدولة واخبرهم بذلك فتحيروا في هذا الأمر ، فارسل قائمقام المدينة من طرف ملك مكة المشرفة ذي العزم

الغالب ، مولانا الشريف احمد بن غالب ، وهو السيد الجليل رفيع الجناب ، المترجم في هـذا الكتاب ، ذو الوجـه المبارك والفضل ، الشريف شبير بن مبارك بن فضل إلى حاكم المدينة القائد راشد ، وقال له : دبرنا في هذا الامر فقال القائد اشرفوني على المحل الذي اخذت منه الدراهم ، فاشرفوه عليه ، فما رأى هناك مسلكا ، فقال الهندي : جاءني أمس رجل واشتريت منه سواراً واعطيته ثلاثين احمر ، وكان عندى ابن عمار المشهور بالمدينـة ، واحاديثه بها شهيرة ، فعرف الحاكم ان هـذا استخطاف فسار إلى السيد شبير ، وقال : ان هذا المال عند ابن عمار الشهير ، فاذا لم تلزمه في الحال ، وإلا لم تقع على هذا المال ، فأمر السيد شبير عبيده بالتفيش على ابن عمار ففتشوا عليه في البيت فما وجدوه ، فخرجوا من باب المصري فرأوه فحين وقعت العين على العين ، نزل واختفى في العين ، فاخبروا السيد شبير بذلك فامر عبيد العين بالنزول والتفتيش عليه داخـل العين ، فنزلوا وفتشوا فلم يروا له اثراً ، ولم يسمعوا عنه خبرا ، واختفى عنهم نحو ثمانية ايام ، ثم انه جاء إلى بيت شيخي جلبي من اعيان فقهاء المدينة وقال له : ان هـذا الامر الذي اتهموني به انا بريء منه وطلب منه ان يدفعوه وخصمه إلى الشرع واخبر السيد شبير بذلك فطلب الهندي ودفعه وابن عمار إلى الشرع ، فما ثبت على ابن عمار الوجـه فرده السيد شبير إلى السياسة وقرره باللطف وقال له : لك علي عهد الله تعالى ان هذا الامر لم يظهر فانكر ابن عمار وقال هذه التهمة تشق علي وانا بريء منها ، وأنا رجل اصرف من الغيب فان أراد أعطيه من مالي هذا القدر وزيادة .

فأمر السيد شبير العبيد وضربوه بالسياط ضربا مؤلماً شديداً ، فلما اشتد به الحال ، اقر بأنه الذي اخذ هـذا المال ، فرفعوا عنه العذاب والنكال ، ثم لما اقبل الليل وادبر النهار ، اخذهم ومضى بهم إلى بعض الآبار ، وقال لهم : انزلوا في هـذا المكان ، فنزلوا فوجدوا المال وغيره مما يجل عن البيان ، واخبرهم انه كانت له جنية تتصرف له في كل ما يريد ، والآن له اربعة أيام يطلبها فلم يجدها .

وسمعت ان الشيخ العلامة العجيمي لما رأى كثرة فساده حبسها عنه ، ثم اصبحوا فاستفتوا فيه فأفتى المفتي بقتله فسودوا وجهه بالفحم واركبوه حماراً بالمقلوب وداروا به المدينة إلى بعد العصر ، ثم شنقوه عند باب المصري ، ونهبوا داراه ، فوجدوا عنده خيرات كثيرة من الرخوت والجواهر والبز العظيم الفاخر والملبوس والعبيد والنقد ، ووجدوا عنده فرسين ، فاخذوا الجميع وما ابقوا لأولاده شيئاً ، وكان شنقه ثامن عشر رجب ، فنسأل الله الحماية .

وظهر للناس ان احواله التي اشتهرت سابقاً من دخوله الحجرة الشريفة وغير ذلك انها كانت من حركات الجن ، فان أغوات الحرم النبوي إذا صار بعد صلاة العشاء وخرج الناس من الحرم الشريف يفتشون جميع المسجد ، ثم يغلقون باب الحجرة النبوية وجميع أبواب الحرم النبوي ويمضون بالمفاتيح إلى شيخ الحرم ، فاذا اصبحوا وفتحوا باب الحجرة النبوية يرون ابن عمار داخلها وهو يبكي ويتضرع فيظنون ان هذه ولاية منه وكرامة ، وعظم اعتقادهم فيه بحيث ان الرجل يكون قد اختلى بزوجته فما يفطن إلا وابن عمار ثالثهما فيظنون ان هذه كرامة ، فيفتحون الباب ويخرجونه .

والبنت المخدرة ما تفطن إلا وابن عمار معها في الفراش ، فعندي ان قتل هذا اللعين اللئيم أفضل من قتل مائة من اليهود ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أختلف المفسرون في قوله تعالى (وابيضت عيناه من الحزن) فقال مقاتل : لم يبصر بهما شيئاً ست سنين حتى كشف الله عنه ذلك بقميص يوسف والقائلون بهذا التأويل ، قالوا : الحزن الدائم يوجب البكاء الدائم ، وهو يوجب العمى لان البكاء الدائم يحدث كدورة سواد في العين .

ومنهم من قال : انه ما عمي لكنه صار بحيث انه يدرك ادراكا ضعيفاً .

وقيل : انه ما جفت عيناه عليه السلام من حين فارقه إلى أوان لقائه ، وتلك المدة

ثمانون عاماً . ومنهم من ذهب إلى ان بصره ابيض برؤية الدمع فيه لانه إذا غلب البكاء على البصر كثر الدمع فتصير العين بيضاء بالدمع الذى فيها .

قال الصفدي في كتابه تشنيف السمع في انسكاب الدمع : قد رجح الامام فخر الدين هذا التأويل وحسنه ، ولكنه منقوض بما يأتى بعد ذلك من قوله تعالى (فارتد بصيراً) يدل على انه قد كان عمى .

وروي ان يوسف عليه السلام قال لجبريل عليه السلام : هل لك علم بيعقوب ؟ قال : نعم ، قال : وكيف حزنه ؟ قال : حزن سبعين ثكلى وهى التي لها ولد واحد ومات قال : فهل له في ذلك من اجر ، قال : اجر مائة شهيد ، فان قلت: قال شاعر الحماسة:

وقفت كأنى من وراء زجاجة إلى الدار من فرط الصبابة انظر

فعيناي طوراً يغرقان من البكا فأعشى وطوراً يحسران فابصر

يؤيد ما استحسنه الامام ورجحه لانه قال: إذا نظرت إلى الدار ودموع العين باهتة فيها عشية وكنت كأنى انظر من خلف زجاجة شبة الدمع بالزجاج على عينه فلا ارى شيئاً وإذا انحسرت الدموع عن العين ابصرت .

قلت : تحدر الدمع من العين أما من خوف رقيب يحبسها ، واما ان يكون البكاء تصنعاً كمن يعصر شؤونه ليتباكى فانه يقل ابصاره ويكون اعشى قليل البصر وقد قرىء ، وجاؤا اباهم عشاء يبكون ـ بضم العين ـ جمع اعشى لانهم تصنعوا في البكاء وتكلفوه ، إذ لا حزن عندهم لانهم بلغوا قصدهم بابعاد يوسف عن ابيهم ، وشتان ما بين بكائهم وبكاء ابيهم .

أما النائحة بكراها مثل الحزينة بقلبها ، وفي قوله تعالى (فارتد بصيراً) تنبيه على انه كان قد عمى لانه ارتد على حالة كان على خلافها ، والابصار يخالف العمى ، وينضم الى هذا ما ذهب اليه بعض المفسرين من انه عمى مدة ثمانية سنين وتأويل الآية سياق نظمها يدل على العمى ، وقول يوسف عليه السلام اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يأت بصيراً ، دليل على انه علم بعماه لانه اول ما بادر

الى زوال ماهو عنده عظيم وهو العمى ، وأما انه سير قميصه ليتحدر الدمع من عين ابيه وينفسخ فهذا بعيد عن الذهن اذ ليس بكبير امر ولامهم ، والله اعلم بالصواب وما ألطف ما قيل في اجوبة المراسلة :

فضضت ختامه فوجدت فيه قلائد عنبر نظمت سطورا
فكان كثوب يوسف حين وافى إلى يعقوب عاد به بصيرا

﴿ ترجمة عمدتى ومعتمدى ، وصاحبى ، وابن بلدى ، السيد الجليل ﴾
(الشيخ النبيل ، إبراهيم بن العالم الفاضل ، محمد سعيد المنوفى)

جهبذ الجهابذه ، واستاذ الاساتذه ، النافع بفضله التلامذه ، رئيس الرؤسا ونفيس أهل الكسا ، فاضل اليه الانام بالانامل تشير ، وفي العقل والسياسة نعم المدبر والمشير ، وكريم يدلك كرمه الهاطل على أنه من نخبة آل شبر وشبير .

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والافواه والمقل

عالم نجل علما ، وعظيم نسل عظما

كريم الخال من سلف كريم كنصل السيف وضاح الجبين

لو باحثه المعلم الاول ، لعلم أن ليس له ثان وان عليه المعول ، ولو ناظره أبو الاسود ، لسلم اليه أمور العربية وقلد ، ولو رآه ابن إدريس ، لاوصى اليه بالخلافة في المذهب بلا تدليس ، ولو علم به محمد بن اسماعيل ومسلم بن حجاج ، لأقبلا يختركان من بخارى ونيسابور اليه الفجاج ، ولو رأى رقيق نظمه المهلبي لتلهب قلبه وطار شوقا اليه ، أو طرق سمع الرئيس الحريري أنيق نثره البليغ لنزل من علي مقاماته ووقف سامعاً مطيعا في الخدمة بين يديه ، ولو رآه ابن يعقوب لغدا قاموسه سرابا ولم يحسن بحضرته نطقا ولا خطابا ، ولو عاصره التفتازاني ، والجار بردي لما تصرفا في شيء من التصريف أبدا ، ولعلما أنهما قد صرفا العمر سدا ، ولا غرو فهو من بيت سيادة وعلوم ، ورياسة على العموم .

صغيرهم ككبير في اقتناء علا من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم

ومن أراد يعرف حديث أهل هذا البيت ويحرز أوصافه ، فعليه بترجمة جدهم في كتاب السلافه ، وترجمة إبنه عبد الجواد ، وبقية أهله الاجواد ، فكلهم قد تحلوا بقلائد عقيان هذه الاوصاف ، بلا ريب فى ذلك ولا خلاف .

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وأما الشيخ إبراهيم المترجم في هذه الرحلة ، فهو إمام في سائر فنون العلوم ورحله ، له النظم المزرى بالعقود في جيد الملاح ، الفاعل برقته في العقول فعل الراح ، فمن نظمه الغالي ، وشعره الحالي هذه المزدوجة العجيبة ، المتضمنة لقصة بين فتاة وفتى جميلين ، المودع فيها من ارسال المثل والتضامين ماتقربه العين ، معارضا بها مزدوجة الشيخ الفاضل ، محمد المغربي الاندلسي ، وهذه مزدوجة الشيخ إبراهيم .

حمداً لمن به يليق الحمد وهو العلي في علاه فرد لم يحص نعماه بحصر عبد

له الرجوع واليه القصد وفي رضاه بغيتي وقصدى

وأفضل الصلاة منه تترى على نبي جاءنا بالبشرى والآل والصحب الهداة طرا

يعبق الكون شذاها عطرا ما غردت ورقا بذات الرند

وبعد فاعلم يا أخا الآداب بان قدر الحب للاحباب يجل عن كم وعن حساب

وحده عند ذوي الالباب تعلق النفس ولو بفرد

هذا هو العشق اذا يرام وان يزد فذلك الهيام حتى اذا ما استحكم الغرام

وضلت الألباب والاحلام فذلك الحب وعين الوجد

يبعثه اطلاقه للطرف في كل ممشوق بديع الوصف يجمع مابين البها والظرف

فلم يطق ينفي الهوى أو يخفى ودمعه لما أسر يبدي

ألا ترى للظبية الكحيله ذات البها وذاتها جميله أجفانها مكسورة عليله

مذ أعملت لصيد ظبي حيله رأته وهو راقل في برد

فاظهرت بأنها يتيمه غريبة من حيها يتيمه محتاجة منه إلى تميمه

عساه يـــدري للملاح قيمه ليبلغ السؤل وكل القصد
فمر يهتز إهتزاز الاسل مورد الخد كحيل المقل بطرة منه كليل أليل
وغرة تذل عزم البطل يحسر تيها ثوبه عن زند
وقال ماهذه الغزاله قد وقعت لاشك في حباله فأفلتت كناسها ملاله
وحار فيما رابه وهاله وقام لاحتما لها بجهد
حتى دنا يسألها عن جنسها وماالذي أوحشها من أنسها وكيف قد تنقلت من غرسها
وهي على ما اضمرت في نفسها صامتة كأنها من صلد
فشاقه لما رأى جبينها واظهرت لمكرها انينها وأتبعت دموعها حنينها
حتى إذا صار الفتى رهينها قالت : ترى اهلي دروا ماعندي
هلا صديق من ذوي المعالي يخبر أهلي بالذي جرى لي وانني أصبحت كالخلال
أهيم في شواهق الجبال أواه لو أواه يوما تجدي
فقال مهلا يا ابنة الغزلان مهما أردت اليوم في مكاني من مطعم في الخر الاواني
ومشرب صاف ومن البان وكل ما عز أتى بالنقد
فأظهرت تأوه الموجوع وأرسلت وبلا من الدموع فقال ياذات السنا البديع
ملكت مني رحمة جميعي فلو وهبت الروح قل رفدي
فهل على الركوب منك طاقة وشد لاحتما لها نطاقه فاغتنمت بذلك اعتناقه
وصيرت شعورها أطواقه وبلغت عناق ذاك القد
والنساب كالشبل حوى فريسه لاسيما كهذه النفيسه لطيفة في شكلها أنيسه
يختارها العابد من جليسه وينثني عن عفة وزهد
ولم يقف حتى إستبان داره فسيحة كثيرة الغضاره والليل قد غشاها أستاره
وهي خداعا تشتكي الحراره وتشتفي بلثم ورد الخد
حتى إذا أنزلها وقاما يريد أن يبلغها مراما قالت فديت لا تخف أثاما
إذا شفيت يافتى سقاما فالله لايضيع أجر العبد

قال نعم فما الذي تريدى قالت شفاء قلبي العميد أرشف ماء ثغرك النضيد
وألصق الخدود بالخدود لعل يطفى مامعي من وقد
قال وحق فالق الاصباح وخالق من أحسن الملاح هذافسادي وهو من صلاحي
وما علي اليوم من جناح إذا وفيت صادقا بوعدي
وليس بعدي عنك من تجاف أو عادتى في موعدي اخلافي وانما يمنعنى عفافي
عن رشف مافيك الرحيق الصافي ولو علمت انه من شهد
فما الذي يشفيك من وصالي قالت عناق قدك العسال وبلغة من ريقك السلسال
أهنى على قلبي من الزلال يا فرحتي ان تم ذا وسعدي
هذا وانى زاد بي تلافي وليس غير الوصل من تلافي وحق ما يعلم كل خافي
ومن حباني رقة الاطراف ما حلت عن ودك يا ابن ودي
ولم تزل تخلبه بمكرها وتستميل طبعه بسحرها حتى دنا ثم إستوى في حجرها
وصار منه الصدر فوق صدرها نزحه رمانة من نهد
أحس منها خفقان قلبها وانها قد ذهلت عن لبها ونفسه قد علقت بحبها
فقال : خود بضة من لي بها انى أراها فى الشباب ندى
ظفرتها وهكذا الدهر صدف فكيف بي أسلمها إلى التلف وان بي كما بها من الشغف
وما الغبي في الهوى كمن عرف وكم أعيش في القفار وحدي
فأيقنت لما رأته رقا ان الهوى ستر حجاه شقا قد عرف الحب وذاق العشقا
وعلق الصبر بريش المنقا وربما قرب العليل يعدي
قالت تنح أيها المحب فان جسمي كالحرير رطب وليس لي إلا المدام طب
فقم بنا ان كنت تحوى تصبو فانها من شرب اهل الخلد
الحب لهو واطراح ودعه وفى إحتساء الراح كم من منفعه فان تدع فها أنا مودعه
وان تذق فاشرب كؤسا اربعه من خمرة قديمة فى العهد
ما الوصل إلا بعد شرب الراح تتابع الغبوق باصطباح وتعتنق ظامية الوشاح

وتعرف الشح من السماح لا سيما إذا خلت من ضد
وانطلقت تجر ذيل فخرها قد طبق الدار شميم نشرها وقام يسعى مطرقا في أثرها
قد صار في احبولة من نكرها ولم يبين هزلها من جد
فأقسمت بمنطق الحمامه ومن أظل المصطفى الغمامه ان لم يقم ليشرب المدامه
ويجعل العشق له علامه لأسقيه علقما من صدى
قال أجل والله ماخفت احد ان لم تعودي ويزول ذا النكد لارفع الامر إلى قاضي البلد
فليس لي على الفراق من جلد ولا أطيق ساعة من بعد
فطال مابينهما الشجار وطار من قولهما الشرار حتى جلا وجه السما الاصفار
قاما وما لديهما شمار يختصمان كاختصام اللد
وهي تقول قف اليك عني فلست منك بل ولست مني ان كنت تهوى رقتي وحسني
فلا ترح نفسك بالتمني واصبر على تجني وردي
شأن المحب أن يطيع حبه اذا درى حقيقة المحبه ويرتضى هينه وصعبه
ولم يطل ملامه وعتبه ان كان يشفيه الهوى أو يردى
ولم يزالا واقفين ساعه إذ مر ركب من ذوي البضاعه فأقسما ان يقصدا الجماعه
ويخلعا المجون والخلاعه ويرضيا بحكم أهل الرشد
عسى لعل الله يقضي بالمنى ويصرف الاكدار عنا والعنا يلهمنا شخصا رؤفا متقنا
نرضى بما قال علينا أو لنا ولا نقابل قوله برد
والركب قد طووا مهامه الفلا فأدركا شيخاً كبيراً نزلا كي يستريح ساعة فاعجلا
يناديان قف لنا حينا فلا عن وقفة قليلة من بد
فالتفت الشيخ ولم يدر الخبر وظن ان الشمس جاءت بالقمر ولم يحقق فيهما صدق النظر
من نور حسن كاد يخطف البصر وقال هذا اليوم يوم سعد
يا مرحباً بالقمرين مرحبا سبحان من أولاكما هذا الحبا ماذا تريدان وماذا تطلبا؟
ذكرتماني بشبابي والصبا سقياً له من معهد وعهد

أراكما والله ادرى بالخفا كلا كما من الهوى على شفا كلا أراه يشتكى تعسفا
فان اقر بالصحيح او نفى ان الضنا علامة للوجد
فابتدرا والمهجتان في قلق وهو يقول انما الحق احق أإن اطاع العبد مولاه فسق
واليد لاتقطع إلا ان سرق مع هتكه للحرز بالتعدي
قالت اليك يا مليح الدل ما مثلك اليوم بداعي مثلي أنت الذي سرقت منى عقلي
فلا محيص عن مقال عدل يقضى على الجاني ولو بالحد
قال اسمعا كل يوفي حقه ان كنت انت أو هي المحقه لايحرم الله الضعيف رزقه
قد قدر الأجر على المشقه والله حيث كان ظن العبد
أ ان حكمت مخطئاً رضيتما ولو بظلم واضح علمتما قالا نعم انت اخو الحق فما
تميل عنه فاتق الله كما يرضى وقل مقالة الأسد
فقال أنواع الهوى فنوني اسهرت في تحقيقها عيونى والامر مبنى على السكون
فاوضحا دفائن الشجون ليس الذي يهزل كالمجد
ايكما ذا المدعى عليه فلا يفه مالم اشر اليه والمدعى يبدي الذي لديه
ويظهر الصحيح من جنبيه ثم احفظا ما تسمعان عندي
فابتدات تقول يامن يدرى حقائق الامور ان امرى عشقته والعشق شأن الحر
لاحب إلا مايكون قهرى وهو معي كالغلق المنسد
يمر بى مجنبا تياها ولم يخف فيما جناه الله وحالتي ياصاح لو تراها
هائلة يرثى لها عداها يشيب منها الطفل جوف المهد
يرخي على تليله ذوائبا فيترك القلب العميد ذائباً وكم وكم قطب عنى حاجبا
احسبه من لوعتي محاربا بسيف لحظ مصلت من غمد
وكان ذاك السقم من جفنيه هو الذي اوقعني لديه ولو رايت السحر من عينيه
وحمرة تنشأ من خديه عذرت دمعي إذجرى في خدي
وعارض كأنه يسيل وخده المورد الاسيل اما اللمى فذاك سلسبيل

وظلمه ظلم نهى المذول عنه وقال فيه طعم الشهد
وعنق اتلع كالكافور يشف عن مار في الحنجور والصدر من صفائح البلور
والخصر لا ينبيك كالخبير حاشاه في نحوله من قد
وجسمه مثل الزلال الصافي وفيه من تناسب الاطراف واحسن الصفات والاوصاف
مالم تقف فيه على خلاف ولم تطق احصاءه بعد
فكيف بي اترك عشق الربرب من حاز طرف الترك بين العرب وهو الذي يصدني عن مأربي
حتى اطال لوعتي وحربي ينام عني وانا في سهدي
اليس قد درى بفرط عشقي فيه وانى صرت ذات حق وهو شهير بالذكا والحذق
فلم يعاملني ببعض رفق ولم يساعدني عليه جدي
ولم تزل اخلاقه ولم ازل اشتاقه وعادة النفس العجل وقلت للقلب اليس في المثل
ان مت عطشانا فلا قطر نزل وبالدها يكون صيد الاسد
فساقه إلي مبرم القضا وجاءني عن غير طوع ورضا وكنت ملقاة اهيم في الفضا
فظن غير الشوق اشكو مرضا كأنه من حكماء الهند
اما لأمر ماغدا قصير يجدع انفا منه يا بصير والحزم سوء الظن يا خبير
هلا يرى ان الهوى يدور وقيل في ايامنا ستبدي
فحن لي حنو ام لولد ولم يكن له الوقوع في خلد ونلت مالم يحوه منه احد
حتى اتى بي داره من بعد كد كانها بعض قصور الخلد
وكان ما كان من التلاقي تمزق الهم يد العناق تحسدنا النجوم في الآفاق
وامتزج الوفاء بالوفاق وكان ذاك بغيتي وقصدي
بثثته عشقي له وحالي وكل مر ذقته وحالي وبات بي مغتنما وصالي
يا ليلة كانت من الليالي فريدة كالخال فوق الخد
وبت اشكوه النوى وهجره وهو على رفق يبين عذره فلو ترى وللقا مسره
كان قران المشترى والزهره فهل رأيت هكذا من سعد

وكلما قبلته يفتر عن مبسم يخجل منه الدر فشاق قلبي ان تدار الخمر
ما بيننا وكان ذاك الامر أصل الخصام وانقطاع الود
أنا الذي جلبته لأنسه لامن يقود خله لحبسه فما أطاع غير أمر نفسه
وظن أني طوعه في حدسه وسامني من داره بالطرد
فرحت والله بسري أدري أعنه اسلو أم اطيق صبرا ولم أقابله بهجري هجرا
رب الجمال بالجميل احري وجاز بالقبيح كل وغد
أتركه للراح من عفاف ونهبه الارواح من انصاف وهو الذي كمل في الاوصاف
وطبعه كالجوهر الشفاف أحق ان يشرب بها عن عمد
فما ترى في أمرنا ياقاضي احكم بحق ودع التغاضي لاتخش من لحاظه المواضي
قد وقع الاقرار بالتراضي وكلنا عن ذاك لا نعدي
فالتفت القاضي بكل للفتى كانه مما ادعته بهتا وقال يامن حسنه قد نعتا
هل كل ماتذكره منك أتى أم افترت فيما ادعت فأبدي
بح بالذي اضمرت في الفؤاد ليعقد الحكم على سداد لا يثبت البنا على فساد
وشاهد الاعدام في الايجاد والكتم ضرب من ضروب الحقد
فاندفع الفتى يقول سمعا لما أمرت فأعرني سمعا ما كنت في هذا الغرام بدعا
أمثل ذاتي تستحق المنعا ظلما وتبلى بالهوان المردى
ياأيها القاضي ومن أنشاني غضارها في روضة الجنان وخصني بالحسن والاحسان
لولا هواها لم تكن ترآني في ذلة كانني أستجدي
وانما من محن الزمان تحكم النساء في الفتيان اصل وقوعي يا اخا العرفان
كعادتي غدوت من مكاني أطلب صيداً من ظباء نجد
ولم أكن قدماً عرفت الحبا وليس لي غير القفار مربا فساقني لها القضاء غصبا
وهي تطيل نوحها والندبا وتشتكي حر النوى والبعد
تقول يامن يستجيب للدعا أدرك فتاة قلبها قد صدعا واسع لانقاذ صريع صرعا

فليس للإنسان إلا ماسعى وسوف تجزى بالثنا والحمد
فمذ رأيت دمع عينيها همى رحمتها وكنت عبداً مسلما ولم أخل يعطب من قد أسلما
وصنتها من الهجير والظما لا جرأة مني ولا تعدى
وقلت لا أتركها تفنى سدى فانها لم تلق غيرى أحداً ولم تجد من الورى ملتحدا
وقمت لاحتمالها مجتهداً مغتنما للاجر فيما أسدي
فاظهرت لي انها مشتاقة لغصن قدي تشتهى اعتناقه وورد خدي تبتغي انتشاقه
ومالها في غير ذا علاقة واستعطفتني فاستمالت قدي
وحق من أنشأ قدي غصنا ومقلتي من الفتور وسنا وقد كساني بهجة وحسنا
لو خلت ان القصد هذا المعنى لما احتملت غاية في الكد
فضاجعت من قامتي عسالا وارتشفت من ريقتي سلسالا وبلغت فؤادها الآمالا
وبات كل يجتني وصالا عار من العار حليف مجد
حتى اذا طال بنا العناق وقلبها كفرطها خفاق تحننا عراني الاشفاق
وآسرت فؤادي الاشواق وكان ذا مني بغير قصد
فهمت مذ فهمت معنى الحب وأصبح الايجاب عين السلب وبت في طيب وطيب قرب
تبثنا اخبارها وتنبي ليس لنا من ثالث أو ضد
وحدثت عن خدها الشقيق عن ثغرها الدري عن العقيق ونهدها يرويه بالتحقيق
معنعناً عن خصرها الدقيق عن غصن عن الكثيب الفرد
حب الجمال شيمة الاحرار قد أسند الثقات في الآثار ان المحب ان خلا عن عار
مع عفة والكتم للاسرار مات شهيداً وثوى في الخلد
وتم ذاك الليل في لمح البصر قد خص من بين الليالي بالقصر وأقسمت ان البها في الخضر
وان من خدي المدام تعتصر تكاد ان تشربها من خدي
وافرطت تهذي بمدح الراح وانها روح من الارواح تقول لي ياحسن الملاح
هل لك في الاحداق والاقداح كالجمع بين نرجس وورد

ولم اكن قدماشربت الخمرا ولاانتشيت مذنشأت سكرا قلت لهاقد جئت شيئاً نكرا

يا هـذه ورمت امراً امرا شرب المـدام قيل شيء يردى

انى فتى ربيت في الفقار يطربني التشبيب بالزمار وصادحات الورق فى الاسحار

لا اعرف الخمر من الخمار بل محض در اونق شهد

فأعرضت عني وولت صفحا وما رات لما جنيت صفحا واندفعت تقول يامن اضحى

يطلب من ليل الغرام صبحا عـد من الامر المحال عدى

فاشتد بي منها الحياء والخجل وصرت في خوف وذعر ووجل وقلت ان خبت فقد حان الاجل

وحق من في ملـكه عز وجل لبعدها امر شيء عندي

وانصرفت عني برغم انني وكان منها الصدق غير الخلف وقلت ان ابدى الرضى واخفى

لابد ان اسعى ولو لحتفى فما ارى غير اللحوق مجدي

وافلتت كالظبي فرمن يدى واشعلت نار الهوى في كبدي فانهل دمعى وعصانى جلدي

ولا مقام مع زئير الاسد ان الغرام ماله من حد

ولم ازل اتبعها واقتفى آثارها كالسائل المستعطف وكلما اهتزت بقد اهيف

تشب ناراً ما اراها تنطفى الا إذا امسيت تحت اللحد

اهكذا من عادة الاحبه وهذه قواعد المحبه تبين لي قبل الوقوع رغبه

حتى رات مدامعي منصبه ولت وخلت نارها في كبدي

يا حبذا ان كان فعل الحسنى يجيء من صنع فتاة حسنا وليس بالعار على المعنى

إذا ترجى العطف او تمنى وذلـ حتى صار دون العبد

فأعجب القاضى وقال مهلا ياذا الفتى مارمت امراً سهلا هلا ائتمرت كيف شاءت هلا

فأرسل الدمع حيا منهلا وقال وا حزني وطول بعدي

ان الفتاة اذهلت حجاه اني ارى مالم اكن اراه اراه فيها شخصت عيناه

وا أسفا يا قلب وا شوقاه ان ضل قاضينا بمن نستهدي

من ينكر الظلم إذا القاضي شهد ومجلس الحكم لديه قد عقد قال اسمعا طول الكلام لم يفد

الليل حبلى ليس يدري ما تلد رب انقطاع كان أصل الود
أنى وان كنت حليف الاهوا في كل مكحول اللحاظ أحوى وعالم السر معا والنجوى
كلا كما عندي سوا في الدعوى وأنما كمقلتي عندي
ان تقبل الحق فأنت الجاني لكونك اغتريت بالاماني هلا كتمت الحب ياذا اللعاني
ونلت منها السؤل والتهاني سيان ان تخف الهوى أو تبدي
أنت الذي ابديت منك السرا فاحكمت فيك الوثاق أسرا ثم ابتلتك تستبين الخبرا
فلم تطعها بل نبذت الامرا وجئتها كالظالم المستعدي
فكيف لو رامت بذا تنفيرا أمظهر انت لها تغييرا بل كان حق تقبل التأميرا
ان لم تكن هاد فكن مشيرا فليس من يهدى كمن لا يهدي
لو كنت ياذا الذوق واللطافه لما دعتك تشرب السلافه لم تظهر الروع ولا المخافه
فانها تخالف القياقه في شكلك المزرى بعزم الاسد
نعم وان كان الهوى يذل أليس ان الخمر منها الخل وشربه في شرعنا يحل
وكان تأويل اليمين يحلو في مثل هذا الامر ثم يجدى
أنى رويت خبراً محققا عن الصبا ترويه عن قضب النقا عن الهزار مذعلاها ورقى
أى محب من حبيب اشفقا وخاف من هول النوى المشتد
فليصبرن صبر الحديد للهب وليقبل النحاس في ضمن الذهب مع امتثال وخضوع وأدب
مستقبلا حبيبه بما احب فانه ارجى لنيل القصد
وثم في ثغرك خمر حلت وعن سلاف الخندريس جلت فلو بذا أولتها لانحلت
عقدة حنث للحجى أضلت وكنت في ذاك حليف رشد
وانت ياذات الجمال المفرد وقامة الغصن الرطيب الأملد قد لاح لي وجه الصواب فاهتدى
واستمعي لقول شيخ مرشد والصلح خير للرشاد يهدى
فأرشفيه من رحيق الثغر والكاس من خدك ذا المحمر فانه بما حوى من سر
يفعل ما يفعل صرف الخمر وليس للهجران من مؤدى

ان الفتى من ذنبه قد تابا ومن عظيم وزره أنابا حتى إستحق الفضل والثوابا
لاسيما والقلب منه ذابا وحسبه ماقد لقى من صد
فابتسمت عن لؤلؤ نقي وأقبلت بقامة الخطى تقول حيث قد رمى بالعي
واتضح الجاني من البري ولم يشب ذنوبه بالجحد
فربما عفوت عنه فضلا مني وايلاء الجميل اولى ان يستحق ماذكرت أو لا
فانه قاسى عنا وهولا وصار مني تحت طوع اليد
لعل رب العرش ان يرحمنى ومن جزيل فضله يشملنى كما بحسن الخلق قد أفردني
والحسن شيء ماله من ثمن قد خصني به الكريم وحدى
وشيخنا بلحظه يشير إلى الفتى كأنه قطمير وهو يكاد لوعة يطير
يقول ان خالقي خبير يعلم اني لست بالمرتد
فاخذ الشيخ يد الظبيين وقابل الخدين بالخدين وقال يا روحي ونور عينى
كلا كما لدي مثل ذين بقيتما في طيب عيش رغد
خذها اليك يا شقيق البدر غزالة جديرة بالفخر تغنيك عن زيد يرى أوعمرو
فاغنم بها يا صاح طيب العمر لا زلتما في عمر ممتد
وها أنا على الرحيل مزمع كلا كما لربنا استودع وانصرف القاضى مجداً يسرع
لمحله بقومه يجتمع ويحمد الله أتم الحمد
وكان هذا غرر الارجوزه قد كملت ألفاظها الوجيزه واصبحت فريدة عزيزه
تحكى بما قد طرزت تطريزه لآلئاً قد نظمت في عقد
عدتها حسن به النظم حبى وجاء في عام سعيد طيب تاريخها في شطر بيت معجب
أرجوزة تحوي حميد الادب ختامها الصلاة تغشى المهدي

وقوله مستجيراً بسيد الرسل الكرام ، عليه وآله الصلاة والسلام وهي :

منقذي من صروف دهر عبوس ومجيري من كل هم وبوس

ورجائي وان تعاظم ذنبي ومحت ظلمة الخطايا شموسى
لا تكلنى إلى سواك فانى أينعت في ربى رجاك غروسى
سوف ألقاك حبذا من لقاء أنت انسى من وحشتي في رموسى
يامجلى الكروب قد ضاق ذرعي واصطباري من حظي المطموس
لا ارجى لكشف غمى إلاك ولا عطرتم بعد عروس
هايدى يا كريم ترجو عطا ياك فجدلى بكل نيل نفيس
وأجرني من وصمة الذنب وارحم نفس حر رمته أيدى النحوس
وأغثنى فقد علمت مرامي أنت ادرى بكل مافي النفوس
يا غياث الصريخ ياحسن الصنع بلطف من فضله محسوس
شافعي عندك المشفع طه خير داع لحضرة القدوس
يا شفيع العصاة دعوة صب جرعته الهموم أي كؤوس
من لها من لها إذا اشتد كرب وتساوى الرئيس بالمرؤس
يا نبي الهدى إستغاثة ملهوف توالت عليه أنواع يوس
يا نبي الهدى استجارة عبد بك يرجو الملو بعد النكوس
دعوة من مقصر جاءك اليوم وشكواه فوق مافي الطروس
كيف طيب المقام حيث جفانى صاحبي واستقال مني جليسى
وتمادى علي جور زمان بوجوه التنكير والتعبيس
يازمانا بغى علي ونادى حمى اليوم يافلان وطيسى
ولعمري ما كنت كفؤا للقياه وليس الكفاح للمرموس
أنا بالله قد وثقت مجيرا وبطه ادرعت خير لبوس

وقوله متغزلا :

أنافي هواك على الرضى مرهون أمر مضى او مقبل سيكون
اشتاق ان تشتاق شبهي كى ترى انى لعهدك ما حييت اصون

وبمهجتي منك التفاتة شيق يوم الوداع وقد عرتك شجون
اشخصت طرفك بي وبي حرق الجوى في موقف شخصت اليه عيون
ولكل من علق الهوى بفؤاده دمع يجود وخاطر محزون
اسفى وما اسفى عليك بنافع انى بحفظى ما اذعت ضنين
أأروم مايئس الورى من نيله ولوت عليه خواطر وظنون
سيان فيك مضيع ومضيع وأمين سر كاتم وخؤون
لا انت ترضى بالدنو ولا أنا ارضى السلو ولا اراك تلين
يا قلبه انا فيك خنساء الهوى او انت ليلى ها انا مجنون
ويهون بى الاهوان ملامة ونصيحة غش بها مدفون
تسفيه اراء وهجنة قالة وصريح جد قد طواه مجون
امن الهدى طلب النجاة من القضا والكاف قد سبقت به والنون
هذى ظعونهم تقل هوادجا حور العيون بها وحور عين
من كل مدعوس البنان تجمعت للحسن فيه غرائب وفنون
روح تجسد فهو نور بين تحت الحجاب وجوهر مكنون
في حبه يحلو التهتك والضنى والصبر يترك والدموع تهون
حياهم وسقى معاهد حيهم صوب الحيا مغدودق وهتون
حيث القصور لها ضياء والطيور لها غناء والمياه عيون
أقضى ولا أقضى بها أربا وان أربى علي الوجد فهو شؤن
ولئن بذلت لآليا من أدمعى ان الثغور لها علي ديون

وقوله بالتماس بعض الاصدقاء مشجراً :

نعم الهوى فيك ما قلبي يعانيه يامن تدق على فكري معانيه
أنت الزلال الذي تحيا النفوس به وكيف لا وحياة الروح في فيه
صورت في قالب الحسن البديع فلا يروق للطرف شيء لست تحويه

رشاقة القد مع لين القوام مع الطرف الكحيل وحسن الظرف والتيه

بدر تعير شمس الافق طلعته والغصن يفضحه منه تثنيه
نواعم الخز تدمى جسمه واذا أنصفته فلطيف الوهم يؤذيه
أرق من نفس المضنى بعشقته حاشاه من عيب تمثيل وتشبيه
حد البلاغة في تعريف جملته ان المحاسن شتى جمعت فيه
ماالبدر ماالظبي ماالغصن الرطيب وما يجوز انا بشيء قط نحكيه
دع كل شيء تجد في وصفه عوضا عنه ولا عوض عنه ترجيه

وقوله معمياً في موسى :

يا عاذلا فض ربه فاه يعذل صبا لم يبد بلواه
رآه في العشق والهاً فغدا يسوم قلبا له بسلواه

وله ملغزاً في حبحب :

ما اسم إذا ضعفته رأيته إسماً مفردا
أربعة حروفه إذا أردت العددا
وأصله أسس من حرفين لاخفت الردا

وقوله مقتبساً :

جملت براق فكرى لاشتياقى ركوبا للسرى فأتى بجهده
وزرتك في الدجى ورجعت حالا فسبحان الذي أسرى بعبده

وله في مليح في خده خالان :

خالان في خد نور عيني كلاهما للعقول أعيا
يموت قلبي بذا وهذا اذا رآه الفؤاد يحيا

وله في فتى خاله على شاربه مجاوبا للشيخ عبد الرحمن الوزير :

أشرب قلبي حب هذا الفتى فتاه اعراضا على طالبه
وقال ماذاق رضا بى امرؤ لقد عرفنا المسك من شاربه

أملى عليّ النسيم يوما حديث تلك الربى وصحح
قلت له وارو عن فؤادي فقال لم أرو عن مجرح

وله هذا الحميني معارضا ، مورد الخدين يامن نشر ، لابن عمي السيد رضى الدين المتقدم ذكر ترجمته وهو :

عرض بذكرى في حديث السمر يا سعد فالمعروف يذكـــر
للاحوم الاحوى مير القمر الاغيد المكحول الاحور
يعيد في المشتاق حسن النظر ما حقه يابدر يهجـــر
قل هكذا تترك محبك هدر وتسلبه لبه وتسحر
لو كان قلبي من حجر لانفجر وكيف يصبر ان تصبر
مصيبتي في الحب احدى الكبر يا منيتي الله أكبر
أغراك من ان قال قولا فجر وصور الدعوى وزور
جرب فديتك هل لقوله أثر ان خاطرك منه مؤثر
وعد ليقضى زيد حبك وطر وقتك صفا دع ما تكدر
روحي جبالك ان تشا أو تذر على كلا الحالين اعذر

وله موالى :

يانور عيني اليمين أوحشتنى يومين ولا رأيناك إلا لمحة بالعين
فبا لذي خص وجهك بالبها والزين اقض ديون الهوى ان كنت توفي الدين

﴿ غريبة ﴾

من (الفرائد المنظمة في أخبار مكة المعظمة) لابن حجر الهيتمي في سنة ٨٢٥ دخل جمل بمكة المشرفة الى المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت حتى كمل ثلاثة أسابيع والناس يريدون إمساكه فلم يقدروا على امساكه وكان إذا دنا منه إنسان دقه بفيه فلما قضى الثلاث الأسابيع قال الناس لبعضهم اتركوه فجاء الى الحجر

الاسود وقبله بفيه ساعة ثم ذهب الى تجاه الميزاب فبرك عنده وبكى ساعة وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى الصفا ودفنوه هناك انتهى .

صورة كتاب يعقوب الى يوسف على نبينا وعليهما السلام ، من يعقوب إسرائيل الله ، ابن اسحاق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله ، الى عزيز مصر ، أمابعد ! فانا أهل بيت موكل بنا البلاء ، أما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمي فى النار ليحترق فنجاه الله ، وكانت النار عليه برداً وسلاما ، وأما أبى فوضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم ، وأما أنا فكان لي ابن وكان احب أولادي إلي فذهب مع اخوته الي البرية ، ثم أتونى بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ، ثم كان لي ابن وكان أخاه من امه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وأنت حبسته لذلك وانا أهل بيت لانسرق ولا نلد سارقا فان رددته الي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام .

قال في (الكشاف) فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وبكى وكتب في الجواب اصبر كما صبروا ، تظفر كما ظفروا .

وكتب النجاشي : ملك الحبشة كتابا الى الحضرة النبوية المحمدية الصفوية فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام ياعلي أجب وأوجز فكتب : أما بعد كانك في الرقة علينا منا وكأنا من الثقة بك منك فانا لانرجو منك شيئا إلا نلنا ، ولا نخاف منك أمراً إلا أمنا وبالله التوفيق ، فقال النبي ﷺ الحمد لله الذي جعل من أهل بيتي مثلك وشد أزري بك .

صورة شرط لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : اشترى شريح داراً وأشهد شهوداً وكتب كتابا فبلغ ذلك علي بن أبى طالب فقال ياشريح اشتريت داراً قال نعم قال وأشهدت شهوداً قال نعم قال وكتبت كتابا قال نعم قال احذر أن يكون من غير مالك ووزنت مالا من غير حل وسوف يأتيك من لاينظر في بيتك

ولا يسألك عن كتابك ويزعجك عنها فتكون قد خسرت الدارين دار الدنياودار الآخرة ولو انك حين أردت شراء الدار أو احد أراد شراء دار وجاءني كنت اكتب له كتابا أزهد فيه البائع المغرور والمشتري الفاني فقال شريح وما كنت تكتب ياأمير المؤمنين؟ قال كنت أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا مااشتري عبد ذليل ، من ميت قد أزعج بالرحيل ، اشترى داراً من دور الآفات ، من الجانب الفاني من عسكر الهالكين ومجمع الغافلين ، يجمع هذه الدار حدود اربعة ، فالاول ينتهى إلى نهش الآفات ، والثاني ينتهى الى عظيم المصيبات ، والثالث ينتهي الى كثرة الغفلات ، والرابع ينتهي الى الشيطان المغوى والهوى الموقع في التهلكات ، واليه يشرع باب هذه الدار التي اشتراها هذا المزعوج بالاجل ، من هذا المغرور بالامل ، فما أدرك مشترى هذه الدار فعلى مبلبل الاجسام ، وقاصم الجبابرة العظام ، مثل تبع وحمير ، وكسرى وقيصر ، ماأوضح الحق لذي عينين ، ان الرحيل هو أحد اليومين .

قلت : ليت شعري كيف يغتر بالدنيا ، وزينتها الدنيا ، من يسمع مثل هذا الكلام ، من مثل علي عليه السلام .

وكتب حاكم قلعة الموت علاء الدين بن الكيا ، وقال ابن خلكان انه أبو الحسين الحسن بن سنان بن محمد بن راشد رئيس الحشيشية أصحاب قلعة الموت المذكورة الى صاحب الشام نور الدين بن زنكي المعروف بالشهيد في جواب كتابه الذي كتبه له وتهدده فيه باستئصال قلاعه بسبب اقتضى ذلك :

قل للذي بقراع السيف هددني ... لا قام مصرع جنبي حين يصرعه
يا للرجال لامر هال مقطعه ... ما مر قط على سمعي توقعه
قام الحمام الى البازي يروعه ... واستيقظت لاسود البر أضبعه
أضحى يسد فم الافعى بأصبعه ... يكفيه ماقد تلاقى منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله ، وما هددنا به من قوله وعمله ، فيا لله العجب من ذبابة تطن باذن فيل ومن بعوضة تعدّ في التماثيل ، ولقد قالها قبلك قوم آخرون ؛

فدمرنا عليهم ما كانوا يصنعون ، أفللباطل تظهرون ، وللحق تذحرون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ولئن صدق قولك فى قطعك لراسي ، وقلعك قلاعنا من الجبال الرواسى ، فتلك أمانى كاذبة ، وخيالات غير صائبة ، وهيهات لاتزول الجواهر بالاعراض ، كما لاتزول الاجسام بالامراض ، كم بين قوي وضعيف ودنى وشريف ، ولئن رجعنا الى الظواهر والمنقولات ، وتركنا البواطن والمعقولات لنخاطب الناس على قدر عقولهم ، فلنا فى رسول الله أسوة حسنة ، لقوله ماأوذى نبى بمثل ماأوذيت ، وقد علمتم ماجرى على أهل بيته وعترته ، وصحابته وشيعته ، والحال ماحال ، والامر مازال ، فلله الحمد فى الآخرة والاولى ، اذ نحن مظلومون لاظالمون ، ومغصوبون لاغاصبون ، فاذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، وقدعلمتم صورة حالنا ، وكيفية رجالنا ومايتمنونه من الفوت ، ويتقربون به الى حياض الموت ، قل فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ؛ ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين .

وفي أمثال العامة السائرة (أو للبط ، تهدد بالشط) ، فالبس للرزايا أثوابا ، وتجلبب للبلاء جلبابا ، فلأرسلنهم فيكِ منك ، ولآخذن بهم عنك ، فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه ، وما ذلك على الله بعزيز ، واذا قرأت كتابنا هذا فكن لامرنا بالمرصاد ، ومن حالك على اقتصاد ، واقرأ أول النحل وآخر صاد ، ولتعلمن نبأه بعد حين .

قلت : ماأظن نورالدين بعد سماع هذه الرسالة إلايصيبه داء الفالج ، وتضيق في وجهه المناهج ، ورب كلام ، أحد من كلام ، وهؤلاء الحشيشية فرقة من الاسماعيلية ، وهم أهل قلعة ألموت بفتح الهمزة واسكان اللام وضم الميم واسكان الواو ثم التاء المثناة الفوقية وهي من بلاد العجم مجاورة لبلاد الديلم وهم اصحاب قوة وشجاعة مفرطة فمتى رئيسهم ارسل واحداً منهم فيتزيا بزي طبيب أو منجم أو صاحب كيميا ويسير الى من يريد اغتياله من الملوك واذا أمكنته الفرصة قتله

فان سلم عاد وان اهلك سلم الرئيس ديته لولده ولا يستحلون مخالفة الرئيس ، ولو كان في الامر ذهاب العمر النفيس ، وان تمنع أحدهم من أمر رئيسهم قتله أهله وعظمت منهم مخافة الملوك من سنة ستمائة وخمس وخمسين ببلاد العجم والعراق والشام والمغرب وربما استهدى بعض الملوك من صاحب ألموت بعضهم اذا أراد اغتيال ملك آخر ، ومن قتلاهم الآمر باحكام الله صاحب مصر ونظام الملك وزير ملكشاه وخلائق من الاكابر ، وكان منهم بقلاع ساحل الشام عالم كثير والله اعلم .

وكتب سلطان بن سيف ملك عمان الى الامام المتوكل على الله اسماعيل بن المنصور بالله القاسم بن محمد امام اليمن : بسم الله الرحمن الرحيم ، من امام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك بن أبي العرب اليعربي ، الى عالي جناب ذروة الامام المعظم ، الهمام المكرم ، المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم القرشي العربي ، أما بعد فانا نحمد الله على سوابغ آلائه ، ونشكره على جميل صنعه وايلائه ونسترشده الى سلوك سبيل رضائه ، ونستزيده من خزائن مواهبه وعطائه ، انه بيده مفتاح كل خير ، ودفع كل بؤس وضير ، وان سألت أيها المحب عنا ، ورمت كنه حقيقة الحال منا ، فانا بحمد الله في حال يسر منها الودود ، ويساء منها الحسود ، ثم لتعلم أيها الملك المبجل ، والسيد المجال ، انه قد وصل الينا من مدة أيام تصرمت ، وشهور تخرمت رجل من جنابكم ، يزعم أنكم ارسلتموه بطروس فيها درر من رائق لفظكم وخطابكم ، فادرك الطروس المصدرة حكم التلف ، بيد أنه قد تناهى لنا من نتايج لسانه ، واتضح لنا من واضح نطقه وبيانه ، انكم علينا عاتبون ، ومنا واجدون ، لاجل قطع خدامنا في العام الماضي المشركين على بابكم ، وأخذ سفنهم القاصدة الى جنابكم ، ولعمري انا ندري ان العتاب بين الاخلاء عنوان المودة الخالصة والصفا ، ورائد لحظة المحبة الصادقة والوفا ، خلا انه يجب عن اقتراف المآثم ، وارتكاب المحارم ، وأما نحن فلم نسلك لذلك سبيلا ، ولا تجد على الزامنا الحجة دليلا ، حيث انا لم نجهز مراكبنا ، ونشد مخالبنا ، لسيارة رعيتك ، ولا

لاستباحة أهل حكمك وقبضتك ، ولكن جهزنا الجيوش والعساكر ، وأعددنا اللهازم والبواتر ، لتدمير عبدة الاوثان ، وأعداء الملك الديان ، تعرضا منا لثواب رب العالمين ، واحياء لسنة سيد المرسلين ورغبة في ادراك فضل الصابرين المجاهدين ، وحاشا لمثلك ان يغضب لقتال عبدة الاصنام أعداء الله والاسلام ، ألست من سلالة ابن أبي طالب الساقي المشركين وبي الشارب ، وقد عرفت ماجري بيننا وبينهم في ساحل عمان ، وفي سائر الاماكن والبلدان ، من سفك الدماء والقتال وتناهب الارواح والاموال ، وانا لنأخذهم في كل محل نحل به مراكبهم وتغشاه حتى من كنبج وجيرون بلدى الشاه ، ولم يظهر لنا من ذلك عتابا ولا نكيرا ، وان كنت في شك فاسأل به خبيرا ، ألا وانا نذكرك أيها الملك والذكرى تنفع المؤمنين ، وانا لك من المنذرين ، وعليك من الحذرين ، انا لما ملكنا تلك الايام بلدة ظفار وكانت عنا نازحة القيافي والقفار ، لم نر في تملكها اصلاحا لشيء أوجبه النظر ، وحاكته منا الاذهان والفكر ، وساعة خرج منها عاملنا خلف بها شيئاً من مدافع المسلمين ، لغفلة جرت منه في ذلك الحين ، ولما ان ملكتم زمام عيسها واجتلوتم ضوء بدورها وشموسها ، لم تدفعوا لنا تلك المدافع ، فاعلم أيها الملك ان البعل غيور والليث هصور ، والحر على الاهانة غير صبور ، ومن انذر ، فقد اعذر ، وما عذر من حذر على انا لصلاح ذات بيننا وبينك طالبون ، وفي استيفاء صحبتك راغبون ، ولاطفاء الفتن واخماد الاحن مؤثرون ، فان كنت راغباً في الذي فيه رغبنا ، وطالبا لما له طلبنا ، فادفع لك الخير لنا اياها ، ولا تحتسي جرعة الاغب حمياها ، وان ابيت الاالميل لاغتنامها ، وهان على نفسك خبط ظلامها ، فبالاستعانة بالله قوة وسعة ، ومن كان مع الله كان الله معه ، والسلام .

قلت : ليت شعري ماذا أجابه به الامام ، بعد سماع هذا الكلام ، واخبرني بعض اعزاء اليمن وهو صدوق مؤتمن ، ان الامام جهز اليه جيشاً كالبحر القمقام ، من كل بطل ضرغام ، لكن الامام ادركه في اثناء هذا الحمام ، فبطل ذلك التجهيز والسلام .

وكتب سلطان مصر الى شريف مكة شرفها الله ولم يحضرني اسمهما : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحسنة حسنة وهي من بيت النبوة أحسن ، والسيئة سيئة وهي من الدار العلوية أشين ، وقد بلغنا عنك أيها السيد الحسيب ، الجيد النسيب ، انك بدلت الا من بالمخاوف ، وفعلت مايحمر الصفائح ويسود الصحائف ، والعجب منك انك من بيت الكرم ، ومخزن الحرم ، أويت المجرم ، واستحللت مال المحرم ، ومن يعن الله فما له من مكرم ، فان تقف آثار جدك ، وإلا أغمدنا فيك غرار حدك ، فاذا خلع الشتاء جلبابه ، ولبس الربيع أثوابـــه ، فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون .

فكتب الشريف فى جوابه : بسم الله الرحمن الرحيم ، اعترف المملوك بذنبه ورجع الى دينه وربه ، وهو يسأل منكم الرضى ، والعفو عما مضى ويلتمس من الاخلاق الظاهره ، والمكارم الظاهره ، والعفو عن سوء فعله ، وليس من شيمكم ان تكافؤه بمثله ، فان انتقمتم فيد كم أقوى ، وان تعفوا أقرب للتقوى ، وفي مقدرتكم ما يكافيه ، وكل اناء ينضح بما فيه ، قلت لله در من أجاب ، بفصيح هذا الجواب الذي هو علامة الرضى وبلوغ الآراب .

وكتب الشاه اسماعيل ملك العجم الى الملك الاشرف قايتباى الايوبي ملك مصر هذين البيتين :

السيف والخنجر ريحاننا أف على النرجس والآس
شرابنا من دم اعدائنا وكأسنا جمجمة الراس

فكتب اليه في الجواب :

خدمة بيت الله والمصطفى كلاهما تاج على راسى
وحب آل المصطفى زهرتى تغنى عن النرجس والآس
وملء ذاك الكاس توحيد من شرفنى بالملك في الناس
كنانة الله حوتها يدى فصرت فى أمن من الباس

وقيل بل كتبهما للملك الاشرف قانصوه الغورى فأجابه :

لله في عالمه خاتم تجري المقادير على نقشه
لاتنبش الشر فتبلى به واحذرعلى نفسك من نبشه
عواقب البغي لها مصرع ينزل السلطان عن عرشه
وان زها الكبش بشحم الكلى ادرج رأس الكبش فى كرشه

وكتب أيضاً الشاه اسماعيل الى السلطان سليم بن بايزيد خان :

نحن اناس قد غدا طبعنا حب علي بن أبي طالب
يلومنا الجاهل في حبه فلعنة الله على الكاذب

فأجابه السلطان سليم خان :

ما عيبكم هذا ولكنه بغض الذي لقب بالصاحب
وطعنكم فيه وفي بنته فلعنة الله على الكاذب

وكتب الملك جلال الدولة إلى القاضي أبى الطيب الطبري :

يا أيها العالم ماذا ترى في عاشق ذاب من الوجد
من حب ظبي أهيف أغيد سهل المحيا حسن القد
فهل لنا تقبيله جائز في النحر والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة بل بعناق جائز الحد
ان أنت لم تفت فانى اذاً أصيح من وجدي وأستعدي

فكتب اليه القاضي أبو الطيب بقوله :

يا ايها السائل انى ارى تقبيلك النحر مع الخد
يفضي إلى ما بعده فاجتنب قبلته بالجد والجهد
فان من يرتع في روضة لابد ان يجنى من الورد
وان من تحسبه ناسكا يغلب عند الكشف والوجد
فاستشعر العفة واعص الهوى يبقى لك الدين مع الود

تغنيك عنه كاعب ناهد تضمها بالملك والعقد
تملك منها كل ما تشتهي من غير مافحش ولا ردّ
هذا جوابي لقتيل الهوى فلا تكن بالحق تستعدى

وكتب كاتب الانشاء في عصر ملك الهند محمد اورنقزيب ، وهو الشيخ الفاضل محمد بن عبد النجفي المخاطب بوزارت خان الى صديقين له من الامراء احدهما يسمى مرزا نصير من عجم جيلان، وكان فاضلا من اجل امراء الهند الاعيان والثاني اسمه اخلاص كيش خان وكان من عبدة الاوثان فاسلم وقرأ في العربية ، والعلوم العقلية والنقلية ، فصار في الادب وحيد الزمان ، بعد ان كان من البانيان ، يستد عيهما :

يا خليلي عجلا بالتلاقى فلقَد ساءنى امتداد الفراق
ان يوما من النوى ألف عام مظلم الوجه مثل ليل المحاق
بكرا بالوصال كى يحلو العيش فان الفراق مر المذاق
انما فرقدا سماء وفاء تواما خلة رضيما وفاق
لم اجد منكما سوى كامل الظرف رئيس مهذب الاخلاق

فاجابه المرزا نصير بقوله :

بورود الكتاب زاد اشتياق حين وافيت منه قرب التلاقى
من رئيس اذا دعا فأجبنا لم نجب غير اهل العراق
ما لداء النوى سواك طبيب وللسع الفراق غيرك راق
عمرك الله كيف لي بلييل حال بيني وبين ليل التلاقى
ليلة اظلمت وطالت علينا سوّد الله وجه ليل الفراق

قلت ان كان الفرزدق قال باستحباب السجود عند سماع آيات الشعر البليغ ، فانا اوجب السجود في هذا البيت الاخير الذي من ابريز البلاغة قد صيغ ، وكتب اليه اخلاص كيش خان المتقدم ذكره يوما يعاتبه :

إلام شكيتي من سوء جدى الى من ليس يسمح بالتدنى

اعلـــل بالمنى قلبي لعلي أروح بالاماني الهـــم عنى
وأعلم ان وصلك لا يرجى ولـكن لا أقل من التمني

كيف لا وسيدي وادع خلف حجاب ويوما ضيف ، وصيف طالبه شتاء وشتاؤه صيف ، والسلام :

فكتب الشيخ محمد بن عبد المتقدم ذكره فى جوابه :

أيكفي لأمي ندمى واني عضضت انامليّ وقرعت سنى
وانى أبت معتذراً اليه مقراً بالذي قـد كان منى
واني ان أسأت اليوم فعلا بتركى قصده فلحسن ظني
فها أنا لايزال اليك وجهي وان أسرفت في الاعراض عني

هذا وما ادعاه المولى من تقلبي بين الحجاب والضيافة ، فان ذلك من جملة الحرص والعيافة ، نعم انى لا أمد على الانكار يداً ، ولا أقول لم يكن ذلك ابداً ولكن المرة ليست بعاده ، وكم بين الريادة والزهاده .

وكتب يحيى بن خالد البرمكي الى هارون الرشيد وهو فى السجن : بسم الله الرحمن الرحيم لأمير المؤمنين ، وامام المسلمين ، وخليفة رب العالمين ، وخلف المهتدين الامام هارون الرشيد أطال الله بقاه وأبده ، واعزه واخلده ، واكرمه وأيده ، من عبد أسلمته ذنوبه واوبقته عيوبه ، وخذله صديقه ، ورفضه شقيقه ، فراغ به الزمان وأناخ عليه الحدثان ، فصار الى الضيق بعد السعه ، وعالج البؤس بعد الدعه ، وافترش السخط بعد الرضى واكتحل السهر وافتقد الهجوع فليلته دهر ، وساعته شهر ، قد عاين الموت ، وشارف الفوت ، جزعا ياأمير المؤمنين حيث حجب الله عنى مافقد ، لما أصبت به من بعد ولا بمصيبتي بالاهل والمال والولد ، فان ذلك كان بك ، وعارية في يدي منك ، ولا بأس ان تسترد العوارى ، أما المحنة بجعفر فبجرمه آخذته ، وبجريرته عاقبته ، وماأخاف ويلافى أمره ، ولا مخافة فيما يستحقه فاذكر ياأمير المؤمنين حرمتي ، ونصيحتي وخدمتي ، وارحم ضعفى وشيبتي ، وهب لي

رضى عني ، فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ، وقد رجوت ان يظهر عند الرضا وضوح عذري وصدق نيتي ، وظاهر طاعتي ، وتلويح حجتي ، مايكفيني به أمير المؤمنين ويرى ايجابه فيه ويبلغ بذلك المراد باذن الله تعالى وقد قلت :

قل للخليفة ذي الصنائع والعطايا الفاشيه
وابن الخلائف من قريش والملوك الهـــاديه
أين البرامكة الذين رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة لم تبق منهم باقيه
فكأنهم ممـــا بهم أعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة باديـه
متصفرون اذا يرون لكل أرض قاصيـه
من دون ما يلقون من عيب يشيب الناصيه
أضحوا أجل منـاهم منك الرضى والعافيه
بعد الوزارة والامارة والأمور العاديه
أو ما سمعت مقالتي ياذا الفروع الزاكيه
مازلت أرجـو راحة واليوم خاب رجائيه
انظر الى الشيخ الكبير فنفسه لك راجيه
اليوم قـد سلب الزمان كرامتي وبهائيه
ألقى الزمان جراته مستقصياً بفنائيـه
ورمى سواد مقاتلي فأصاب حين رمانيـه
يا من يود لي الردا يكفيك ويحك مابيه
يكفيك ما ابصرت من ذلي وذل مكانيـه
وذهاب مالي كله وفد الخليفة ماليه
ان كان لا يكفيك الا ان اذوق حماميـه

فلقد لقيت الموت من قبل الممات علانيه
وفجعت اعظم فجعة وفنيت قبل فنائيه
وهويت في قعر السجون على رفيع بنائيه
انظر بعينك هل ترى الا قصوراً خاليه
وذخائراً مقسومة قسمن قبل وفائيه
ومصارعا ومضاجعا ومصايباً متواليه
ونوادباً ينـدبنى تحت الدجى ببكائيه
أأبا علي البرمكى أفلا تجيب دعائيه
ونداؤهن وقد سمعت مقلقلا أحشائيه
أخليفة الله الرضى لا تشمتن اعدائيه
واذكر عهودك لي وما أعطيتني بوفائيه
واذكر مفاساتي الامور وخدمتي وعنائيه
ارحم جعلت لك الفدا كربى وشدة حاليه
ارحم أخاك الفضل والباقين من أولاديه
وبكاء فاطمة الكبيرة والمدامع جاريه
وبكاءها ومقالها وا شقوتى وشقائيه
من لي وقد غضب الامام على حمى ورجاليه
وعدمت طيبة عيشتي وتغيرت حالاتيه
يا نعمة الملك الرضي عودى علينا ثانيه

فلما قرأ الرشيد رقعته وقع تحت شعره :

أجرى القضاء عليكم ما ختموه علانيه
من ترك نصح امامكم عند الامور الباديه
يا آل برمك انكم كنتم ملوكاً عاتيه

فنكرتم وعصيتم وجحدتم نعمائيه
هذا جزا من قد عصى معبوده وعصانيه

ووقع تحت ذلك ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ثم لم يكن منه اليهم بعد ذلك تعسف .

وحدث يعقوب بن جعفر قال : كان يقطين بن موسى مبغضاً للبرامكة ، وكان قد جاوز المائة سنة ، وكان الرشيد يوقره كثيراً ويسميه عمي فطالبه يحيى بن خالد بألف ألف درهم وحبسه في الديوان ، فقال يقطين تحبسني في ديوان بني العباس يامروان ، فكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد فغاظه ذلك وبلغ منه ثم أمر باحضاره فدخل والبرامكة يحلفون انهم ماعلموا بحبسه فقال له الرشيد والله ياعم لقد ساءني ماجرى عليك وقد وصلتك بألف الف درهم فقال وصل الله أمير المؤمنين وزاد سروره مالي حاجة الى ذلك ولكن يدنيني أمير المؤمنين لاقبل بين عينيه فان ذلك آثر عندي من كل مال فادناه وقال له انا والله ياعم اراك كما أرى المنصور فخرج يقطين يجر ذيله ويقول قول عمرو بن أبي ربيعة المخزومي :

ليت هنداً أنجزتنا ماتعد وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لايستبد

وكان هذا في سنة خمس وثمانين ومائة ولم يلبث يقطين ان مات في هذه السنة وأوقع الرشيد بالبرامكة في سنة سبع وثمانين ومائة فقال الرشيد لعبد الله بن يقطين ليت عمي كان حاضراً انى لأذكر انشاده ثم قال الرشيد :

تلك هند فاعلمنها تستبد قد شفت أنفسكم مما تجد

وكتب العلامة جمال الدين محمد الكيلاني هذين البيتين للشيخ بهاء الدين محمد العاملي يطلب منه فروة :

يا منبع الفيضان يا بحر الندى يامن رقى بالمجد أعلى ذروه

هجمت علي جيوش برد فاتك فقني بلطفك في صياصي فروه

فكتب اليه الجواب احسنت أيها الذكي الألمعي ، وأجدت ايها الزكي اليلمعي في نظم هذين العقدين ، وسك هذين النقدين ، اللذين أسكنا في ممترك الألفاظ كل منافث ، وأمنا بمن الله من ان يعززا بثالث ، لكنك فتحت الذال من الذروه جانحاً لموازنة الفروه ، والمنقول ضم الذال مع كسرها ، كما نطقت به كتب اللغة بأسرها ، فان احطت بما لم نحط فأتنا من سبأ بنبأ يقين انك لذروة اللغة من المرتقين والا فهدهد عن ذلك ، واسلك غير هذه المسالك ، فان هذه غمرة عجيبة لاتقم من أمثالك ، ولعل هذا لتوزع بالك ، وتزعزع أحوالك ، فالى الله المشتكى من دهر يمطر الهموم ، على طلاب العلوم على العموم ، وكل منهم يبكي على حاله كأنما أوتي كتابه بشماله ، فبرب الصفا والمروه ، لقد هراهم الدهر هروه ، حتى صاروا لكثرة البرد وقلة الثروه ، يوشك ان يحدث لكل منهم قروه (١) ، لعدم قدرته على تحصيل فروه ولو انها تكون من جلد جروه ، وقد أمرت الشاطر رجبا ، ان يدفع اليك مثقالا ذهبا فاعذرني فاني في كصيصه ، ليس لي قدرة على خر بصيصه والسلام .

أقول قوله الالمعي واليلمعي الذكي المتوقد ، والنفاثات في العقد السحرة والذروة بالضم والكسر اعلا الشيء والتهدهد التغير والانصراف ، والغمرة السكرة والتوزع التشتت ، والثروة زيادة المال ، والقروة الطعمة من القرى ، والكصيصة الحبالة التي يصاد بها الظبي ، والخر بصيصة الشيء أي لاقدرة لي على شيء والله اعلم .

وكتب رجل من ابناء النعمة وقد أساء اليه زمانه الى بعض الامراء :

هذا كتاب فتى له همم ألقت اليه رجاءه همه
غل الزمان يدى عزيمته وطواه عن أكفائه عدمه
وتواكلته ذوو قرابته وهوت به من حالق قدمه
افضى اليك بسره قلم لو كان يعقله بكى قلمه

(١) القروة : كبر جلد البيضتين وهو أنسب للمحل مما ذكره المؤلف .

﴿ ترجمة أبي الفتح محمد الشهرستاني ﴾

فاضل انحله الله علوم الاواخر والأوائل ، وعلى كل حال فهو صاحب كتاب الملل والنحل ، وهو منسوب الى شهرستان بفتح الشين .

قال اليافعي في تاريخه : شهرستان اسم لثلاث مدن ، الاولى في خراسان بين نيسابور وخوارزم ، والثانية قصبة بناحية نيسابور ، والثالثة مدينة بينها وبين أصفهان ميل ، ونسبة ابي الفتح الى الأولى .

ومما انشده في كتابه الموسوم بالملل والنحل عند ذكر اختلاف بعض الفرق :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ورددت طرفي بين تلك المعالم
ولم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين وخمسمائة كذا ذكره في تاريخ اليافعي بعد ان عدّ الحكماء السبعة الذين قال انهم أساطين الحكمة وذكر آخرهم أفلاطون ، قال واما من سبقهم في الزمان وخالفهم في الرأي فمنهم أرسطوطاليس وهو المقدم المشهور والمعلم الأول والحكيم المطلق عندهم ، ولد في أول سنة من ملك أزدشير ، فلما اتت عليه سبع عشرة سنة سلمه ابوه الى افلاطون فمكث عنده نيفاً وعشرين سنة ، وانما سموه المعلم الأول ، لانه واضع التعاليم المنطقية ، ومخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق الى المعاني كنسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر ، ثم قال وكتبه في الطبيعيات والالهيات والاخلاق معروفة ولها شروح كثيرة .

قال بعض الملوك لوزيره ماخير مايرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه؟ قال : مال يستتر به قال: فان عدمه ؟ قال : علم يعتز به قال : فان عدمه ؟ قال : ادب

يتحلى به قال : فان عدمه ؟ قال : صاعقة تنزل عليه فتريح منه العباد والبلاد :

آه ياذلي ويا خجلي ان يكن منى دنا أجلي
لو بذلت الروح مجتهداً ونفيت النوم عن مقلي
كنت بالتقصير معترفا خائفاً من خيبة الامل
فعلى الرحمن متكلي لا على علمي ولا عملي

وخليل بن ايبك الصفدي :

دفنتها كالبدر تحت الثرى ومن شقائى مدتى مدت
كانت اذا ماسيف أجفانها المرهف يدعو لبتي لبت
ماصدحت في الايك ورق الحمى وانما في عزتى عزت

وقال أيضاً :

هذى التي نلت بها ذلتي وحلتي في الصبر قد حلت
وادمعي فى وجنتى اطلقت وفي فؤادي غلتي غلت
خلائق وفق غرامي بها فاستخبروها ما التي ملت

مظفر الاعمى :

يا نائماً اسهرنى حبه وعائداً امرضنى طبه
وخادعا رق لحبي له كلامه لي وقسا قلبه
قلناعلى حسنك عيني جنت جثمانى الناحل ماذنبه

وله ايضاً :

بعدنا فكنا كالثريا من الثرى وفي يوم بيني منه اعدمني صبرى
ولما قربنا كان مني كحاجبي لعيني وادنى من وريدي الى نحرى

وله أيضاً :

لاتكن انت والحبيب كما قلت كحرف مشدد فيه شك
فعلى الأول المسكن حتف وعلى الثاني المحرك ضنك

وله أيضاً :

تحركت كالمذبوح خيفة شامت وأوجدت انى أشبه الحى تلبيسا
وما كنت إلا ميتاً غير انني تصبرت حتى أرسل الله لى عيسى

وله أيضاً :

هويت هلالا سرى في الدجى وهاروت من جند أجفانه
فلا تعجبوا إن بدا وجهه نهاراً وعظمت من شانه
فان الهلال يرى طالعاً مع الشمس في بعض احيانه

وله أيضاً :

لنا مجلس فيه كل الفنون ونرجسه مثل شكل العيون
فاصفره في مكان السواد وابيضه في مكان الجفون

وله أيضاً :

وروضات بنفسجها بصبغة صنعة الباري
كحزم لاز وردى على ألفات زنجار

وله في النسرين :

وزهرة لونها من العجب بيضاء فيها اصفرار مكتئب
كانها دور درهم جعلت في وسطه نقطة من الذهب

وله أيضاً :

كأنما مشمشنا في الياسمين اليقق
جلاجل من ذهب في ورق من ورق

وله أيضاً :

وشادن قلت له ما الذي أراه في خدك أضحى مثل
فقال هـــذا أثر نالني من حر أنفاسك عند القبل

وله أيضاً :

وشادن كان زمان الصبي بذولة المرد له صوله
قد كتب الشعر على خدّه خفض فهذا آخر الدوله

قلت : ومظفر الاعمى هذا قد جمع ابنه شعره للملك الكامل بن الملك العادل وجعله عشرة أنواع : الاول سلوك الملوك ، وتبر اللفظ المسبوك ، الثاني اعلام الاقلام ، وأقلام الاعلام ، الثالث فرائد القلائد ، وزوائد الفوائد ، الرابع سوائب السحائب ، وترائب الحبائب ، الخامس قراضة الذهب ، وخلاصة الادب ، السادس كواكب الغرائب ، ومسارب المطالب ، السابع نوافج النتائج ، الثامن افراط الاقراط ، وأسماط الاسفاط ، التاسع ملابس العرائس ، العاشر أرج من درج ، وذكرى من مرج ، وما أحسن قوله :

من لي بوجه على ديباج وجنته نقش ينم بما يقضي به نهمي
كأنما خده صبح تعلق في أرجائه سحرا شيء من الغلس

وللصلاح الصفدي رحمه الله وقد أجاد :

كأنما الأغصان لما انثنت امام بدر التم في غيهبه
بنت مليك خلف شباكها تفرجت منه على موكبه

وفي سنة ألف ومائة واثنتين وثلاثين وردت الاخبار الى أصفهان ، وسائر تلك البلدان ، بان محمود بن ميرويس السليماني قد ملك كرمان .

﴿ فائدة ـ ذكر كرمان وهرات ﴾

(كرمان) مدينة عظيمة بناها كرمان بن طهمورث وهي كثيرة الفواكه والثمار والمياه والاشجار ، والزهور والاطيار ، والقصور المشرفة بشموس الملاح والاقمار وبها معدن التوتيا يحمل منها الى سائر الاقطار ، من طرق البراري والبحار ، وبها خشب لا تحرقه النار ، ولو أقام مدة الاعمار ، من عجائب حكمة الحكيم القهار ،

ويجلب منها الكمون الكرماني ، وانواع الشال اللطيف ، واللبابيد والفرش الكرمانية على كل نوع ظريف ، وبها معدن الزاج الذهبي ، واليها ينسب شاه شجاع الكرماني من ملوك تلك المدينة توفي قبل الثلاثمائة سنة وينسب اليها أوحد العارفين أبو حامد الكرماني الملقب بأوحد الدين ، وكانت كراماته الخارقة مشهورة في العالمين ، توفي ببغداد سنة ستمائة وخمس وثلاثين ، فملكها محمود المذكور وقتل أطفالها ، وأسر نساءها ورجالها ، ونهب أموالها فظهر اثر الغلب والخسران ، على اهل أصفهان ، وجميع تلك البلدان من بعد أخذ كرمان ، وشرع الناس في الفرار الى سائر الأمصار ، ثم وصل الخبر أيضاً في تلك الاوقات ، بان محمد زمان سلطان رئيس العبدلية قد ملك الهرات ، وهؤلاء العبدلية ، يقرون لعلي بن أبي طالب بالالهية ، فعظمت إذ ذاك الرزية ، وحلت بالناس البلية ، وايقن العجم إذ ذاك بالدمار ، وخراب الديار ، وما ذاك إلا جلب أيديهم لأنفسهم ، وان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فانهم كانوا في ألذ عيش واتم نعمة ، محروسين من كل طارقة ونقمة فقطعوا وظايف السادات والمستحقين ، ومنعوا الزكاة والصدقات عن الفقراء والمساكين ، فكافأهم رب العالمين في الحين :

اذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الاله فان الاله سريع النقم

قلت : وهذه الهرات المذكوره ، من أجل مدائن العجم الكبار المشهوره ، وهي بين خراسان وقندهار ، ليس لها نظير في تلك الاقطار ، ولا بأس بأن أذكرهنا ارجوزة بديعة الأبيات ، متضمنة لوصف الهرات ، للفاضل النحرير العلامة ، الشيخ بهاء الدين محمد العاملي عامله الله بلطفه الخفي ، وأجرى عليه عوائد بره الوفي ، وهي:

الحمد لله العلي العالي ذي المجد والافضال والاجلال
ثم الصلاة والسلام السامي على النبي المصطفى التهامي
والآل والاصحاب والاحباب وسائر الاشياع والاحزاب

يقول راجي العفو يوم الدين المذنب الجاني بهاء الدين
تجاوز الرحمن عن ذنوبه وأسبل الستر على عيوبه
بليت في قزوين يوما برمد مقرح للقلب من فرط الكمد
يمنع من صرف النهار فيما يرضى الأديب الحاذق الفهما
من بحث او تلاوة أو ذكر او درس او عبادة او فكر
حتى سئمت من لزوم منزلي والنفس من اشغالها بمعزل
ولم تكن من عادتي البطاله لأنها من شيم الجهاله
فرمت شيئا مشغلا للبال عما اقاسيه من البلبال
وصرت في فكر بأي وادي التقى جياد الفكر والطراد
فلم اجد ابهى من الاشعار وليس نظم الشعر من شعاري
فبينما الامر كذا اذ سألا مني بعض الاصدقاء الفضلا
ان اصف الهرات في ابيات جامعة للنشر والشتات
معربة عنها عن الحقيقه مطربة لكل ذي سليقه
اجبته والجفن بالدمع سخى على الخبير قد سقطت ياأخي
ثم نظمت هذه الرجيزه بديعة رائقة وجيزه
قضيت في نظمي لها نهارى كما تقضى الليل بالأسمار
سميتها اذ كملت بالزاهره فها كها مائة بيت حاضره

﴿ مقدمة : في وصفها على الاجمال ﴾

ان الهرات بلدة لطيفه شائقة نفيسة شريفة
أنيقة أنيسة بديعه وحيدة رشيقة منيعه
خندقها متصل بالماء وسورها سام الى السماء
ذات فضاء يشرح الصدورا ويورث النشاط والسرورا

حوت من المحاسن الجليله والصور البديعة الجميله
ما ليس في بقية الامصار ولم يكن في سائر الاعصار
لست ترى في أهلها سقيما طوبى لمن كان بها مقيما
ما مثلها في الماء والهواء كلا ولا الثمار والنساء
كذلك الباغات والمدارس فما لها في هـــذه مجانس

﴿ فصل : في وصف هوائها ﴾

هواؤها من الوباء جنه كأنه من نفحات الجنة
فيبسط الروح وينفي الكربا ويشرح الصدر ويشفي القلبا
لاعاصف منه تخاف الحره ولا بطي السير فرد مره
بل وسط يهب باعتـــدال كفادة ترفل في أذيال
فمن رماه الدهر بالافلاس حتى عن المسكن واللباس
فلا يصاحب بلدة سواها لأنه يكفيه في هواها
حبيبة واحدة في القر شريبة باردة في الحر
فهـذه في حرها تكفيه وتلك عند بردها تدفيه

﴿ فصل : في وصف مائها ﴾

لو قيل ان الماء في المرات يعدل ماء النيل والفرات
لم يك ذاك القول بالبعيد وكم على ذلك من شهيد
تراه في الانهار ضاف صافي كأنه لآلي الاصداف
لايحجب الناظر عن قراره بل يطلعنه على أسراره
تظن غور عمقه شبرين من الصفا وهو على رمحين
خفيف وزن فائق الاوصاف مامثله ماء بلا خلاف
يهضم ماصادف من طعام كأنما أكلته من عام

﴿ فصل : في وصف نسائها ﴾

نساؤها مثل الظباء النافره ذوات ألحاظ مراض ساحره
يسلبن حلم الناسك الأواه ويسلمنه الى الدواهي
من كل خود عذبة الالفاظ تقتل من تشاء بالالحاظ
أضيق من عيش اللبيب ثغرها أضعف من حال الاديب خصرها
فاتكة قد شهدت خداها بما بنا تفعله عيناها
ترنو بطرف ناعس فتاك يفسد دين الزاهد النساك
والصدغ واو ليس واو العطف والثدى رمان عزيز القطف
والجسم في رقته كالماء والقلب مثل صخرة صماء
ولفظها وثغرها والردف سحر حلال أقحوان حقف
وقدها ونهدها والخد غصن ورمان طرى ورد
والشعر والرضاب والاجفان صوارم مدامة ثعبان
غيد حميدات خصالهن طوبى لمن نالـ وصالهن

قلت : انظر الى هذه التشابيه ، التي تخرس ابن المعتز وابن النبيه :

﴿ فصل : في وصف ثمارها على الاجمال ﴾

ثمارها في غاية اللطافه لاضرر فيها ولا مخافه
عديمة القشور عند الجس تكاد أن تذوب حال المس
تخال في غصونها الدواني أشربة حلت بلا أواني
مع أنها بهذه الكيفيه رخيصة عندهم رزيه
يطرحها البقال فوق الحصر حتى اذا ماجاء وقت العصر
وقد بقى شيء من الثمار يطرحه في معلف الحمار

﴿ فصل : في وصف عنبها ﴾

ولست بالمحسن وصف العنب لأنه قد نال أعلى الرتب
أدق من فكر اللبيب بزره أرق من قلب الغريب قشره
أبيضه في لطفه والطول يحكي بنان غادة عطبول
احمره أشهى الى القلب الصدى من لثم خد ناصع مورد
اسوده أبهى لذى الظريف من غمز ظرف فاتر ضعيف
اصنافه كثيرة في العد ليس لها في حسنها من حد
فمنه فخري وطائفي وكشمشي ثم صاحبي

أقول : الفخري ، النخلي ، والطائفي ، المراودى ، والكشمشي الرازقي ، والصاحبي أحسنها وأحلاها وارقها وهو العنب البياضي ، الذي لايوجد مثله فى سائر الأراضي ، وهناك نوعان ايضاً موجودان ، وكان ينبغى للشيخ رحمه الله تعالى ان يذكرهما وهما :

خايه غلامان وريش بابا شاهى يزيل الهم والاوصابا

فخايه غلامان ، هو العاصمي وهو عجيب لطيف ، في قدر بيضة الدجاجة من غير مبالغة ، وريش بابا هو المكبر ، وهو أيضاً بقدر بيضة الدجاجة ترى بزره من خارج لرقته ، والشاهي عنب من غير بزر بقدر حبة الفلفل لازيادة وطعمه يشبه السكنجبين :

وغيرها من سائر الاقسام فوق الثمانين بلا كلام
مع هذه الاوصاف والمعانى في أرخص الاسعار والأثمان
ترى الذى مامثله في الفقر يبتاع منه الوقر بعد الوقر
وربما يعلقه الحقيرا ان لم يصادف عنده شعيرا

﴿ فصل : في وصف بطيخها ﴾

بطيخها من حسنه يحير في وصفه ذو الفطنة الخبير
جميعه حلو بغير حد أحلى من الوصال بعد الصد
مهما يقول الواصفون فيه فانه نزر بلا تمويه
يباع بالبخس القليل النزر لانه واف بغير حصر
يأتى به المرء من الصحارى فلا يفى بأجرة المكارى

قلت : لو ذكر الشيخ رمان هذه المدينة فانه عجيب ، احلى من وصل الحبيب وكذلك مشمشها المسمى بتخم شمس والكمثرى والخوخ والاجاص وبالجملة فان فواكه تلك المدينة ليس لها نظير في سائر المدن والامصار ، لكثرة مافيها من الانهار .

﴿ فصل : في وصف مدرسة المرزا ﴾

ومابنى فيها من المدارس ليس لها فى الحسن من مجانس
اشهرها مدرسة المرزا مدرسة رفيعة البناء
رشيقة رائقة مكينه كأنها في سمة مدينه
في غاية الزينة والسداد عديمة النظير في البلاد
بالذهب الاحمر قد تزخرفت كأنها جنة عدن ازلفت
فى صحنها نهر لطيف جاري مرصف جنباه بالاحجار
فى وسطه بيت لطيف مبنى كأنه بعض بيوت عدن
من الرخام كله مبني كأنما صانعه جني
وكل مايقوله النبيل في وصفها فانه قليل

﴿ فصل : في وصف كازركاه ﴾

وبقعة تدعى بكاز ركاه ليس لها في حسنها مباهي
هواؤها يحيي النفوس ان بدا ومائها يجلو عن القلب الصدا

والسر في رياضها المطبوعه كنفادة اذيالها مرفوعه

ما أحسن هذا التشبيه في السرو :

فيها البساتين بغير حصر يقصدها الناس بعيد العصر
من كل صنف ذكر وانثى وحرة وأمة وخنثى
لاعندهم هم ولاكاد كانهم قد حو سبوا وعادوا
تراهم كالخيل في الطراد وكل شخص منهم ينادى
لاشيء في ذا اليوم غير جائز إلانكاح المرء للعجائز

﴿ فصل في التحسر على فراقها وبعد رفاقها ﴾

ياحبذا أيامنا اللواتى مضت لنا اذنحن في الهرات
نسترق اللذات والافراحا ولانمل الهزل والمزاحا
وعيشنا في ظلها رغيد والدهر مسعف بما نريد
واها الى العود اليها واها فما يطيب العيش في سواها
سقيت يا ليالي الوصال بصوب غيث وابل هطال
وأنت يا سوالف الايام عليك مني أفضل السلام

﴿ ترجمة ناظم جواهر هذا الرجز، الذى أبدع وأفاد فيه وأوجز العالم ﴾
(العلامة الحبر الفهامة، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبدالصمد العاملى)
(الحارثى الهمدانى الشامى أصلا ومولداً والخراسانى منشأ وتربة)

فاضل لم تتشنف الاسماع باحسن من معلوماته ، ولم تتشرف الارباع بأمتن من مؤلفاته ، ولم تتشوف الاسماع لاعجب من اخباره ، ولم تتظرف الانظار بأعذب من أشعاره رحل به والده الى بلاد العجم ، فنشأ بها الى أن صار مفتيها الاعظم ، وشيخها المقدم وكان فاضلا نبيلا ، كاملا جليلا ، رئيسا مثيلا ، بالغا في الفضل المحل الاقصى وفي الذكاء الغاية التي لاتستقصى ، ورحل بعد وفاة أبيه الى الاقطار ، وتفنن في

تنقيح الاخبار ، وساح ثلاثين سنة وآتاه ربه كل حسنة وحج البيت الشريف ، والقدس المنيف وزار معاهده وورد موارده واجتاز بدمشق الشام في أثناء السفر ولم يقم الا بمقدار ، ان قيل له أهلا وسهلا ومر .

وكان قدومه الى الديار الشامية من الديار المصرية وكان يجتمع مدة اقامته بمصر بالاستاذ الاعظم والملاذ المعظم الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري وامتدحه بقصيدة غرا وقعت من الاستاذ محمد بن أبي الحسن ، غاية الموقع الحسن ، ثم سار الى بلاد العجم فهرعت من كل فج اليه الناس وصار الرئيس المقدم عند سلطانها الشاه عباس وارتفع شانه وكثرت اخدانه واشتغل بافادة معلوماته وتحرير مؤلفاته في العلوم العقلية والنقلية والادبية والفقهيه والحكمية والمنطقيه والفلكية والرياضيه الى أن ذوى غصن فضله القويم واصطفاه ربه الكريم وذلك في أصفهان لأثنتي عشرة خلت من شوال سنة احدى وثلاثين بعد الالف ونقل قبل دفنه الى طوس فدفن بها في داره قريبا من الحضرة الرضويه وترجمه صاحب السلافة ايضاً وأثنى عليه كثيرا الى أن قال في ترجمته وأخبرني بعض ثقات الاصحاب ان الشيخ رحمه الله تعالى قصد قبيل وفاته زيارة المقابر في جمع من الاجلاء والاكابر فما استقر بهم الجلوس حتى قال لمن معه انى سمعت شيئا فهل منكم من سمعه فأنكروا سؤاله واستغربوا مقاله وسألوه عما سمعه فأوهم وعمى في جوابه وأبهم ثم رجع الى داره فأغلق بابه ولم يلبث أن اهاب به داعي الردى فأجابه رحمه الله تعالى وأفاض وابل غفرانه على ضريحه ووالى .

وكان مولده يوم الاربعاء في بعلبك عند غروب الشمس سابع عشر ذى الحجة الحرام سنة تسعمائة وثلاث وخمسين من هجرة خير الانام .

ومن مؤلفاته : العروة الوثقى والصراط المستقيم تفسير القرآن الحكيم والحبل المتين في الفقه والحديث ومشرق الشمسين في الفقه والجامع العباسى باللغة الفارسية فى الفقه وكتاب في علم الحساب لم ينسج على منواله ومفتاح الفلاح في الأدعيه والاوراد وبداية الهداية في الفقه وجمع أربعين حديثا وشرحها وشرح دعاء الهلال من الصحيفة

الكاملة لعلي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام والزبدة في أصول الفقه والتهذيب في النحو والرسالة الصمدية في النحو والكشكول سبعة اجزاء في كل فن ونان حلوى اى خبز وحلوى نظما في علم النصوف بالفارسية وشير وشكر أى لبن وسكر ايضا في التصوف نظما بالفارسية وغير ذلك في الالهية والهندسة والسيميا والكيمياوالهيميا والريميا والرمل والطلسمات والمندل والوفق والطب ، وكان علامة في علم البلاغة وله في كل علم مؤلفات مذكورة ورسائل مشهورة .

وكان مقبول الهيئة سمح الكف حسن المنظر عالى الهمة وكان منشى السلطنة بالعربية والتركية والفارسية وله نظم أشهر من الغزاله وأين الغزالة من الذبالة فمن نظمه الفائق وشعره الرائق هذه الأرجوزة التي هى كالوشاح للملاح المسماة برياض الارواح وهى :

ألا يا خائضا بحر الامانى هداك الله ماهذا التوانى
أضعت العمر عصيانا وجهلا فهلا أيها المغرور مهلا
مضى عمر الشباب وأنت غافل وفي ثوب العمى والجهل راقل
الى كم كالبهائم أنت هائم وفي وقت الغنائم أنت نائم
وطرفك لا يرى الاطموحا ونفسك لم تزل أبدا جموحا
وقلبك لا يفيق عن المعاصى فويلك يوم يؤخذ بالنواصى
بلال الشيب نادى في المفارق بحى على الذهاب وأنت غارق
ببحر الجهل لا تصغى لواعظ ولو أطرى وأطنب في المواعظ
على تحصيل دنياك الدنيه مجدا فى الصباح وفي العشيه
وجهد المرء فى الدنيا شديد وليس ينالـ منها ما يريد
وكيف ينال في الدنيا مرامه ولم يجهـد لمطلبها قلامـه

(اشارة) الى حال من جمع وصرف العمر في جمع الكتب وادخارها على غير طائل خصوصا في زماننا هذا الذي خفض العالى ورفع السافل ونصب الجاهل :

على كتب العلوم صرفت مالك وفي تصحيحها أتعبت بالك

وأنفقت البياض مع السواد على ماليس ينفع في المعاد
تظل من المساء الى الصباح تطالعها وقلبك غير صاحى
وتصبح مولعا من غير طائل لتحرير المقاصد والدلائل
وتوضيح الخفا من كل باب وتوجيه السؤال مع الجواب

﴿ اشارة الى أسماء الكتب المشهورة ﴾

لعمرى قد أضلتك الهداية ضلالا ماله أبداً نهايه
وتذكرة المواقف والمراصد تسد عليك أبواب المقاصد
فلاتنجى النجاة من الضلاله ولايشفى الشفاء من الجهاله
وبالارشادما حصل الرشاد وبالتبيان مابان السداد
وبالايضاح أشكلت المدارك وبالمصباح أظلمت المسالك
وبالتلويح مالاح الدليل وبالتوضيح مااتضح السبيل
صرفت خلاصة العمر العزيز على تنقيح أبحاث الوجيز
بهذا النحو صرف العمر جهل فقم واجهد فماني الوقت مهل
ودع عنك الشروح مع الحواشى فهن على البصائر كالغواشى

﴿ اشارة الى نبذ من حال من تصدى للتدريس كزماننا هذا وأهله ﴾ .

مرادك أن ترى في كل يوم وبين يديك قوم أى قوم
كلاب عاويات بل ذئاب ولكن فوق أظهرهم ثياب
اذا ماقلت أصغوا للمقال وان حدثت بالقول المحال
فليس لهم جميعا من بضاعه سوي سمعا لمولانا وطاعه
وان شمرت عن ساق الافاده جلست لهم على عالى الرفاده

الرفاده أن تجعل للدابة رفادة وهى مثل حدبة السرج والمراد هنا المكان المرتفع من زيادة الفرش .

وأسست السؤال لمن تكلم ودلست الجواب لكى يسلم

وقررت المسائل والمطالب ولست بذا لوجه الله طالب
وسقت لهم كلاما في كلام وقلبك من ظلام في ظلام
وان ناجيت ذا نظر دقيق وفكر في مطالبه عميق
عدلت به عن النهج القويم وزغت عن الصراط المستقيم
تكابره على الحق الصريح فان ناجاك في نقل الصحيح
طفقت تروغ عن نهج السبيل وتقدح في الكلام بلا دليل
وأولت المراد من العباره بتأويل كثلج في خياره
وعبت أئمة قالوا بذا كا وفي تجهيلهم أفغرت فاكا

فغرفاه كمنع ونصر فتحه كافغره ففغر فوه وانفغر .

وأزعجت العظام الدارسات وبعثرت القبور الطامسات
لئن لم ترتدع عن ذى الظلامه فبئس الحال حالك في القيامه

﴿ وقوله وهى قصيدة وموعظة من سوانح الحجاز ﴾

كان في الاكراد شخص ذو سداد # أمه ذات اشتهار بالفساد
لم تخيب من نوال طالبا لم تمانع عن وصال راغبا
دارها مفتوحة للداخلين رجلها مرفوعة للفاعلين
فهى مفعول بها في كل حال فعلها تميز أفعال الرجال
كان ظرفا مستقرا وكرها جاء زيد قام عمرو ذكرها
جاءها بعض الليالى ذو أمل فاعتراها الابن في ذاك العمل
شق بالسكين فورا صدرها في محاق الموت أخفى بدرها
مكن الغيلان من احشائها خلص الجيران من فحشائها
قال بعض القوم من أهل الملام لم قتلت الأم ياهذا الغلام
كان قتل الشخص أولى يافتى ان قتل الأم شيء ما أتى

قال ياقوم اتركوا هذا الكتاب ان قتل الام أدنى للصواب
كنت لو أبقيتها فيما تريد كل يوم قاتلا شخصا جديد
انها لو لم تذق حد الحسام كان شغلى دائما قتل الانام
أيها المأسور في قيد الذنوب أيها المحروم من سر الغيوب
أنت في أسر الكلاب العاويه من قوى النفس الكفور الغاتيه
كل صبح ومساء لاتزال من دواعى النفس في قيل وقال
كل داع حية ذات التقام قل مع الحيات كم هذا المقام
ان تكن من لسعها تبغى الخلاص او ترم من عض هاتيك المناص
فاقتل النفس الكفور الجانيه قتل كردى لام زانيـــه
أيها الساقى أدر كاس المدام واجعلن في دورها عيشى مدام
خلص الارواح من قيد الهموم أطلق الاشباح من اسر الغموم
فالبها أنى الحزين الممتحن من دواعى النفس في أسر المحن

(وقوله) هذه القصيدة التى علا قدرها وعز وادهشت بلذيذ معانيها الرائقة عقل مسكين الدارمى وابن المعتز ، وقد عارض بها قصيدة والده المشهورة ، وسيأتى ذكرها آخر هذه الترجمة ان شاء الله تعالى :

يانديمى بمهجتى أفديك قم وهات الكؤس من هاتيك
هاتها هاتها مشعشعة أفسدت نسك ذا التقى النسيك
خمرة ان ضللت ساحتها فسنا نور كاسها يهديك
ياكليم الفؤاد داو بها قلبك المبتلى لكي تشفيك
هى نار الكليم فاجتلها واخلع النعل واترك التشكيك
صاح ناهيك بالمدام فدم في احتساها مخالفا ناهيك
عمرك الله قل لنا كرماً ياحمام الأراك مايبكيك
أترى غاب عنك أهل منى بعد ماقد توطنوا واديك

ان لى بين ربعهم رشأ طرفه ان تمت أسى يحييك
لست أنساه اذأتى سحرا وحده وحده بغير شريك
طرق الباب خائفا وجلا قلت من قال كل مايرضيك
قلت صرح فقال تجهل من سيف ألحاظه تمكن فيك
بات يسقى وبت أشربها خمرة تترك المقل مليك
ثم جاذبته الرداء وقد خامر الخمر طرفه الفتيك
ثم وسدته اليمين الى أن دنا الصبح قال لى يكفيك
قال ماذا تزيد قلت له يامنى القلب قبلة في فيك
قال خذها فقد ظفرت بها قلت زدنى فقال لا وأبيك
قلت مهلا فقال قم فلقد فاح نشر الصباوصاح الديك

(وعارضها) السيد أحمد بن أبى بكر شيخان فقال مادحا بها عمر بن محمد بن علي بن سليم الوزير :

بزمام الغرام كن نسيك انما الحب لذة وأبيك
لاتضع عمرك النفيس سدى في علوم تخالها تهديك
ليس بالنحو والعروض تنال جنى النحل ذائبا في فيك
ثم للحب راحة وغنى عن جميع الملا ألا أنبيك
فاستمع نصح مانحيك هدى وتعاطى كأس الهوى يشفيك
يارعى الله جيرة نزلوا بأراك الحمى الذي يسبيك
واذا مارمت السلو بدت لك أمارة له تثنيك
لاترجى سلامة أبدا ان رمتك العيون في التشريك
ويل قلبي العميد ان له بموالى قدودها تسليك
يا جهولا يلومنى سفها كف عنى اياك لا أعديك
كيف يصغى الى الملام فتى دينه الحب كف مايطريك

غير خاف عن الرشاد فدع واشتغل بالذى غدا ينجيك
قد عقدت اليمين أني ما عشت يا قلب لست بالمخليك
لا ترم قط مخلصا بسوى مدح ندب من العنا يحميك
عمر بن الوزير من فخرت بعلاه العلى بلا تشكيك
وتحلت به الوزارة اذ كان أهلا لها بغير شريك
ساد طفلا بكل ما قصرت عن مداه أشياخنا هاتيك
أيها المشتكى ضلالك عج بحماه فانه يهديك
ماعلى من أتى الهدى حرج فاطغنى تفز بما يرضيك
ياسراج الانام دم أبدا بالمعالى ومسعدا بذويك
واستمعها شقاشقا هدرت واسبل الستر فالمقال ركيك
خطبتها مني محبتكم فأتتكم بودها تصفيك
لابرحت الرئيس لى وأنا يانديمي بمهجتى أفديك

﴿ وقال اخوه السيد الشيخان ﴾

فاح عرف الشميم من ناديك ياملیحا على الملاح مليك
كل يوم وفي القلوب لظى من تجنيك هل ترى يرضيك
يارعى الله جمعنا وسقى منزل اللهو والخلاعة فيك
يوم عيش الشباب لى نظر وزمانى وفى بلا تشكيك
اى صبر يكون لى ولقد عيل صبرى بمهجتى افديك
قالى الله اشتكي ابداً سحر عينيك ايها الفتيك
وقواما كأنه غصن سالبا عقل ناظر نسيك
صاح هات المدام ان لها نشأة تترك الوضيع مليك
واسقنيها ممزوجة بلمى ثغر خلي ولاتقل يكفيك
واسقنيها حمراء قد لبست شفق الليل او كمرف الديك

واسقنيها فانني شغف باحتساها مخالفا ناهيك
وتعطف الى الحبيب عسى يسمح الدهر باللقا لاخيك
وابق واسلم ما الصب منشدنا فاح عرف الشميم من ناديك

وقال عمر بن محمد علي بن سليم الوزير :

قسما بالهوى وما يرضيك وبعينيك فتنة النسيك
وبالحاظك المراض وما تحتويه من جوهر في فيك
وبشامات وجنة هزأت بزهور الرياض أي وأبيك
وبأردافك الثقال وخصرك يافاتني بلا تشكيك
ماتبدلت في المحبة لا والذي أرتجيه ان يدنيك
منّ بالوصل يامنى وقل يا قتيلي ها قبلة تحييك
خل قول الوشاة وادن وجد فؤادي بحالتي ينبيك
واجتلي أكؤس المدام ولا تك ممن جفا فماذا فيك
واسقني كالحبيب صافية لاتشمت بي العدا يكفيك
انا لولاك ما فتنت ولا قلت مدحا بذكره اعنيك
فترحم وصل محبك يا راحما كل قاصد ينويك
واجبر القلب بالوصال فما في محب لمن يحب شريك
وأغثني برشف ثغرك يا نور عيني فمهجتي تفديك

وقال الشيخ اسماعيل الدمشقي :

كلما لامني عذولي فيك زادني رغبة الى حبيك
ياغزالا سبت لواحظه كل ليث بروحه يفديك
كل ما تسحر العقول به فهو من صنع لحظك الفتيك
لك ثغر تفوح نكهته وعن المسك عرفه يغنيك
وبه ريقة مروقة هي عن كل حانة تلهيك

لك كالرمح قامة فتكت في طعانا تها بلا تشكيك
وعلي الوفا وناظره بسهام من الردى يوقيك
هل سلوت الحياة حين سلا وغدا بعد قربه يقصيك
لو تذكرت ليلة سلفت باللوى كان ذكرها يكفيك
ليلة نام حاسدوك بها ووفى زائرا بغير شريك
وسقانى بكاس مرشفه راحة فيك راحتى هاتيك
واجتلينا المدام صافية كصفاء النضار وهو سبيك
صرفة ان بدت بأكؤسها فى الدياجى فضؤها يهديك
حبذا ليلة قطعت بها يانع الوصل والظلام سميك
وبدا صبحها فقيل لنا فاح نشر الصباوصاح الديك

هذا تضمين حالى ، وقال الشيخ عبد اللطيف بن الفقيه سعيد :

اترى من بقتلتى يغريك ليت شعرى ومن بها يدريك
عمرك الله ان لى شجنا ليس يحصيه حاسب ينبيك
فاقض ما انت قاضه فلكم سيف لحظيك بالقضا يفتيك
وبما شئت فاحتكمه على مهجة كيف شئتها تأتيك
كم لعينيك يا ابن ذى يزن يا ابن عمرو بمهجتى تفتيك
الامان الامان منك فلى اى قلب يوده يصفيك
لا تحارب بناظريك فؤادى والصلح خير يوليك
يا مضلا بليل طرته في نهار الجبين ما يهديك
نار قلبي اتخمدى وغدا مالك الروح بالجفا يبكيك
ياحبيبى ويا طبيب فؤادى فلقد شفنى الضنا نماهيك
قم بنا ندهق الكؤس على روضة بالزهور في تحبيك
اوفقم هاتها كؤس حديث وان شئت هاتها من فيك

واسقنيها على الورود لما يانديمى بهجتى افديك

هذا تضمين ما فيه حلاوه كلا ولاطلاوه .

(وقال) السيد هاشم الازرارى في مدح رسول الرب البارى :

فض ختم الدنان من هاتيك فعسى عرف خمرنا يشفيك
وادهق الخمر في الكؤس وقم نتعاطى الرحيق في ناديك
خمرة بالسرور جالية عن صدا القلب موضع التشكيك
خمرة بالحباب قد عقدت عروة البسط فاك عن تفكيك
خمرة بالمياه ان مزجت لك في الكاس بعد ذا تبكيك
خمرة ان هداك رونقها فسنا ليل تاجها يغويك
خمرة ذاتها الرقيقة قد نزهتها السقاة عن تشريك
خمرة ان شممت نكهتها فمن المسك والشذى تنشيك
خمرة لونها تموت لما شك قلبي بأنها تحييك
خمرة بالنجوم قد قذفت مارد الهم لم يعد يأتيك
خمرة والمجيب أعشقها ولها أعين كعين الديك
خمرة للعقول قد ملكت ولها القلب أثبت التمليك
خمرة تشرح الصدور كما حلة العز والبها تكسيك
خمرة ان لزمت حانتها فالى الرشد نورها يهديك
ساق القوم ان سكرت فزد في سكراً ولا تقل يكفيك
واسقنيها حتى أموت ولم من حلا سكرتى أطق تحريك
وابكنى بعد بالسماع ودع حادى القوم بالنوى يحديك
واحضر الغسل بالمدام وان لم تبحه عن التقى انفيك
واطلق الندو البخور وخذ من نفيس القماش ما يرضيك
وادع لى با لصلاة في ملأ من أهيل الغرام يا نسيك

وتقدم الى الضريح وسر بعد دفنى الى الذى ينجيك
أشرف الرسل والخلائق من بضيا شمس حسنه يسبيك
واذا ما ذكرته أبدا فعن الغير حبه ينسيك
واقره منى السلام ولا تنس ما كنت سابقا أوصيك
وعلى الآل والصحابة من طيب المدح ذكرهم من فيك
ماهمى المزن في البقيع وما صدح الورق في قبا واديك

وقال الشيخ على الابيض في مدح الشفيع في الاسود والابيض :

لذة العيش ظبية تسقيك من رضاب حبابه يشفيك
ان بدت والظلام محتبك فضيا نور وجهها يهديك
ببديع الجمال كم فتنت في الورى كل زاهد نسيك
وبسيف اللحاظ كم فتكت في الهوى كل فاتك فتيك
قلت مذ اقبلت بطلعتها روق لي المدام من هاتيك
قالت اشرب جنى معتقة راح انس شرابها يرويك
فشربت المدام من يدها ونفيت السوى مع التشكيك
حبها في الانام صيرنى عبد رق بملكها تمليك
هم بها واخلع العذار ودع كل واش يريد ان يغريك
انما الحب راحة وعنا واجتماع وفرقة تنبيك
آه كم ذقت لوعة وقلى لكن القلب سالم التشريك
ولكم هام قبلنا فطن كان بين الملا أعزمليك
بات واللب منه مشتعل تارك الصافنات والدكديك
هكذا العشق فاستمع وأطع وتجنب كلام من يغويك
واحتسى خمرة الكرام تجد كل حظ بشربها ينشيك
خمرة في الدجي لها قبس مثل نار تلوح في واديك

لونها كالعقيق حين بدت داخل الكاس او كعرف الديك
عش فقيراً او فزبها زمنا واترك الكد علها تغنيك
واذا راعك الزمان بما فيه ضيق يكاد ان يضنيك
لذ بخير الانام من مضر بانكسار فانه ينجيك
والتزم بابه بمسكنة فهو للخير والعلى يدنيك
هو في الحالتين عمدتنا ومن السقم ذكره يبريك
خل يا قلب عشق كل رشا ذى جمال فحبه يكفيك
واطلب الفيض من مكارمه والعطايا فانه يعطيك
يارسول الاله كن عضدى من صروف الزمان والتأفيك
يارسول الاله كن سندي وترفق بمن اتى راجيك
واعطنى ما أروم يا أملى على ان لايخيب ظنى فيك
ان جسمي من السقام غدا ناحلا في السكون والتحريك
داونى واكفنى الهموم وجد سرعة بالحلول في ناديك
كي أزور المقام منبسطا مع قوم حدا بهم حاديك
وانادى بفرحة وهنا ياندیمی بهجتی افدیك
قال لى هاتف الدجى سحرا جد في مدح احمد تمليك
ياعذولا يلومنى سفها من على لوم مثلنا يغريك
ان تكن جاهلا هلم الى جبنا من علومنا تقريك
اوتكن قد جننت من وصب لذ باعتابنا عسى ترقيك
اترك اللوم للمحب ودع ظنك السوء ربما يرديك
هاك خذها كنفادة جليت من قريض نظامه يرضيك
ارتجى الحظ والقبول بها بين قومى لأننى داعيك
صغتها كاللآل معربة من بديع كلامه اهديك

يطرب السامعين منطقها مالها في البديع قط شريك
حين قدمتها اليك ضحى مهديا اخرت لكل ركيك
وانا ابيض المحبة لى منطق نظمه حوى تسبيك
كعقود نفائس نظمت بعمان ورقة تسبيك
بعلى دعيت عبدكم راجيا من جنابك التسليك
وصلاة الاله دائمة بسلام على المدى يوفيك
وكذا الآل ماهمت ديم في رياض تحبكت تحبيك
أوشدا المستهام من وله لذة العيش ظبية تسقيك

(وقال) السيد على خان بن السيد احمد معصوم المتقدم ذكر ترجمته :

كوكب الصبح قد بدا يحكيك فامزج الكاس يارشا من فيك
بادر الصبح بالصبوح فقد فاح نشر الصبا وصاح الديك

(ما احلى) هذا التضمين ولعمري ان كلام الملوك ملوك الكلام :

وادرها علي مشرقة عن سنا البدر في الدجى تغنيك
وادع في الانس والسرور بها ودع الهم يلتقى شانيك
وهى ماء الحياة فاحى بها روح صب بروحه يفديك
إن ضللت السبيل في غسق فبمشكاة نورها تهديك
وصل الراح ما حييت ولا تصغ سمعا لعاذل يغويك
واهجر اللائمين ان غضبوا ان فيها جميع ما يرضيك
هى لاشك آية ظهرت فانف عنها مقال ذى تشكيك
قل لميت الغرام قم سحرا واضطجعها فانها تحييك
لاتقل انها يحل بنا فهي من كل عاهة تنجيك
ياغدولى اسرفت في عذلى كف عنى فربنا يكفيك
خلنى والمدام في شغل واشتغل انت بالذى يعنيك

تأمل هذه البلاغه في هذا الكلام واللطافه ، ولاغرو فناظمه صاحب السلافه ، وقال والدى قدس الله روحه ونور ضريحه :

من لصب قضى غراما فيك ... ياغزالا بالحسن صار مليك
نم قريرا فان لى مقلا ... لم تذق لذة الكرى وابيك
صل فتى مغرما حليف ضنى ... يابديع الجمال يافتيك
واطف نار البعاد منك بما ... فيه وصلى ولا تطع ناهيك
رحمة يامعذبى لفتى ... نفسه من اذى الردى تفديك
لم يزل في الهوى اخاشجن ... يامنى القلب مستهاما فيك
نبل اجفانك المراض غدت ... داخل القلب والفؤاد تشيك
حقق الظن باللقا كرما ... وانف عنى يامنيتى التشكيك
رق لى الجلمد الاصم وما ... نابنى منك غير ذا التهتيك
يارى هل لذا الجفا سبب ... هات قل لى فالجسم صار نهيك
والذى قد كساك ثوب بهاً ... انا راض بكل ما يرضيك
يامعير الظبا النفار عسى ... رحمة الله نحونا تدنيك

(قلت) واصل من استفنّ هذا الفن ، وهذه القافية التى لسماعها قلب كل اديب هام وحن ، هو العالم العلامة الرحله ، الحسين بن عبد الصمد والد المترجم في هذه الرحله وهو :

فاح نشر الصبا وصاح الديك ... فانتبه وانف عنك ما ينفيك
واخلع النعل في الحمى ادبا ... وادن منا فاننا ندنيك
ان تشأ نشونا ونشأتنا ... شن غارات نشوة تنشيك
واستلمها سلافة سلمت ... من اذى من بغى لها تشريك
واحتكم مدحها الفصيح وقل ... كل مدح في غير تلك ركيك
وتعشق وكن اذاً فطنا ... كل شيء عشقته يغنيك

وانف عنك الوجود وافن تجد نفحة من نوالنا تشفيك
ان تسر نحونا تسر وان مت في السير دوننا نحييك
واذا هالك الحميم فحم في حمانا فاننا نحميك
وتخلق بما خلقت له فهو من مورد الردى ينجيك
جد بنفس تجد نفيس هوى كف كفا عن غيرنا نكفيك
خل خلى مناك لى بمنى واجعل النفس هدينا نهديك
وانتصب رافعا يديك لنا واخفض القدر ساكنا نعليك

ما احلى هذا التوجيه بالنحو :

وابك تمحوا قبائحا كتبت قبل ان تلتقى الذى يبكيك
تدعى غير ما وصفت به والذى فيك ظاهر من فيك
تجترى والجليل مطلع ما كأن النهى ادا ناهيك
تتلاهى عن الهدى سفها مبتلى دائما بما يلهيك
تلبس الكبر تائها عجبا والنجاسات كائنات فيك
واذا ذكرت مواعظنا صمت عنها كانها تنسيك

وقلت انا متغزلا وعلى واسم فضل الفضلاء متطفلا :

لست اسلو هواك لا وأبيك ياحبيبي وطرفك الفتيك
كيف انساك يا حبيب وقد تلفت مهجتى وذابت فيك
وعيونى بالدمع تشهد لي فاختبرها فانها تمليك
انت روحى وراحتى وانا عبدرق لكل ما يرضيك
انت زين الملاح قاطبة انت للخرد الحسان مليك
انت بدر بالحسن مشتمل جل من صور المحاسن فيك
ارتجى الوصل منك ياقمرى فعسى لايضيع ظنى فيك
ذاب جسمى من الضنى وغدا لايطيق السكون والتحريك

كف عني كفيت مظلمتي فتحولي عن حالتي ينبيك
وتكرم بالوصل منك وجد لغريب قد حل في ناديك
واسقنيها حمراء منعشة بنت كرم ممزوجة من فيك
خمرة ان قصدت حانتها فهي يا بدر للصف تصفيك
واذا ماشممت نكهتها فعن الطيب طيبها يغنيك
تجلب الانس والسرور لنا وتزيل العنا بلا تشكيك
قم بنا نجتلي المدام ودع قول واش بجهله يغريك
فوق نهر والورد حف بنا وحدنا وحدنا بغير شريك
أويكن ثالث يشاركنا فهزار الرياض نعم شريك
بالحسيني والرصد ينشدنا ياند يمي بمهجتي أفديك

﴿ فائدة ﴾

نغم الحسيني هو شعبة من الشعب الاربع والعشرين، والرصد هو أول الانغام الست التي هي الاصل في علم تأليف الالحان ولا أصل لقول من قال ان الأنغام اثني عشر نغماً وانما هي ستة أولها نغم الراست في الاصل والآن يسمونه الرصد ومعنى الراست الاول من الانغام ثم الدوكاه والسيكاه والجهاركاه والبنجكاه يعني الثاني والثالث والرابع والخامس والآن يسمونها الدوكه والسيكة والجركه ويقولون ايضا جاركه والبنجكه والسادس نوروز الصباح وقل من يعرفه والشعب أربعه وعشرون شعبة ثم اربعة وعشرون كوشة وهذا مشهور عند أهل الموسيقا أي تأليف الالحان فاعرف ذلك .

وبالجملة ان قصيدة بهاء الدين البهيه قد عارضها غير واحد من الشعراء ذوى الالمعيه وركضوا بجياد بلاغتهم في مضمارها ، لكنهم لم يلحقوا أثر غبارها فرجعوا وقد غلبتهم بها روت اسحارها :

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

من كلامهم : اقلل المعارف فانها اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانك كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر عليك القيام بالجميع .

ومن كلامهم انكر من تعرف ولاتتعرف الى من لاتعرف .

وقال الامام الغزالى في الاحياء : حكي انه كان ببعض البادية فريقان بعضهم قريب من الآخر فأقام بهما بعض الكلاب مدة وتألف بهما فاتفق ان رحل فريق واقام الأخرفتبع الكلب ذلك الفريق الذى رحل الى ان غاب عنه الفريق الثانى الذى اقام فصاح حولهم وتألم من شدة الفراق ولم يعلم منه ذلك لانهم رحلوا عن ذلك المحل فرجع الى الفريق الثانى ليقيم به فتذكر اصحابه فلم يجدهم ففعل مثل مافعل بالاول وكان يرتحلهم ويلحق بالفريق الاول فلم يفهم منه ذلك لانهم مقيمون محلهم فرجع على أثره ولحق بالركب وصاح بهم ولازال يفعل ذلك حتى خرجت نفسه من شدة ماصنع من التردد بين الفريقين فمر رجل ووجد الناس حوله متعجبين من فعله فقال لهم ماهذا فقصوا عليه القصة فقال لهم وما كان يقول هذا الكلب في صياحه قالوا لاعلم لنا بذلك فقال انه كان يقول وانشد هذين البيتين :

اذا كان لى أهلان أهل ترحلوا وأهل أقاموا اى أهلى أتبع

أقام الذى لاأستطيع فراقهم وسار الذى قلبي لديهم مودع

قلت : ياهل ترى بأى الاهلين كانت وفاته أم كانت بينهما في الطريق فان الظاهر ان شغفه والفه بهما سواء هكذا من يجعل الله فيه أهلية ثمر المعروف وحق الالفة والمحبة ولعمرى ان هذا الكلب أحسن من كثير من الناس خصوصا في زماننا هذا في هذه الخصلة فلهذا قال علماء الطريقة لايكمل المريد حتى يكون فيه جمل من خصال الكلب منها حفظ المعروف وسرعة الالفة وعدم رؤية النفس وأمانتها وغير ذلك وقد عد منها الامام الغزالى في كتابه الاحياء جملة فلتنظر ثمة .

قلت : ومما يناسبها ما حكاه ابن الجوزى في كتاب الاذكياء ان بعض الناس مر بمقبرة فاذا قبر عليه قبة مكتوب عليها هذا قبر كلب فمن احب ان يعلم خبره

فليمض الى القرية الفلانية فان فيها من يخبره فقصد الرجل القرية وسأل عن خبر الكلب فقيل له مايعلم ذلك الا شيخ هنا قد جاوز المائة فسأله فقال له كان هنا ملك عظيم الشان وكان يحب التنزه والصيد وكان له كلب لايفارقه فخرج يوما الى بعض متنزهاته وقال للطباخ أصلح لنا ثردة بلبن فنسى الطباخ ان يغطى اللبن فخرج أفعى فكرع منه ومج فيه من سمه والكلب يراه وهنالـ جارية خرساء تراه ايضا فجاء الملك وقال ادركونى بالثردة فلما وضعت بين يديه أومأت الجارية الخرساء اليـه فلم يفهم مرادها ونبح الكلب وصاح فلم يفهم مراده ولم يلتفت اليه ولج الكلب في الصياح فقال السلطان للغلمان نحوه عنى ومد يده الى اللبن بعد مارمي الى الكلب شيئا ليأكله فلم يلتفت اليه فلما رأى الـكلب ان الملك يريد ان يضـع اللقمـة في فمه طفر الى المائدة وكرع من اللبن وسقط ميتا وتناثر لحمه من حينه فبقى الملك متعجبا منـه ومن فعله وعرفوا مراده ومراد الجارية الخرساء فقال الملك لحاشيته هذا الكلب فدانى بنفسه وقد وجب على ان اكافئه ومايحمله ويدفنه غيرى فدفنه وبنى عليـه القبة التى رأيت وهذه الحكاية حكاها ابن حجة أيضا في ثمرات الاوراق وذكرها ابن المرزبان أيضا في كتابه فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب .

قلت : لله دره في هذا الاسم العجيب .

﴿ حـكاية ﴾

خرج معن بن زائدة يوما للصيد فعطش فلم يجد ماء مع غلمانه فبينما هو كذلك واذا بثلاث بنات أبكار كأنهن الاقمار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فأسقينـه فطلب شيئا من الدنانير مع غلمانه فلم يجد فدفع الى كل واحدة منهن عشرة أسهم نصالها من ذهب فقالت احداهن ياويلكن لم تكن هذه الشمائل الكريمة الزائـده الا في معن بن زائده فلتقل كل واحدة منا فيه شعرا فقالت البنت الاولى :

يركب في السهام نصال تبر ... ويرمي للعدا كرما وجودا

فللمرضى علاج من جراح ... وأكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية :

ومحارب من فيض جود بنانه عمت مكارمه الاقار ب والعدا
صبغت نصول سهامه من عسجد كي لا يفوته القتال عن الندى

وقالت الثالثة :

ومن جوده يرمى العداة بأسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه ويشترى الاكفان منها قتيلها

فرحم الله ذلك الزمان وأهله ، وأما زماننا هذا الذي هو أعجوبة العالمين ، فان اهله لا يفرقون بين البعر والتين ، ولله در لبيد حيث يقول :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

أنشدني من لفظه لنفسه ببندر سورت بالهند سنة ١١٣٧ الشيخ الكامل ، العالم العامل الصفي الوفي الشيخ أحمد بن عبدالله الربيعي الاحسائي :

عبد بقيد الذنب اصبح موثقا يثني على من في يديه عنانه
والله ما استوفى القليل من الثنا لو ان كل الكائنات لسانه

﴿ فائدة ـ ذكر خراسان ونيسابور وطوس ﴾

(خراسان) : قاعدة اقليم عراق العجم ، وهي مدينة وسيعة حصينة عظيمه ذات اسواق عامره وحوانيت من جميع الجنس والنقد وافره وقصور شاهقه وشموس شارقه وخيرات جامعه وانهار نابعه وبساتين زاهره ومحاسن باهره وبها مشمش يسمى بالخراساني ، ما احسن لونه الزعفراني وعنبها اقسامه تزيد على السبعين ، وبالجملة فهي جنة الناظرين ذات الفواكه والولدان والحور العين ، وشرقي خراسان ماوراء النهر وغربيها قهستان ، وبلخ ونيسابور والهرات وهي من اعمر المدن في ذلك المكان وبها عين تحار فيها عيون البشر ينبع منها الماء ثم ينعقد فيصير كالحجر وبها نهر يسمى الزريق يمر بجميع زروعها والبساتين ومركب عليه جملة من الطواحين ، وبها من عجائب حكمة الباري وقدرته قبة يخرج منها ريح شديد لا يمكن دخولها

لشدته ، وبها من عجائب الزمان جبل فيه كهف شبيه بالايوان ، وبه دهليز ومحوط به شبه البستان وفيه عين يجري منها ماء حار قيل انه نافع للبرقان ، وبها فأرة المسك وغيرها ، من عجائب صنع الملك الديان واهل خراسان احسن الناس في الاشكال ، واكثرهم في الاموال واعظمهم شجاعة وكرما إلا ان الغالب فيهم الحماقه وسفك الدماء وفي خلافة عثمان بن عفان قتل بها يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الاكاسرة اهل الايوان ، وينسب اليها ابو عبد الله حمزة بن يوسف الاصم ، وتوفي بها سنة سبع وثلاثين بعد المائتين من هجرة شفيع الامم وينسب اليها ذو الكرامات الباهره الشيخ حبيب العجمي وكان من الابدال الظاهره نفعنا الله ببركاتهم في الدنيا والآخره .

﴿ فائدة ﴾

(نيسابور) : مدينة شهيره عظيمة كبيره ، وهي في ارض سهلة وبها نهر واحد وينقطع اياما حتى لايبقى منه شيء ، وهذه نيسابور من مدن خراسان ، ذات عمارات رفيعه وبساتين فائحة وسيعه وفواكه واشجار وزهور واقمار ، وكانت مجمع العلماء الاخيار ، وبها معدن الفيروزج ويجلب منها الى سائر الاقطار ، وكان بها بستان مارأت مثله العين ، لعبد الله بن طاهر بن الحسين وكان عليها سور مانع الى الافلاك طالع ، وقد كانت من اكمل المدن حسنا ، واجملها ذاتا ومعني ، الى ان خربت واحرقت في سنة ثمان واربعين بعد الخمسمائة وذلك ان بعض الخوارج خرج على السلطان سنجر السلجوقي بن ملك شاه فحاربه فانكسر المسكر واسر سنجر فقاتله اهل نيسابور اشد القتال ، ثم انه وقع الغلب عليهم من ذلك الخارجي والوبال وحاصرهم اشد حصار لانه كان في قوة ، ثم اخذ نيسابور من يدهم عنوه فنهبها واخلى دورها ، وقتل اهلها وحرق قصورها ، ثم انتقل من بقي من اهلها الى شادناج والى نيسابور ينسب الحكيم عمر الخيام ، وكان في الطب امام ، وهو من جماعة السلطان سنجر .

وينسب اليها الامام العلامه قدوة العلماء الفهامه رضي الدين النيسابوري

الحنفي الذي كان يحضر حلقة درسه اربعمائة من فحول العلماء مثل العميد وأمثاله .

وينسب اليها ابو محمد المرتعش صاحب الجنيد وكان جليـل المكان من اعظم الصوفية اولياء الرحمن ، توفي سنة ثمان وعشرين بعد الثلاثمائة .

وينسب اليها عمر بن عبد السلام الحداد احـد السادة الأئمة الامجاد توفي في نيف وستين بعد المائتين .

وينسب اليها استاذ القوم عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب الرسالة القشيرية . وينسب اليها امام الحديث سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي .

واهل نيسابور في هذا الوقت الذي كسره غير مجبور، ما رأيت لهم في الفظاظة والغلاظة والبخل مثيلا ، انهم إلا كالانعام بل هم اضل سبيلا .

وما اصدق قول ابى الحسن المرادى الشاعر المشهور في نيسابور :

لاتنزلن بنيسابور مغتربا إلاوحبلك موصول بسلطان
أولافلاادب يغني ولاحسب يجدى ولاحرمة ترعى لانسان

﴿ فائدة ﴾

طوس من اشهر البلدان ، واكبر المدائن بخراسان ، ذكرها في التواريخ مشهور ، وهي بالقرب من نيشابور ذات قرى عامره وقصور باهره واقمار عيونها للقلوب ساحره واسواق من كل خيرات وافره وبساتين زاهره وازهار عاطره ، واشجار بها الفواكه الطيبـة الفائحه ، وانهار عظيمة سائحه كأنها عروس تتبختر تيهاً بحسنها على امثالها ، ويوجد معدن الفيروزج في بعض جبالها ويجلب منها السيوف الخراسانية والقدور ، وغير ذلك من كل صنف نفيس مشهور ، وبها قبر علي بن موسى الرضى الشهيد، وبجانبه قبر الخليفة هارون الرشيد وينسب اليها الحكيم الفردوسى الطوسي مصنف الشاه نامه والخواجه نصير الدين الطوسى وكان عالماً علامة توفي سنة اثنتين وسبعين بعد الستمائة من هجرة المظلل بالغمامه ، وينسب اليها الامام حجة الاسلام ابو الفضائل والمعالى صاحب كتاب الاحياء محمد بن محمد بن محمد الطوسى

الغزالي ، وما اصدق قوله نفعنا الله به وبعلومه حين اعتزل الخلق وهو في ذلك الزمان فماظنك بزماننا هذا الذي خفض الاشراف الاعيان، ورفع كل جاهل لئيم حيوان :

قد كنت عبدا والهوى مالكي اصبحت حرا والهوى خادمي
وصرت بالخلوة مستأنسا من شر انواع بني آدم
يالأمي في تركهم عامدا عذري منقوش على خاتمي

وكانت وفاته سنة ٥٥٥ وعاش اربعة وخمسين سنة وكان نقش خاتمه وماوجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين .

وينسب الى طوس الوزير نظام الملك حسن بن علي بن اسحاق الطوسي ، وزير بغداد قتله جماعة الحشيشية اصحاب قلعة ألموت غيلة سنة ٤٨٥ وقد تقدم ذكر ذلك .

وينسب اليها الامام عمدة الدين محمد بن اسعد بن الجمدة الطوسي وغيره من العلماء الافاضل الكرما وعلى كل حال فان مدينة طوس وما ادراك ماطوس ليس لها نظير في البلاد كأنها ارم ذات العماد وأما قبة الامام المطهر فهي مبنية بالذهب الاحمر وجملة مابنيت به ثمانية آلاف وثمانمائة وثمان وثمانون لبنة من الذهب الابريز الكسر وأما القناديل الذهب والجواهر الثمينة سليس لها حصر وقد نظم بالفارسية بعض شعراء العجم ماصرف على القبة الشريفة من الذهب الشريف العال فقال :

هش هزار وهش صد وشتا دهغي خشتي طلا
خرج شد بر كنبد سلطان علي موسى الرضا

وبجانب ضريحه السعيد قبر هارون الرشيد وبروضة الرضي المحفوفة بالرضوان والمشمولة بالروح والريحان سبعة اشياء كل شيء منها بسبعة آلاف تومان والتومان عبارة عن عشرة قروش حجر وافية الميزان ، الضريح والستارة والعلم والكرسي والقنديل الذي على رأسه الشريف والباب والشمعدان .

ولله در العلامة بهاء الدين محمد العاملي المتقدم ذكره حيث يقول (دو بيت) :

ياريح اقص قصة الشوق اليك ان جئت الي طوس فبا لله عليك
قبل عني ضريح مولاى وقل قدمات بها من شدة الشوق اليك

أسند الاصبهانى في (مقاتل الطالبيين) قال: اخبرنى ببعضه الحسن بن على بن حمزة عن عمه محمد بن على واخبرنى بأشياء منهم احمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوى وجمعت اخبارهم ان المأمون بن الرشيد هارون وجه الى جماعة من آل أبى طالب فحملوا اليه من المدينة وفيهم أبو الحسن على بن موسى الرضى فأخذبهم على طريق البصرة مع قائد من اهل خراسان فقدم بهم على المأمون فأنزلهم دارا وانزل على بن موسى دارا ووجه اليه الفضل بن سهل فاعلمه انه يريد العقد له بالبيعة وأمره بالاجتماع مع اخيه الحسن على ذلك ففعل واجتمعا بحضرته فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه مافي اخراج الامر من اهله عليه فقال له انى عاهدت الله ان اخرجها الى آل أبى طالب ان ظفرت بالخلوع وما اعلم احدا افضل من هذا الرجل فاجتمعا معه على ما أراد فارسلهما الى الرضى عليه الرضى فعرضا ذلك عليه فأباه فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه الى ان قال له احدهما ان فعلت والا فعلنا بك وصنعنا وتهدده ثم قال له والله لوأمرنى لضربت عنقك اذا خالفت مايريد ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع فقال له المأمون مثل ما قال الاول وتهدده وقال له ان عمر جعل الامر شورى في ستة احدهم ابوك وقال من خالف فاضربوا عنقه ولابد من قبول ذلك فأجابه الرضى الى ماطلب هكذا ذكره أبو الفرج الاصبهانى .

قلت : انما اجابه الرضى عليه السلام عن تقية حين اكرهه المأمون على ذلك لان الرضى قال المأمون ان خافية الجفر دلت على انه لايتم ما أردتم فلما اكره اجاب ثم ان المأمون جلس في يوم خميس وخرج الفضل بن سهل فاعلم الناس بفعل المأمون في الرضى وانه ولاه عهده ولقبه الرضى وأمرهم بلبس الثياب الخضر والعود لبيعته في الخميس الآخر على ان يأخذوا رزق سنة فلما كان الخميس ركب الجيش والقواد والقضاة وغيرهم من الناس وهم لابسون الثياب الخضر وجلس المأمون بمد

ان وضع للرضى وسادتين عظيمتين وجلس الرضى باثوابه الخضر ايضا وعليه عمامته وسيفه ثم أمر ابنه العباس بن المأمون فبايع له أول الناس فرفع الرضى يده وتلقى بظهرها وجه نفسه وببطنها وجوههم فقال له المأمون ابسط يدك للبيعة فقال الرضى ان رسول الله هكذا كان يبايع فبايعه الناس ووضعت البدر وقام الخطباء والشعراء فجعلوا يذكرون فضل علي بن موسى الرضى وحسن رأى المأمون .

(قلت) : وما أحق قول أبي نواس حين عوتب على عدم مدح علي بن موسى الرضى عليه السلام عندما بايعه المأمون :

قيل لي انت افصح الناس طرا في المعاني وفي الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح ينثر الدر من يدي مجتنيه
فلماذا لم تمتدح نجل موسى والصفات التي تحكمن فيه
قلت لا استطيع مدح امام كان جبريل خادما لابيه

لاشك ان ناظم هذا العقد الجوهر ، يغفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر .

ثم ان أبا عباد الكاتب دعا بالعباس بن المأمون فوثب فدنا من أبيه وقبل يده وأمره بالجلوس ثم نودي محمد بن جعفر بن محمد فقال له الفضل بن سهل قم فقام فمشى حتى قرب من المأمون ولم يقبل يده ثم مضى فأخذ جائزته وناداه المأمون ارجع أباجعفر الى مجلسك فرجع ثم جعل ابوعباد يدعو بعلوي وعباسي فجعلوا يدخلون فيقبضون جوائزهم حتى نفذت الاموال ثم قال المأمون للرضى قم فاخطب الناس وتكلم فيهم فقال بعد حمدالله والثناء عليه ان لنا عليكم حقا برسول الله صلى الله عليه وآله ولكم علينا حق به عليه السلام ولم يذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس وأمر المأمون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسمه وزوجه ابنته أم حبيبة وأمره فحج بالناس وخطب للرضى في كل موضع بولاية العهد :

حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا من سمع عبد الجبار بن سعيد يخطب تلك السنة على منبر المدينة فقال في الدعاء له علي بن

موسى الرضى ولي عهد المسلمين بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي:

ستـــة آباء هـم مامم اكرم من يشرب صوب الغمام

وزوج المأمون محمدالجواد بن الرضى ابنته أم الفضل ونقلها اليه واعتل الرضى علته التى مات بها .

قال أبو الفرج الاصفهانى ورأى الرضى المأمون يوما يتوضأ وغلام يصب على يده الماء فقال له يا أمير المؤمنين ولاتشرك بعبادة ربك أحداً قلت مذهب الرضى والأئمة عليهم السلام لايجوزون وضوء الغير للرجل الاحالة الاضطرار وأما حالة الاختيار فقد أجمع علماء الامامية على عدم جوازه .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه وهذا مما انفرد به الامامية وربما ظهر من كلام ابن الجنيد الجواز وهو ضعيف وأما جواز التولية مع الاضطرار فقـــد قال في المعتبر انه متفق عليه بين الفقهاء واحتج عليه بانه توصل الى الطهارة بالقـدر الممكن فيكون واجبا وفيه نظر وتتعلق النيـة بالمباشر لانه الفاعل للوضوء ولو نوى المضطر قبـل الطهارة وتمكين غيره منها كان أولى ولما اعتل الرضى تعالل المأمون أيضا واظهرا نهما اكلا جميعا طعاما ماضارا فلم يزل الرضى عليه السلام عليلاحتى مات .

قال الاصبهانى وقد اختلف في أمر وفاته وكيف اسقى السم فذكر محمد بن على ابن حمزة ان منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبـد الله ان المأمون أمره ان يطول أظفاره ففعل ثم أخرج اليه شيئاً يشبه التمر الهندى وقال له أمرسه بيديك جميعا ففعل ثم دخل على الرضى فقال له ماخبرك قال أرجو ان اكون صالحا قال هل جاءك أحد من المترفقين اليوم قال لافغضب المأمون وصاح على غلمانه وقال خذ ماء الرمان اليوم فانه ممالا يستغنى عنه ثم دعا برمان فاعطاه عبدالله بن بشير وقال له اعصر ماءه بيديك ففعل وسقاه الرضى بيده فشربه فكان سبب وفاته مالبث بعد شرب ماء الرمان إلا يومين حتى مات .

قال محمد بن على بن حمزة فبلغنى عن أبى الصلت الهروي انه دخل على الرضى

بعد ذلك ، فقال : له يا أبا الصلت قد فعلوها بى قدسقونى السم . .

قال محمد بن علي وسمعت محمد بن الجهم يقول ان الرضى كان يعجبه العنب فأخذ له عنب فجعل في موضع اقماعه الابر وتركت أياما فاكل منه في علته فقتله وذكر ان ذلك من لطيف السموم ولما توفي الامام عليه السلام لم يظهر المأمون موته في وقته وتركه يوما وليلة ثم وجه الى محمد بن جعفر وجماعة من آل أبى طالب فلما حضروا أراهم اياه صحيح الجسد لاأثر به وبكى وقال عز علي يا أخى ان أراك في هذه الحالة وقد كنت أؤمل ان اقدم قبلك فأبى الله الا ما أراد واظهر جزعا شديدا وحزنا كثيرا وخرج مع جنازته يحملها حتى أتى به الى قبر هارون ابيه فدفنه الى جانبه .

(قلت) : تأمل بعين البصيرة اني هذه المصيبة العظمى التى اغضبت إله السما هذا مع تشيع المأمون المشهور ولكن الملك عقيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ويحتمل ان المأمون أبر يمينه ببيعته للرضى ثم ندم فسمه وما كان اغناه عن الحالين:

والله ما فعلت علوج أمية ... معشار ما صنعت بنو العباس

ويمكن ان المأمون أراد ارغام عمه ابراهيم بن المهدي فانه كان ناصبيا وعندى انه كان أرجس وأنجس من ألف كافر وكان يعيب المأمون بالتشيع ولما بايع المأمون للرضى خلعه ابراهيم ببغداد ودعا الى نفسه .

وقال ابراهيم يوما للمأمون انى رأيت عليا في منامي فقلت له انما تدعون هذا الامر بامرأة ونحن أحق به منكم فما رأيت له بلاغة في جوابه كما تروون عنه فقال له المأمون فما الذى اجابك به قال لى سلاماً سلاما فقال المأمون الله أكبر قد والله أجابك بابلغ جواب وعلم انك جاهل لاتناظر قال الله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) فتغير ابراهيم وقال ليتنى لم أخبرك .

(قلت) : وكان ابراهيم هذا أشوه الناس خلقا وكان يلقب بالتنين ، وكان في الغناء لا يناظره إلا الشيطان اللعين .

قالت اسماء بنت المهدى قلت لاخى ابراهيم انا والله أشتهى ان اسمع غناءك

قال اذا والله لاتسمعين مثله وحلف أيمانا مغلظة مؤكدة ان ابليس ظهرلى وعلمنى النقر والنغم وصافحني وقال لى اذهب فانت منى وأنا منك واعجب ماسمعت من خبره ماحكاه اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال بويع ابراهيم ببغداد وقد قل المال عنده وكان قد لجأ اليه اعراب من اعراب السواد وغيرهم من أوغاد الناس فاحتبس عليهم العطاء فجعل ابراهيم يسوفهم ولاينى الى ان خرج رسوله يوما اليهم وقد اجتمعوا وضجوا فصرح لهم بانه لامال عنده فقال قوم من غوغاء أهل بغداد أخرجوا الينا خليفتنا ليغنى لاهل هذا الجانب ثلاث أصوات لتكون عطاء لهم ولاهل ذلك الجانب مثلها وقال فانشدنى دعبل الخزاعى بعد ايام أبياته التى هجاه بها وهى :

يامعشر الاجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينيـــة يلتذها الامرد والاشمط
والمعبـــديات لقوادكم لاتدخل الكيس ولاتربط
وهكذا يرزق قواده خليفة مصحفه البربط

(قلت) : قوله الحنينيات منسوبة الى حنين النجفى المبادى المغنى المشهور والمعبديات منسوبة الى معبد المغنى المشهور والبربط ملهاة تشبه العود وهو فارسى معرب وأصله بربت لان الضارب يضعه على صدره .

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى في شرح الجهورية كان ابراهيم بن المهدى منحرفا عن على عليه السلام باغضاله ولما مات ابراهيم ركب المعتصم في جنازته حتى صلى عليه وقال للواثق أقم يابنى حتى تدفنه وقيل بل لم يصل عليه تحرجا وأمر الواثق بالصلاة عليه وسأل الواثق عن وصية ابراهيم فوجده قد أمر بمال عظيم ان يفرق على أولاد الصحابة إلا أولاد على عليه السلام فقال الواثق والله لولا اطاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه ولاانتظرت دفنه ثم انصرف الواثق وهو يقول منحرف عن شرفه وخير أهله والله لقددليته في قبره كافرا وأمر الواثق لاولاد على عليه السلام بمال عظيم أصاب كل رجل منهم أضعاف ما أصاب غيرهم من وصية ابراهيم انتهى .

وفي سنة احدى وأربعين وألف دخل القنفده بعض عسكر اليمن الذين طردهم باشا اليمن فانصوه باشا فارسلوا الى صاحب مكة السيد محمد بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي انا نريد مصر ونريد الاقامة بمكة اياما لنتهيأ للسفر فابى عليهم صاحب مكة خوفا من الفتنة والفساد ودفن بعض آبار كانت على طريقهم فلما وصلهم الخبر اجتمع رأيهم على دخول مكة قهرا واستمدوا وخرج اليهم الاشراف وحصل القتال بينهم الى ان قتل ملك مكة الشريف محمد بن عبدالله وقتل من الفريقين جمع وانهزم الاشراف ودخل الجلالية مكة وولوا الشريف نامي بن عبد المطلب وأشركوا معه السيد عبد العزيز ادريس بلا شعار وأرسل الجلالية الى باشا جدة يسلمها لهم فابى وقتل الرسل فتجهزوا اليه وحاصروه يومين ثم دخلوا جدة ونهبوها واستمر الشريف نامي يصادر أهل مكة ونهب عسكره البلاد واستباحوا المحرمات واكثر وافيها الفساد وكان الشريف زيد بن محسن انهزم الى المدينة المنورة وكتب عروضا وأرسلها الى باشا مصر مع السيد علي بن هيزع فلما وصل الخبر لصاحب مصر أرسل اليهم سبعة صناجق وارسل بخلع سلطانية للشريف زيد مع الاغا محمد الازروي وجماعة من خواصه وبلغهم ان الشريف زيد بالمدينة فدخلوا وخلعوا عليه بملك الحجاز في الحجرة النبوية وتوجه الى العسكر وأتوا جميعا الى مكة ولما وصل الشريف زيد بذلك العسكر المعان الى وادي مر الظهران ويسمى وادي فاطمة الآن خرجت الجلالية وانهزمت الى جهة المشرق .

وحج الشريف زيد بالناس سنة احدى وأربعين ولما فرغوا من المناسك توجهوا الى مسك الجلالية ولما سمعت الجلالية بان العسكر السلطاني قصدهم تحصنوا بحصن تربه فحاصرهم العسكر واذاقهم كاس الموت الاحمر وكانت الجلالية على فرقتين فرقة رئيسهم يقال له علي بيك والثانية رئيسهم يقال له كور محمود بيك والكور بالتركية والفارسية هو الاعور فاستمسك علي بيك لنفسه من الصناجق على انهم يسلموه من القتل ويلزم لهم محمود بيك فقبلوا ذلك ومسكوا محمود بيك بحيلة دبروها

عليه وأتوا به الى مكة وطيف به على جبل معذبا بالنار ثم صلب حيا بالمعلاة الى أن مات وأخذته العامة وأحرقته في شعبة العفاريت بمكة في اعلى فلق عبد المطلب .

وقد تقدم ان الجلالية جعلت على مكة الشريف نامي بن عبد المطلب بن الشريف حسن وكان له اسم الامر فقط ثم لما فرغوا من أمر الجلالية قبضوا على الشريف نامي وأخيه السيد عبد العزيز واستفتوا العلماء فيهما فأفتوا بقتلهما فقتلوهما وصلبوهما بجانبي رأس الردم المسمى الآن بالمدعى وتمت الولاية للشريف زيد بن محسن بن حسين بن أبي نمي والله تعالى اعلم .

﴿ ترجمة السيد النجيب ، والفاضل الاديب ، على بن اسماعيل ﴾ (المتوكل على الله بن القاسم إمام اليمن)

سيد على المقام ، سليل السادة الكرام ، وأديب راق نظمه وانسجم فارانا الزهرو الما ، وحلى عقد نثره الجوهرى فما الاهيف الكحيل الألمى نشأ في حجر السياده وغذى بدر السعاده ورغب في الادب وأنفق عمره في الطلب فبلغ الغاية من الارب آيات شعره تقص للشعراء أحسن القصص وتترك ابن دراج محبوسا في قفص ترشفك بيوته المنظومة من بلاغتها مداما وتسبيك رقة وانسجاما يصبى بها النديم وهى فى لطفها كالنسيم أحلى من الوصل بعدا لصد واشهى من الراح بكف مائسة القد وله نظم يذيع ولفظ بليغ بديع وقد أوردت له قصيدته التى ضمن فيها بيتى الذهبى في الحمامة في ترجمة عمى المتقدم ذكرها وكنت قد اجتهدت في تحصيل شىء من أشعاره وأبكار بنات أفكاره لكنه لتوزع البال وتتمتم الاحوال لم أظفر بسوى هذه القصيدة التى هى في الحقيقة عين القلادة تخجل بحسنها كل جليحة غادة وهى :

أيكتم مابه الصب المشوق وقد لاحت له وهنا بروق
وهل يخفى الغرام أخو ولوع يؤرق جفنه البرق الخفوق
ويسلو عن أهيل الجزع صب جرى من جفن عينيه العقيق

ما ابرع هذا الكلام الذي لا يليق الا بذلك الجليل ابن الامام :

اليك اليك عنى يا عذولى فانى للملامـــة لا أطيق
فلى قلب الى بانات حزوى طروب لايمـل ولا يفيق
فان سمومها عندى نسيم وان أجاجها عندى رحيق
فلو ذقت الهوى وسلكت فيه لما ضلت اليه بك الطريق
بعيشك هل ترى زمنى بسلع يعود وذلك العيش الانيق
ويمنحنى أحيبابي بوصـل ويرجع بعد فرقته الرفيق
فها قلبي أسير في هواهم وها دمعى لبينهم طليق

(قلت) : ولأبيه اسماعيل امام اليمن واديب الزمن فضل أشهر من ان يذكر وشعراً حلي من السكر ، فمنه قوله :

في المهجة أضحى معهده فاذا في الغيبة تشهده
فتان الحسن ممنعـه فتيان الصبوة اعبده
معسول الثغر مفلجـه عسال القـد معربـده
وافى من بعد تجنبـه ووفى بالزورة موعده
وسرى كالبدر فسر بـه مسلوب كرى لايرقده

وهى طويلة جدا ومن شعره قوله :

وشادن أجرى دموعى دما سحا على الخدين لاترقا
أخاف مسود عذارى به يبيض من حلته الزرقا

وله ايضا :

ياشادنا قد فاق في حسنه وعز عن شبه وأمثال
لأنت في قلبي وفى ناظرى ألذ من نومـة شوال

وبالجملة فان شعر علي بن المتوكل الامام ، مشهور بالبلاغة والرقة لدى الخاص والعام والله تعالى اعلم .

﴿ نكتة ﴾

من أقوى أسباب رفع الغضب ودفعه التوحيد الحقيق وهو اعتقاد أن لا فاعل حقيقة في الوجود الا الله تعالى فان الخلق آلات ووسائط فمن توجه اليه مكروه من غيره وشهد ذلك التوحيد الحقيق بقلبه اندفع عنه آثار غضبه لان غضبه اما على الخالق فهو جراءة فاحشة تنا في العبودية واما على المخلوق فهو اشراك ينافي التوحيد المذكور ومن ثم خدم أنس عند رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين فما قال له شيء فعله لم فعلته ولا لشيء تركه لم تركته ولكن يقول قدر الله ماشاء وماشاء فعل ولو قدر الله لكان وماذاك الا لكمال عقله ومعرفته صلى الله عليه وآله وسلم فانه لا فاعل ولا معطى ولا مانع إلا الله تعالى ولا ينافي هذا ماصح من ضرب موسى عليه السلام الحجر الذى فر بثوبه حين اغتسل بعصاه حتى أثرت عليه لانه لم يغضب عليه غضب انتقام بل غضب تأديب وزجر لان الله تعالى خلق في الحجر المذكور حياة فصارت كدابة نفرت عن صاحبها أو أنه غلب عليه الطبع البشرى حتى لفكه على يده عند أخذ العصا حين صارت حية تسعى ، ومن طب الغضب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والوضوء لقوله عليه الصلاة والسلام اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار وانما تطفأ النار بالماء .

وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ .

ومن طبه أيضا الانتقال من مكان الى مكان واستحضار ماجاء في كظم الغيظ من الآيات والاحاديث .

قال الشعرانى في البحر المورود وكان سيدى على الخواص يقول اذا سمعت ان احدا ينقصك فافرح واذا سمعت ان احدا ينقص أحدا من اخوانك فسل سيف المقاطعه في وجهه ورد عرض أخيك جهدك قياما بالعدل .

والحديث من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة رواه أبو داود وغيره .

وقال الشريف الاكمل السيد شيخ بن عيد الله العيدروس في كتابه العقد النبوى مانصه ولفظه : يا أهل العلوم الظاهرة لستم على شيء من حقيقة الدين حتى تزينوا ظاهركم وباطنكم بالاعمال والاحوال الواردة في الكتب الالهية وذلك بمقدمتين ونتائج أربعة فالمقدمة الاولى الجذبة الالهية ونتيجتاها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى والمقدمة الثانية تربية الشيخ ونتيجتاها تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق الفاضلة وجاهدوا في الله حق جهاده فجهاد النفس بتزكيتها بأداء الحقوق وترك الحظوظ وجهاد القلب بتصفيته وقطع تعلقه عن الكونين وجهاد الروح بتحليته بافناء الوجود في وجوده فهو الذى أعطاكم هذه الكرامات من بين سائر البريات ولولا أنه اجتباكم ما اهتديتم اليه وما جعل عليكم في دين العشق وهو السير الى الله من ضيق فالسير الى الله تعالى من ضيق من سنة ابراهيم وشاهده انى ذاهب الى ربى سيهدين فانه سبحانه وتعالى هو الذى اجتباكم وسماكم في الازل المسلمين ، انتهى كلامه رفع مقامه ولله در من قال :

الكبر ذل والتواضع رفعة والمزح والضحك الكثير سقوط
والحرص فقر والقناعة عزة واليأس من صنع الاله قنوط

وللشيخ أبى الحسن البكرى :

أنوار ذاتك اشرقت في ذاتى فمحيت عن كونى وكل صفاتى
وخرجت عن كل الوجود حقيقة وجمال وجهك فائق اللذات

قال النبى صلى الله عليه وآله ان احبكم إلي واقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم اخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون المتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون رواه الترمذى وحسنه وأحمد والطبرانى وابن حبان في صحيحه .

(قلت) : الثرثار بمثلثتين مفتوحتين وتكرير الراء كثير الكلام تكلفا والمتشدق المتكلم بملء فيه وشدقه تفاصحا وتعاظما واستعلاء على غيره وهو معنى المتفيهق .

من كلام الشيخ نظام الدين الثانى المعروف راج كبرى بكاف عجمية مالفظه وينبغى للواقف ان يعلم أنه تعالى سمى حبيبه بأحمد وحروفه اربعة والسر في ذلك قيام العناصر الاربعة بها ووصفه بمحمد وزينه بخمسة حروف والخامس مستور في الرابع الذى هو عين الخامس من اعين الاغيار بوجه لاتطلع عليه الافكار والانظار وبذلك يعرف اندراج الشفع في الوتر وبه يتفحص بنور البصيرة ان الفضيلة في الصوم او الفطر .

﴿ فائدة ﴾

عند قوله تعالى: (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) الآية .

(الشعب) : الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة .

فالشعب تجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمائر تجمع البطون والبطون تجمع الافخاذ والافخاذ تجمع الفصائل ، بيان ذلك : خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت خزيمة شعوبا لان القبائل تشعبت منها فاعرف ذلك انتهى قال بعض الاكابر :

ما وهب الله لامرىء هبة احسن من عقله ومن ادبه
هما جمال الفتى فان فقدا ففقده للحياة أجمل به

قال بعض الحكماء : لبنيه لاتعادوا أحدا وان ظننتم انه لايضركم ولاتزهدوا في صداقة احد وان ظننتم انه لاينفعكم فانكم لاتدرون متى تخافون عداوة العدو ولا متى ترجون صداقة الصديق .

قيل للمهلب ما الحزم فقال تجرع الغصص الى ان تنال الفرص ومن كلامهم ماتزاحمت الظنون على شيء مستور الا كشفته .

لما قدم منصور الحلاج الى القتل قطعت يده اليمنى ثم اليسرى ثم رجله فخاف ان يصفر وجهه من نزف الدم فأدنى يده المقطوعة من وجهه فلطخه بالدم ليخفي اصفراره ثم انشد يقول :

لم اسلم النفس للاسقام تبلغها ... إلا لعلمي بأن الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة ... لعل مسقمها يوما يداويها

فلما شيل على الجزع قال :

يامعين الضنا علىَّ اعني على الضنا

ثم جعل يقول :

مالي جفيت وكنت لاأجفى ... ودلائل الهجران لاتخفى
وأراك تمزحني وتشربني ... ولقد عهدتك شاربي صرفا

فلما بلغ به الحال أنشأ وقال

لبيك ياعالما سري ونجوائي ... لبيك لبيك يا قصدي ومعنائي
حبي لمولاي أضناني وأسقمني ... فكيف اشكو الى مولاي مولائي
ياويح روحي من روحي ويأسفي ... على منائي فاني أصل بلوائي

قال بعض البلغاء : الكرم عامر والبخل دامر والذكر سائر والصبر على الخطوب اكرم ناصر واغاثة الملهوف من اعظم الذخائر .

وفي سنة ٤٨٨ توفي أبو القاسم محمد بن عباد ملك اشبيلية وكان ملكا جليلا وهماما نبيلا عالما فاضلا عاقلا عادلا بقي في المملكة نيفا وعشرين سنة فقبض عليه ابن تاشفين وسجنه باغمات حتى مات وخلع من ملكه وله ثمانمائة سرية ومائه وثلاثة وسبعون ولدا ولما كان مقيدا بالحديد دخل عليه من يسلم عليه يوم العيد وفيهن بناته وعليهن أطمار وهن كالاقمار واقدامهن حافية وآثار نعمتهن خافيه فأنشد في

الحال لما رأى من تقلب الاحوال قصيدة منها :

قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا فردك اليوم منهيا ومأمورا
من بات بعدك في ملك يسر به فانما بات بالاحلام مغرورا

قال ابو الفتح البستي : من اصلح فاسده ارغم حاسده ومن اطاع غضبه اضاع ادبه عادات السادات سادات العادات .

توفي ابو الفتح علي بن احمد البستي المذكور سنة ٤٠١ وفي سنة ٦٦١ احضرت الى مصر فلوس كثيرة من ناحية قوص وجدت في مطمورة كان على الفلس صورة الملك وفي يده اليمنى ميزان وفي اليسرى سيف وعلى الوجه الآخر من الفلس راس بآذان كبار وحوله اسطر فأحضر حكيم يونانى فقرأ الاسطر فكان تاريخ الفلوس من ألفين وثلاثمائة سنة وفيه مكتوب انا غلبات الملك وهذا ميزان العدل فالكرم في يمينى لمن اطاعنى والسيف في شمالي لمن عصانى وفي الوجه الآخر مكتوب انا غلبات الملك اذنى مفتوحة لشكوة المظلوم وعينى انظر بها مصالح ملكى .

وفي سنة خمس وتسعين هلك شيطان ثقيف الحجاج بن يوسف الثقفي بواسط ليلة السابع والعشرين من رمضان عن اربع وخمسين سنة ودفن واخفى قبره واجرى عليه الماء وكانت مدة ولايته على العراق والحجاز احدى وعشرين سنة .

قال هشام احصينا من قتل الحجاج ظلما بغير حق فبلغ مائة وعشرين ألفا من سادات الناس .

وقيل للحسن البصرى: مات الحجاج فقال رحم الله امرأ عرف زمانه وحفظ لسانه وداري سلطانه وفيها ضرب الحجاج عنق سعيد بن جبير الكوفي رحمه الله تعالى .

قال بواب الحجاج : رأيت رأس سعيد بن جبير بعد القتل على الارض يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولما بلغ الحسن البصرى قتله قال اللهم ياقاصم الجبابرة اقصم الحجاج بن يوسف الثقفى فما بقى إلا ثلاثة أيام ووقع الدود في جوفه ومات .

وحكي عن الحجاج عليه ما عليه انه أمر بقتل رجل فقال له الرجل يا أيها

الامير لي حويجة اقضها ثم أمر في بعد بماشئت قال وماهي؟ قال تماشيني سبع خطوات فمشى معه فقال له الرجل سألتك بحق هذه الصحبة الا ماعفوت عني فعفا عنه وحكي عنه انه امر باحضار الحسن البصري ليقتله فلما دخل عليه حرك شفتيه فلما رآه الحجاج ادناه وقربه وآواه ثم خرج عنه سالما قال الحاجب فتبعته وقلت له يا أبا سعيد فما قلت حين دخلت عليه ؟ قال قلت ياصاحبي عند شدتي ويا غياثي عند كربتي ويا ولي عند نقمتي ويا انيسي عند وحدتي ويا الهي واله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ويا كهيعص ويا حمعسق ويارب طه ويس والقرآن الحكيم اكفني اذاه ومضرته وارزقني معروفه ومودته يا كريم فكان الذي رايت .

كتب بعض الحكما الى صديق له امابعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحي من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام .

قيل ان المأمون بن الرشيد العباسي فتح يوما تربة كسرى انوشروان صاحب الايوان ـ وقد تقدم ذكر الايوان ـ فكشف تابوته وفتشه ونظر الى سحنة وجهه وهي بمائها ما بليت والثياب عليه بجدتها ما تغيرت ولا تخلقت وخاتم الملك في يده فصه من ياقوت احمر كثير الثمن مارأى المأمون فصا مثله وكان على فصه مكتوب :

به مه نه مه به : ومعنى ذلك الاجود اكبر وليس الاكبر اجود فأمر المأمون ان يغطى كما كان بثوب نسج بالذهب الاحمر ورصع بالدر والجوهر وكان مع المأمون غلام خاص فأخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به المأمون فلما علم به اهلك الخادم وامر باعادة الخاتم الى اصبع كسرى وقال كاد يفضحني هذا العبد حيث كان يقال عني الى يوم القيامة ان المأمون كان نباشا للقبور وانه فتح قبر كسرى واخذ خاتمه من اصبعه .

قلت : عجب من بقاء جسم كسرى وثيابه من موته الى نبش المأمون له فان المدة بين الموت والنبش كانت مائتي سنة وزيادة ولكن لا تنهم هذه الرواية ولا نعترض فان حجة الاسلام الغزالي ذكرها في نصيحة الملوك وهو رفيع القدر في العلم وكلامه

حجة وانما نقول لعل الله تعالى ابقى لكسرى جسمه بمائه وثيابـــه بجدتها تنبيها للظلمة الفجرة خصوصا حكام زماننا هذا ولله در من قال :

قـد بلينا بامير ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فينا يذكر الله ويذبح

وفي بقاء جسم كسرى دليل على فوز العادل فى عباده بعظيم ثوابه ولعل الله تعالى ألهم المأمون نبشه ليعتبر أولوا الالباب هذا مع ان كسرى مجوسى لم يضم الله عدله المشهور وكفى بذلك ان النبي صلى الله عليه وآله أثنى عليـه حيث قال ولدت في زمان الملك العادل وأما كسرى الذى دعا عليه النبي صلى الله عليه وآله بتمزيق ملـكه حين مزق كتابه فهو كسرى أبرويز بن العادل أنوشروان وهوصاحب القصر الابيض المشهور بالمدائن والايوان من عمارة كسرى العادل عمره ليقيم فيه سنة العدل ويعجبنى قول أبى عبادة البحترى في وصف الايوان لابأس بايرادها فانها قصيدة لم يسمح بمثلها الزمان ، وهي:

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن ندى كل جبس
وتماسكت حين زعزعنى الدهر التماسا منه لتعسى ونكسى
بلغ من صبابة العيش عندى طففتها الايام تطفيف بخس
وبعيد ما بين وارد رفـه علل شربـه ووارد خمس
وكـأن الزمان أصبح محمولا هواه مع الاخس الاحس
واشترانى العراق خطة خسف بعد بيعى الشآم بيعة وكس
لاتزرنى مزاولا لاختبارى بعد هذا البلا فتنكر مسي
وقـديما عهـدتنى ذاهنـات آبيات على الدنيات شمس
ولقد رابنى بنو ابن عمى بعد لين من جانبيهم وأنس
واذا ما جفيت كنت جديرا ان ارى غير مصبح حيث امسى
حضرت رحلتى الهموم فوجهت الى ابيض المدائن عبسى

اتسلى عن الخطوب وآسى لمحل من آل ساسان درس
اذكرتنيهم الخطوب البوادى ولقد تذكر الخطوب وتنسى
وهم حافظون في ظل عال مشرف يحسر العيون ويخسى

(الحسير) : المنقطع عن رؤية الخلل والخاسىء الذليل لعدم ادراك الخلل .

مغلق بابه على جبل الفتح الى دارتى خلاطا ومكس
حلل لم تكن بأطلال سعدى في قفار من البسابس ملس
ومساع لو لا المحاباة منى لم تطقها مسماة عنس وعبس

(عنس) : قبيلة باليمن وكذلك عبس .

نقل الدهر عهدهن عن الجدة حتى رجعن انضاء كنس
فكان الجرمان من عدم الانس واحلا له بقية رمس

(الجرمان) : هو الايوان .

لو تراه حسبت ان الليالى جعلت فيه مأتما بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
واذا مارأيت صورة أنطاكية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وأنوشروان يزجى الصفوف تحت الدرفس

(الدرفس) : كقمطر ويقال له الدرفش والدرفش أيضا كجعفر لواء من جلد للاكاسرة وقد قدمنا سببه وذكره .

في اخضرار من اللباس على أصفر يختال في صبيغة ورس
وغزاة الرجال بين يديه في خفوت منه واغماض جرس
من مشيخ يهوى بعامل قد ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جد أحياء لهم بينهم اشارة خرس
يعتلى فيهم ارتيابى حتى تتقراهم يداى بلمس
قد سقانى ولم يصر دأبوالغيث على العسكرين شربة خلس

من مدام تظنها هي نجم ضوأ الليل أومجاجة شمس
وتراها اذا أخذت سرورا وارتياحا للشارب المتحسى
أفرغت في الزجاج من كل قلب فهي محبوبة الى كل نفس
وتوهمت ان كسرى أبرويز معاطى واليلهبذ أنسى
حلم مطبق على الشك عيني أم أماني عيرن ظني وحدسي
وكان الايوان من عجب الصنعة حور في جنب أرعن جلس
ينتضي من الكآبة اذيبدو لعيني مصبح أو ممسى
مزعجا بالفراق عن أنس ألف عزا ومرهقا بتطليق عرس
عكست حظه الليالي وبات المشترى فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدي تجلدا وعليه كلكل من كلا كل الدهر مرسى
لم يعنه ان يزمن بسطة الديباج واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات رفعت في رؤس رضوى وقدس
لابسات من البياض فما تبصر منها الا قلائل برس
لست تدري اصنع انس لجن سكنوه أم صنع جن لانس

ما أبرع هذا الكلام :

غير اني أراه يشهد ان لم يك بانيه في الملوك بنكس
فكأني ارى المراتب والقوم اذا ما بلغت آخر جسى
وكأن الوفود ناحون حسرى من وقوف خلف الزحام وجلس
وكأن الفتيان حول المقاصير يرخصن بين حو ولمس
وكأن اللقاء اول من امس ووشك الرحيل اول أمس
وكأن الذي يريد ا تباعا طامع في لحوقهم صبح خمس
عمرت للسرور دهراً فصارت للتعزي ديارهم والتأسي
فعلى ان اعينها بدموع موقفات على الصبابة حبس

غير نعمى لاهلها عند أهلى غرسوا من زكائها خير غرس
أيدوا ملكنا وشدوا قواه بكماة تحت السنور حمس
واعانوا على كتائب ارياط بطعن على النحور ودعس
وارانى من بعد اكلف بالاشراف طرا من كل سنخ وأس

﴿ قصة سيف بن ذى يزن ﴾

قلت لله دره في سبك هذه القصيدة التي تزرى بالعقد في جيد المليحة الخريدة وفي الاربعة الابيات الاخيرة اشاره الى قصة سيف بن ذى يزن واستنجاده بكسرى أبرويز على الحبشة لما ملكوا اليمن والبحترى من قبيلة طى وهم من اليمن من ولد قحطان ولاباس بأن نذكر قصة سيف بن ذى يزن في هذا المكان وهى ان الحبشة لما غلبوا على اليمن وطال مكثهم خرج سيف بن ذى يزن وهو من أهل بيت المملكة الى الروم يستنصر قيصر فشاور قيصر وزراءه فقالوا أيها الملك ان الحبشة في دينك وان هذا العربى دينه مخالف لدينك فاطله فلما طال على سيف المطال رجع الى الحيرة بعد ان اقام سبع سنين بارض الروم فسار الى كسرى أبرويز ملك فارس يستنصر به على الحبشة فلما دخل بلده اكرمه كسرى وبالغ في اكرامه ورفع مجلسه وعرف انه من بيت المملكة فقال له الترجمان يقول لك الملك مايبتغي وما الذى قصدت اليه فقال له سيف غلبتنا الاغربة على بلدنا فقال له الترجمان يقول لك الملك أى الاغربة الهند أم الحبشة فقال بل الحبشة وقد قصدت الملك لينصرنى عليهم ونكون في دينه أى في طاعته فانه أحب الىّ منهم فقال له الترجمان يقول لك الملك هيهات هيهات بعدت عنا أرضك وهى مع ذلك ارض قليلة الخير وانما يوجد بها الشاء والابعرة وهذا لاحاجة لنافيه ثم أعطاه الملك عشرة آلاف دينار فلما صارت بيده فرقها على باب الملك جميعها بين العبيد والاماء وذلك حيلة من سيف ليرغبه في ارضه فلما بلغ كسرى الخبر وجد عليه وتغير وأمر برده فلما عاد قال له الترجمان أخذت عطاء الملك

فقرقته على العبيد والاماء وقد عتب عليك الملك بما فعلت فقال له سيف وما أصنع بالذهب وهل جبال بلدى الافضة وذهب فداخل كسرى الطمع حين سمع من سيف هذا الكلام وأمره بالمقام ووعده بنيل المرام .

ثم شاور وزراءه في ذلك فقالوا له أيها الملك ان وجهت معه جندا من جنود فارس في مفاوز العرب حيث لا ماء ولا كلأ وانما يشرب فيها الماء من مثل عيون الديكة وان اغورت عليهم ماتوا عطشا فتكون سببا اهلاكهم فقال لهم كسرى ما كنت لاخلفه وقد وعدته ولا بد من ان أبلغه أمله فقالوا فان ثم رأيا قال وماهو؟ قالوا تبعث الى سجونك فان فيهم قوما قد استحقوا القتل وانما حبستهم منة منك عليهم بارواحهم واستبقاء فتخرجهم وتجعل عليهم رئيسا من غيرهم ذا رأى وبصر بالحروب فان ظفروا فانه ملك زدته الى ملكك وان هلكوا فهو الذى أردت بهم ففعل ذلك فاجتمع منهم عشرة آلاف رجل فرأس عليهم بهروز وكان من الاساورة الشجعان المتقدمين له عادة بالحروب وقد عمر مائة وعشرين سنة وسقط حاجباه على عينيه من الكبر فحملهم في البحر في عشر سفائن فانتهوا الى عدن فقال بعضهم لبعض علام نغر معرهذا بأنفسنا فحملوا سفائنهم على الجسور فانكسرت منها ثلاثة وسلمت سبع فوصلت الى ساحل عدن فسمعت العرب بوصول سيف بن ذى يزن فاجتمعت اليه وفزعت الحبشة الى ملكها مسروق الحبشى فزحف بهم اليهم فتأهب سيف الى القتال وقال للاساورى بهروز ما الرأى عندك قال الرأى ان نقاتل حتى نظفر أو نموت صبرا فان السفائن قد انكسرت ونحن بحيث لا نتوقع من الملك مددا ثم انه عمد الى عصابة حمراء فشد بها حاجبيه وقال لسيف كن انت على ناحية ودعنا والقوم قال ثم ان سيفا خالطهم فاقتتلوا مليا فسألهم بهروز وكان ضعيف البصر من الكبر على أى الدواب يقاتل ملك الحبشة فقالوا على الفيل فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا قد تحول على الفرس فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا قد تحول على البغل فقال البغل ولد الحمار والحمار ذليل قد ذل ملكه ورب الكعبة ثم قال لهم أسمعوا لي سمته فلما

استقر بصره عليه أخذ قوسه وكان لا يوترها غيره وركب فيها سهمه وكان على مسروق ملك الحبشة تاج وبين عينيه ياقوتة حمراء فرماه بهروز بالسهم ففلق الياقوتة وتغلل السهم في رأسه فخر على وجهه ميتا وانهزمت الحبشه وكان كسرى أبرويز قد عهد الى بهروز وقال له اذا صرت باليمن وظفرت بالقوم فاجمع أهلها وسل عن سيف فان كان من ملوكها كما زعم فتوجه وملكه وان كان غير ذلك فاعطه تاجا وملكه على قومه واجلب المال وان كان كاذبا فاقتله واكتب إلي لأكتب اليك برأي فلما تمكن بهروز من البلاد جمع أبناء الملوك فقال لهم كيف كان سيف فيكم فقالوا له انه ملكنا وابن ملكنا فتوجه بهرو وملكه وكتب بالخبر الى كسرى فاقره باليمن انتهى .

﴿ ترجمة أبي العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ﴾
(ابن سليمان التنوخي المعري اللغوي الشاعر الماهر أحد فحول)
(الفضلاء العاملين الصلحاء الزاهدين)

فاضل سار ذكر فضله في البراري والبحور واجمع على تقدمته الجمهور بانه فارس المنظوم والمنثور اقر له بالبلاغة والادب كل بليغ وأديب ويشهد له قوله من لاميته التي هي أحلى من لام عذار الحبيب وأغلى من اللؤلؤ النفيس الرطيب :

وانى وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

ولادته عند مغيب شمس يوم الجمعة سابع وعشرين ربيع الاول بمعرة النعمان سنة ثلاثمائة وثلاث وستين وكان قد عميت عيناه من الجدري قيل انه لما فرغ من شرح ديوان المتنبي المسمى باللامع وقرىء عليه شرع التلامذة يصفونه ويثنون عليه فقال لهم أبو العلاء كانما نظر الى المتنبي بظهر الغيب حيث قال :

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

(وقال) : القاضي الاديب المؤرخ أحمد بن خلكان في تاريخه وفيات الاعيان وكان أبوه فاضلا وعليه قرأ ولده أبو العلا علم النحو واللغة بالمعرة وقرأ أيضا على

محمد بن عبدالله بحلب وله مصنفات كثيرة مفيدة شهيره ومن افضلها كتاب الهمزية ويسمى الردف ويسمى أيضا الايك والغصون يقارب مائة جزء .

(قال) : وحكى لى من وقف على المجلد الأول بعد المائة منه وقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد وله ديوان فريد محتو على درر نضيد سماه سقط الزند وشرحه شرحا مفيداً سماه ضوء السقط وسمي أيضا شرح ديوان أبى الطيب معجز أحمد وله مختصر ديوان أبى تمام وسماه ذكرى حبيب وله أيضا شرح ديوان البحترى وسماه عبث الوليد وأخذ عليه القاضى أبو القاسم على بن عبد المحسن التنوخى والخطيب أبو زكريا التبريزى الحريرى ذكره ابن خلكان وقال في ترجمته انه قصد أبا العلاء من لنهروان الى معرة النعمان وجعل كتبه في مخلاة عاقها على ظهره فابتلت بالعرق حتى أثر في كتبها .

(قال ابن خلكان) : ومن لزوميات أبى العلاء المعرى قوله :

لقد عجبوا لاهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرآة المنجم وهى صغرى أرته كل عامرة وقفر

(قلت) : هذان البيتان على تشيع أبى العلا يدلان .

(ومما) يدل على تشيعه أيضا قوله من قطعة :

أمر الواحد فافعل ما أمر واشكر الله ان الفعل أمر
أظهر الخفيـة واضمر قلما أدرك الطرف المدى حتى ظهر
ايها الملحد لاتعصى النهى فلقد صح قياس واشتهر
ان تعد في الجسم يوما روحه فهو كالربع خلا ثم عمر
وهى الدنيا اذاها ابدا زمر واردة اثر زمر
يا ابا السبطين لاتحفل بها اعتيق ساد فيها ام عمر

وكان ابو العلاء يقول لااعرف من الالوان الا الاحمر لانى لبست في الجدرى ثوبا مصبوغا بالعصفر وكان يقول انا احمد الله تعالى على العمى كما يحمده غيرى على البصر .

(قلت) : وشاهده قوله :

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدانكم يهون
والله مافي الوجود شيء تأسى على فقده العيون

وكان اماما في اللغة فما صاحب المجمل وفي الفلك ورصد الكواكب فما افلاطون وفي المنطق فما المعلم الأول .

وكان من بيت علم ورياسة وفضل وله جماعة من اقاربه قضاة وعلماء وشعراء .

وقال الشعر وهو ابن احدى عشرة اواثنتى عشرة سنة ورحل الى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة واقام بها سنة وسبعة اشهر واجتمع فيها بالشريف المرتضى فاختبره فوجده عالما نحريرا وجهبذا كبيرا.

(قلت) : ومن الاتفاقات العجيبة ان ابا العلا المعرى كان يتعصب للمتنبى والشريف المرتضى كان ينقص المتنبي فجاراه يوما وعندهما جماعة من اهل الادب مختلفين فيه فقال ابو العلا لولم يكن للمتنبي الاقوله (الك يامنازل في القلوب منازل) فغضب الشريف المرتضى وامر باخراجه ثم التفت الى جلسائه وقال اتدرون ما اراد الاعمى انما اراد قوله فيها :

واذا اتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بانى كامل

وارتحل ابو العلا الى طرابلس قبل رحلته الى بغداد وكان بها خزائن علم موقوفة فأخذ منها ما اخذ من العلم واجتاز باللاذقية ونزل ديرا كان به راهب عالم باقاويل الفلاسفة فأخذ عليه فلهذا انكر عليه بعض قوله .

(قلت) : بل الاظهر ان تلامذته وغيرهم كانوا يعملون على لسانه الاشعار ويضمنونها اقاويل الملحدة قصداً لاتلاف نفسه ويشهد على هذا قوله :

حاول اهوائى قوم فما واجهتهم الاباهوان
لواستطاعوا لوشوا بى الى المريخ في الشهب وكيوان

ومما يدل على صحة عقيدته مارواه الحافظ السلفي مسندا الى القاضى ابى المهلب

عبد المنعم ابن السروجي قال سمعت اخي القاضي ابا الفتح يقول دخلت على ابي العلا المعري ذات يوم بالمعرة في وقت صلاة بغير علم منه وكنت اتردد اليه واقرأ عليه فسمعته ينشد من قوله :

كم غودرت غادة كعاب وعمرت امها العجوز
احرزها الوالدان خوفا والقبر حرز لها حريز
يجوز ان تبطىء المنايا والخلد في الدهر لايجوز

ثم تأوه مرات وتلا ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ومانؤخره إلالأجل معدود يوم يأتي لاتكلم نفس الابأذنه فمنهم شقي وسعيد ثم صاح وبكى بكاء شديدا وطرح وجهه على الارض زمانا ثم رفع راسه ومسح وجهه وقال سبحان من تكلم بهذا في القدم فقلت له ياسيدي مالي ارى في وجهك اثر غيظ فقال لا يا ابا الفتح ولكن قرأت شيئا من كلام الخالق فلحقني مارايت فتحققت صحة دينه وقوة يقينه .

(ولما) عاد من بغداد لزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين يعني البيت والعمى وكان ابو العلا في الذكاء والحفظ غاية لاتدرك .

ذكر تلميذه ابو زكريا التبريزي انه كان قاعدا في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلا يقرأ شيئا من تصانيفه قال وكنت قد أقمت عدة سنين لم أر أحدا من أهل بلدي فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وعرفته فتغيرت من الفرح فقال لي أبو العلا أي شيء اصابك فحكيت له فقال لي قم فكلمه فقلت حتى اتم المسئلة فقال لي قم وانا انتظرك فقمت وكلمته بلسان أذربيجان شيئا كثيرا الى ان سألت عن كل ما اردت فلما رجعت وقفت بين يديه فقال لي أي لسان هذا فقلت هذا لسان أذربيجان فقال لي ماعرفت اللسان ولافهمته غير اني حفظت ما قلتما جميعا ثم اعاده علي بعينه من غير ان ينقص من اللفظ اويزيد عليه فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ من مرة مالم يعلمه .

(ومما) يدل على تمكنه من علم الفلك واسرار الكواكب ماحكاه ابن أبي أصيبعة في كتاب الأنباء في تاريخ الأطباء ان وزير محمود بن صالح الكلابي صاحب حلب وشى اليه بأن المعري زنديق وانه لايرى افساد الصور ويزعم ان الرسالة تحصل بصفاء العقل فبعث على طلبه خمسين فارسا ليحملوه اليه فلما وصلوا اليه أنزلهم واكرمهم بدار الضيافة فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان وقال يا ابن اخي رايت هذه الحادثة التي نزلت بنا من الملك محمود فانه طلبك فان منعناك عجزنا عن القيام وان سلمناك كان عارا علينا عند ذوي الذمام فقال له ابو العلا هون عليك ياعم فلاباس علينا ولا غم ثم انه قام فاغتسل وصلى الى نصف الليل ثم قال لغلامه انظر الى المريخ اين هو قال في موضع كذا فقال زنه واضرب تحته وتدا واجعل في رجلي خيطا واربطه على الوتد ففعل قال فسمعناه يقول ياقديم الازل ياعلة العلل ياصانع المخلوقات ياموجد الموجودات انا في عزك الذي لايرام وكنفك الذي لايضام الضيوف الضيوف الوزير الوزير ثم ذكر كلمات لانفهم واذا بهدة فسألنا عنها فقيل الدار وقعت على الضيوف فقتلت الخمسين فارسا وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حاب على جناح طائر مكتوب فيها لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير بحلب .

(قال) : ولده فلما شاهدت ذلك دخلت عليه فقال ممن انت قلت انا ولدك فقال زعموا انى زنديق ثم قال اكتب فكتبت :

باتوا وحتفي امانيهم مصورة ... وبت لم يخطروا مني على بالي
وفوقوا لي سهاما من سهامهم ... فاصبحوا زلفا مني بأنبال
فما ظنونك اذ جندي ملائكة ... وجندهم بين طواف ونقال
لا آكل الحيوان الدهر مأثرة ... أخاف من سوء افعالي واقوالي
واعبد الله لا ارجو مثوبته ... لكن تعبد اكرام واجلال

اصون ديني عن جهل اؤمله ... اذا تعبد اقوام باجمال

وكان لا ياكل اللحم البتة وانما طعامه العدس وحلاوته التين ولبسه الكرابيس

الغليظة وفراشه سجادته وشاهده قوله :

بنت عن الدنيا ولا بنت لي فيها ولا عرس ولا اخت

(قلت) : هذا لعمري هو الزهد الصحيح والتقشف المحبوب المليح .

وما اصدق قول ابى العتاهية :

رغيف خبز يابس تأكله في زاوية
وكوز ماء بارد تشربه من ساقيه
وغرفة ضيقة تفسك فيها خاليه
اومسجد بمعزل عن الورى في ناحية
تدرس فيه دفترا مستندا بساريه
معتبرا بمن مضى من القرون الخاليه
خير من الساحات في في قصور عاليه
تعقبها عقوبة تصلى بنار حاميه
فهذه وصيتي مخبرة بحاليه
طوبى لمن يسمعها تلك لعمري كافيه
فاسمع لنصح مشفق يدعى ابا العتاهيه

(رجع) ومما يدل على عجائب ذكاء المعرى ماذكره صاحب نسمة السحر فى ترجمته قال وكان الشعراء يعرضون اشعارهم على ابى العلا المعرى فوفد عليه مرة ابو نصر احمد بن يوسف المنازى ومعه جماعة فانشدوه وانشده المنازى ابياته في وصف وادى بزاغة وهى :

وقانا لفحة الرمضاء واد وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمأ زلالا الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

فقال له أبو العلا انت أشعر من بالشام .

(قلت) : ووادي بزاغة هـذا بضم الباء قرية كبيرة بين حلب ومنبج كثيرة البساتين والاشجار غزيرة المياه مختلفة الثمار .

ثم ان المنازى غاب بالعراق والجزيرة مدة واستوزره أبو نصر الكردى صاحب ميافارقين ـ بفتح الميم وتشديد الراء ـ مدينة عظيمة مشهورة من تعلقات ديار بكر وينسب اليها الخطيب ابن نباته الفارقى المشهور. ثم ان المنازى عاد الى الشام بعد عشرة اعوام فدخل على أبى العلا مع جماعة من الشعراء فانشدوه وأنشده المنازى :

لقد عرض الحمام لنا بسلع اذا أصغى له ركب ألاحا
شجى قلب الخلي فقال غنى وبرح بالشجي فقال ناحا

فقال له ابو العلا ومن بالعراق فعجب الناس من عطفه بعد هذه المدة الطويلة وحفظه لما قاله ولأبى العلا ايضا :

ارى ولد الفتى تعبا عليه لقد سعد الذى اضحى عقيما
فاما ان يربيه عدوا واما ان يخلفه يتيما
واما ان يصادفه حمام فيبقى حزنه ابدا مقيما

وله من قصيدة طويلة رثى بها فقيها حنفيا :

غير مجد في ملتي واعتقادى نوح باك ولاترنم شادى
أبكت تلكم الحمامة ام غنت على فرع غصنها المياد

قلت: هذا البيت مأخوذ معناه من قول المنازى المذكور (شجى قلبي الخلي فقال غنى) الخ

وقريب صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل نادي
ان حزنا في ساعة الموت أضعاف سرور في ساعة الميلاد
زحل أشرف الكواكب قدرا من لقاء الردى على ميعاد
والثريا رهينة بافتراق الشمل حتى تعد في الاضداد
صاح هذى قبورنا تملأ الارض فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء ما أظن أديم الارض إلا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهد هوان الآباء والاجداد

ومنها :

وفقيه ألفاظه شدن للنعمان مالم يشده شعر زياد

يعنى زياد الاعجم في المهلب بن أبي صفرة وقد تقدم ذكره في ترجمة الشيخ عبد الرحمن الوزير وأخذ قوله خفف الوطء من قول أبي الطيب المتنبي :

ويدفن بعضنا بعضا ويمشي أواخرنا على هام الاوائل

وأخذه مهيار الديلمي فقال من قصيدة :

رويدا بأخفاف المطى فانما تداس جباه في الثرى وخدود

وذكر صاحب نسمة السحر عن الزمخشري عند قوله تعالى : انها ترمي بشرر كالقصر ذكر بيت أبي العلا في صفة نار القرى من القصيدة الفائية التي رثى بها النقيب أبا أحمد الموسوى والد الشريف الرضى والمرتضى وهو :

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

وحمى عليه وقال انه أراد وقصد الزيادة على تشبيه القرآن العظيم بالقصر.

(قال) : ولا أدرى من أين له انه قصد الزيادة على تشبيه القرآن فمن المعلوم أن القصر أعظم من الطراف وهى خيمة من الأدم الاحمر يتخذها الاتراك البادون وعياسير العرب ولكن الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيرا .

وما أحسن استعارة الذوائب للنار ، ويعجبنى قول أبي اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسى في صفة النار :

حمراء نازعت الرياح رداءها وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها لم تذرفيه شملة من كوكب
وتبسمت من كل لفحة جمرة باتت لها ريح الشمال بمرقب
قد ألهبت فتذهبت فكانها شقراء تمزج في عجاج أكهب

الكهبة بالضم الغبرة المشوبة بالسواد والفعل ككرم .

وما أحسن وأبدع هذا البيت من قصيدة له يصف بها الناقة وفيه صناعة التوجيه ومراعاة النظير وهو :

وحرف كدال تحت ميم ولم يكن براه يؤم الرسم غيره النقط

الحرف الناقة والدال تشبيه لها والميم الراكب المنحنى والرائى ضارب الرئه من رآه اذا رئته اصاب والرسم أثر الديار والنقط المطر . ومن الزامه للنصارى قوله :

عجبا للمسيح بين النصارى والى أى والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا انهم بعد قتله صلبوه
فاذا كان مايقولون حقا فاسألوهم في اين كان أبوه
واذا كان راضيا بقضاهم فاشكروهم لأجل ما عذبوه
فاذا كان ساخطا بأذاهم فاعبدوهم لأنهم غلبوه

ومما يدل على حسن مذهبه وإلزامه لأهل الكسب والجهمية قوله :

زعم الجهول ومن يقول بقوله ان المعاصى من قضاء الخالق
ان كان حقا مازعمت فلم قضى حد الزناء وقطع كف السارق

ومن تغزلاته قوله من قصيدة :

ياظبية عقلتنى في تصيدها أشراكها وهى لم تعلق باشراكي
رعيت قلبي وماراعيت حرمته فلم رعيت وماراعيت مرعاك
أتحرقين فؤادا قد حللت به بنار حبك عمدا وهو مأواك
سكنته حيث لم يعلق به سكن وليس يحسن أن تسخى بسكناك

وأما لاميته التى هى أحلى من لام العذار ولو تجسمت لتحلى بها الملاح الابكار فهى هذه :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائل
أعندى وقدمارست كل فضيلة يصدق واش أو يخيب سائل

أقل صدودى أننى لك مبغض وأيسر هجرى أننى عنك راحل
اذا هبت النكباء بينى وبينكم فأهون شىء ماتقول العواذل
تعد ذنوبى عند قوم كثيرة ولاذنب لى الا العلى والفضائل
كأنى اذا طلت الزمان وأهله رجمت وعندى للانام طوائل
وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم باخفاء شمس ضوؤها متكامل
تنم الليالى بعض ما أنا مضمر ويثقل رضوى بعض ما أنا حامل

رضوى جبل بينبع النخل عن المدينة المنورة ثلاثة أيام :

وانى وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل
وأغدو ولو أن الصباح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل
وقد أغتدي والليل يبكى تأسفا على نفسه والنجم في الغرب مائل
بريح أعيرت حافرا من زبرجد لها التبر جسم واللجين خلاخل

هذا التشبيه ملوكي يعنى الفرس الاشقر المحجل :

وانى جواد لم يحل لجامه ولضومان أغفلته الصياقل
وان كان في لبس الفتى شرف له فما السيف الا غمده والحمائل
ولى منطق لم يرض لى كنه منزلى على أننى فوق السماكين نازل
لدى منزل يشتاقه كل سيد ويقصر عن ادراكه المتناول
ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا تجاهلت حتى ظن أني جاهل
فواعجبا كم يدعى الفضل ناقص وواأسفا كم يظهر النقص فاضل
وكيف تنام الطير في وكراتها وقد نصبت للفرقدين الحبائل
ينافس يومي في أمس تشوفا ويحسد أسحارى على الاصائل
وطال اغترافي بالزمان وأهله فلست أبالى من تغول الغوائل
فلو بان عضدى ماتأسف منكبى ولو مات زندى مابكته الانامل
اذا وصف الطائى بالبخل مادر وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس أنت خفية وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة وفاخرت الشهب الحصا والجنادل
فياموت زران الحياة ذميمة ويانفس جدي ان دهرك هازل

وهي طويلة مشهورة .

﴿ ذكر حاتم الطائي ومادر وقس وباقل ﴾

(والطائي) : هو حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي وكنيته ابوسفانة وابوعدي وأجواد العرب ثلاثة حاتم الطائي وهرم بن سنان وكعب بن مامه وأشهرهم حاتم الطائي وأمه عتبة بنت عفيف وكانت في الكرم الى غاية لاتدرك وحاتم الطائي أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه .

(وحكى) : عن علي عليه السلام قال ما أزهد كثيرا من الناس في الخير . عجبا لمسلم يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لكان ينبغي له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي (ص) قال نعم لما أتى بسبايا طي وقفت جارية عبطاء لعساء فلما رأيتها اعجبت بها فقلت لأطلبنها من النبي (ص) فلما تكلمت أنست جمالها بفصاحتها فقالت يامحمد ان رأيت ان تخلي عني ولاتشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويفشي السلام ولايرد طالب حاجة قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال النبي (ص) ياجارية هذه صفة المؤمنين ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ثم قال خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق .

وقال عليه السلام في اثناء كلامه ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر .

وأما كرمه فقيل اقبل ركب من اسد ومن قيس يريدان النعمان فلقوا حاتما في طريقهم فقالوا له تركنا قوما يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا اليك رسالة قال

وما هي فانشده الاسديون شعرا للنابغة فلما أنشدوه قالوا له إنا نستحي ان نسألك شيئاوان لناالحاجة قال وماهي قالوا صاحب لناقدارحل اى قعدت راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوه عليها فأخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت الفلو وسار يتبع امه وتبعته الجارية لترده فصاح بهم حاتم وقال ماتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

وقيل انه مر ببلاد عنزة فناداه اسير في ايديهم يا اباسفانه قتلني الاسار والقمل فقال له ويحك لقد اسأت اذنوهت بي في غير بلادي ثم نزل عن فرسه فشد نفسه مكانه في القيد واطلقه ولم يزل هناك الى ان بلغ الخبر قومه ففدوه بمال كثير (ومن شعر حاتم) :

اعادل ان المال غير مخلد وان الغنى عارية فتزودي
فكم من جواد يفسد اليوم جوده وساوس قد ذكرنه الفقر في غد
وكم ليم آبائي فما كف جودهم ملام ومن ايديهم خلقت يدي

وما اجود قوله :

شربنا بكاس الفقر يوما وبالغنى وما منهما إلا سقانا به الدهر
فمازادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولاازرى بأحسابنا الفقر

واخبار حاتم كثيره ومناقبه شهيره اقتصرت منها على هذه النبذة اليسيره .

(وقس) : هو قس بن ساعدة من فصحاء العرب المشهورين ومادر هو رجل من بني هلال وردت ابله على حوض وبقي فيه بقية ماء فسلح في الحوض من بخله ومدره لئلا يرده غيره فضرب به المثل في البخل .

وباقل رجل اشترى ظبيا باحد عشر درهما فسئل عن قيمته ففتح كفيه واخرج لسانه ليشير الى ثمنه فانفلت الظبي فضرب به المثل في البلاهة والعي .

وتوفي ابو العلا المعري سنة تسع وثلاثين واربعمائة بمعرة النعمان بن بشير الانصاري لانه هو اول من مصرها فنسبت اليه .

وقال القاضي ابن خلكان : ان ابا العلا المعري اوصى ان يكتب على قبره :

هـذا جناه ابي عليّ وما جنيت على احـد

وكان يقوله ويكرره في مرض موته يعني ان اباه كان سبب اخراجه الى عالم الكون والفساد ورثاه جماعة كثيرة رحمه الله تعالى .

(وممن) رثاه الشيخ علاء الدين علي بن عبدالله الكندي الوداعي سنة تسع وسبعين وستمائة في ربيع الآخر :

قد زرت قبر ابي العلاء المرتضى لما اتيت معرة النعمان

وسألت من غفر الخطايا كلها يهدى اليه سحائب الغفران

والله تعالى اعلم .

﴿ فائدة وتبصرة ﴾

(فائدة) : فرعون موسى (ع) هو مصعب بن الوليد قيل انه من بقايا قوم عاد وقيل كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فخرج الى الشام فلم يتيسر له فيها المقام فدخل مصر فراى اهلها متروكين سدا وكان وقع بمصر وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لأوليائه وقال لهم انا امير المقابر فلايدفن الميت إلا بخمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر وهلم جرا حتى جمع مالا عظيما الى ان تعرض يوما لأولياء ميت فمنعوه ورفعوه الى فرعون مصر فقال له من انت ومن اقامك قال له لم يقمني احد وانما فعلت ذلك لانبهك على خلاف مملكتك وانى جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال ودفعه اليه وقال له ولني امورك ترني امينا فولاه اموره فسار في الناس سيرة حسنة واستقامت احواله فلما هلك فرعون مصر اقامه مقامه فكان من امره ما كان وبينه وبين فرعون يوسف (ع) وهو الريان اكثر من اربعمائة سنة .

وحكى ابن ابى حجلة في السكردان ان مدة ملك فرعون كانت اربعمائة سنة

وعاش نيفا وستمائة سنة ولم يرى في حياته مكروها ولم يزل مخولا في نعمة الله تعالى حتى اخذه الله نكال الآخرة والاولى وكان قصيرا وطول لحيته سبعة اشبار .

(تبصرة) : حكى المقريزى في الخطط ان المرتبات في ايام كافور الاخشيدى بلغت خمسمائة الف دينار في السنة لارباب النعم والمسودين واجناس الناس ليس فيهم احد من الجبش ولامن الحاشية فحسن له ابن صلاح الكاتب ان يوفر من مال الرواتب فلما جلس لذلك حكه جبينه فحكه بالقلم الذى فى يده والحكاك يزيدالى ان انقطع عن العمل لما به وقام فعولج حتى مات في سنة سبع واربعين وثلاثمائة وفي ذلك موعظة لمن توسط للناس بالسوء كما قال تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وماحسن ماقيل على لسان الدواة :

حلفت من يكتب بى بالواحد الفرد الاحد
ان لايمد مدة في قطع رزق لأحد

نظير ذلك لما كثرت انعامات الحاكم بامرالله توقف في امضائها امين الامناء حسين بن طاهر الوزان فكتب اليه الحاكم بخطه :

اصبحت لا ارجو ولا اتق إلا إلهى وله الفضل
جدى نبي وامامى ابى ودينى التوحيد والعدل

المال مال الله والخلق عيال الله ونحن في الارض امناءالله اطلق ارزاق الناس ولا تقطعها والسلام ، وما اصدق قول من قال :

كل الامور تبد عنك وتنقضى الا الثناء فانه لك باقى
لو انني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الاخلاق

(قلت) : ليت شعرى ماهذه الفضيلة التى تكون افضل من مكارم الاخلاق وهى الدين القويم قال الرحمن الرحيم مخاطبا لنبيه الكريم وانك لعلى خلق عظيم .

ومثل ذلك ان الملك العادل ايوب كتب اليه بعض عماله رقعة يخبره ان المرتب في كل سنة على بيت المال مائة الف دينار وسبعون الف دينار صدقة وذلك

خلل في بيت المال فكتب على ظهر الرقعة الغربة تذل الاعناق والفاقة مرة المذاق والمال مال الله وهو الرزاق فأجر الناس على عادتهم في الاستحقاق ماعندكم ينفد وماعند الله باق وانا لا نحب ان يؤرخ عنا المنع وعن غيرنا الاطلاق وايثار الحسنة من مكارم الاخلاق واليكم هذا الحديث يساق وكان دائما يتمثل ببيتي حاتم المذكورين في هذه الصفحة وهما وان كررناهما :

شربنا بكاس الفقر يوما وبالغنى ومامنهما إلاسقانا به الدهر
فما زادنا بغيا على ذى قرابة غنانا ولاأزرى بأحسابنا الفقر

(قيل) : وجد مكتوبا في خزانة الاسكندر على الحرير الاخضر بالذهب الاحمر حركات الافلاك أجل من ان تبقى على احد نعمه أوتديم عليه نقمه فمن ولى منكم الامر فلتكن همته تقليد المنن اعناق الرجال فان الدولة تزول اما بشكر جميل اوندم طويل والايام صحائف الدهر فاعتبروا يا أولى الابصار ولله در القائل :

فان كنت لم تسمع بأخبار من مضى ولم تر في الباقين مايصنع الدهر
فلابد تصحو حين ينكشف الغطا وتذكر قولي حين لاينفع الذكر

وفي سنة سبع وسبعين وألف يوم الثلاثاء لثلاث خلون من محرم توفي صاحب حرم الله الامين صاحب العدل المبين والعز المكين فرع الشجرة النبوية التي اصلها ثابت وفرعها في السما طراز العصابة الهاشمية الاسمى الشريف الذى طاب اصله ونما الملك العالى البدر المتلالى الشريف الذي اعزالله قدره وشرفه زيد بن محسن ملك مكة المشرفة ودفن بالمعلاة في قبة أبى طالب مع اجداده الاطائب واسف الناس عليه لكونه عادلا مشفقا على الرعيه ذا همة هاشمية وكانت ولادته سنة اربع عشرة وألف بمكة المشرفه وتربى في حجر والده وسافر معه الى اليمن ولما توفي والده بصنعاء رجع الى الحجاز .

(وماأحسن) : قول المهيار الشاعر في السيد احمد بن عبد المطلب حين تولى مكة وصار منه في حق اهلها ماصار :

شف لاحداث الليالى ياحميد تركت تلك الاسود الصيد صيد
فرقت أجسامهم يابعدما بين ادريس ومحسن وفهيد
ذابنجد وبصنعاء ذا وذاك باصطنبول فامشى بالريد

ثم ان الشريف عبد الله بن حسن طلب الشريف زيد بن محسن وجعل لولاية بينه وبين ولده محمد بن عبد الله ثم وصل عسكر اليمن الجلاليه الى مكة المحميه كما تقدم وخرج الشريف زيد الى المدينة البهيه ثم تولى ثانيا فسار في الناس سيرة هنية وحكم بشريعة الرسول وبلغت الرعية بعدله كل سول وأزال كثيرا من المنكرات وأبطل ماخالف الكتاب والسنة من المحرمات وأمنت في أيامه الرعايا وغمر الناس بالمواهب والعطايا وعمر بمكة عمائر مستحسنه وآثارا فى جميع المشاهد بينه وأثنى عليه الفضلاء والخطباء ومدحه الشعراء والادباء وأغنى بكرمه كل من خدمه بتأليف وأكرم كل من الف باسمه شيئا من جوهر التصنيف محبا للعلماء مبالغا في اكرامهم وبلوغ مرامهم محبا للفقراء معتنيا بهم وبعد وفاته قام مقامه اصغر أولاده الشريف سعد بن زيد وطلب الولاية لنفسه السيد حمود بن عبد الله وتبعه اكثر الاشراف وظنوا ان الولاية له وأن لامنازع له لكونه كان المتصرف في حياة الشريف زيد وكون أولاد زيد غائبين واستصغروا الشريف سعداً لكون عمره إذ ذاك أربعا وعشرين سنة وقام الشريف سعد وانحاز اليه عسكر الدولة وتبعه عسكر السلطان المرتبين بمكة وقامت الفتنة بين الشريف حمود والشريف سعد وكان بمكة المشرفة من قبل السلطان محمد رجل اسمه عماد الدين أرسله السلطان ناظرا على الحرمين وانعم عليه بجدة ونظارة المسجد الحرام فالبس عماد الدين الشريف سعد اخلعة الملك وأصلح بينهم الى ان يعرضوا للابواب ومن اختاره السلطان ولاه فسكنت الفتنة الى ان جاءت الاوامر والخلع للشريف سعد في شهر رجب ثم عرض الشريف حمود الى السلطنة وأخذ خطوط جميع الاشراف على انهم مايرضون إلا الشريف حمود افلم يرض السلطان إلا بالشريف سعد وفي ذى القعدة خرج حمود ومن معه من الاشراف من مكة وأرسل

جماعة الى جدّة فنهبوا القوافل الواصلة من جدّة الى مكة وتعرض بنو أخيه لقافلة اليمن فنهبوها ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وتغلب حمود على بندر ينبع وأخذ حبوب أهل المدينة الشريفة وأخذ حب الشريفة سعد ثم ارسل ولده وبعض الاشراف الى مصر يعتذرون وأرسل معهم بهدية لباشا مصر فامسك الباشا على ولد الشريف حمود والاشراف الذين معه وحبسهم بمصر والله أعلم .

(حكي) : ان الشيخ شهاب الدين محمود قال عدت قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في دمشق بالمدرسة النجيبية سنة احدى وثمانين وستمائة فانشدني لبعض أهل الادب في نقيب الاشراف بالمدائن رثاء خلب قلبي . وهو هذا :

قد قلت للرجل المولى غسله ... هلا اطاع وكنت من نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما ... أذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل أوانية الحنوط ونحها ... عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بنقله ... شرفا ألست تراهم بازائه
لاتوه اعناق الرجال بحمله ... يكفي الذي حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع في نفسي انه احق الناس بهذا الرثاء وانه نعى نفسه فمات في ذلك الاسبوع برد الله مضجعه .

(وحكي) : ان الشيخ شهاب الدين السهروردي كان يتردد من الشام الى بغداد وجلس يوما على عادته وأخذ يقلل احوال الناس ويهضم جانب الرجال وانه مابقي من يلاقي وقد خلت الدنيا وانشد :

مافي الصحاب أخو وجد نطارحه ... حديث نجد ولاخل نجاريه

فصاح من طرف المجلس رجل عليه قباء وقلنسوة ياشيخ لم تنتقص بالقوم والله ان فيهم من لم يرض ان يحادثك وقصاراك ان تفهم ماتقول :

مافي الصحاب وقد سارت حمولهم ... الامحب له في الركب محبوب
كأنما يوسف في كل مرحلة ... والحي في كل بيت فيه يعقوب

فصاح السهروردى ونزل من على الكرسى وطلب الشاب فلم يجده (اه) .

(قيل) : سخط كسرى على بزرجمهر فحبسه في بيت مظلم وامر ان يصفد بالحديد فبقى اياما على تلك الحالة فارسل اليه من يسأله عن حاله فاذا هو منشرح الصدر مطمئن النفس فقالوا له انت في هذه الحالة من الضيق وتراك ناعم البال فقال صنعت ستة أخلاط واستعملتها فهى التى ابقتنى على ماترون فقالوا له صف لنا هذه الاخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى فقال نعم أما الاول فالثقة بالله عزوجل واما الثانى فكل مقدر كائن وأما الثالث فالصبر خير ما استعمله الممتحن وأما الرابع فاذا لم أصبر فما اصنع وأما الخامس فقد يكون بلاء اشد مما انا فيه وأما السادس فمن ساعة الى ساعة فرج فبلغ كسرى فاعزه وأطلقه . قال الشاعر :

وبين التراقى والترائب حسرة ... مكان الشجى أعيى الطبيب علاجها

اذا قلت هاقد يسر الله سوغها ... أبت شقوتى وازداد سد رتاجها

الرتاج : ككتاب ، هو الباب العظيم المغلق وعليه باب صغير مفتوح .

(قال الشاعر) : يذم قوما ويصفهم بالبخل :

رب أضياف بقوم نزلوا ... فقروا أضيافهم لحما وحر

وسقوهم في اناء كلع ... لبناً من دم مخراط فئر

الوحر مشتق من الوحرة بتحريك الواووالحاء وهى دويبة حمراء تلصق باللحم فتكره العرب أكله للصوقها به ودبيبها عليه والاناء الكلع ماتراكم عليه الوسخ والمخراط الناقة التى بهامرض ويكون لبنهامعقدا وفيه دم والفئر ماشربت منه الفأرة في الحديث خير الخيل الادهم والارثم والاقرح المحجل وطلق اليمين فان لم يكن أدهم فكميت على هذه الصفة الادهم الاسود والارثم ما في انفه وشفته العليا بياض والاقرح الذى في جبهته بياض بقدر الدرهم والتحجيل بياض قوائم الفرس قل او كثر بعد ان لايجاوز الارساغ ولايجاوز الركبتين والطلق بضم الطاء عدم التحجيل .

نبى بعض ملوك بني اسرائيل دارا تكلف في سعتها وزينتها ثم أمر من

يسأل عن عيبها فلم يعبها احد إلا ثلاثة من العباد قالوا ان فيها عيبين الاول انها تخرب والثاني انه يموت صاحبها فقال لهم الملك وهل يسلم من هذين العيبين دار قالوا نعم دار الآخرة فترك ملكه وتعبد معهم .

(سئل بعض الزهاد) : عن مخالطة الملوك والوزراء فقالوا من لا يخالطهم ولا يزيد على المكتوبة عليه أفضل عندنا مما يقوم الليل ويصوم النهار ويخالطهم .

(دخل) : أبو حازم على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر عظني فقال له اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب ان يكون فيك في تلك الساعة فخذه به الآن وما تكره ان يكون فيك في تلك الساعة فدعه الآن لعل الساعة قريب .

(ودخل صالح بن بشير) على المهدى فقال له عظني فقال : أليس قد جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك قال نعم قال فكانت لهم اعمال تخاف عليهم الهلكة بها قال نعم قال فكانت لهم أعمال ترجو لهم النجاة بها قال نعم قال فانظر ماخفت عليهم فيه الهلكة فدعه واجتنبه وما رجوت لهم فيه النجاة فأته .

﴿ترجمة أبي محمد حيدر أغا بن محمد الرومي الاصل اليمني الدار والوفاة﴾

اديب شاع ذكر أدبه واشتهر وابهر العقول بلذيذ نظمه الرائق وسحر قال في ترجمته صاحب نسمة السحر فاضل سبق في الحلبه وما ترك للصائح المحكى همسا ولا جلبه لم يك برق شعره خلب ولم يقدر مثل حسن شعره ولم يكتب نسج للملاحة به وشيا عبق وما كان قبله ينشر وأخجل ابن ابى ربيعة فضل حيدر .

قال صاحب نسمة السحر في ذكر من تشيم وشعر وكان مجيدا في فنى العرب والملحون واصله من الاجناد الرومية الذين لم يعودوا مع من عاد منهم وكان جنديا وفيه سكينة ووقار وغض طرف وظرف وكان له يد طولى في الموسيقى وضرب العود ويغني بشعره الموشح .

(قال صاحب نسمة السحر) : وقال لي شيخنا شرف الدين بن الحسين انه رآه بذمار دائم السكوت والوقار يحب الانفراد ليلا ونهاراً وكان أسمر مقبولا لحسن أدبه وظرفه وشعره العربي قليل لقلة حفظه وتدوينه فمنه في اختصار بيتي الغزي المشهورين

في المدح شعرك لاتصفه ولا ترى مستغزلا
أتقول قافية وقد خلت الديار فلا ولا

(ومن) شعره في مرثية غلام مليح يعرف بابن تاج الدين :

لو لنفس تكون نفس فداه لفداك العذول والرقباء

يحتمل في الرفع في فداه ان يكون خبر مبتدأ محذوف :

يافقيدا قد كان فينا كريما نحن قوم بمثله بخلاء
كان تاجا عليه اكليل حسن زانه منه رونق وبهاء
سلبته ايدى المنون علينا وأتاه الى فناه الفناء
قلت لما رأيت قدك غصنا وهو في ذات أربع ملقاء
آه لهفى على اعتدال قوام عانقته برغمى الحدباء

ما احلى هذا الكلام :

وبنفسى شرط بخدك ماكان له الترب ياحبيبي جزاء

وهذا أحلى واغلى :

كنت تأوى القلوب حيا فشقت لك في الموت قلبها الشهباء
بعد ذاك الغناء من كل حسن أيها الناس أنتم الفقراء
نم هنيئا قرير عين فمنا كل عين من البكا رمداء
لك ماشئت عند ربك ياليت لنا من تصبر مانشاء
لك منا الهنا بجنات عدن ولنا فيك يا حبيب العزاء

قال صاحب نسمة السحر : تأمل هذه الرقه وماضمن المعانى من الدقه فالاعتدال والحدباء بعد التاج والاكليل والشرط والجزاء والهنا والعزا والغنا والفقر

والقرة والرمد مع الانسجام الذى لايقوى عليه أحد إلا من قلده الادب بلا آلية واجتهد .

قال الفتح ابن خاقان في قلائد العقيان انه كان بضفة الجزيرة بالاندلس أيكة يانعة وكان الاديب أبو اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسى يقعد هو ومن يهواه لديها ويوسدان خدودها أبرديها قربها ومحبوبه قد طواه الردى ولوى خبره عن ذلك المبتدا فتذكر ذلك العهد وجماله وأنكر صيره لفقده واحتماله فقال :

الا أذكرتني العهد بالانس أيكة فاذكرتها نوح الحمام المطوق
وأكبيت أبكي بين وجدأناخ بي حديث وعهد للشبيبة مخلق
وأنشق أنفاس الرياح تعللا فاعدم فيها طيب ذاك التنشق
ولما علت وجه النهار كآبة ودارت به للشمس نظرة مشفق
عطفت على الاجداث أجهش تارة وألثم طورا تربها من تشوق
لها صدعت أيدى الحوادث بيننا فهل من تلاق بعد هذا التفرق
وان يك للخلين ثم التقاءة فيا ليت شعرى أين أوكيف نلتقى
فأعزز علينا ان تباعد بيننا فلم يدر ما ألقى ولم أدر ما لقى

(قال) : صاحب نسمة السحر تجاوز الله عنه وغفر ولحيدر وقد صرف بعض الولاة الى بيته بجبلة عسكرا على عادتهم في ذلك :

منزلى منزل السعادة والافراح والانس والصفات العليه
لم أمرتم بصرفه وهومبنى وكذا العدل فيه والعلميه

(ما أحلى) هذا التوجيه بالنحو وهو الصرف والبناء والعدل والعلمية التي هى من موانع الصرف .

(قلت) : الاسم الذى لاينصرف يوافق الاسم المنصرف في أمرين وهما انه يرفع بالضمة وينصب بالفتحة ويخالفه في أمرين وهما انه لاينون وانه يجر بالفتحة تقول جاءنى أفضل منه ورأيت أفضل منه ومررت بافضل منه وقال الله تعالى (فحيوا

باحسن منها يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب) ويستثنى من قوله مالا ينصرف مسئلتان يجر فيهما بالكسرة على الاصل أحدهما ان يضاف والثانية ان يصحب الالف واللام تقول مررت بأفضل القوم وبالافضل .

وقال الله تعالى : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) اللام جواب للقسم السابق في قوله تعالى (والتين والزيتون) وما بعدها وقد لها أربعة معان وذلك انها تكون حرف تحقيق وتقريب وتقليل وتوقع فالتي للتحقيق تدخل على المضارع نحو(قديعلم ماأنتم عليه) أى يعلم ماأنتم عليه حقاوعلى الماضى نحو(لقدخلقنا الانسان) الآية وكذا حيث جاءت قد بعد اللام فهى للتحقيق والتي للتقريب تختص بالماضى نحو قول المؤذن (قد قامت الصلاة) أى قدحان وقتها ولذلك يحسن وقوع الماضى موقع الحال اذا كان معه قد كقولك رأيت زيدا قدم على الخروج أى عازما عليه والتي للتقليل تختص بالمضارع كقولهم قد يصدق الكذوب وقد يعثر الجواد أى ربما صدق الكذوب وربما عثر الجواد والتي للتوقع تختص بالماضى .

قال سيبويه : وأماقد التي للتوقع فجواب هل فعل لان السائل ينتظر الجواب .

وقال الخليل : هذا كلام لقوم ينتظرون الخبر يريد ان الانسان اذا سئل عن فعل أوعلم انه يتوقع انه يخبر به قال قدفعل واذا كان المخبر مبتدئا قال فعل كذاو كذا ولم يأت بقد فاعرف ذلك .

(رجع) وما أحلى قول القائل في التوجيه بالموالى :

سمعتها وهى داخل دارها بالصحن تنشد رمل طحنت قلبى المعنى طحن
ياليتها مع تغنها وطيب اللحن ترفع أجرودع يدخل على اللحن

ويعجبنى قول الآخر :

قالت لها أختها والقصد تسمعنا ما النحو قالت لها نحنا باجمعنا
للرفع والنصب انا وانت ومن معنا للجر والزوج حرف جاء للمعنى

والتورية في القطعتين ظاهرة . قال صاحب نسمة السحر ولحيدر :

لاتحسب الشمس في ذااليوم طالعة ولاتسل أين وارت وجهها الحسنا
بالأمس قد غربت صفرا وأحسبها ماتت وهـذى انسما تبكى لها حزنا

أخذ المعنى من قول القاضى الارجانى :

لما رأيت النجم ساه طرفـه والافق قـد القى عليـه سباتا
وبنات نعش في الحـداد سوافر ايقنت ان صباحهم قـدماتا

قال صاحب نسمة السحر : ولحيدر في تعليل انفتاح الكادى بلمع البرق :

أرى الـكادى لايبديـه إلا خفوق البرق في داجى الدجنه
اذا ماسـل في الآفاق سيفـا بدت في الروض للـكاد أسنه

(قلت) : تأمل في لطيف هذا التعليل الذى يشفى باطفه القلب العليل .

﴿ فائدة ﴾

من عجائب الـكادى ان نرجس طلعه لايفتح إلا اذا استصبح بشمعة البرق ليلا تحت ستور الغمام وكذلك زهر اللوبيا لايتنور إلا اذا جلاله القمر جبينه المعشوق

ولحيدر أيضا في مليح طبال :

وشادن يكفل طبـلا له ويلتوى لسير على عاتقه
يشن غارات الهوى مسرعا ويضرب الطبـل على عاشقـه

ما أحلى هـذا الكلام الذى هو ألذ من رشف المدام ، وكتب اليـه ابراهيم الهندى الشاعر المشهور وكناه بابنه الاكبر :

يا أبا أحمـــد لقد جرت لما صار قلب الخليل منك كليما
قـد بلغتم الى مناه ولـكن لم تجوز وا مقام ابراهيما

فكتب اليه مراجعا وكان تلك الايام بذهبان صنعاء وعنده من يحبه :

أنا في كعبـة المحاسن باق في مقام وحق لى ان أقيما

يوسفي الجمال من نار خديه رأينا احتراق ابراهيما

ويعجبني قوله :

وخل قال لمازار قبل يدي لتشتفي من نار بيني
فقبلناه في جيد وخد وكان الامر من فوق اليدين

وما أحسن قوله في الزنبق وهو تشبيه ملوكي محقق :

وزنبق مجلس بين الندامى كشيخ حاز لطفا في وقار
يريك اذا تلا انا فتحنا عمود الفجر في وسط النهار

قال صاحب نسمة السحر : وحيدر هذا ممن رزق السعادة في الموشح الرقيق الغضيض ولم يترنم الشادي بغير قوله فيها برغم معبد والغريض ، فمن موشحاته التي تقوم للحن بالحجة ، وتشج في رأس ابن جني اذا فاخرها بمربيته شجه قوله :

شقيق البدر براق الجبين كحيل المقلة الظبي الممنطق
خطا يسحب ذيول النيه غانى وماء الحسن في خده مروق
مهفهف ليس له في الحسن ثاني وهو للنيرين ثالث محقق
خطابه ان نطق فاق المثاني وقلبي في هواه دائم معلق

(توشيح) :

سباني منه يا اخوان * ورش مع غنج فتان * كذا تفتير الاجفان

(تقفيل) :

وقده في تعطافه أراني قضيب البان إلا انه ارشق
ولولاسيف عينيه اليماني حمى قده سجم فيه المطوق

(بيت) :

رشا حالى اللمى عذب المراشف حكى بدر السما بهجة ورفعه
وساحرا حومه للروح خاطف وله ياناس في التفتير صنعه
غرامه قد ترك لى دمع واكف جرى في الخدد معه بعد دمعه

ملك روحي وحسنه قد سباني وشنف كأس حبـه لي وأدهق

(توشيح) :

نهب روحي بجهله * قبال الناس شله * فما عاد شي أقل له

(تقفيل) :

ولما خاف في عشقـه جناني وانى في الهوى شا احمل وشا أزعق
أمر خـديه ترسل قصـد عاني سلاسل من عذاره لي وأوثق

(بيت) :

ممنع قلدوه الحسن تقليد رشيق بالملاحـه قـد تفرد
بديع الحسن في خديه توريد فما أحـلاه في الخـد المسجد
تعال يا عاذلي فيه ياغبي حيد وعوذ طلعتـه واذكر محمـد
رشا ماهوى سواه دائم زماني ولاقـلبي لغيره عاد يعشق

(توشيح) :

غرامي فيه مشروح * وقلبي منه مجروح * وذكره ينعش الروح

(تقفيل) :

فسعدي لو تساعدني الاماني ويصبح كل ما أملته حق
فألوي من على جيده عناني وأرشف من لماه صافي معتق

(بيت) :

وأروى للرشا باهى المحيا بأني من غرامه صرت ذاهـل
أبات مالي سمير إلا الثريا أهيم جنح الظلام بين المنازل
أموت ان غاب عني ثم أحيا اذا ابصرته عيس بين الغلائـل
وحسنه لو يعاني ما أعاني رثى لي من هوى للقلب أحرق

(توشيح) :

أنا مضنى بحبـه * وكم أشتاق قربه * وشملي يجتمـع به

(تفضيل) :

وكم قد بيننا حاسد وشانى أراد أن اجتماع الشمل يفرق
فما صدقتهم فيمن سبانى ولاهو في الذي يهواه صدق

قال صاحب نسمة السحر : واستعمال الحسنات والرقة من خصائص حيدر وأما قوله ولولا سيف عينيه اليمانى فمأخوذ من قول الجمال بن نباته في الطردية التي مدح بها المؤيد صاحب حماه وجاء منها بقوله :

لولا حذار القوس من يديه لغنت الورقا على عطفيه

وأخذ أكثر معانى هذه الطردية الشيخ ابراهيم الهندى في مفاخرة له بين البندق والسيف . ومن موشحات حيدر الرقيقة قوله :

من يبلغ غزال رامه مذهب الخد ساجى العين
قد وصلنا على السلامه بعد طول الفراق والبين
يانديم هات لى المدامه واسقنيها سلاف كالعين
واغتنم لذة الاقامه فالسرور في اجتماع القين

(بيت) :

هزنى الشوق نحو الاوطان عندما بارق الخريف لاح
كدت انى أطير لو كان لى جناحين طرت ياصاح
نحو شاد ربيب فتان في يديه حياة الارواح
ريم على الغيد له علامه وهو انه برى من الشين

(بيت) :

كم بدور بدور صنعا ولكم من ظبا شوارد
الحشاشه لهن مرعى ولهن الدموع موارد
قم بنا يانديم نسعى نحوها ان كنت لى مساعد
فلكم ذا البطا علامه مامعى للفراق من دين

(بيت) :

يا قلبي العميد بشراك ان صبح الوداد أسفر
والزمان قد سمح بلقياك بالغزال الربيب الاحور
ضم فمه حين ينام في فاك وارتشف ريقته واسكر
واعتنق قد غصن قامه واقتطف زهر ورد خدين

قال مؤلف هذا الكتاب : العباس بن علي غفرالله له ، وقلت أنا على هـــذا ، الروى والقافية مستهدياً بأنوار بلاغته الهاديه ، وملتزما آخر كل قفل الجناس التام فلا تقل مادح نفسه يقرئك السلام :

قل لسيد الظبا علامه ذا الجفا يامكحل العين
من حوى في الحديد شامه تحرس الوجنتين من عين
طال بى الحزن والندامه هذه أدمعى جرت عين
يارشا ياغزال رامه صل ممناك ساهر العين

(بيت) :

آه من ذا الفراق لا كان كم له في الفؤاد أجراح
ان وقت السرور قد آن قم بنا ياحبيب نرتاح
واسقنى الراح وسط بستان بين ورد وبين تفاح
والذى يكثر الملامه ذاك أعمي الفؤاد والعين

(بيت) :

طف ببيت المدام واسعى في صفا الانس والمقاصد
ذاك ياصاح خير مسعى ان تكن للسرور قاصد
خمرة بالسعود تسعى كم لها راغب وقاصد
صاح بادر الى المدامه لونها في الكؤس كالعين

(بيت) :

سر بنا لا عدمت لقياك يافريد البدور يا أصفر
واسقنيها كفيت اعداك بين نای وبين مزهر
ان تجد يارشا لمضناك كل ذنب الزمان يغفر
دم بعز وفي سلامه ياحبيبي وقرة العين

قال صاحب نسمة السحر : وفضائل حيدر لاتحصر ، وتوفى بضوران ودفن ببستانه في أيام المتوكل ورثاه ابراهيم الهندى بأبيات منها .

كان في عصرنا حديقة فضل فلذا اودعوه في البستان

وكان نقش خاتمه محب أبى السبطين حيدر : وهذا نقش يكفيه أدباً رحمه الله تعالى .

﴿ فائدة ـ ذكر من بنى الاسكندرية وعمود السواري ﴾

قال المقريزي في الخطط : ومن عجائب الاسكندرية عمود السوارى وهو حجر أحمر منقط من الصوان المانع وكان حوله نحو أربعمائة عمود وكانت كلها سماقية كسرها قراجا والى الاسكندرية أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورماها بشاطىء البحر ليوعر على العدو السلوك .

(ويحكى) : ان هذا العمود أحد الاعمدة التي كان عليها رواق ارسطاليس وانه كان يدرس به الحكمة وكان دار العلم ويقال ان ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعا وقطره خمسة أذرع وقيل طوله بقاعدته اثنان وستون ذراعا وسدس ذراع وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعا والعليا سبعة أذرع ونصف وهذا العمود باق الى يوم تخطيط هذه الاسطر وهو على نصف ميل من باب السدرة خارج السور وكثير من الاعمدة السماقية في أكناف البلدة بعضها قائم وبعضها مطروح قال الحافظ الخزرجى :

ياساكنى الاسكندرية فيكم بات النزيل بليلة الملسوع
تقرونه سهوائها وعمائها والنار في أحشائه بالجوع

﴿ نكتة ﴾

قال السيوطي : وقد رأيت هذا العمود لما دخلت الاسكندرية في رحلتي ودور قاعدته ثمانية وثمانون شبرا ومن المتواتر عند أهلها ان من حاذاه من قريب وغمض عينه ثم قصده لايصيبه بل يميل عنه وذكروا انه لم تحصل اصابته لأحد قط مع كثرة تجربتهم لذلك وقدجربت ذلك مرارا فلم أصبه قاله في المحاضرة وأما خليجها واختلف في بانيه قال الاسعد خليج الاسكندرية طوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستمائة قصبة وعرضه قصبتان ونصف الى ثلاث قصبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة الى النيل فان كان عاليا أقام فيه مايزيد على شهرين كذا في الخطط .

(وحكى) : ابن الوردى : ان الاسكندرية كانت سبع قصبات وأنها أكلها البحر ولم يبق منها الاقصبة واحدة وان مساجدها حصرت مرة فكانت عشرين ألف مسجد وقيل ان بانيها الذى بنى الاهرام وقيل يعمر بن شداد وقيل الاسكندر الاول وهو ذو القرنين اليونانى الذى جال في الارض وبلغ الظلمات ومغرب الشمس ومطلعها وسد على يأجوج ومأجوج وقيل بناها الاسكندر الثانى ابن دارا الرومي وانما شبه بالاسكندر الاول لانه ذهب الى الصين والمغرب ومات وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة . (قلت) وبين الاول والثانى دهر طويل والاول كان مؤمنا والثانى على مذهب استاذه ارسطاليس وقيل بنتها الجن لسليمان عليه السلام .

(قلت) وأما ذو القرنين الاول ففيل كان له قرنان المشرق والمغرب فلذلك سمى بذى القرنين وقيل لانه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في أيامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح أقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق في ايمانه وصلاحه هكذا ذكره القاضي البيضاوى في أنوار التنزيل فلما كان رابع وعشرين من جمادى الاول خرجت صحبة القافلة من أصفهان

وسرت الى شيراز في أمان الرحمن :

كانما هو في حل ومرتحل موكل بفضاء الارض يذرعه

﴿ ذكر مدينة شيراز ﴾

فلم نزل نسير في تلك الاراضى المبسوط فيها ألوان الزهور بين مياه واشجار واطيار ومنثور وورد جورى واقحوان ونرجس وشقائق النعمان وزنبق ونسرين وظباء تمرح من الشمال واليمين :

تنقل فلذات الهوى في التنقل ورد كل صاف لاتقف عند منهل

فلما كان سادس جماد الثانى دخلنا شيراز مدينة الافراح والتهانى .

﴿ فائدة ﴾

(شيراز) من أعظم مدن الفرس ، هواؤها لطيف يحيي النفوس وماؤها عذب يذهب عن القلب الصدا والنفوس بها الازهار المختلفة الالوان والروح والريحان وبها أنواع الاشجار المختلفة الفواكه والثمار والعيون السائحه والاطيار الصادحه والقصور الشاهقه والبدور الفائقه والاسواق المعموره بكل خير مغموره تسر الناظر وتشرح الخاطر بساتينها مخضرة كالجنان واشجارها مائسة كالغيد الحسان وازهارها على الاراضى مبسوطه ومياهها بها محوطه :

فسرح الطرف باكنافها تسر ان كنت كئيبا حزين

وأول من بناها شيراز بن طهمورث وسميت به ثم جدد بناءها عضد الدولة بن بويه ويصنع بها الثياب الحرير والسيوف والسكاكين والنصول والاقفال والامواس الشيرازية وينسب اليها الشيخ أبو اسحاق الشيرازى وكان علامة عصره وامام دهره وينسب اليها العلامة محمد بن مسعود الملقب بقطب الدين الشيرازى وكان بحرا في سائر العلوم توفي سنة عشرين وسبعمائة بتبريز وينسب اليها القاضى أبو العباس بن شريح احد المجتهدين وله مصنفات تزيد على الاربعمائة في علوم شتى وتوفي ببغداد

سنة ست وأربعمائة وينسب اليها أبو عبد الله محمد ابن خفيف وكان علامة وقته توفي سنة احدى وسبعين وثلاثمائة وكان بشيراز بنيان يسمى الطربال وهو كالمأذنة في وسط المدينة بناه اردشير بن سابور وكان بها بيت النار للفرس فهدم في الاسلام ويعمل بها الماورد الذكى العرف ويعمل بها القوارير الزجاج التي هي في صفائها كالبلور ويصنع في جوفها الاشجار والازهار من الزجاج ولم يصنع مثله في غيرها من المدن.

(وبها) : ضريح الولي العارف بالله الخواجه حافظ الشيرازى صاحب الديوان المشهور.

(وبها) : ضريح الولى العارف بالله الشيخ سعدى الشيرازى صاحب كتاب (الكلستان والبوستان).

وأما أهلها فهم من خيار الناس يسعد عندهم من رماه دهره بالافلاس مالهم في الهمة من نظير إى والعليم الخبير:

من لى بقربى من أرض شيراز أرض بها راحتى واعزازى
لما حللنا بها نريد غنى وفت لنا بالعطا بانجاز
واهلها في العلوم قد كملوا فمالهم مشبه ولا الرازى
أعيذها بالاله خالقها وأهلها من شرور هماز

ونزلت بدار الامير المظفر والشجاع الغضنفر ذى الكرم حقيقة لامجاز. مرزا محمد تقى وزير شيراز:

قل لمن في مديحه يتغالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

واجتمعت بالرئيس التاجر حاوى الفضائل والمفاخر الذى كرمه في البرية ظاهر غير خفى. مولانا الكامل النبيل السيد محمد النجفى. وبابنه الشهم المثيل السيد على النجفى وبالعالم العامل الكامل الفاضل شيخ الاسلام وملجأ الخاص والعام مولانا السيد مهدى لازال محروسا. وزرت قبر الامام الهمام الشاه جراغ من أولاد موسى الكاظم «ع» وزرت قبر العالم العلامه الرحلة الفهامه فاضل العصر المتقدم ذكره السيد علي خان

صاحب سلافة العصر واقمت في شيراز في اسر نعمة وحال وانعم بال والحمد للكريم المتعال .

(ما احسن) : قول ابى الفضل احمد بن محمد الخازن في ابى القاسم هبة الله ابن الحسين الاهوازى الحكيم وقد اضافه وادخله بستانه وداره وحمامه :

وافيت ساحته فلم ارخادما ... الا تلقانى بوجـــه ضاحك
ودخلت جنته وزرت جحيمه ... فشكرت رضوانا ورأفة مالك
والبشر في وجه الغلام امارة ... لمقد مات حياء وجه المالك

(وحكى) : ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها اهذا خطك قال لاولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لى فقال علىّ به فلما حضر وجده مملوكه الذى يحمل مداسه وكان عنده في حال غير مرضية فقال له الصاحب اهذا خطك قال نعم قال فهذه طريقتى فمن الذى اوقفك عليها فقال يامولانا كنت اذا وقعت لاحد على قصة اخذتها منه وسألته المهلة علىّ حتى اكتب عليها سطرين اوثلاثة فامره ان يكتب بين يديه ليراه فكتب :

وماتنفع الآداب والحلم والحجا ... وصاحبها عنـد الـكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالشعر اكثر من الخط لان فيه تورية لطيفة ورفع منزلته حينئذ .

(قيل) : ان المبرد بعث غلامه وقال له بحضرة الناس امض فان رأيته فلاتقل له وان لم تره فقل له فذهب الغلام ورجع وقال له لم اره فقلت له فجاء فلم يجيء فسئل الغلام عن ذلك فقال انفذنى الى غـلام يهواه فقال ان رأيت مولاه فلاتقـل له فان لم تره فادعه فذهبت فلم ار مولاه فقلت له فجاء مولاه فلم يجيء الغلام .

(ومن المشهور) : من سوء اخلاق الغلمان ما حكى انه كان لرجل عبد قـد برم بخـدمته فـازال سيده يوصيه بالفطنة حتى قال له متى ارسلتك في حاجـة وقدرت ان تضم اليها غيرها فلا تكره فاتفق ان مرض سيده فأرسله للطبيب فجاء به

وبالغاسل معه فقال له ويحك ماهذا قال قد قدرت على الآخر كما امرتني وادبتني .

(ويعجبني) : قول الاديب نور الدين المسبلي المشهور احد شعراء الريحانة :

انى بليت بزنجي قبانحـــه ليست تعد على مافيه من عوج
كل الامور اذا ضاقت لهافرج إلا اموري اذا ضاقت فمن فرج

وذكر الثعالبي: ان بعض الفساق كان له غلام وكان يستعمله كل يوم حتى بلغ سبعين سنـةوكلما قال لهقد كبرت يامولاى عن هذا العمل يقول له من امس الى اليوم قد كبرت . وما أحسن قول منصور البلنسى احد شعراء الريحانة وأجاد كثيرا :

قلت لتاج الدين في خلوة وقد عـلاه عبـده الاكـبر
التـاج يعلو فوقـه غيره قال نعم ياقوت أو جوهر

وما ألطف وأطرف قول السراج الوراق يذم عبده :

متلون الاخلاق حربا وبها وسواده يمتاز منه القار
ويسيء آدابا على ودأبى الاغضاء عنـه ودأبه الاصرار
وله ذكاء اياس في حاجاتـه واذا قضى لى حاجـة فحمار
ورقادأهل الكهف دون رقاده ماجن ليل أو أضاء نهار
وله فضول ما لأقمار الدجى معـه ولا متحدثين سرار
ومسائل من ذاومن هذاالذى تحت الغطاء ودار من ذى الدار
ودخوله بين اللذين تضاربا والحـكم بينهما وذا مدرار
ومسيره لذوى الفضول لعله يمتاز بين القوم اويمتـار
ومغيبه عنى وان ساءلتـه فجوابه لى ضجرة وتقار
ولكم اقول فلاتفيد مقالتي زنهار من حركاته زنهار

واما قصيدة ابى عثمان الخالدى الموصلى الشاعر المشهور في مدح غلامه فقد عم ذكرهاوطم في الانام واجمع علماء الادب انها افضل مامدح بها غلام وهى هذه :

ماهو عبد لـكنـــه ولد خولتيـه المهيمن الصمد

وشد أزرى بحسن صنعته فهو يدى والذراع والعضد
صغير سن كبير معرفة تمازج الضعف فيه والجلد
في سن بدر الدجى وصورته فمثله يصطفى ويفتقد
معشق الطرف كحله كحل معزل الجيد حليه الجيد
وورد خديه والشقائق والتفاح والجلنار منتضد
رياض حسن زواهر ابدا فيهن ماء النعيم يطرد
وغصن بان اذا بدا واذا شدا فقمرى بانة غرد
مبارك الوجه مذ حظيت به بالى رخي وعيشتي رغد
كيسى ولهوى وكل مأربتى مجتمع فيه لى ومنفرد
مسامرى ان دجا الظلام فلى منه حديث كأنه الشهد
ظريف مزح مليح نادرة جوهر حسن شراؤه نقد
خازن مافي يدي حافظه فليس شيء لدى يفتقد
ومنفق مشفق اذا أنا اسرفت وبذرت فهو مقتصد
يصون كتبى فكلها حسن يطوى ثيابى فكلها جدد
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثرد
وهو يدير المدام ان جليت عروس دن نقابها الزبد
وحاجبى فالخفيف منحبس عندى به والثقيل منطرد
وحافظ الدار ان ركبت فما على غلام سواه اعتمد
ثقفه كيسه فلا عوج في بعض اخلاقه ولا أود
وصير في القريض وازن دينار المعانى الجياد ينتقد
وكاتب توجد البلاغة في الفاظه والصواب والرشد
ويعرف الشعر مثل معرفتى وهو على ان يزيد مجتهد
ما غاظني ساعة فلا صخب يمر في منزلى ولاحرد

وواجد بى من الرأفة والرحمة اضعاف مابه احد
اذا تبسمت فهو مبتهج وان تنمرت مهو مرتعد
ذا بعض اوصافه وقد بقيت له صفات لم يحوها احد

(قلت) : ليت شعرى ما الذى بقى لهذا العبد من جميل الاوصاف فانه احق بالخلافة بلاخلاف وما ابرع قول داود بن مسلم في قثم بن العباس بن المطلب وكان منقطعا اليه :

عتقت من رحلى ومن رحلتى يااق ان ادنيتنى من قثم
في وجهه بدر وفي كفه بحر وفي العرنين منه شمم
أصم عن قيل الخنا سمعه وما عن الخير به من صمم
لم يدر ما لا وبلى قد درى فعافها واعتاض عنها نعم

(قلت) لله دره فى هذه الابيات الغريبة الصفات ومن مدح بمثلها فامات .

﴿ ذكر غريب ، جارية المأمون العباسى ﴾

ذكر ابو الفرج الاصبهانى في الاغانى : انها زارت يوما محمد بن حامد وكانت تحبه وتهواه فجعل يعاتبها ويطول عليها فقالت له ياجاهل خذبنا فيما نحن فيه واجعل سراويلى مخنق والصق خلخالى بقرطى فاذا كان هذا فاكتب إلىّ عتابك في طومار أكتب اليك بعذرى في ثلاثة. فقد قال الشاعر :

دعى عدّ الذنوب اذا التقينا تعالى لا أعد ولا تعدى
فأقسم لو هممت بمد شعرى الى نار الجحيم لقلت مدى

وجرى يوما ذكر الخلفاء بمحضرها فقالت ما كنّى منهم ثمانية لم أشته منهم واحدا إلا المعتز فانه يشبه ابا عيسى بن الرشيد وكانت تحب ابا عيسى .

(وقال في الاغانى ايضا) : كانت غريب جارية مغنية محسنة شاعرة ، صالحة الشعر مليحة الخط وفي نهاية من الحسن والظرف ويقال انها صنعت ألف صوت في الغناء ،

(وقيل) : انها بنت جعفر بن يحيى البرمكى فان البرامكة لما انتهبوا سرقت وهى صغيرة وكانت أمها يتيمة لام عبدالله بن يحيى بن خالد البرمكى وكان جعفر يهواها وأسكنها ناحية من داره فولدت له غريب وكانت هى تذكر نسبتها هكذا .

(قيل) : وعتب عليها المأمون يوما فهجرها أياما ثم مرضت فعادها فقال لها كيف وجدت طعم الهجر فقالت لولا مرارة الهجر لما عرفت حلاوة الرضى ، ومن ثم بدأ الغضب حمد عاقبة الرضى فخرج المأمون الى ندمائه متعجبا من بلاغتها وأخبرهم بكلامها هذا وقال لو نظم كلامها لكان معنى بديعا .

(قلت) : يحتمل ان يكون كلامها مأخوذا من قول علية بنت المهدى اخت الرشيد العباسى :

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكتب

وحكى الاصبهانى أيضا في الاغانى ان المأمون اصطبح يوما ومعه غريب وندماؤه وفيهم محمد ابن حامد المذكور فأومأ اليها بقبلة فاندفعت غريب تغنى بقول النابغة في كليب :

رمى ضرع ناب فاستقل بطعنة كحاشية البرد اليمانى المسهم

فقال المأمون من أومأ منكم الى غريب بقبلة ليصدقنى اولا ضربن عنقه فقال محمد بن حامد أنا يا أمير المؤمنين والعفو أقرب للتقوى قال قد عفوت قال فكيف استدل على ذلك أمير المومنين قال لأنها ابتدأت صوتا وهى لاتغنى ابتداء الالمعنى وعلمت أنها أجابت من أومأ اليها بطعنة .

(قلت) : هذا نهاية من فطنة المأمون .

(وكانت) : غريب هذه تتعشق صالحاً المنذرى الخادم فوجه به المتوكل العباسى الى مكان بعيد فقالت غريب فيه :

أما الحبيب فقد مضى بالرغم منى لا الرضى
أخطأت فى تركى لمن لم ألق عنه عوضا

وغنته يومابين يدى المتوكل فجعل جواريه ينغامزن فغطنت بهن فقالت لهن ياسحاقات هذا خير من عملكن .

(قلت) : وما أحسن قول من قال :

قولوا لمن تهوى السحاق الذى حرمه الرحمن مافيه خير
أخطأت ياكاملة الحسن اذ أقمت اسحاق مقام الزبير

ولغريب في صالح المذكور

ويلى عليك ومنكا أوقعت في القلب شكا
زعمت أبي خؤن جورا علي وأفكا
ان كان ما قلت حقا او كنت أزممت تركا
فأبدل الله ما بى من ذلة الحب نسكا

(قلت) : ما أحلى هذا الكلام العجيب ، ولاشك ان من شروط المحبة اللازمة ذل المحب للحبيب وما أصدق قول أبى عبدالله بن الاحمر سلطان الغرب :

أياربة القرط التى حسنت هتكى على أيّ حال كان لابد لي منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى واما بعز وهو أليق بالملك

انتهى .

قال صاحب الدول المنقطعة : لمامات بدر الجمال شاهنشاه الملقب أمير الجيوش وكان من الرجال المشهورين في الرأى والشهامة وقوة العزم وكان من الارمن اشتراه جمال الدولة عمار ورباه وتقدم بسببه واستنابه المنصور بالله الفاطمي بمدينة صور وقيل بعكا حتى كانت سنوات الشدة بمصر التى أشبهت سنى يوسف عليه السلام واختلت أحوال المستنصر فاستدعاه فركب البحر اليه في غير وقت ركوبه وكان ذلك في فصل الشتاء فوصل الى المستنصر عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى وقيل الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة فولاه المستنصر تدبير أموره فقامت بوصوله الحرمه وصلحت به حال الدولة والامه .وكان وزير السيف والقلم والطيلسان والعلم

واليه انتهى قضاة القضاء وأمر الدعاء وساس الامور أحسن سياسة وكان وصوله أول سعادة المستنصر وآخر قطوعه .

ومما اتفق يوم ورد أنه قرأ قارىء ولقد نصركم الله ببدر ثم امسك فقال المستنصر لو اتمها لضربت عنقه ومات على حاله في ذي الحجة اوذى القعدة في سنة ثمان وثمانين واربعمائة وولي بعده احمد بن الأفضل امير الجيوش .

قال صاحب الدول المنقطعة خلف بدر الجمالي من الأموال مالم يسمع بمثله قط من ذلك ستمائة الف الف دينار ذهباً عيناً وخمسين أردباً دراهم نقداً مضروبة وسبعين الف ثوب ديباج أطلس وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنى عشر الف دينار ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس لكل مجلس عشرة مسامير على كل مسمار منديل مذهب على خلعة بلون من الألوان أيها أراد لبسه وخمسمائة صندوق كسوة لخاصته من دق تنيس ودمياط ومن الرقيق والخيل والبغال والمراكب والحمير والجمال والطيب والتجمل والحلى ما لا يعلم قدره إلا الله تعالى وخلف خارجا عن ذلك من الغنم والبقر والجواميس مايستحيا من ذكر عدده .

وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين الف دينار ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما ابرذهب برسم النساء والجواري فسبحان الملك الدائم الحي القائم .

أين الملوك الذي أموالهم جمعوا لقد سقاهم بكاس الموت ساقيها
تلك المنازل في الآفاق خالية أضحت خراباً وأفنى الدهر بانيها

﴿ ترجمة أبي علي الحسن بن هاني الشاعر المشهور المكنى بأبي نؤاس ﴾
(لأنه من كني ملوك اليمن بن عبد الأوّل بن الصباح)

فاضل اليه انتهى حسن التغزل في الملاح ، وعنه أخذ حديث الوصف والتشبيه في الأبكار وكل خود رداح ، خصوصاً اذا وصف الزجاجة والراح

تفرد بمذهب الخلاعة والمجون ولا عليه في ذلك جناح . يصيبك رقيق شعره في احمر الخدود، ويسبيك انيق غزله في اسمر القدود ، ويشفيك سماع قريضه في رمان النهود، فهو على كل حال بالبلاغة والمعاني أدرى واخبر ، وحديث أدبه اشهر من ان يذكر .

(قال الاصفهاني) : وكان مولده بالبصرة ونشأ بها ، ثم خرج مع والبة بن الحباب الشاعر وبه تخرج . وقيل: ان مولده بالأهواز وانتقل منها وعمره سنتان .

وامه اهوازية ، واسمها جلبان .

وكان ابوه من جند دمشق ، ثم صار من اصحاب مروان بن محمد المنبوز بالحمار ، ثم انتقل الى البصرة فتزوج جلبان واولدها عدة اولاد منهم ابو نؤاس وكان فحلا مقدماً في شعراء المولدين وله كل معنى مليح ، ومدح الرشيد واختص بالأمين وكان يهواه ، ولا يبوح بهواه خوفاً منه ، ومدائحه فيه تنبي عن ود خالص . وقال في حياة والده الرشيد فيما يتعلق بالتعشق فيه .

أصبحت صباً ولا اقول لمن اخاف من لا يخاف من احد
اذا تفكرت في هواي له مسست رأسي هل طار عن جسدي

وما احسن قوله من قصيدة :

واذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطىء الثرى فلها علينا حرمة وذمام

(قلت) : البيت الأول مأخوذ من اول ابيات داود بن سلم المتقدم ذكرها في قثم بن العباس . وقيل : ان قصيدته التي اولها :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم

ليست له ، وانها من شعر والبة استاذه ، وكان يتعشق ابا نؤاس فنحله إياها .

(روى) ابو الفرج الاصفهاني عن الدعلجي غلام ابي نؤاس . ان ابا نؤاس سكر ليلة فترنم الغلام بشيء منها ، فقال له ابو نؤاس : أتدري لمن يعني بأولها ؟

قلت: لا ، قال : انا المعني بها والشعر لوالبة بن الحباب وانت اعلم . قال : فلم احدث به حتى مات .

(قلت) : لفظ حكم في مطلع القصيدة قرينة لانتساب ابي نؤاس الى الحكم ابن سعد العشيرة ، والقصيدة من جيد شعره وهي شهيرة . وكان شيعياً وله في الامام الرضا عليه السلام الأبيات التي تقدم ذكرها عند ذكر بيعة المأمون للرضا ، وله غير ذلك في الأئمة عليهم السلام . وله القصيدة الرائية المشهورة في مدح الخصيب صاحب مصر . واجاد في قوله ايضاً من اول قصيدة له وهي :

ايها المنتاب من عفره لست من ليلى ولا سمره
لا اذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

وكنت كثيراً اتوقع تحصيل بقية هذه الأبيات فأكتبها هنا للطافتها فلم يتفق لي تحصيلها .

وقال ابو نؤاس : رأيت النابغة الذبياني في منامي فقال لي : بماذا حبسك الرشيد ؟ قلت : بقولي :

اهج نزاراً وافر جلدتها وهتك الستر عن مثالبها

وكان ابو نؤاس يناقض الكميت ويتعصب لليمن على نزار لولاية فيهم ، قال ابو نؤاس : فقال لي النابغة اهل ذلك انت يا بن الموسة فقد استوجبت من كل نزاري عقوبة مثلها بما ارتكبت بها . قال ابو نؤاس : فقلت له : وانت بماذا حبسك النعمان ؟ قال : ببيت قلته ستره النعمان . قلت : بقولك :

سقط النصيف ولم ترد اسماكه فتناولته واتقتنا باليد

قال : وهذا مستور . قلت : فبقولك :

واذا لمست لمست اجثم جاثياً متحيزاً بمكانه ملء اليد

فقال : اللهم غفراً قلت : فيما ذا ؟ قال : بقولي :

فملكت اعلاها واسفلها معاً واخذتها قسراً وقلت لها اقعدي

فحدثت بهذا الحديث اليزيدي فألحقه بقصيدة النابغة .

(قلت) : قصيدة النابغة هذه وصف بها المتجردة بنت الملك زهير العبسي زوجة النعمان ملك الحيرة .

وقال ابو الحسن بن نوبخت : ما رأيت قط اعلم ولا احفظ من ابي نؤاس ولقدفتشنا منزله بعدموته فلم نجدعنده من الكتب إلاجزأ فيه شعر ابي ذؤيب الهذلي.

(قلت) : وكان ابو نؤاس يتعشق عنان جارية الناطفي ، ودخل عليها يوماً وكانت شاعرة جميلة أديبة مغنية فقال لها :

ما تأمرين بصب تكفيه منك قطيره

فقالت :

إياي تعني بهذا عليك فاجلد عميره

فقال :

اريد هذا واخشى على يدي منك غيره

فقالت : تعست وتعس من يغار عليك . ودخل عليها مرة فقال :

ان لي . . . حميتا لونه يحكي الكميتا
لو رأى في الجو صدعاً لنزى حتى يموتا
او رآه وسط بحر لغدا في البحر حوتا
او رآه فوق سقف صار فيه عنكبوتا

فقالت :

زوجوا هذا بألف ما اظن الالف قوتا
بادروا ما حل بالمسكين خوفاً ان يفوتا
قبل ان ينعكس الد اء فلا يأتي ويوتى

فغلبته وخجل .

(قلت) : الحميت المتين من كل شيء ، والزق الصغير والزق بلا شعر ،

والكميت الذي خالط حمرته قتوة ٠

(وذكر الاصفهاني) : ان الرشيد كان مولعاً بعنان هذه ودفع لمولاها مائة الف دينار فأبى ان يبيعها . وكانت زبيدة تغار منها كثيراً فدست الى ابي نؤاس : انك إن قلت في جارية الناطفي شيئاً تصرف به قلب أمير المؤمنين عن شرائها فلك حكمك . فقال :

ان عنان النطاف جارية أصبح حرها للا . . ميدانا
ما يشتريها إلا ابن زانية وقرطبان يكون من كانا

فكان الرشيد يقول : قبح الله ابا نؤاس فقد نغص عليّ لذتي في عنان ومنعني بشعره عن شرائها ٠

(قلت) : والقرطبان ـ بالفتح ـ الديوث والذي لا غيرة له أو القوّاد ٠

وحكى الاصمعي قال : ارسلت الى ام جعفر : ان امير المؤمنين لهج بعنان فان صرفته عنها حكمتك ، قال : فكنت ارتقب فرصة منه أتكلم فيها بما اصرفه . فدخلت عليه مرة وهو مغضب فجلست جانباً ، فقال مالك : يا اصمعي ، فقلت : رأيت في وجه امير المؤمنين غضباً فلعن الله من اغضبه ، قال : هذا الناطفي والله لو انني لم أجر في حكم متعمد لجعلت على كل جبل منه عضواً وما لي في جاريته ارب غير الشعر والأدب ٠ قال الأصمعي فقلت له : أجل والله ما فيها غير الشعر فهل يسر امير المؤمنين ان يجامع الفرزدق ؟ فقال : اعزب عني قبحك الله تعالى وضحك وزال غضبه وامر لي بجائزة ، واتصل ذلك بام جعفر فأجازتني ٠ وكتبت عنان الى ابي نؤاس مع جارية لها في كفها :

زرنا لتأكل معنا ولا تخلف عنا

فأدخل الجارية ونا كها وكتب في كفها :

نكنا رسول عنان والرأي فيما فعلنا
وكان خبزاً بملح قبل الشوى فأكلنا

فكتبت اليه :

للنيك معنى ولكن ما للتهتك معنى

فلما قرأه ضحك وجاء اليها .

فقالت له : أباقتراع تراه

فقال : بذاك كنا اقترعنا

فقالت : فما ترى في صراع

فقال : ان شئت قمنا اصطرعنا

فقالت : فالرهن ما ذا عليه

فقال : الوصل نجعل رهنا

ثم قال : قومي كذا بحياتي

فقالت : طولت دعنا ونكنا

وقال ابو نؤاس في هجاء ابليس :

لعنة يالعين انت اختلست الناس غيظاً عليهم اجمعينا
عند ما قلت لا اطيق سجوداً لمثال خلقته رب طينا
حسداً إذ خلقت من مارج النار لمن كان مبتدا العالمينا
تهت لما ابيت في سالف الدهر وفارقت زمرة الساجدينا
ثم قد صرت في القيادة تسعى يا مجير الزناة واللائطينا

قال بعض السلف : ما دخل على ابليس شيء أضر من ابيات ابي نؤاس وهي هذه التي عاب فيها ابليس وفضحه :

وليلة قصرها طولها بالكرخ اذ متعت من خلوته
اشرب من ريقته مرة ومرة اشرب من خمرته
في مجلس يضحك تفاحه من الرياحين على خضرته
ليس يرى خلوتنا ثالث إلا الذي نشرب من خمرته

حتى اذا ألقى قناع الحيا ودارت الخمرة في وجنته
ملكني حل سراويله وكان لا يأذن في قبلته
دب له ابليس فاقتاده والشيخ نقاع على لعنته
تاه على آدم في سجدة وصار قوّاداً لذريته

﴿ فائدة ﴾

السراويل معرَّب عند الجمهور ، وقيل عربي يذكر ويؤنث ، والجمهور على ما قلناه أولاً . واول من لبسه ابراهيم الخليل عليه السلام ، ووجد في تركة النبي صلى الله عليه وآله لباس اشتراه عثمان بن عفان بأربعة دراهم ولم يلبسه إلا يوم قتل فانه لبسه .

(وقال) ابن المعتز في شكر ابليس متهكما :

تركت هجا ابليس ثم مدحته وذاك لأمر عز عندى سلوكه
اطالب من اهواه وصلا فان أبى حكاه خيالا في الكرى فأنيكه

﴿ فائدة ﴾

يقال : ان ابليس كوسج في حنكه شعرات وهو عريان في سراويل . فان قيل كيف يرى ابليس وهو من الجن الروحانية أو من الملائكة اول حاله ؟

الجواب انه يتشكل كالسعالى والغيلان ، والذين حكوا انهم رأوا ابليس عالم فاما واحد من ذريته فروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لقد عرض لي البارحة في صلاتي شيطان فأردت ربطه الى سارية من سواري المسجد فذكرت قول اخي سليمان (رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فأطلقته .

وقد قدمنا في ذكر بيعة المأمون للرضا «ع» ان ابراهيم بن المهدي رآه وصافحه .

قال الثعالبي في كتاب ألفه لخوارزم شاه : ان حمالا مر بسوق بغداد وعلى رأسه جرة عسل فوقعت الى الأرض وانكسرت فأقبل الصبيان يلعقونه

ويلعنون ابليس ، فتراآى لهم وقال : يا اولاد الزنا هذا جزائي منكم إذ كسرت الجرة واطعمتكم العسل .

وقال أيضاً فيه : ان جماعة من النخاسين وثبوا على شيخ أعجمي فحلقوا لحيته وشاربه ثم سلطوا عليه الزنابير فلسعته حتى تورم وجهه وضاقت عيناه واحمر وجهه ثم باعوه على انه غلام تركي وقبضوا دراهمه ، فتراءى لهم ابليس وقال لهم : هذه الحيلة ما كانت في حسابي ابداً .

ورآه ابو بكر بن دريد الامام المشهور في صورة رجل شامي وسأله عن اسمه فقال : ابو ناجية . وهذه القصة ذكرها ابن خلكان .

ورآه ابراهيم الموصلي في صورة شيخ ابيض اللحية عليه برنس ابيض وبيده عكاز ونادمه يومه وغنى له وحكايته مشهورة ، ولولا طولها لذكرتها .

(قيل) : كان ابو نؤاس يهوى جنان جارية عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي البصري المحدث ـ الذي كان ابن منادر الشاعر يهوى ابنه وله فيه اشعار كثيرة ـ وكانت جنان حلوة جميلة أديبة ، قيل ان ابا نؤاس لم يصدق في حب امرأة غيرها وحجت سنة فحج بسببها وقال : وهو احد الاصوات التي يغنى بها للخلفاء :

ألم تر انني افنيت عمري ... بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم اجد سبباً اليها ... يقربني واعيتني الامور
حججت وقلت قد حجت جنان ... فيجمعني وإياها المسير

ورآها يوماً تلطم وجهها في مأتم فقال :

يا قمراً ابرزه مأتم ... يندب شجواً بين اتراب
يبكي فيذري الدمع من نرجس ... ويلطم الورد بعناب

ما أحلى هذا البيت :

أبرزه المأتم لي كارهاً ... برغم دايات وحجاب
لا تبك ميتاً حل في حفرة ... وابك قتيلا لك في الباب

وقال في التلبية :

إلهنا ما اعدلك مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك ما خاب عبد سألك
انت له حيث سلك لولاك يا رب هلك
لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك
والليل لما ان حلك والسابحات في الفلك
على مجاري المنسلك كل نبي ومـلك
وكل من أهل لك سبح او لبى فلك
يا مخطئاً ما اغفلك عجل وبادر أجلك
اختم بخير عملك لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك والحمد والنعمة لك

ففتن كل من سمعه . هكذا ذكره صاحب خير الجليس . وكان سفيان بن عيينة اذا ذكر هذه الأبيات يقول : لقد أحسن ابو نؤاس .

وغاضبته جنان وقتاً فوجه اليها رسوله فجاوبته بما يكره فلم يخبر الرسول بما قالت وتبين ذلك ابو نؤاس في وجهه فقال :

فديتك فيم عتبك من كلام نطقت به على وجه جميل
وقولك للرسول اليك عني فليس الى التواصل من سبيل
فقد جاء الرسول به انكسار ووجه ما عليه من قبول
ولو ردت جنان مردّ خير تبين ذاك في وجه الرسول

(وروى) ابو الفرج الاصفهاني ان محمد بن عمر التيمي القاضي مر أيام قضائه فرأى ابا نؤاس قد خلا بامرأة يكلمها وكانت جاءته برسالة جنان فقال له : اتق الله . قال : فانها حرمتي . قال : فصنها عن هذا الموضع . فلما انصرف كتب اليه :

ان التي أبصرتني سحراً أكلمها رسول
أدت الي رسالة كانت لها نفسي تميل
من ساحر العينين يجذب خصرها ردف ثقيل
فلو ان اذنك بيننا حتى تسمع ما أقول
لرأيت ما استقبحت من أمري هو الحسن الجميل

ثم وجه بالرقعة فالقيت في الرقاع بين يدي القاضي فلما قرأها ضحك وقال ان كانت رسولا فلا باس . ومن مليح غزله قوله :

أشتهي الساقيين لكن قلبي مستهام باصغر الساقيين
ليس باللابس القميص ولكن القباذا المعقرب الصدغين
والذي بالفتور زينه الله وحسن الجبين والحاجبين
وثنايا كأنها نظم در تحت خال في موضع الشاربين
يكسر العين ان نظرت اليه يابلائي من كسرة العينين
يلثغ اللفظ ان حثثت لشرب في الحناء ويمسح العارضين
خرسنوه وما درى ماالخمر سان بلبس القباء والموزجين

ذكرت هنا قول الصاحب ابن عباد في ألثغ :

وشادن ناديته ما اسمه أجابني بالغنج عياث
فصرت من لثغته ألثغاً وقلت اين الكاث والطاث

ويعجبني قول شيخ شيوخ حماة في ألثغ ايضاً :

رشأ من آل يافث طرفه للسحر نافث
ماله في الحسن ثان وهو للبدرين ثالث
يخطىء السين الى ثاني المثاني والمثالث
قلت عدني بوصال قال دع عنك الوثاوث

افهم هذه الفائدة اللثغة تغيير من القاف والسين واللام والراء والمتممة التتمتم

في التاء والقيفأة في القاف واللغف ادخال حرف في حرف واياه عنى الشاعر بقوله : كان فيه لغفا اذا نطق ، والحبسة ثقل في الكلام والعقلة اعتقال اللسان والتلجلج تقارب الحروف والحكلة نقصان آلة النطق حتى لايعرف معانيه الا باستدلال فاعرف ذلك .

وقال أبو نؤاس من قصيدة طويلة :

دع الرسم الذى درثرا يقاسى الريح والمطرا
وكن رجلا أضاع العمر في اللذات واشتهرا
ألم تر مابنى كسرى وسابور ومن غبرا
منازل بين دجلة والفرات أحفها الشجـــرا
بارض باعـد الرحمن عنها الطلح والعشرا
ولم يجعل مصائدها يرابيعـــاً ولا وحرا

اليربوع معروف والوحرة محركة وزغة تلصق باللحم فتسمه وامرأة وحرة بالتحريك سوداء ذميمة أو حمراء قصيرة .

ولكن حور غزلان تراعى بالملا بقـرا
وان شئت أخذنا الطير من حافاتها زمرا
ومنها يزيدك وجهه حسنا اذا مازدته نظـــرا

وهى طويلة ، وذكر الشيخ جمال الدين بن نباتـة في سرح العيون عن أبى نؤاس انه قال دخلت دمشق فاعطيت مؤاجراً أربعة دراهم فلما رأى متاعى استعظمه فقلت له ان أحببت فاذعن أو ردّ الدراهم او فاشتم معاوية قال فأذعن قال فلما الححته فيه سمعته يقول هذا قليل في حقك ياأبا يزيد ، قال وقال له غلام متى تعطينى درهما قال اذا جرى الماء فى العود .

(قلت) ماالطف هذه التورية المجونية ويجرى الماء في العود من اثناء كانون الثانى من شهور الروم ولبعضهم في معرفة شهور الروم :

شهور الروم من نيسان قدّم ففي تقديمه حصل المرام
فقل كي لا ولا لا لا ولا لا وكي لا لا وكح لا والسلام

أشار بقوله كي الى عدد ٣٠ وبقوله لا إلى عدد ٣١ فشهر نيسان ٣٠ يوما وايار وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الأول ٣١ وتشرين الثاني ٣٠ يوما وكانون الأول وكانون الثاني ٣١ يوما وشباط ٢٨ يوما وأذار ٣١ يوما .

ومن رقيق شعر أبي نؤاس قوله :

أيا قمراً تبسم عن اقاح ويا غصناً يميل مع الرياح
جبينك والمقلد والمحيا صباح في صباح في صباح

قال مؤلفه وقلت أنا من هذا المعنى :

سقتني قهوة في جنح ليل وفي يدها خضاب كالمداد
فقهوتها وكفاها وليلي سواد في سواد في سواد

ومن لذيذ خمريات أبي نؤاس قوله :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها ان مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حرفي زيّ ذي ذكر لها محبان لوطيّ وزناء
جاءت بابريقها والليل معتكر فصار من وجهها في البيت لألاء
وأرسلت من فم الابريق صافية كانما أخذها للعقل اخفاء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها لطافة وخفى عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نوراً لمازجها حتى تولد أنوار واضواء
دارت على فتية ذل الزمان لهم فلا يصيبهم إلا بما شاؤا
فقل لمن يدعي بالعقل معرفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

ولم يزل أبو نؤاس مولعا بذم أرض العرب لقشفها وهو كذلك ، والطلح والعشر من نباتها والاول بارديابس ينفع الاسهال الدموي ويعرفه الاطباء بأم غيلان

وصمغه بارد رطب أو معتدل وهو بدل الكثيرا وهو يعدل الادوية الحادة وقد ينبت الطلح بغير أرض العرب .

(وأما العشر) : فقد قيل انه لاينبت بغير اليمن .

(قلت) : وهذا القول ضعيف فانه في الهند بكثرة وهو ضار مهلك ان افرط في استعماله ولا ينبغي استعماله من داخل أبداً وهو حار يابس في الرابعة يستأصل البارد بن ولبنه من أصح أجزاء الكيمياء القمرية ، وتوفي أبو نؤاس في أوّل خلافة المأمون وكان منقبضا عنه لميله الى الأمين ، ورؤيت له منامات صالحة ذكرها المؤرخون عفا الله عنه بمنه وكرمه ، وجوده ونعمه .

(قلت) : ولم يسمع في أذراء حمير بمن سمى ذا نؤاس الا زرعة واسمه يوسف وهو صاحب الاخدود ويعرف بذى نواس بفتح النون وتشديد الواووكان غلاما جميلا فبعث اليه ذو شناتر لما سمع بحسنه ليفجر به فقتله زرعة عندما خلا به وملك بعده ، وكانت حمير لاتملك من ليط به وكان هذا فعل ذى شناتر وقصده مع ابناء الملوك والله أعلم .

قال الاصمعي : دخلت مسجد الجامع بالبصرة في أيام الرشيد فاذا برجل يدور بين الصفوف بابنين له أحدهما في يمينه والآخر في شماله وهو يقول :

أيا بنى صابرا أباكما انكما بعين من يراكما
وهو الذى بعينه يرعاكما ولو يشا بفضله يرعاكما

فلم يبق أحد في المسجد إلا وبكى رحمة له وأومؤاله بالجلوس حتى انصرف الامام من الصلاة ثم بسطوا له ثوبا وألقوا عليه ذهبا وفضة الى مبلغ كثير فاشترى له بعد ذلك منزلا وأقام بالبصرة وكان لبيب الخاطر جيد البديهة في الشعر والنثر وكان يكنى أبا فرعون فبلغ خبره الى هارون الرشيد فامر باشخاصه الى بغداد مع البريد ، فلما مثل بين يديه قال له أنت أبو فرعون قال نعم ياأمير المؤمنين قال ألك حاجة فقال لاحاجة لي غير مدح أمير المؤمنين فقال له الرشيد لاحاجة لنا بمدحك

بل أقسمت عليك بحقي إلا ماهجوتنا ومن في المجلس وكان المجلس غاصاً بأهله من وزير وأمير وحاجب ، ورئيس ونديم وكاتب ، منهم جعفر بن يحيى البرمكي وأبوه يحيى بن خالد وأخوه الفضل بن يحيى والفضل بن الربيع وسعيد بن أسلم الباهلي وهلال النديم وأحمد بن عمران الكاتب ، ومسرور الحاجب ، وهارون الصاحب ، فقال أبو فرعون بمن ابتدىء يا أمير المؤمنين ؟ فقال له الرشيد ابتدىء بمن تريد فالتفت يمينا وشمالا وقال من هذا ؟ قال سعيد بن أسلم فأنشأ يقول :

هيهات أضرب في حديد بارد ان كنت اطمع في ندالك سعيد
لو كنت تملك حين تملك دجلة وبحورها وتطير حيث تريد
او كنت تملك نيل مصر جميعه او حيث ينقص ماؤه ويزيد
واتاك ظمآن الفؤاد مبادرا بأنائه يبغي لقلت صعيـــد

فقام سعيد مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله ، فقال له الرشيد والجماعة أقعد وأرضه فانه شاعر فجلس وأرضاه ثم التفت الى الفضل بن الربيع بعد ان سأل عن اسمه وأنشأ يقول :

لسانك احلى لي من النحل موعدا وكفك بالمعروف اضيق من قفل
تمنى الذي ياتيك حتى اذا انتهى الى امل ناولته طرف الحبل

فقام الفضل مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله فقال له الرشيد اقعد وارضه فانه شاعر فجلس وارضاه ، ثم التفت الى احمد بن عمران الكاتب بعد ان سأل عن اسمه وانشأ يقول :

لنا كاتب مولع بالخلاف كثير الخطايا قليل الصواب
الج لجاجا من الخنفسا وازهى اذا مامشى من غراب

فقام احمد مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله فقيل له كما قيل لمن قبله فجلس وارضاه ثم التفت الى هلال النديم وسأل عن اسمه وانشأ يقول :

ألا من يشترى مني هلالا بصارمه وجحفته بفلس

وأشرط للذى يشريه منى ليعلم من خصال فيه خمس
فمنهن البغاء مع المكاوى وآثار الجراح وكل حلس
ويصطاد الذباب بشفرتيه ولو كان الذباب بباب فلس

فقام هلال مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله فضحك الرشيد حتى علا صوته ثم قال ياهلال اجلس وارضه فانه شاعر فجلس وارضاه ثم التفت الى مسرور الحاجب فقال من هذا قيل مسرور فأنشأ يقول :

وحاجب السوء مذموم خليقته يمشى على مثل معوج العراجين
وما دعوت عليه قط ألعنه إلا وآخر يتلوه بآمين
فليته كان أقصى الروم مسكنه أوكان اقصى بلاد الله بالصين

فقام مسرور مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله وانتضى سيفه وهمّ به فزجره الرشيد وقال له اجلس وارضه فانه شاعر ففعل ثم التفت الى البرامكة وكانوا قريباً من الرشيد فقال من هؤلاء فقالوا له البرامكة فانشأ يقول :

اذا ذكر الشرك فى مجلس أضاءت وجوه بنى برمك
وان تليت بينهم آية اتوا بالاحاديث عن مزدك
فمسلمهم كافر مشرك على دين شملة المشرك

فقام كل منهم مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله والرشيد قد كثر تعجبه وعلا صوته بالضحك فقال لهم اجلسوا وارضوه فانه شاعر فأطاعوا الامر ولم يبق سوى الخليفة فاحتشم وسكت فقال له الرشيد ياأبا فرعون ألحقنى باصحابى فقال لا بل أمدحك ياامير المؤمنين فان الهجاء لايليق بك فقال له الرشيد لاحاجة لنا بمدحك أقسمت عليك بحياتى ان تلحقنى بهم فأنشأ يقول :

ياعين سحى الدمع واستعبرى قد بايع الناس لهارون
خليفة أنوك من فعله لا يعرف البعر من التين
لابدّ للاحمق من دولة أف لهذا الدين من دين

فقام الرشيد مغضبا يجر سيفه ويسحب ذيله وقال له يا ابن اللخنا ، بلغت في الهجو إلى هنا ، فقال له الجماعة أقمد يا امير المؤمنين وارضه فانه شاعر ولا يكون الهجو معجبا حتى يكون مغضبا ، فسمع كلامهم وأمر له بمثل ما أمروا له به فانصرف وهو من اغنى الناس وهم يتضاحكون منه وينشدون شعره فقال أحمد بن عمران الكاتب صدق والله القائل يا امير المؤمنين في هـذا الممتى ألم تر الى هذا الرجل كيف أخـذ المال ولم يتعب فيه ولا اخذه بمدح بل اخذه بهجو فقال له الرشيد وما قال القائل يا احمد قال قال :

يا راكب الهول والآفات والهلكه لاتتعبن فليس الرزق بالحركه
من غير ربك للسبع العلاء بنى ومن اقام على ارجائها ملكه
سبحانه من لطيف في مشيئته ادار قطبا بما قـد شاءه فلكه
اما ترى البحر والصياد منتصب في لجـه ونجوم الليل مشتبكه
يمـدّ اطرافه والموج يضربه وعقله بين عينى كلكل السمكه
حتى اذا صار مسروراً بها جذلا للحوت اذ شك سفود الردى حنكه
غدا عليك بها عدواً بلا نصب فصرت املك منه بالذى ملكه
لطف من الله يعطى ذا ويمنع ذا هذا يصيد وهـذا يأكل السمكه

﴿ صورة العهد الذى كتبه النصارى بالقدس لعمر بن الخطاب ﴾

روى عن محمد بن كعب القرظى عن محمد بن حذيفة ان العهد الذى كتب لبيت المقدس وغيرها هذه صورته هذا كتاب كتبناه لك انك قدمت بلادنا وطلبنا اليك الامان في أنفسنا واهل ملتنا واشترطنا على انفسنا ان لانخرب في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها ولا بيعة ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ماخرب من كنائسنا ولا نحمى ما كان في خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا من المسلمين ينزلونها في الليل والنهار وان نوسع عليهم في ابوابها للمارين وابن السبيل ولا نؤوى فيها

ولافى منازلنا جاسوسا ولا نكتم شيئاً من غش المسلمين على أن لانضرب ناقوسا إلا ضربا خفيفا في جوف كنائسنا ولا نظهر الصليب عليها ولا نرفع اصواتنا بالصلاة والقراءة في كنائسنا ما كان بحضرة المسلم ولا نخرج صليبا ولا كتابا في طرق المسلمين ولا نخرج ياغوثا ولا شمانين ولانرفع اصواتنا في موتانا ولانظهر النيران في اسواق المسلمين ولا نجاورهم بخنازير ولا نبيع الخمر في أسواق المسلمين ولا في امصارهم ولا في طرقهم ولا نظهر شركا في نادى المسلمين ولا نرغب مسلما في ديننا ولا ندعو اليه أحداً وعلى ان لانتخذ شيئاً من الرقيق الذى جرت عليه سهام المسلمين ولانمنع احداً من قراباتنا ان أراد الدخول في الاسلام وان نكون نلزم ديننا حيثما كنا ولا نتشبه بالمسلمين في لباس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نكتني بكناهم وان نجز مقادم رؤسنا ونفرق نواصينا ونشد الزنانير على أوساطنا ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله ولا نتقلد السيوف وان نوقر المسلمين في مجالسهم ونرشدهم السبيل ونقوم لهم في المجالس اذا ارادوا الجلوس ولانطلع عليهم في منازلهم ولا نعلم احداً من اولادنا القرآن ولا يشارك احد منا مسلما في تجارة الا ان يكون الى المسلم امر التجارة وان نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة ايام نطعمه فيما يحل له من طعامنا وشرابنا شرطنا ذلك على انفسنا واهل ملتنا واعطينا بذلك الامان على انفسنا وذرارينا وازواجنا ومساكننا فان نحن غيرنا او خالفنا على ماشرطنا على انفسنا وقبلنا الامان عليه فلا ذمة لنا ولا عهد وقد احل ذلك من دمائنا واموالنا مايحل من اهل المعاندة والخلاف والشقاق والمنابذة انتهى .

(حكاية)

مر طفيلي على خباز فقال له اعطنى من خبزك هذا فقال له الخباز كم قرصاً ؟ فقال (إنما إلهكم واحد) فاعطاه رغيفاً ، فقال الطفيلي (إذ ارسلنا اليهم اثنين) فاعطاه اثنين

فقال فعززنا بثالث فأعطاه ثلاثة فقال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك فاعطاه أربعة اقراص فقال ويقولون خمسة فاعطاه خمسة فقال وسادسهم كلبهم فاعطاه ستة فقال له الذي خلق سبع سموات طباقا فاعطاه سبعة أقراص فقال له الطفيلي ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاعطاه ثمانيه فقال وكان في المدينة تسعة رهط فاعطاه تسعة فقال له فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فاعطاه عشرة فقاله انى رأيت احد عشر كوكباً فاعطاه احد عشر قرصا فقال له ان عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فاعطاه اثنى عشر رغيفاً فقال له عليها تسعة عشر فاعطاه اياها فقال له ان يكن منكم عشرون صابرون فاعطاه عشرين فقال له وحمله وفصاله ثلاثون شهراً فاعطاه ثلاثين فقال له حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة فقال له الخباز خذ القصعة كلها وما فيها لا بارك الله لك فيها فقال له الطفيلي والله لو لم تدفع اليّ الجميع لقلت لك وارسلناه الى مائة ألف او يزيدون .

(قيل) أم انسان بقوم وكان ظريفاً وكانوا لايطعمونه غير الخبز والكامخ فتضرر لذلك فلما تقدم للصلاة بهم قرأ في الركعة الاولى بسم الله الرحمن الرحيم ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا امامكم خبزاً ولا كامخا بل أطعموه خبزاً ولحماً فان لم تجدوا لحماً فدجاجا فان لم تجدوا دجاجا فبيضا مقلياً فان لم تجدوا بيضاً فحوتاً لذيذاً سمينا ، ومن لم يفعل ذلك فقد خسر خسراناً مبينا ، ثم قرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة فان لم تجدوا حوتا فخبزاً وعسلا وسمنا فان لم تجدوا ذلك فثريدا ، ومن لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا ، فلما فرغ من الصلاة أتى اليه قومه واعتذروا اليه بما صار منهم من التقصير في حقه وانه لم يكن عندهم علم بأن الله انزل من الوصية بالأئمة في القرآن شيأ ثم سألوه عن هذه الآية في اى سورة نزلت فقال لهم في سورة المائدة .

(قيل) لما ادعت سجاح النبوة في أيام مسيلمة الكذاب قصدت حربه فاهدى لها مالا حتى أمنته وأمنها ثم جاء اليها واستدعاها وقال لأصحابه انصبوا لها قبة

ففعلوا فلما اتت اليه قالت له اعرض عليّ ماجاءك من الوحي فقال لها انى اريد ان أخلو معك حتى نتدارس فلما دخلت معه القبة قالت له اخبرنى بما يأتيك به جبريل فقال لها اسمعي هذه السورة انكن معشر النساء خلقن امواجا ، وجعل الرجال لكن أزواجا ، يولجن فيكن ايلاجا ، لاترون فيه فتورآولا اعوجاجا ، ثم يخرجونه منكن إخراجا ، فقالت له صدقت والله انك لنبي مرسل ، فقال لها هل لك في ان اتزوجك فيقال نبي تزوج نبية فقالت له افعل مابدا لك فقال لها :

ألا قومي الى المخدع فقد هي لك المضجع
فان شئت قلبناك وان شئت على الاربع
وان شئت بثلثيه وان شئت به اجمع

فقالت يارسول الله بل به اجمع ، فانه للشمل اجمع ، فضرب بعض الظرفاء من العرب بذلك مثلا وقال اكذب من سجاح فاقامت معه ثلاثاً واتت الى اهلها وقومها فقالوا لها كيف وجدتيه فقالت لهم انى سألته فوجدت نبوته حقاً وقرآنه صدقا وانى قد تزوجت به فقال لها قومها ومثلك يتزوج بغير مهر فقال لهم مسيلمة انى قد رفعت عنكم صلاة العشاء والصبح لاجل مهرها .

(قال) أهل التواريخ : فاقامت بعد ذلك مدة فى بني تغلب ثم أسلمت وحسن اسلامها .

(قلت) ومن قرآن مسيلمة الذى يزعم انه نزل عليه لعنة الله عليه والنازعات نزعا ، والزارعات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات ذروا ، فالطاحنات طحنا والنازلات نزلا ، فالجامعات جمعا ، والعاجنات عجنا ، فالخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، فالآكلات اكلا ، والماضغات مضغا ، فالبالعات بلعا ، وله غير ذلك لعنه الله في كلامه ، وسود وجهه .

﴿ ذكر من ولد من الانبياء مختوناً وعدد نزول الوحي عليهم ﴾

قال الدميرى في (شرح المنهاج) : الذي ولد من الانبياء مختونا اربعة عشر آدم ،

وشيث ونوح ، وهود ، وصالح ولوط ، وشعيب ، ويوسف ، وموسى وسليمان ، وزكريا ، وعيسى ، وحنظلة بن صفوان ، نبي أصحاب الرس ، ونبينا محمد المكرم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

((فائدة))

من فتح الجليل حاشية البيضاوى للشيخ زكريا قال قال ابن عادل يروى ان جبريل عليه السلام نزل بالوحي على آدم عليه السلام اثنى عشر مرة ، وعلى ادريس اربع مرات ، وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة ، وعلى نوح خمسين مرة ، وعلى موسى أربعمائة مرة ، وعلى عيسى عشر مرات ، وعلى نبينا محمد اربعا وعشرين الف مرة .

((فائدة))

عاش آدم أبو البشر عليه السلام تسعمائة وستاً وثلاثين سنة ، وعاش نوح الفاً واربعمائة وستاً وخمسين سنة ، وعاش ابراهيم الخليل مائة وخمساً وعشرين سنة ، وعاش اسماعيل مائة وعشرين سنة ، وعاش اسحاق مائة وستاً واربعين سنة ، وعاش يوسف مائة وستاً وعشرين سنة ، وعاش موسى مائة و عشرين سنة ، وعاش هارون تسعمائة وثلاثين سنة ، وعاش داود مائة سنة ، وعاش سليمان تسعمائة وست عشرة سنة وستة اشهر ، وعاش عيسى الى ان رفعه الله تعالى ثلاثاً وثلاثين سنة ، وعاش نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين .

(فلما) كان ثانى وعشرون من جمادى الآخره ، توكلنا على رب الدنيا والآخره ، سنة الف ومائة واثنتين وثلاثين من الهجرة الطاهره ، خرجنا من شيراز في وقت امين مأمون ، ورحلنا قاصدين كازرون .

سأطلب كل مرتبة تقصر دونها الرتب
فان الك قد سلمت فقد نجوت وانجح الطلب
وان اعطب فلا عجب لكل منية سبب

فمررنا على جبل العجوز ، والعجم يسمونه كوه بيره زن ، وهو جبل جاوز الافلاك وتعدى السماك وفي نصفه سمرة عظيمة ، وبه عين ماء تنحدر منه الى الارض فاذا وصلت القافلة الى الجبل تهيأت واخذت لنفسها الحذر من الاكراد البختياريه ، فانهم يقطعون الطريق بين تلك البريه وهم اشق البريه ، فلما كان سادس وعشرون من الشهر المذكور ، دخلنا كازرون بأمن وحبور .

﴿ ذكر كازرون وبحر فارس ﴾

كازرون مدينة كانت من أحسن المدائن ، كثيرة المياه والفواكه والبساتين والزهور والرياحين ، حتى كان يقال عنها انها دمياط العجم واليها ينسب الشيخ أبو اسحاق بن شهر يار الكازرونى ، وكان من أولياء الله تعالى وينسب اليها كثير من الناس ، بل وصاحب القاموس الآتى ذكره ان شاء مالك الناس ، فلما دخلتها رأيتها مدينة لطيفه ، انيسة ظريفه نزيهة شريفه ، ترابها كالكافور ، واهلها كالولدان والحور وهواؤها يشفى السقيم وشذاها يبرى الكليم ، والخير بها عميم ، ذلك تقدير العزيز العليم ، مياهها وافره ، وبساتينها عن وجه الافراح سافره ، وأشجارها مثمرة وزاهره ، وعيون أقمارها الى المحبين ناظره وبها مشمش يقال له شمس ، على أحسن منه لم تطلع الشمس ، عرفه كالمسك العاطر ، وهو بقدر الخوخ الفاخر ، وبها بطيخ في نهاية الكبر ، يبلغ وزن البطيخة مناً واكثر ، من السكر أحلى ومن العنبر أعطر وبها تين ماأحلاه ، واجوده وأذكاه ، وبها التفاح الكازرونى المشهور ، يبلغ عشرة أنواع وكسور ، وكان يباع المن إذ ذاك بثلاث محمديات وقد ينقص ويزيد في بعض الأوقات ، والمن الكازرونى ستة عشر رطلا بالمكى ، وبالاصفهانى أى الشاهى اثناعشر رطلا ، والتبريزى ستة أرطال بالمكي ، فأقمنا في الخان ثلاثة أيام ، مع أهلها في عز واكرام ، فلما كان غرة رجب الفرد الاصب ، خرجنا من كازرون النضيرة ورحلنا الى زيره .

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

فى ثامن الشهر أتينا على قرية صغيرة تسمى خشت تحت جبل شاهق يقال له النرجسي وأهل هـذه القرية في غاية من الكرم ، والجود والهمم ، وبهذه القرية دجاج ماله حدٌ ، ولا يحصيه عـد ، وفي عصر ذلك اليوم صعدنا جبل النرجسى المذكور فرأيناه جبلا في نهاية الطول وقد كسى بأثواب النرجس الغض ، طولا في عرض ، والنرجس متراكم فيه البعض على البعض فلهذا سمي بالنرجسى وبه من انواع الاقحوان أشكال وألوان ، وفي ثالث الشهر المذكور دخلنا زيره ، فرأيتها قرية صغيرة وبها نخيل كثيره ، غير ان ماءها فيه الملوحة لقربه من بحر فارس ونزلت بدار الجناب الكريم ، الجليل الشهيم ، الحاج علي بن ساباط المشهدى فأنزلنى بداره المباركة منزلا مباركا ، لانه كان رجلا مباركا فلما كان سادس الشهر ، توكلنا على من أنزل الفرقان والذكر ، ورحلنا من زيره الى بندر أبى شهر ، فأقمنا سابع الشهر بالرود خانه أي قنطرة الماء غير ان ماءها مالح لايكاد يشرب ، وعلى الماء طاحون مركب يدور بقوة الماء فيطحن شيأ كثيرا من الحب ، فلما أسفر صبح ثامن شهر رجب دخلنا بعون رب الشفع والوتر إلى بندر أبى شهر ، وهو بندر صغير على ساحل بحر فارس .

﴿ فائدة ﴾

بحر فارس يسمى البحر الاخضر ، وهو شعبة من بحر الهند الاكبر ، وهو بحر مبارك السالك فيه كثير قال أبو عبد الله الصينى خص الله تعالى بحر فارس بمزيد الخيرات ، وكثرة البركات ، ويوجد فيه مغاص اللؤلؤ الذى لايوجد مثله في بحر الهند وفي بعض جزائره معادن اليواقيت ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس ويوجد ببعض جزائره معدن العقيق ايضا ، ويوجد فيه اصناف العطر والافاويه ،

ومن جزائره جزيرة لنكالوس ، وتسمى لنكالبوس ، وكنجالبوس ، وهما اسمان لحكيمين من الفرس ، وبهذه الجزيرة امم كثيره ، عراة الابدان بيض الالوان ، الرجال والنساء والصبيان ، وربما استتر النساء بورق الشجر ، وطعامهم السمك والموز والنارجيل ويوجد عندهم معدن الحديد وتجلبه التجار ، من هناك الى سائر الاقطار ومن جزائره جزيرة بالقرب من جزيرة اطوران ، وهي جزيرة كروضة من الجنان ، ذات أنهار وأشجار وثمار وأزهار ، وبها أمم ابدانهم كابدان بنى آدم ورؤسهم كرؤس السباع .

(يحكى) عن ذى القرنين انه نزل بهذه الجزيرة فوجد في وسطها نهراً شديد البياض وبشاطئه شجرة عظيمة وفيها ثمار مختلفة الطعم واللون وهى أحلى من العسل وأرطب من الزبد ورائحة أوراقها اطيب من رائحة المسك وهذه الرائحة تسير مسير الشمس وترتفع من الزوال شيئاً فشيئاً حتى تغرب الشمس فتذهب تلك الرائحة فأراد الاسكندر ان يحمل مايقدر عليه من اوراقها فبعث من اصحابه من يقطف له ذلك فلما ارادوا قطفها لم يشعروا إلا وقد ضربوا ضرباً موجعاً ولم يروا من ضربهم وظهر على بدنهم آثار الضرب بالسياط ولم يظفروا من هذه الشجرة بورقة واحدة فرجعوا واخبروا الاسكندر بذلك فرحل عن تلك الجزيرة وهو متعجب من هذا الأمر .

(ومن جزائره) جزيرة العباد يقال ان الاسكندر دخلها فوجد فيها جماعة قد انحلتهم العبادة فسلم الاسكندر عليهم فردّوا عليه السلام فقال لهم كيف حالكم في هذا المكان؟ قالوا نتقوت مما رزقنا الله من السمك ونبات الارض ونشرب من هذه الغدران فقال لهم الاسكندر الا انقلكم الى مكان احسن من هذا قالوا ومانصنع به فان عندنا في هذه الجزيرة من القوت مايكفينا حتى نموت ثم قالوا له انطلق معنا فأتوا به الى محل فيه اصناف الاشجار ، والزهور والثمار ، ومما لايوجد مثله عند سائر ملوك الاقطار ، ورأى في ذلك الموضع انواع الجوهر ، واقسام الياقوت الأحمر ، والأزرق والأبيض والأصفر ، واصناف الفضة والذهب الكسر ، لايحصى ذلك حصر

فقالوا للاسكندر هل تمضي بنا إلى مكان احسن من هذا المكان ، فقال لا والله فقالوا له ان هذا بين ايدينا ولم نلتفت اليه واخترنا معيشتنا هذه الى ان ينقضي العمر فانصرف الاسكندر من عندهم وهو متعجب من امرهم وصار يحكي عنهم ما شاهد من احوالهم .

ومن عجائب هـذا البحر الاخضر حيوان يطلع من الماء الى البر فتخرج من منخريه شعلة نار تحرق ماحوله من الزرع والحيوان وغير ذلك ومنها سمكة طيارة تطير بالليل الى البر فلم تزل ترعى ماتراه من الزرع الى ان تطلع الشمس فتعود الى البحر وتختفي فيه ، وفي هذا البحر موضعان احدهما يسمى العوير والآخر يسمى كشير وهما موضعان قل ان يسلم المركب فيهما من الغرق .

واما بحر عمان فادته من بحر فارس وهو بحر كثير العجائب والجزائر ، وفيه مغاص اللؤلؤ الفاخر ، وكانت به جزائر مشهوره ، اكثرها مسكونة معموره ، وسكان بندر ابى شهر اخلاط من عرب وعجم وبحارنه ، غير ان غالبهم لديه المروه ، والاريحية والفتوه ، واما نساء هذا البندر فزيهن غريب ، ولبسهن عجيب ، يمشين حفاة بلا سراويل ، وذيل ثوبهن من امامهن قصير ومن خلفهن طويل ، وربما يبلغ طول ذيلهن من خلف ثلاثة اذرع واكثر ، فاذا اقبلت احداهن ترى خلفها من سحب ذيلها عجاجا اكدر ، وبهذا البندر بطيخ لاله نظير في الاقطار ، احمر كالجلنار طعمه كالسكر الحالي ، وعرفه كالعنبر الغالي ، ونزلت بقرب دار الجناب المكرم ، والرئيس المقدم ، الاقدس الاطهر ، الملا محمد علي الشاه بندر ، فأضافني بداره دار السعد والفرح ، واذهب عن قلبي بحسن خلقه سائر الهم والترح ، وزرت هناك مقام الخضر عليه السلام ، بعون الملك العلام ، واجتمعت بالشيخ الابر ، والقطريف الهزبر ، من احاديث كرمه في تلك الاقطار مشتهره ، الشيخ رحمة الله شيخ العرب المهره ، أيد الله دولته ، وقوى عزمه وصولته :

يا كرام النفوس سرتم كراما ليس في الناس بعدكم من فتوه

أحسن الله في الوفاء عزاكم عظم الله أجركم في المروة

اعلم انه لم يقع اسم الفتوة على يوسف الصديق عليه السلام ، حتى خالف النفس والشيطان وتجنب الحرام ، وما وقع اسم الفتوة على ابراهيم عليه السلام ، حتى كسر الاصنام وكذلك أصحاب الكهف ماوقع عليهم اسم الفتوة حتى أقبلوا على الرحمن واعرضوا عن الكفر والعصيان قيل الفتى هو الشجاع الشهم وقيل الفتى من استوى ظاهره وباطنه وقيل الفتى حسن الاخلاق وقيل الفتى الذي لايشكو حاله الى أحد وقيل الفتى من جاد في السراء والضراء.

(وقال بعضهم) تمشيت في شوارع مصر فرأيت داراً مكتوبا على بابها هذه الأبيات :

منزلنا هذا لمن حله نحن سواء فيه والطارق
فمن أتانا فيه فليحتكم فانه في حكمه صادق
يملك منا كل مايشتهى إلا الذى حرمه الخالق
لا تحذر الفاقة من ربنا فانه المانع والرازق

قال فدخلت تلك الدار وكنت جائعا فاذا بمائدة منصوبة وعليها من جميع الاطعمة الفاخرة قال فجلست وأكلت حتى شبعت قال فخرجت الى جارية سوداء فأفاضت على يدي ماء فغسلت ثم بسطت يدى لأدعو لهم فقالت الجارية لاتدع ياسيدي فان الدعاء كالعوض والفتى لايطلب عوضاً على معروفه قال فتعجبت من ذلك وخرجت فسألت عن صاحب الدار فقيل لي هذا رجل يتيم مات أبوه ووصاه بذلك فهذا ديدنه في كل يوم .

﴿ حكاية ﴾

قال الشبلي رضى الله عنه : رأيت امرأة في الطواف وهى تقول هذا بيت ربى هذا بيت محبوبى هذا بيت من أقلقنى شوقا اليه ثم وضعت خدها على البيت

وأنشأت هذه الابيات :

الشوق حيرني والشوق طيرني
والشوق أسعدني والشوق أقلقني
والشوق أبعدني والشوق قربني
والشوق قيدني والشوق أطلقني
والشوق هيمني والشوق تيمني
والشوق أرقني والشوق أحرقني

قال فقلت لها أنت مشتاقة الى ربك قالت لا فان الشوق يكون الى غائب وأنا مولاى حاضر ان قلت سمع وان أخفيت علم وهو معكم اينما كنتم ثم غابت عنى فلم أرها

أعد على سمعي حديث الحب فان فيه راحة لقلبي
وصح ونادى باسم من أحبه مصرحا فهو شفاء كربي
واتل علىَّ معلناً كلامه فهل ألذ من كلام الحب
فقرى به غنى وكسر خاطرى جبر به وفي بعادي قربي
ان أنكروا أقاربي محبتي خرجت عن أقاربي وصحبي
يافقرا فيه اخلعوا عذاركم تحركوا هب نسيم القرب

اعلم أن القرب على ثلاثة أقسام قرب الحق جلّ وعلا ، وقرب الرحمة ، وقرب العقوبة ، فقرب الحق قوله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، وقرب الرحمة قوله تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين) وقرب العقوبة قوله تعالى (ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فقرب العقوبة للكافرين ، وقرب الرحمة للمحسنين) وقرب المولى للعارفين

(حكاية)

قال ابراهيم الخوّاص رأيت مملوكا بالبصرة والناس حوله والمنادي ينادى عليه من يشترى هذا المملوك بثلاثة عيوب لاينام الليل ولا يأكل النهار ولا يتكلم مع

أحد قال ابراهيم فدنوت منه وقلت له هل ترى في أن اشتريك فقال هو يفعل مايريد فقلت له أراك عاقلا عارفاً بالله تعالى فقال لي يا ابراهيم لو عرفت الله ما اشتغلت بغيره ولا ميزت بين العارف والمنكر قال ابراهيم الخوّاص فعلمت أنه من الخواص فقلت لسيده بكم هذا العبد فقال بهما شئت فانه مجنون موله مثلك ولا يشترى المجنون إلا المجنون فقال له من أين علمت أنى مجنون قال لانك سلكت الطريق التي أنا عليها وأراك في السحر واقفا على باب الحبيب فقلت له فاذا كان الامر كذلك فلم تبيع هذا الغلام قال غيرة على الحق سبحانه وتعالى فانى أناجيه بالاسحار فيقوم معى فيناجيه ورأيت منزله عنده فأردت بيعه كى لا أراه على باب محبوبي قال ابراهيم فدفعت له جميع ماأملك في تلك الساعة وأخذت الغلام فرفعت رأسى الى السماء وقلت الهى وسيدى قد أعتقته لوجهك الكريم قال فالتفت الىّ وقال ان كنت أعتقتنى لوجهه الكريم ، فقد أعتقك الله من الجحيم ، امدد يدك فمددت يدى فأخذها وقال لي غمض عينيك ففعلت فخطى بى ثلاث خطوات ثم قال لي افتح عينيك ففتحتهما فاذا أنا عند الكعبة ثم غاب عنى فلم أره رضى الله عنه .

ألا لله في الدنيا رجال أطاعوه وإياهم أطاعا
فهم أوتادها شرقا وغربا تراهم في الورى شمثا جياعا
وان أحد دعا منهم بعزم على جبل لسار له وطاعا

(وحكى) عبد الواحد بن زيد قال اشتريت غلاما فلما جن الليل طلبته فلم أجده في دارى فافتقدت الابواب فوجدتها مغلقة فلم أنم تلك الليلة الى الصباح قال فنظرت واذا به واقف في الدار فقلت أين كنت البارحة فناولنى درهما مكتوبا عليه سورة الاخلاص فقلت له من أين لك هذا فقال ياسيدى لك علىّ في كل ليلة مثل هذا على أنك لاتشغلنى بالليل قال فكان يغيب عنى كل ليلة ويأتيني بذلك الدرهم فلما كان بعد أيام جاءنى فى البيت أقوام فقال بعضهم ياعبد الواحد غلامك هذا نباش القبور قال فأخذتنى الحمية اذ ذاك وقلت لهم أتبعه في هذه الساعة قال فلما هجمنا

لحظة وإذا به قد قام ليخرج فتبعته فلما وصل الى الباب انفتح بلا مفتاح ثم أشار اليه فانغلق حتى فعل بالثانى والثالث كذلك وأنا اتبعه ثم سار وسرت في اثره وهو لايعلم بى حتى أتينا على ارض ملساء فنزع ماكان عليه من الثياب ولبس جبة صوف ووقف يصلي الى طلوع الشمس ثم رفع يده بالدعاء فقال في آخر دعائه ياسيدى أنعم برسمي فاذا بدرهم قد سقط في حجره من الهواء فأخذه وجعله في جيبه قال فتحيرت في أمره وقلت أستغفر الله مما قد صار وخطر ببالي ونويت أن اعتقه وبقيت مفكراً فيه فغاب عنى ولم أره فبينما أنا كذلك واذا بفارس قد أقبل الي وسلم علىّ وقال لي أتدري اين انت فقلت لاعلم لي فقال لي بينك وبين بلدك مسيرة سنة للراكب المجد فاجلس في مكانك الى الليل فان عبدك يأتيك على عادته فسر معه قال فأقمت هناك إلى الليل واذا بالغلام قد أقبل ومعه طبق فيه طعام وقال لي كل ياسيدى لم أتعبت نفسك وفعلت هكذا قال ثم تركنى وقام يصلي فلما كان وقت السحر التفت الي وقال ياسيدي لاتعد الى سوء الظن وأخذ بيدى وقال قم ياسيدى الى بلادك فقلت نعم فخطى بى ثلاث خطوات فاذا انا في بلادى فقال ياسيدى هل لك ان تعتقنى فقلت له انت حر لوجه الله تعالى قال فأخذ حفنة من التراب فوضعها في حجرى وغاب عنى فلم اره فدخلت منزلي فوجدت في حجرى دنانير لم يضربها الضراب بل قال لها كونى فكانت رب الارباب ، قال فتأسفت على فراقه واذا بالقوم قد أتونى وقالوا لي مافعلت بنباش القبور فقلت ذلك نباش النور لانباش القبور قالوا وكيف ذلك فأخبرتهم بخبره فندموا على فراقه وتابوا إلى الله تعالى مما خطر ببالهم في حقه رضى الله عنه :

هواك في مهجتي مقيم ... وليس يخفاك ياعليم
بالله صلنى ففى فؤادى ... نار بها عهدك القديم
فكدهام فيك المشوق وجدا ... ماذا بأحشائه تروم
وصلك قصدى به اغثني ... فلست اصغي لمن يلوم

قال الحكيم الشيخ داود في تذكرته ، واعلم ان تفاضل الانفس ليس إلا بقدر تحصيلها من العلوم التي يظهر بها التفاوت فى القيم ، وذلك بمقدار ترافع الهمم واذا كان العلم اقصى من ان يحاط به جملة وتفصيلا ، ويستقصى اصلها عدداً وتحصيلا فلا غرو ان تجب المنافسة فيها في الانفس الموصلة للنوع الى الجناب الاقدس ، وعار على الناطق المميز ان يطلب رتبة دون الرتبة القصوى ، فما بال المؤثر عليها وصال علوى وحزوى .

لاحب علوى وذات الخال يشغلني عنها ولا نائبات الدهر تلويني
ولا تثنني عن سعي لمنزلها نوائب ذات تغيير وتلوين

(قال) ابو حاتم ان ابا الجبر الكندي اسمه وكنيته واحد وكان ملكا من الملوك شديد البأس فخرج الى كسرى يستجيشه على قومه فأعطاه جيشا من الاساورة فلما بلغوا كاظمة ونظروا الى بلاد العرب قالوا اين يمضى بنا هذا الرجل فمدوا الى سم فرفعوه الى الطباخ ووعدوه بالاحسان اليه فألقاه في احب الالوان اليه فلما استقر في جوفه اشتد وجعه فلما علموا بذلك قالوا له ايها الملك قد بلغت الى هذه الغاية فاكتب لنا الى الملك بأنك قد اذنت لنا فكتب لهم فرجعوا فخف مابه فخرج الى الطائف الى الحارث بن كلدة الثقفي وكان طبيب العرب فداواه فبرىء وارتحل يريد اليمن فنكس فمات في الطريق فقالت عمته كبشة ترثيه :

ليت شعرى وقد شعرت ابا الجبر بماذا القيت فى الترحال
اتمطت بك الركاب ابيت اللعن حتى حللت بالاقتال
اشجاع فانت اشجع من ليث هموس السرى ابى الاشبال
اجواد فانت اجود من سيل تداعى من مسيل هطال
اكريم فانت اكرم من ضمت حصان ومن مشى في النعال
انت خير من الف الف من القوم اذا ماكبت وجوه الرجال
انت خير من عامر وابن وقاص وما جمعوا ليوم المحال

(قولها) تمطت امتدت ، ابيت اللعن كلمة تجيء بها العرب للملوك ومعناها ابيت ان تأتى ماتلعن عليه قال النابغة الذبيانى :

اتاني ابيت اللعن انك لمتنى وتلك التي تصطك منها المسامع

والاقتال جمع قتل وهم الاعداء ، والليث الأسد ، والهموس الخفى المشى ، والسرى سير الليل ، والاشبال جمع شبل ، وهو ولد الاسد ، وتداعى أتى متتابعاً كأن بعضه دعا بعضا والمحال المكر والخديعة ، وكب سقط .

(قيل) ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى وقيس هو ابن معد يكرب وهو المسمى بالاشج ولاه الحجاج على سجستان فخلع الحجاج وخالفه واتبعه أهل العراق وقراؤهم وعلماؤهم كالشعبي وسعيد بن يسار وغيرهم فغلب على البصرة والكوفة وقاتل الحجاج زمانا ثم انهزم الى رتبيل ملك الترك فبذل له الحجاج أموالا كثيرة فغدر به رتبيل واسلمه اليه فلما سارت به الرسل باتوا ذات ليلة على سطح حصن مرتفع وكان قد قرن الى رجل من بنى تميم في سلسلة فلما كان في بعض الليل قال للتميمى قم معى لأبول فلما قام معه أشرف من السطح الى الارض فقال التميمى وما تريد أيها الامير قال له الساعة اعلمك ثم رمى بنفسه هو والتميمى فماتا جميعاً وحمل رأسه الى الحجاج .

قرأنا وسمعنا زماناً طويل فلم نستفد غير قال وقيل

﴿ ترجمة الشيخ فتح الله بن النحاس نزيل المدينة المنورة ﴾

ترجمه في سلافة العصر العلامة المؤرخ ، بليغ الزمان ، السيد علي خان ، فقال وأبدع في البيان ، ناظم قلائد العقيان ، وفاضح نغمات القيان الشاعر الساحر ، والباهر بما هو ألذ من الغمض في مقلة الساهر ، فهو صائغ ابريز القريض وان عرف بالنحاس ، ومسترق حر الكلام فما أشعار عبد بني الحسحاس ، والمبرز في الادب على

من درج ودب ، وحسبك ان لقبه الادباء بمحك الذهب ، ولو لم تكن له إلا حائيته التي سارت بها الركبان ، وطارت بشهرتها خوافق النسور وقوادم العقبان ، لكفته دلالة على اناقة قدره ، واشراق شمسه في سماء البلاغة وبدره . وله ديوان شعر لم أره ولكني سمعت خبره ، وقصيدته المشار اليها هي قوله مادحا الامير محمد بن فروخ أمير حاج الشام :

بات ساهي الطرف والشوق يلح ... والدجى ان يمض جنح بات جنح
فكأن الشرق باب للدجى ... ماله خوف هجوم الصبح فتح
يقدح النجم لعيني شررا ... ولزند الشوق في الاحشاء قدح
لا تسل عن حال ارباب الهوى ... يا ابن ودي ما لهذا الحال شرح
لست أشكو حرب جفني والكرى ... ان يكن بيني وبين الدمع صلح
انما حلى المحبين البكا ... أي فضل لسحاب لا يسح
ياندا ماي وأيام الصبا ... هل لنا رجع وهل للعمر فسح
صبحتك المزن مني منزلا ... كان لي فيه خلاعات وشطح
حيث لي شغل بأجفان الظبا ... ولقلبي مرهم منها وجرح
كل عيش ينقض ما لم يكن ... مع مليح مالذاك العيش ملح
وبذات الشيح لي من عالج ... وقفة أذكرها ما اخضر طلح
حيث منا الركب بالركب التقى ... وقضى حاجته الشوق الملح
لا أذم العيس للعيس يد ... في تلاقينا وللاسفار نجح
قربت منا فما نحو فم ... واعتنقنا فالتقى كشح وكشح
وتزودت شذى من مرشف ... بفمي منه الى ذا اليوم نفح
وتعاهدنا على كاس الطلا ... أنني مادمت حياً لست أصحو
يا تري هل عند من قد رحلوا ... ان عيشي بعدهم كد وكدح
كم اداوي القلب قلت حيلتي ... كلما داويت جرحا سال جرح

ولكم ادعو ومالي سامع فكأني عندما ادعو اصيح
حسنوا القول وقالوا غربة انما الغربة للاحرار ذبح
اشتكي برح الجوى ان لم ارى كابن فروخ فتى لم يشك برح
ابن من كان لعاب سيفه ماله إلا باعلى القرن مسح
فاذا قيل ابن فروخ اتى سقطوا لو ان ذاك القول مزح
كل من اسهره من رعبه نومه اليوم بظل السيف سدح
بطل لو شاء تمزيق الدجى لأتاه من عمود الصبح رمح
بأبي افدي اميري انه صادق القول نقي العرض سمح
كل ما قد قيل من ترجيحه في الندى اوفي الوغى فهو الاصح
كم طروس بالقنا يكتبها وسطور بلسان السيف يمحو
يا عروس الخيل والسيف له من قراع الخيل والابطال صدح
يارحاة الحرب والخيل لها في حياض الموت بالفرسان سبح
حط سيف الجود في حظي الذي هو كالدهر يمنى ويشح
وانتقدني وانخذني بلبلا صدحه بين يدي عليك مدح
طالع الادبار مالي وله ان يكن من كوكب الاقبال لمح
كل بيت في العلى انحته من نضيد الدر والياقوت صرح
ناطق عني بالفضل الذي ان يبارى فله في الفوز قدح
بقوافٍ كسقيط الطل او انها من وجنات الغيد رشح
خلقت طوع يدي كيما ترى لا كمن يتبعها وهو يبح

يقول مصنف هذا الكتاب ، غفر الله له وعليه تاب ، رايت كثيراً من اهل الفصاحه قد جالوا في هذا المضمار ، وعارضوا هذه القصيدة لكنهم لم يلحقوا منها ولا الغبار ، فدعتني نفسي الى الجولان ، والمبارزة معهم في هذا الميدان ، فانه لا يبرز اليه إلا الشجاع لا الجبان ، وان لم يكن لي في هذا الميدان مع هؤلاء الفرسان

ثباتاً ولا مجالا، غير انى اقول شعراً :

واذا ماخلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

فقلت مادحا بها سيدنا احمد بن امام اليمن المتوكل على الله رب العالمين بمدينة تعز المحمية وذلك في عام ألف ومائة واربعة واربعين .

جاءكم نصر من الله وفتح وسعادات واقبال ونجح
فاحمد التواب واستغفر تجد لطفه يأتيك كالغيث يسح
ثم سبحه وعظم قدره انه يثبت ماشاء ويمحو
ولك البشرى بملك شامخ وبعز باذخ مافيه كدح
سوف ينحاز اليك الملك والعهد بالامر فلى في ذاك لمح
جدكم سطره في جفره لم يصبه قط تعيير ومسح
سوف تنقاد لك الدنيا بما تبتغي فاتبع طريق الخير وامح
ويعيش الناس عيشا مخصبا ويروق الملك بالامن ويصحو
فاصنع المعروف واعدل في الورى واغتنم مادام في الآجال فسح
ان اكن أبقى لذا الوقت الذي قلته في قالكم وهو الاصح
فلي الفرحة طير السعد قد جاءني يشدوله شجو وصدح
ياصفى الدين يارب الندى والهدى يامن له حمد ومدح
جئت بالبشرى لكم من طيبة طيبها بالقرب يأتيكم وتفح
قل لحسادك موتوا واخسؤا لايظنوا أن هذا القول مزح
واحتكم فالصدق في قولى ولا تخش ضيما فلباب الله فتح
هكذا أخبرنا خير الورى من له في بحر علم الجفر سبح
أنت حقاً أحمد الاسماء والوصف والافعال لايشنيك قبح
أنت سيف الملك قهار العدا أنت ليث الحرب غوث الكرب سمح
أنت في يوم الوغى ليل وفي يوم ماتعطى العطايا أنت صبح

أنتمو بحر الرجا سفن النجا مدحكم ياذا الحجا فيض وربح
من يواليكم بصدق ووفا واعتقاد لم ينله قـط برح
بل ينال الخير والحسنى وكم من أياد لك بالنعما تسح
ياعقيد الخيل حقاً عندما شعلة الحرب لها وهج ولفح
ياهزبر الحرب يامن شهدا لك في الهيجاء بتار ورمح
وكذا يوم العطايا يشهدا لك يابحر السخا فضل وفتح
يامنيـع الجار ياحامي الحمى ياشجاعا آية الطاغين يمحو
ياكريم الاصل يامن فضله قط لايحصره متن وشرح
بكم حقاً تعز قـد زهت وبها أزهر نسرين وأقح
وسيزهو بك تخت الملك ان شاء ربي فله جود ومنح
ياجميل الوصف يامن كل ما قيل في أوصافه فهو الاصح
أمرض الدهر فؤادي بالنوى وندا كم لمريض الدهر صح
فانظروا عطفاً لمشتاق لكم بات ساهي الطرف والشوق يلح
وانجدوني سيدي من غربة ليس فيها للكريم الحر ربح
وانفحوني نفحة أغنى بها عن سؤال من لئيم فيه شح
فقديما قيل بيت مفرد هو حقا عند ذي الآداب صرح
سيدي طال اغترابي فعسى لغراب البين من جدواك ذبح
فاولني المعروف ياكنز العطا واصطنعني أنت للعافين نجح
وابق واسلم في المعالي مالكا لزمام الملك ماأبلج صبح
وقرا الشاعر في حضرتكم جاءكم نصر من الله وفتح

﴿ رجع الى الشيخ فتح الله بن النحاس ﴾

وقال رحمه الله تعالى :

رأى اللوم من كل الجهات فراعه فلا تنكروا اعراضه وامتناعه

ولا تسألوه عن فؤادي فانني علمت يقينا انه قد أضاعه
له الله ظبيا كل شيء يروعه فيا ليت لي شيء يزيل ارتياعه
وياليته لو كان من أول الهوى أطاع عذولي واكتفينا نزاعه
فما رشنا بالسوء إلا لسانه وما خرب الدنيا سوى ماأشاعه
أشاع الذي أغري بنا السن العدا وطير عن وجه التغابي قناعه
واصبح من اهوى على فيه قفله يكتم خوف الشامتين انفجاعه
وآلى على ان لااقيم بأرضه فأحرمني يوم الفراق وداعه
فرحت وسيري خطوة والتفاتة الى فائت منه ارجي ارتجاعه
ذرعت الفلا شرقا وغربا لاجله وصيرت اخفاف المطي ذراعه
فلم تبق ارض ماوطئت بساطها ولم يبق بحر مارفعت شراعه
كأني ضمير كنت في خاطر النوى احاط به واشي السرى فأذاعه
اخلاي من دار الهوى زارها الحيا ومد اليها صالح الغيث باعه
بعيشكم عوجوا علي من اضاعني وحيوه عني ثم حيوا رباعه
وقولوا فلان اوحشتنا نكاته وما كان احلى شعره وابتداعه
فتى كان كالبنيان حولك واقفا فليتك بالحسنى طلبت اندفاعه
أبحت العدا سمعا فلا كانت العدا متى وجدوا خرقا أحبوا اتساعه
فكنت كذي عبد هوا الرجل والعصا تجنى بلا ذنب عليه فباعه
لكل هوى واش فان ضعضع الهوى فلا تلم الواشي ولم من أطاعه
اذا كنت تسقي الشهد ممن تحبه فدع كل ذي عذل يبيع فقاعه
وقولوا رأينا من حمدت فراقه ولم ترنا من لم تذم اجتماعه
وانى الذي كالسيف حدا وجوهرا كمن رام يبلو ضره وانتفاعه
وما كنتما إلا يراعا وكاتبا فمل والق في التراب يراعه
فان اطرق الغضبان او خط في الثرى فقولوا فقد القى اليكم سماعه

وقد قلت انا : معارضا ومتطفلا على واسع فضله ، ومادحا من غمرنى بجميل فعله :

خليلي مابالى أرى حبل همتى ... اذارمت وصلا فيه أبدى انقطاعه
وما ذاك إلا ان دهرى أضاعنى ... وكم من عزيز النفس مثلي اضاعه
أمامن فتى في الناس يوصل حبله ... بحبلى اذا ماالدهر قصر باعـــه
بلى مالهذا الخطب والله منجد ... اذا مازمانى سر حالي أذاعـه
سوى عمر المدعون طال بقاؤه ... وأحيا بسحب الخير ربى رباعـه
وابقاه لي في عـزة ورياسة ... وسعد وأعلى قـدره وارتفاعه
فقولا له يامن تفرد بالسخا ... وحسن ربى خلقه وطباعـه
بحقك لاتغفل فديتك عن فتى ... رأى اللوم من كل الجهات فراعه
وأوليه معروفا جميلا فانه ... وعيشك ماء الوجه ماقط باعـه
وان كان دهرى صار عنى معرضا ... فلا تنكروا اعراضه وامتناعـه
فان الفتى المدعون ذخرى وعمدتى ... وكهفى اذا ماالدهر قلبي أراعه
حماه اله العرش من كل غاشم ... وأسمى بخير صيته وأشاعـه

﴿ رجع الى ذكر ابن النحاس ﴾ وقال رحمه الله تعالى مضمنا :

لايدعى بدر لوجهك نسبة ... فاخاف ان يسوّد وجه المدعى
والشمس لو علمت بانك دونها ... هبطت اليك من المحل الارفع

﴿ تنبيه ﴾ قال صاحب السلافة رحمه الله تعالى لمحت بقولي في أول الترجمة فما اشعار عبد بنى الحسحاس الى قوله .

اشعار عبد بنى الحسحاس قمن له ... يوم الفخار مقام التبر والورق
ان كنت عبداً فنفسى حرة كرما ... أو أسود اللون انى ابيض الخلق

وعبد بني الحسحاس هذا اسمه سحيم ، وقيل حية والأول أشهر كان عبداً أسود نوبيا أعجمياً مطبوعا في الشعر اشتراه بنو الحسحاح فنسب اليهم وهم بطن من بني أسد وقد ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انه صلى الله عليه وسلم تمثل

بكلمة من شعره غير موزونة وهي كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا ،فقال له أبوبكر رضى الله عنه انما قال الشاعر ، كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ، فجعل لايطيقه فقال أبو بكر اشهد انك رسول الله ، وما علمناه الشعر وما ينبغى له ، ويقال انه أنشد عمر رضى الله عنه قوله :

عميرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر لو قلت شعرك كله مثل هذا لاعطيتك عليه ، وعن محمد بن سلام قال كان عبد بنى الحسحاس حلو الشعر رقيق الحواشي وفي سواده يقول :

وما ضر أثوابى سوادى وانني لكالمسك لايسلو عن المسك ذائقه
كسيت قميصاً ذا سواد وتحته قميص من الاحسان بيض بيانقه

وعن أبى مسهر قال اخبرنى بعض الاعراب ان أوّل ماتكلم به عبد بنى الحسحاس من الشعر انهم أرسلوه رائدا فجاء وهو يقول :

انعت غيثا حسنا نباته كالحبشى حوله بناته

فقالوا شاعر والله ثم نطق بالشعر بعد ذلك .

وحكى محمد بن سلام قال اتى إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه بعبد بني الحسحاس ليشتريه فاعجب به فقيل انه شاعر وارادوا ان يرغبوه فيه فقال لاحاجة لي فيه اذ الشاعر لاحريم له ان شبع شبب بنساء اهله وان جاع هجاهم فاشتراه غيره فلما رحل به قال في طريقه :

اشوقا ولما تمض لى غير ليلة فكيف اذا سار المطي بنا شهرا
وما كنت اخشى مالكان يبيعني بشيء ولو كانت انامله صفرا
اخوكم ومولاكم وصاحب سركم ومن قد توى فيكم وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره هذا ردوا له واستردوه وكان يتشبب بنسائهم حتى قال :

ولقد نحدر من جبين فتاتكم عرق على متن الفراش وطيب

قال : فقتلوه ، والله اعلم .

﴿ من كلام ابن حبيب في نسيم الصبا في وصف جارية ﴾

تاقت نفسي إلى زيارة بعض الاخوان فسرت اليهم مشمراً فضل الأردان ، في ليلة قد سما قدرها ، وتجلى على السماء بدرها ، فلما وصلت اليه ، وانتظمت في سلك المجتمعين لديه ، ظهر لى انه متشوق لقادم ، وحضور منادم ، فكشفت الخبر ، وقصصت الاثر ، فقيل لى انه واعد بعض الحسان ، وهو منتظر باب الاحسان ، فما اتممت الكلام واتصلت من العلم الى المرام ، الا وقد اقبل من الباب ، خود تختلس الالباب ، غادة رود ، طلقة املود ، كاعب رداح ، ترتاح لها الارواح ، عديمة المثال نشأت فى حجر الدلال ، يسرح الطرف في روض جمالها ويتنزه ، وتمحو بكثير محاسنها حسن عزه ، في حليها وحللها تميد وتميل ، وبالجملة فهى بثنية لان وجهها جميل ، فوقفت واستأنست ، ثم سلمت وجلست ، فسر الجماعة بورودها ، وتملوا من جنة وجنتها بورودها ، وصفا الوقت في الحال وانشد لسان الحال :

اهلا وسهلا بها من غادة سمحت بالوصل ليلا ولم تحذر من الحرس

لما تبدت اضا الداجى ولا عجب فطرة الصبح تمحو آية الغلس

فلما كشفت القناع ، وصدق النظر السماع ، تأملت اوصافها ، وسبرت شمائلها واعطافها . فرأيت مايسر النظر ويشنف السمع ، ويذيب القلوب على نارها ذوب الشمع ، فمن فرع نامي الاوراق ، مرسل لتعذيب العشاق ، جثل اسحم ، يلتوي كالارقم ، غدائره مجعدة كالغدير وضفائره مظفرة بقتل الاسير .

فكانها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

ووجه مشرق الانوار ، تحج الى كعبته الابصار ، يزين اللئالي والدرر ، وتستمد من ضوئه الشمس والقمر ، مرآته صقيله ، ومعانى حسنه جميله ، يترقرق فيه ماء الصبا ، وتخفى من لمعه بروق الظبا .

عوذت بالسور المنيرة وجهها وهو الجدير بأن يكون معوذا

وجبين واضح ، تحن اليه الجوارح ، يتلألأ مصباحه ، ويتبلج في ليل الطرة صباحه .

فتاة يسر القلب والطرف وجهها كأن الثريا علقت في جبينها

وحواجب تذيب المهج ، وتجذب الارواح من قسيها بقبضة البلج ، كانها هلال منحنى القوام أوفخ نصب لصيد اهل الغرام .

اذا شمت تحت الحاجبين جفونها ترى السحر منها قاب قوسين او أدنى

وعيون بابليه ، كم أوقعت بمن اليها صبا بليـــه ، تسل السيوف ، وترسل الحتوف ، صحاح مراض ، ليس لسهامها سوى القلوب اغراض .

لله أي لواحظ غلابة للاسد في وثباتها وثباتها

وخد كالجلنار ، قد جمع بين الماء والنار ، يشبه الراح في زجاجه ، ويهتدى الحائر بنور سراجه ، يزهى بورده الاحمر الطرى ، وأظنه من دم العشاق غير برى

تركية للقان ينسب خدها واشقوني منها بخد قاني

وخال يختال في أحلى الحلل ، له من الاقراط والشنوف خول ، كانها من قلبها أو من القلوب المنقلبة بنار حبها .

تصرمت الايام دون وصالك فمن منصفي في الحب يا ابنة مالك

فتنت بخال فوق خدك صانه أبوك فويل من ابيك وخالك

ومرشف عذب الارياق ، رضا به لسليم الهوى نعم الدرياق ، فيه ماء مبرد وثغر جوهري صحاحه منضد ، ولمس بهيم بهذو الشوق ، وشهد يشهد بحلاوته الذوق

وبه شراب مسكر ماذقته لكنني أروى عن المسواك

وعنق كعنق ريـــم ، در عقوده نظيم ، يطوف الحلى باركانه ، كالرق بورقه وعقيانه .

وجيد أغيد لاعيب فيه سوى منع المحب عن العناق

ونهود كالعاج ، ملتحفة بمروط الديباج ، رفيعة المنار ، شغلت الحلي ان

يعار ، ان ثنيتها لم تجد عندها المراح ، وان لثمتها نشقت من الرمان عرف التفاح .

وقاتلتي بفتور الجفون ومتوفزين علي منبر
كحقين من لب كافورة برأسهما نقطتا عنبر

وبنان رطيب ، على مثله يدور الخضيب ، مقبل بالافواه ، مصافح بالجباه ، فضي الاهاب ، مرقوم بالخضاب .

فما أملح السكب من ادمعي واحلى المشبك من نقشها

وقوام يقيم الحروب ، ويثير الكروب ، كامل الحسن مهفهف ، وافر الدل مثقف ، الرماح تخضع لديه ، والاغصان تسجد بين يديه .

عيون الناظرين به احاطت فلم تحتج الى عقد الوشاح

وارداف كالاحقاف ، وعدها موسوم بالاخلاف ، خارجة عن العاده ، لكن فيها للمحبين الحسنى وزياده .

تمشي بارداف أبين قعودها بين النساء كما أبين قيامها

وسوق جمد ماؤها ، وبهر الاعين ضياؤها ، مشرقة النور ، قصبها من البلور

لو لم تكن من برد سيقانها لاحترقت من نار خلخالها

وأقدام لها في الفتك اقدام ، تمشي كالقطا ، ولا تخطى قياس الخطى .

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لاريث ولا عجل

وعليها من الحلي والحلل ، مايفتن العقول ويدهش المقل ، فمن در يتيم كثغرها وبلور صاف كصدرها ، وعقيق كشفتها ، وياقوت كوجنتها ، وسبج كاجفانها ، وزمرد كنقش بنانها وقميص رقيق الحواشي ، ومطرف يحار في وصفه الناشي .

الى مثلها يرنو الحليم صبابة اذا سكنت مابين درع ومخول

فلما آنست بالقوم ، كفت عنها لسان اللوم ، وظهرت عن خلق وسيم ، وطباع ألطف من النسيم ، ومنادمة تطرب الاسماع ، ومداعبة ماالصبر عنها بمستطاع وملح الذ من ماء الزلال وحديث لو لم يجز قتل المحب لقيل هو السحر الحلال .

ان طال لم يملل وان هي اوجزت ود المحدث انها لم توجز

واشرق السعد نجمه ، والشمع واقف في الخدمه ، وعرف الطيب يفوح ، واعلام الهنا تلوح ، وخل الصد يطرق ، والعود تحرك وتحرق .

(اقول) ماأحسن قوله والعود تحرك وتحرق وهـذا النوع من اجل انواع البديع واصعبها يسمى الاستخدام وهو ان يأتى الناظم او الناثر بلفظة ذات معنيين فيستخدم كلا المعنيين بتلك اللفظة حيث يعود الضمير ان اليها كقول الصفي الحلي :

من كل ابلج وارى الزند يوم ندى مشمر عنه يوم الحرب مصطلم

فقوله وارى الزند يريد الزند الذى يقدح به ومشمر عنه اراد ان يقول مشمرا عن زنده فاكتفى باللفظة الاولى واستخدمها لهذا المعنى واعاد الضمير اليها وسأذكر هذا النوع بالتفصيل في اواخر هذا الكتاب في ترجمة الامام عبد القادر الطبري ان شاء الله تعالى ، يالها ليلة محي ظلامها ، ونور الافق ابتسامها ، وجليت عروسها ، وطلعت شموسها ، لم ترفيها مايشين ويعيب سوى انها قصر من جلسة الخطيب ، ولم نزل في بشروافر ، وسرور متوار ، نجتلي وجوه الافراح المتتابعه ، ونجتنى من الوصل ثماره اليانعه ، الى ان صاح العترفان ، ولاح من المشرق ذنب لسرحان ، فعزمت الجارية على الذهاب ، وامرت باحضار الازار والنقاب ، فقمنا الى موقف الوداع ، وتشتت الشمل بعد الاجتماع .

غدت بأحبتى كوم المطايا فبان النوم وامتنع القرار

وكان الدمع لى ذخرا معدا فأنفقت الذخيرة حين ساروا

(فلما) كان ثامن عشر رجب الفرد الاصب ، توكلنا على رب الصباح والمسا وركبنا البحر من بندر ابى شهر قاصدين الحسا .

يوما بنجد ويوما بالحجاز وبالعراق يوما ويوما ارض نجران

والهند يوما وارض السند آونة والشام يوما ويوما في خراسان

من لي بقربى من اهلى ومن سكني والدهر ابعد اوطانى واوطانى

قد قدّر الله انى لم أزل أبدا مغربا بين أمصار وبلدان
اريد أحفظ ماء الوجه عن طلب الاحسان من كل مساك ومنان

فصلينا على الهادى المطاع ، ورفعنا الشراع ، وسخر الله لنا الريح ، وجرت بنا السفينة فى ذلك البحر العميق الفسيح .

كم أركب البحر خوفا علىّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

فلما أسفر صبح العشرين من رجب المحرم دخلنا غبة مريم ، وهو بحر كبير وبلاؤه خطير وماؤه غزير ولونه كالمداد ، وموجه تهتز منه السبع الشداد .

ولما ركبت الفلك والبحر قد طما وهاج علينا موجه المتلاطم
تمشت بنا في لجة يبطونهـــا كما يتمشى في الصعيد الاراقم

فلما أضاء فجر ثانى وعشرين من هذا الشهر الشريف خرجنا من هذا البحر الغزير بعون الرب اللطيف وبان لنا من بعد بندر القطيف فلما كان عند الغروب هب علينا هبوب ، ووقع القضا والقدر ، وجاءنا ريح صرصر ، وأرسلت السماء علينا مطراً كافواه القرب ، حتى خشينا منه العطب ، وأظلم الجو من ذلك الريح والمطر ، وتغير البحر وتكدر ، ولطمت الامواج المركب الى ان خفنا انه يتكسر .

البحر صعب المرام مرّ لا جعلت حاجتي اليـــه
أليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليـــه

وكانت لنا ليله ، يالها من ليله ، أرياحها خطيره ، وأمطارها غزيره ، وظلامها حالك ، وموج بحرها متلاطم بالمهالك .

سفر البرّ كيف كان جميل ليس لي في البحار من أوطار
لست ممن يلقي الهلاك بنفس طمعا في غنـــائم الاخطار

غيره قد كنت في زمنى أرجو يبلغنى ماليس يدركه في نفسه الزمن
ماكل مايتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لاتشتهي السفن

غير انى حين نجوت من الغرق وهـذا البلاء المقدر ، خرجت الى البر ، وفي وسطى همیان فيه ثمانون أحمر ، فشكرت الذى خلق ورزق ، اذ نجانا من الغرق ، وقنعت من اللحم بالمرق .

كن قنوعا فقد جرى مثلا من فاته اللحم يشرب المرقه

وسلمت الامر للطيف خبير ، نعم المولى ونعم النصير .

سلم أمورك للقضا وقس على ماقد مضى
فلربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا
ولرب أمر معضل لك في عواقبه رضى
فالله يفعـــل ما يشاء فلا تكن متعرضا

فائدة

الفيروزج من خواصه انه ماوجد في اصبع غريق قط ، قال بعضهم وكان في نفسى شيء من ذلك حتى انا وجدنا غريقا في نهر وقد بقي فيه رمق فحملناه الى البر فلما سكن روعه وفتح عينيه قال ماهذا الموضع الذى أنا فيه الآن؟ فسميناه له ثم انه طلب منا مأكولا فذهبنا لنحضره اليه فوقع عليه جدار كان فوقه فمات فعجبنا من سلامته في البحر وموته في البر فلما شرعنا في تجهيزه رأينا فى يـــده خاتما فصه فيروزج فتحققنا صحة خاصيته ، ثم انا بعناه وبقيمته جهزناه .

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

فلما كان رابع وعشرون من هذا الشهر راق البحر بعد ذلك الكدر .

فلابد أن أسعى لأشرف رتبة وأمنع عن عينى لذيذ منامي
وأقتحم الامر الجسيم بحيث أن أرى الموت خلفى تارة وامامي
فاما مقاما يضرب المجـد وسطه سرادقه أوباكيا لحمام
فان أنا لم أبلغ مقاما أرومه فكم حسرات في نفوس كرام

فركبنا بعد ذلك التعب الشديد والضيق والفكر خور خوير ، ونزلنا من خورخوير وسرنا الى بندر ابي شهر وسرنا من هناك الى بندر الريق .

يامادح البحر وهو يجهله مهلا كفاني قليله علما
مكسبه مثل قعره بعدا ورزقه مثل مائه طعما

فلما كان صبح ثامن وعشرين دخلنا بندر الريق الامين ، وهو بندر صغير على ساحل بحر فارس ، وهذه البنادر كلها في حكم العجم وحكام هذا البندر من عرب زعاب ، من خيار الأعراب ، وهم مشهورون بالكرم ، من سائر أولئك الامم ، ونزلت بدار الامير الجليل الشهم النبيل ، من ذكر جوده بين العرب كالصبح مسفر الأمير سليمان بن مسفر .

بطل تقول الأرض إذ يمشي بها حسبي من التشريف وطء نعاله
وإذا دعا الدهر العبوس أجابه متعثرا بالرعب في أذياله

فأكرمني غاية الاكرام ، وأقمت بداره السعيدة خير مقام ، وجمع بيني وبين صهره حاكم البندر ، صاحب الخلق الجميل والوجه الأزهر ، الرئيس الكريم ، الامير عبد الرحيم فغمرني بالاحسان ، كتب الله له الثواب والغفران ، وهذه عاقبة من صبر والصبر يعقبه الظفر .

ياأيها الراضي باحكامنا اصبر ففي الصبر حديث عجيب
لابد مايأتي على سرعة نصر من الله وفتح قريب

وأقمت مع هذين الاميرين ، وأنا قرير القلب والعين ، وذلك لتيقني بأنه لن يغلب عسر يسرين ، ماأحسن قول القائل :

لاتجزعن لعسرة من بعدها يسران وعداً ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها لله في أعطافها ألطاف

قلت البيت الأول فيه اشارة الى قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا .

(قال) الامام فخر الدين رحمه الله قال ابن عباس رضى الله عنهما يقول الله تعالى خلقت عسرا واحداً وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين .

(وروى) مقاتل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية وفي تقرير هذا المعنى وجهان .

(الوجه الأول) : قال الفراء والزجاج العسر مذكور بالألف واللام وليس هنا معهود سابق فينصرف الى الجنسية فيكون المراد بالعسر في اللفظين واحدا وأما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان أحدهما غير الآخر .

وزيف الجرجانى هذا وقال : اذا قال القائل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم من وضع العربية .

(الوجه الثانى) : أن تكون الجملة الثانية تكرير الاولى كما كرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكون المفرد في قولك جاءنى زيد زيد والمراد يسر الدنياوهو ماتيسر من افتتاح البلاد ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا إلا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب ، فالمراد من قوله لن يغلب عسر يسرين هذا وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالنزر القليل وبالجملة فالله تعالى قد أمر بالصبر وحث عليه ووعد بالعقبى لمن صبر والعقلاء أجمعوا على ملازمته وهو شعار الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولكن فيه مشقة وألم وطول أمد ، قال الشاعر :

ما أحسن الصبر ولكنه في ضمنه يذهب عمر الفتى

(وقال) السراج الوراق وفيه تورية مجونية :

وقائل قال لي لما رأى قلقي لطول وعد وآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم محمودة قلت أخشي ان تخزينا

وقال أبو المظفر محمد بن إسماعيل الابيوردي :

تنكرلى دهري ولم يدر أنني اعز وان الحادثات تهون
فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون

﴿ خبر في ذكر من صبر ﴾

قيل ان بعض الخلفاء قال لجلسائه وهو محصور في فتنة وردت عليه هل من رجل صادق يخبرني عن نفسي وعن اهل الفتنة ، فقام شاب فقال أنا اخبرك ياأمير المؤمنين انك تطأطأت لهم فركبوك ، وتخادعت لهم فاستخفوك ، وما جراتهم على ظلمك إلا بحلمك ، قال صدقت اجلس ثم قال له هل لك علم بما يثير الفتن فقال ياامير المؤمنين سألت عن هذا شيخا باقعة قد نقب البلاد وعلم علما جماً فقال لى ان الفتنة يثيرها أمران احدهما اثرة تضغن الحامة ، والثانى حلم يجرىء العامة ، فقال الخليفة هل سألته عما يخمدها قال نعم قال لي ان الذى يخمد الفتن في ابتدائها استقالة العثرة وتعميم الخاصة بالاثرة ، واذا استحكمت الفتنة فليس لها إلا اللازم فقال الخليفة نصبر حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

(تفسير) ألفاظ من هذا الخبر قوله باقعة أى داهية مجرب ويقال باقعة أى طوّاف ببقاع الارض ، وقوله اثرة أى اختصاص بعض المستحقين بشيء دون بعض وقوله الحامه يعنى الخاصة وقوله تضغن أى تحقد والضغن الحقد واللازم الصبر .

(قيل) ان يزدجرد بن بهرام سأل حكيما من الفلاسفة ماصلاح الملك فقال الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم بغير عنف والتودد بالعدل وامن السبيل وانصاف المظلوم ، قال فما صلاح الملك قال وزراؤه اذا صلحوا صلح فقال يزدجرد أيها الفيلسوف الناس اكثروا في الفتن صف لنا مايثيرها وما يسكنها اذا ثارت قال يثيرها جرأة عامة ويولدها استخفاف خاصة ويؤكدها انبساط السر بصغائر القلوب واستخفاف موسر امر معسر وغاظة ملتذ ويقظة متحير ، فقال يزدجرد وما يسكنها أيها الحكيم

قال أخذ العدّة لما يخاف وايثار الجد حتي يلتذ بالهزل والعمل بالحزم والارداع بالصبر والرضا بالقضاء .

(زعموا) ان غرابا كان يأوى إلى شجرة هو وزوجه فلما بلغت أوان بيضها خرجت حية سوداء عظيمة من جحرها وصعدت إلى وكر ذلك الغراب فوقعت فيه ومكث الغراب ينتظرها ويرصدها ويرجو أن تزول فلم تزل إلى أن ذهب أوان بيضها وتفريخها وذهب الصيف فلما اصاب الحية البرودة وضربتها الرياح الشتوية نزلت من الشجرة ودخلت الجحر الذى لها فقال الغراب ان كنت حرمت البيض والفراخ في هذه السنة فان الله تعالى أنعم علي بنعمة سابغه وأياديه الحسنة كثيرة عندى فيما رزقنى من صحة الجسم وقرة العين بالخلاص فقد وجب علي الشكر لله تعالى على نعمه لان نظره للعبد خير من نظر العبد لنفسه قال فلما جاء الحول الثانى والاوان خرجت الحية من جحرها وصعدت الى وكر الغراب وفعلت كما فعلت في العام الماضى فلم يزداد الغراب إلا صبراً وشكراً لله تعالى وسلم للقضاء بحسن يقين وصدق نية فلما أحب الله عز وجل ان يثيبه على صبره ونيته وتسليمه خرجت الحية في السنة الثالثة لتصعد إلى وكر الغراب على جارى عادتها فنظرت اليها حدأة فانقضت عليها فاخذتها بوسطها وذهبت بها وذهب ذلك الغراب الى وكره آمناً فباض وفرخ وهو آمن مطمئن فما يخيب الله من صبر .

﴿ حكاية في الصبر ﴾

قيل ان ملكا من ملوك الطوائف اقبلت عليه الدنيا بحذافيرها ولم يكن يولد له وكان يسأل الله تعالى ان يرزقه ولداً صالحا حسناً جميلا فثبت ورزق ولداً فكبر فاحضر اليه المعلمين فتعلم وتأدّب .

وروى الاخبار عمن تقدم من العلماء والحكماء وان اباه توفي فجلس فى مملكة ابيه وسار في الرعية سيرة مرضية وعدل في حكمه فسرت به أهل مملكته من الخاص والعام ولم يلبث الا يسيراً حتي ثار عليه ثائر فغلبه واستولى على مملكته فانهزم ابن

الملك فلم يزل سائراً على وجهه ومعه طير يصيد به وكلب ومخلاة فبينما هو في سيره إذ لاح له سرب غزلان فارسل عليه وأخذ منه ثم انه نزل على عين ماء فاكل مامعه من الصيد وبات تلك الليلة مكانه فلما أصبح ركب فاصطاد صيداً كبيراً ونزل وسيب فرسه ترعى فبينما هو كذلك إذ أقبل عليه فارس ومعه طعام فاستأذنه في النزول فاذن له وقال له الارض لله تعالى وفيها سعة فان نزلت أكلت من صيدنا وتفضلت بانسنا فنزل الفارس عنده واخرج ماكان معه من الطعام والشراب فاكلا وشربا فاقبل الفارس على ابن الملك يسأله عن حاله وعن سبب وصوله الى ذلك المكان فقص عليه خبره فقال له الفارس أتحفظ العهد فقال له ابن الملك ومن لاوفاء له لايحسب مع الناس فدفع له الفارس ألف دينار وقال له اركب معي حتى أريك مكان حاجتك فركب معه فأراه مدينة وقال له امض الى هذه المدينة فاكتر داراً وأصلح شأنك واخطب ابنة الملك ولي عليك عهد الله أن لاتناالها حتى ألتقي بك ثم ودّعه وافترقا فاتى ابن الملك على قوله الى المدينة واتخذ مسكنا واشترى جميع مايحتاج اليه ثم خطب ابنة الملك فقال أبوها أمرها راجع اليها وسأذكر لها ذلك واعلمك ان شاء الله تعالى فخرج الصبي من عند الملك وأحضر الملك داية ابنته وعرفها ماكان من أمر الفتى وخطبته فمضت الداية وأعلمتها بذلك فقالت لها فليجر جواده على باب قصري لأراه ففعل ذلك ثم ان الملك أحضر الفتى فلما حضر سلم باحسن سلام فرد عليه الملك السلام وحرك له فخذه فجلس الفتى إلى جانب الملك وقدم الطعام فناوله الملك من خيار ماقدامه فاكل الفتى بحسن أدب ونظافة ورفعت المائدة وقدم الغسل فغسلوا أيديهم وقدم الشراب فناوله الملك كأساً من يده فسقاه للوزير ثم شرب الملك وناوله ثانيا فشرب منه الحاجب ثم شرب الملك وناوله ثالثا فشربه فاستحسن الملك جودة أدبه وذكائه وقال له ألك مؤدب قد علمك ماقد علمت ؟ فقال أيها الملك مايخفى على العاقل شيء وانى لما رأيت الملك أكرمني عند دخولي علمت أنك اردت جلوسي إلى جانبك ففعلت ثم أتحفتني بخيار ماقدامك من اكل فاكلته كله ولم أفضل

شيئاً مما لمسته يد الملك ثم أسقيتنى أول قدح فناولته للوزير لانى اعلم انه احظى الناس عندك ثم سقيت الثانى للحاجب لانه أول من يلقانى على بابك ويخبرك بامرى ثم ان الفتى ودع الملك وانصرف الى منزله فامر الملك بجميع مافي مجلسه من فرش وآنية فحمل الى منزل الفتى واحضر داية ابنته وشكر لها ماشاهد من عقل الفتى وادبه وجماله فقالت له الداية قد رضيت سيدتى به فزوجه على بركة الله وعونه قال فانفذ الملك الى الفتى واحضره واحضر القاضى والشهود وعقد بابنته عليه فاقام مدة طويلة لم يدخل بها وان الداية امرته ان يحضر الى الدهليز ويرى زوجته سراً فلم يجبها وقال ليس لهذا سبيل فاقام مدة طويلة ولم يدخل بها واقام على ذلك حولا كاملا يسألونه الدخول بزوجته فيقيم لهم المعاذير فيما يقطعه عن ذلك فلما كان بعد ذلك اجتمع كبراء المدينة واشرافها ومضوا اليه وعاتبوه على ذلك وقالوا له ان هذا يقبح بك فعله مع الملك وكونه اختارك على الملوك وابنائهم ولابد من انجاز الحال فاستحيا منهم واجابهم الى ذلك فلما دخلت عليه ونظرها حمد الله واثنى عليه وراى حسنها وجمالها لايحد ولا يوصف وبعد ذلك قام قائماً ولم يزل يصلي حتى الصبح فدخلت الداية عليه فسألته عن حاله وسروره بزوجته فقال خيراً فقالت ياسيدى مالي اراك متميلا عن زوجتك بين لي ماسبب ذلك ؟ فقال نذرت نذراً ان جمع الله بينى وبينها مافعلت شيئاً معها ولابد من الوفاء ولم تزل تلك الداية الي الليلة الثانية تراوده فجاءت الليلة الثالثة وقد فهم منه الوقوف للصلاة على عادته فقامت اليه زوجته وقبلت راسه ويديه وقالت له ياسيدي قد وفيت بعهود الله وحفظت امانتك انا الفارس الذي دفعت اليك المال وامرتك ان تخطبني من الملك وانا زوجتك وامتك اقر الله عينك بى وجمع بك شملي ولله الحمد الذى سلمك منى وجملك من الدنيا نصيبي فلو تقدمت الي وضيعت عهود الله ومواثيقه لقتلتك كما قتلت غيرك على تضييع عهود الله جلت قدرته واذ وجدت عندك هذا الوفاء فلا بعل لي غيرك فقدم خيرة الله واضطجع على فراشك ثم اتيا على فراشهما وناما فحملت من ساعتها وتمت شهورها

فولدت غلاماً احسن مايكون ثم رزق منها ثلاثة غلمان وتوفي أبوها فجلس الفتى عوضا منه وسار في الرعية احسن سيرة وانعم عليهم وعوضه الله سبحانه مملكة اعظم من مملكته فما يخيب الله من صبر وثبت ولم يضيع عهود الله ومواثيقه .

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى واصبر حتى يقضى الله في امرى
واصبر حتى يعلم الصبر اننى صبرت على شيء امر من الصبر

﴿ ترجمة أبي الطيب المتنبي أحمد بن الحسين بن عبد الصمد ﴾
(الجعفي الكندى الكوفى)

أشعر الشعراء ، فاضل طاب به الأدب طيب النوار بالربيع ، ونظم الحكم والغزل اللذين يبرأ بهما الصريع ، زاحم سنان رمح قريضه السماك الرامح ، فكان لسيف الدولة سعد السعود ولأعدائه سعد الذابح ، فهو رب الحكم والامثال والبديع والبيان ونبي الأدب الذى مااختلف فيه اثنان ، فانى ان زدت الاطناب في مدحه ، واتعبت طير ثنائى بصدحه ، فكانى كمن قال للمسك ماأعطرك ، وللروض المزهر مازهرك وانضرك ، وللبدر ماابهاك ، وللشهد ماأحلاك واشهاك .

قال صاحب نسمة السحر ، في ذكر من تشيع وشعر : وهو من جلالة القدر والشهرة بحال تغنيه عن قراضات القريض وليس لشاعر شهرته عند الخاص والعام وما اقول في رجل يتمثل العامي بشعره في الاسواق والضياع ، ولا يجف عن كتب شوارد امثاله اليراع ، وقد رأينا من لايحفظ القرآن العظيم يتمثل بابياته ويحفظ شعره ويشاركه في الشهرة الشريف الرضى الآتى ذكر ترجمته ان شاء الله تعالى .

(وكان) المتنبي إماماً في علم اللغة لا يسأل عن شيء منها إلا اجاد الجواب واستشهد بالشعر .

وقيل ان الشيخ اباعلي الفارسى صاحب الايضاح والتكملة ، سأله مرة كم اتى من الجموع على وزن فعلى فقال في الحال : حجلى وظربى ، وحجلى جمع حجل

وهو معروف ، وظربى طائر معروف ودويبة .

قال ابو علي : طالعت كتب اللغة ثلاث ليال لعلي اجد ثالثاً لهما فلم اجده .

(وولد) ابو الطيب بالكوفة بباب كندة فنسب إلى موضع ولادته وإلا فهو من بنى جعف .

(وقيل) انه ادعى النبوة ببادية السماوة وتبعه جماعة من بني كلب بن وبرة فخرج اليه لؤلؤ نائب الاخشيدية فاسره وتفرق اصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه

(وقيل) انما لقب بالمتنبي لقوله :

انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
مامقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

وكان كبير النفس عالي الهمة واختص بخدمة سيف الدولة وجرى على مذهبه في التشيع ، وكان آخر امره غاضبه وفر إلى كافور الاخشيدي ملك مصر ومدحه بقصائد مشهورة هى بعد السيفيات من اجود شعره ووعده كافور بولاية بعض اعماله فلما راى كبر نفسه ومايصفها في شعره كقوله :

وفؤادى من الملوك وان كان لسانى يرى من الشعراء

وامثال ذلك رجع عن توليته فعوتب في ذلك فقال ياقوم رجل ادعى النبوة مع محمد كيف لايدعى الملك مع كافور .

وقال صاحب نسمة السحر : ورأيت في بعض اخباره ان آخر شعر قاله وقد عوتب في تركه مديح اهل البيت سيما امير المؤمنين علي بن ابى طالب عليه السلام فقال :

وتركت مدحى للوصي تعمدا إذ كان وصفامستطيلا كاملا
واذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

(وروى) انه كان بين عسكر سيف الدولة وعسكر مصر حرب بصفين فقال ابو الطيب وان لم توجد في ديوانه :

ياسيف دولة ذى الجلال ومن له خير البرية والانام سمى

انظر الى صفين حين اتيتها فانجاب عنها العسكر المصرى
فكأنه جيش بن هند كثرة حتى كأنك ياعلي علي

ولابد ان نشير إلى شيء من خبره وشعره ليطالعه من يتشوق اليه .

ذكر ابن جنى النحوى الامام المشهور ان ابا الطيب لما انشد سيف الدولة قصيدته الميمية التى اولها :

وا حر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمى وحالي عنده سقم
مالي أكتم حباً قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الامم
ان كان يجمعنا حب لغرته فليت إنا بقدر الحب نقتسم
يامن يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شيء عندكم عدم

ومنها :

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لاتفارقهم فالراحلون هم

وعرض فيها بعتبه فتغير عليه سيف الدولة فاكمن له جماعة من غلمانه ليلا ليقتلوه فلم يتفق لهم .

(وقيل) ان الحسن بن احمد الهمداني المعروف بابن خالويه النحوى المشهور وقع بينه وبين ابي الطيب كلام بحضرة سيف الدولة في المجلس الذي كان سيف الدولة يعقده كل ليلة يحضر فيه العلماء والادباء والفضلاء في كل فن فوثب ابن خالويه فضرب وجه المتنبي بمفتاح كان في يده فشجه فخرج ودمه يسيل على ثيابه وقصد مصر وجرى له ماجرى وشعره كله غرر لكنى طربت لوصفه للاسد من قصيدته التي مدح بها بدر بن عمار بن اسماعيل الاسدى وقد قتل اسداً فذكرتها هنا جميعا لجودتها :

في الخد ان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا
يانظرة نفث الرقاد وغادرت في حد قلبي ماحييت فلولا
كانت من الكحلاء سؤلي انما اجلى بمثل في فؤادي سولا

اجد الجفاء على هواك مروءة والصبر إلا في نواك جميلا
وارى تدللك الكثير محبباً وأرى قليل تدلل مملولا
تشكو روادفك المطية فوقها شكوى التي وجدت هواك دخيلا
ويغيرني جذب الزمام لقلبها فمها اليك كطالب تقبيلا
حدق الحسان من الغواني هجن لي يوم الفراق صبابة وعويلا
حدق يذم من الفواتل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيلا
الفارج الكرب العظام بمثلها والتارك الملك العزيز ذليلا
محك اذا مطل الغريم بدينه جعل الحسام بما اراد كفيلا
نطق اذا حط الكلام لثامه اعطى بمنطقه القلوب عقولا
اعدى الزمان سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلا
وكأن برقا في متون غمامة هندية في كفه مصقولا
ومحل قأعه يسيل مواهباً لو كن سيلا ماوجدن مسيلا
رقت مضاربه فهن كأنما يبدين من عشق الرقاب نحولا
أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن اتخذت الصارم المصقولا
وقعت على الاردان منه بلية نضدت بها هام الرفاق تلولا
ورداً إذا ورد البحيرة شاربا ورد الفراة زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه إلا ظننتا تحت الدجى نار الفريق حلولا
في وحدة الرهبان إلا انه لايعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا
ويرد غفرته إلى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما يزجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطي وكأنما ركب الكمي جواده مشكولا

ألقى فريسته وبرّ دونها وقرى قريا خاله تطفيلا
فتشابه الخلقان في اقدامه وتخالفا في ذلك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك كلاهما متناً أزل وساعداً مفتولا
في سرج صامتة الفصوص طمرة يأبى تفردها لها التمثيلا
نيالة الطلبات لولا انها تعطى مكان لجامها مانيلا
تبدى سوالفها إذا استحضرتها وتظن عقد عنانها محلولا
مازال يجمع نفسه في زوره حتى حسبت العرض منه الطولا
ويدق بالصدر الحجار كأنه يبغى إلى مافي الحضيض سبيلا
وكأنه غرته عين فادّنى لايبصر الخطب الجليل جليلا
انف الكريم من البرية تارك فى عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخالف من حتفه من خاف مما قيلا
سبق التقاه كه بوثبة هاجم لولا تصادفه لجازك ميلا
خذلته قوته وقد كادحته فاستنصر التسليم والتخذيلا
قبضت منيته يديه وعنقه فكانما صادفته مغلولا
سمع ابن عمته به وبحاله فنجا يهرول منك أمس مهولا
وأمرّ مما فرّ منه فراره وكقتله إن لايموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا
لو كان علمك بالإله مقسما في الناس مابعث الإله رسولا
لو كان لفظك فيهم ماأنزل الفرقان والتوراة والانجيلا
لوكان ماتعطيهم من قبل ان تعطيهم لم يعرفوا التأميلا
ولقد عرفت وما عرفت حقيقة ولقد جهلت وما جهلت خمولا
نطقت بسوددك الحمام تغنيا وبما تجشمها الجياد صهيلا

(قلت) لله أبوه في هذه القصيدة! لولا ما جاء به في آخرها من الغلو الذي

لايجوز في حق انسان ، فالله تعالى يمن عليه بالعفو والغفران ، ولقد أحسن في وصف الأسد ، وأتى بما لم يخطر على عقل احد ، ومن الوصافين للاسد أبو زيد الطائى المشهور الشاعر لقصة جرت له معه حتى ان قومه لاموه وقالوا له نخشى ان تعيرنا العرب بذلك .

ومن ظريف خبره ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ساله يوما عن قصته معه فجعل يحدثه بها ويهولها حتى ضرط بعض الحاضرين فالتفت اليه أبو زيد وقال له كيف لو رأيته يا ابن أخي .

واجاد مجير الدين بن تميم في تضمينه قول أبى الطيب ويغيرنى جذب الزمام البيت المذكور في هذه القصيدة المذكورة بقوله لبعض الرؤساء وقد أهديت اليه باكورة ورد :

سيقت اليك من الحدائق وردة وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت فيها اليك كطالب تقبيلا

(قلت) وهذه أيضاً حكاية ظريفة فيمن برز للاسد القسور فقتله والشيء بالشيء يذكر .

﴿ قصة بشر بن عوانة وبروزه للاسد ﴾

(قيل) كان بشر بن عوانة من صعاليك العرب فغار على امرأة من العرب وخلا بها وقال ما رأيت كاليوم هذا فقالت المرأة رجزاً :

أعجب بشرا حور في عينى وساعد أبيض كالعجين
ودونه مكحولة العينين خمصانة ترفل في حجلين
احسن من مشى على رجلين لو ضم بشر بينها وبينى
أدام هجرى واطال بيني ولو يقاس زينها بزينى
لأسفر الصبح لذي عينين

فقال لها بشر ويحك من عنيت قالت ابنة عمك قال فهي في الحسن بحسب ماوصفت قالت وأزيد من ذلك فانشأ بشر يقول رجزاً :

ويلك ياذات الثنايا البيض ماخلتني عنك بمستعيض
لاضم جفناى على تغميض انلم أشل عرضي عن الحضيض

فقالت :

كم عاشق في اثرها الحا وهي اليك ابنة عم لحا

ثم ارسل الى عمه فخطب ابنته ، فمنعه امنيته ، وآلى ان لايبقى على احد منهم باقية ان لم يزوجه ابنته ، وكثرت فيهم مضراته ، واتصلت بهم معراته ، واجتمع اهل الحى الى عمه فقالوا له كف عنا فخرك فقال لهم لاتلبسونى عارا حتى اهلكه ببعض الحيل فقالوا له انت وذاك فقال له عمه انى آليت ان لاازوج ابنتى إلا ممن يسوق اليها الف ناقة حمراء ولا ارضاها إلا من نوق خزاعة وكان في طريق خزاعة اسد يقال له ذادا وحية يقال لها شجاعا وفي ذلك يقول قائلهم راجز :

افتك من ذادا ومن شجاع ان يك ذادا سيد السباع
فانها سيدة الافاعى

وكان غرض عمه ان يهلكه باحدهما قال ثم ان بشراً سلك ذلك الطريق فلما انتصفه خرج عليه الاسد فنزل عن مهره وربط عينيه واخترط سيفه واقبل على الاسد فاعترضه فقطعه نصفين ثم كتب بدم الاسد على قميصه الى ابنة عمه شعراً وارسله مع عبده وهو :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر اخاه بشرا
إذاً لرأيت ليثاً أم ليثا هزبراً غالباً لاقى هزبرا
تبهنس اذ تقاعس عنه مهري محاذرة فقلت عقرت مهرا
أنل قدماى ظهر الارض انى رايت الارض اثبت منك ظهرا
فقلت له وقد ابدى نصالا محددة ووجها مكفهرا

تـدل بمخلب وبحـد نـاب وباللحظات تحسبهن جمـرا
وفي يمناى ماضى الحد الق يمضربه قراع الدهـر اثرا
الم يبلغك مافعلت ظبانا بكاظمة غـداة ضربت عمـرا
وقلبي مثل قلبك لست اخشى مصاولة ولست اخاف ذعرا
فانت تروم للاشبال قوتاً واطلب لابنة الاعمام مهـرا
ففيم تسوم مثلى ان يولى ويترك فى يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس ياليث غيرى طعاما ان لحمى كان مرا
فلما ظن ان النصح غش وخالفنى كانى قلت هجـرا
مشى ومشيت كالأسدين راما مراما كان إذ طلبـاه وعـرا
هززت له الحسام فخلت انى كشفت له عن الظلماء فجـرا
وجدت له بحاشية رآهـا لما كاذبته مافيه عـذرا
فخر مضرجا بدم كانى هدمت به بنـاء مشمخرا
فقلت له يعز علي انى قتلت مناسبي جلدا وقهـرا
ولكن رمت امراً لم يرمه سواك فلم اطق ياليث صـبرا
تحـاول ان تعلمنى فراراً لعمرى انت قـد حاولت نكرا
فلا تجزع فقد لاقيت حـرا يحاذر ان يعـاب فمت حرا

فلما بلغت الأبيات الى عمه ندم على منعه من تزويجها وخشى عليه من الحية فخرج على اثره هائما على وجهه حتى لحقه وقد سورت له الحية فلما راى عمه اخذته حمية الجاهلية فجعل يده في فم الحية وحمل فيها سيفه ثم قال رجزاً :

سيري إلى المجد بعيد همه لما رآه بالعـراء عمه
فقام يسعى فى الفلا يؤمه فغـاب فيهـا يـده وكمـه
فنفضه نفسى وسمى سمه

فلما قتل الحية قال له عمه : انما عرضتك طمعا ان اضرك وقد نجى الله عنانى

فارجع لازوجك ابنتي فلما رجع بشر إذا هو بغلام قد بدا من البر كأنه فلقة قمر على فرس سابق اشقر، وعليه لامة حربه فقال له بشر انى لأسمع منك حس صيد، فقال له الغلام مددت رجلك إلى قيد، ثكلتك أمك يابشراً ترى ان قتلت ذادا وشجاعا فماذا صنعت فجز أنت فى أمان ان سلمك عمك فقال بشر من انت لا ام لك فقال الغلام أنا الموت الأحمر واليوم الأسود فحمل كل واحد منهما على صاحبه ولم يتمكن بشر من الغلام وأمكن الغلام عشرين طعنه في كلية بشر كلهن بشبا السنان فلما غلبه حمله على يده ابقاه عليه ثم قال له كيف يابشر الشر لوشئت لأطعمتك انياب الرمح ثم ألقى رمحه واستل سيفه وضرب بشراً عشرين ضربة بعرض السيف ولم يتمكن بشر من ضربة واحدة ثم قال له يابشر سر واذهب في أمان الله قال نعم بشرط أن تقول لي من أنت قال أنا ابن المرأة التي دللتك على ابنة عمك فقال بشر هذه العصا من تلك العصية، ولا تلد الحية إلا حية، وحلف بشر أن لا يركب بعده فرسا ثم تزوج بابنة عمه وحسن حاله ورغد عيشه.

﴿ حكاية عجيبة أيضاً ﴾

عن قاضى القضاة ابن السائب قال وافيت من همدان إلى العراق وأنا فقير وقد زرت قبر الحسين بن علي عليه السلام فلما انصرفت أريد قصر ابن أبي هبيرة قيل لي ان الارض مسبعة فسرت الى أن لحقت قرية فيها حصن سميت لي فاويت اليها عند المساء وكنت ماشياً فاسرعت وكديت نفسي إلى أن لحقت القرية فوجدت باب الحصن قد اغلق فدفعته فلم يفتح لي فسألت وتوسلت بمن انصرفت من حضرته وزيارته فقالوا قد أتانا من ذكر مثل ماذكرت فآويناه وكان عينا للصوص علينا ففتح الحصن ليلا وادخلهم فسلبونا ولكنك ألحق بذلك المسجد وكن فيه على حزم لئلا يأتيك السبع قال فسرت الى المسجد فدخلت بيتا كان في المسجد فلم يكن باسرع من ان جاء رجل فدخل المسجد فشد حماره بغلق كان على باب المسجد ودخل علي

وكان معه كوز فيه ماء وأخرج سراجا فاصلحه وقدح ناراً فاوقدها واخرج خبزاً وأخرجت خبزاً وتمراً فاجتمعنا على الأكل فما شعرنا إلا والاسد قد دخل المسجد فلما رآه الحمار دخل البيت الذي نحن فيه فدخل الأسد بعده فخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن فاغلق الباب علينا وعلى الاسد وجعلنا في أخبث موضع وقدرنا ان الاسد لايتعرض لنا مادام المصباح عندنا لانه يخاف من النار والسراج والسنور وصوت الديك فما زال يرانا ونراه ولاأحد يتحرك حتى فنى مافي السراج من الزيت وانطفأ وبقينا في الظلمة نحن واياه وصار أيضا لايتحرك بل كان كلما تنفس سمعنا نفسه فخفنا منه والحمار من خارج الباب في المسجد وهو يجر غلق الباب بحبله وقد ملأ المسجد روثا وبولا فزعا من الاسد الى ان مضى الليل ونحن على حالنا وقد كدنا نتلف من الفزع وإذا نحن نسمع صوت الاذان من داخل الحصن وجاء مؤذن المسجد ودخل المسجد فرأى الحمار وفعله في المسجد فشتم ولعن وحل رسن الحمار من الغلق فمر الحمار يطير في الصحراء لعلمه بما خلف الباب ودخل المؤذن البيت لينظر من فيه فوثب الاسد عليه فدقه واحتمله الى الصحراء فقمنا نحن سالمين ، وانصرفنا والحمد لله رب العالمين .

ونعود بعون ربي الى ترجمة المتنبي : ولما ورد أبو الطيب مصر وبها كافور الاخشيدي مدحه بقصيدته اليائية المشهورة التي قيل انها أفضل مامدح به اسود وبغيرها كما تضمنه ديوانه ومدح فاتكا الرومي وكان مقطعا باقليم الفيوم من عمل مصر وهي ارض وبيئة فلم يصح له بها جسم وكان يكره دخول مصر لئلا يرى كافورا سلطاناً بها وهو اشرف منه اصلا واشجع لانه رومي وشجاعته مشهورة وسبب إفراطه عرف بالمجون فالجأته الضرورة إلى دخول مصر للتداوى فدخلها وكان المتنبي سمع بكرمه ويحب ان يمتدحه ويخاف كافوراً لما يعلم من حسده لفاتك وعداوته فلقيه فاتك مصادفة فمال الى المتنبي ولاطفه ولما عاد الى داره بعث اليه ألف دينار وفرساً هدية فاستأذن المتنبي كافوراً في مدحه فاذن له فمدحه بالقصيدة اللامية المشهورة

وذكر في مطلعها العجز عن المكافأة بالهدية إلا من لؤلؤ الفكرة ومن أوائلها قوله :

لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

(واتفقت) وفاة فاتك في عشاء ليلة الأحد لثنتي عشرة ليلة خلت من شوّال سنة خمسين وثلاثمائة فرثاه أبو الطيب بقصيدة أجاد فيها على عادته ومن أوائلها قوله :

الحزن يحمل والتصبر يردع والدمع بينهما عصى طيع
انى لأجبن من فراق أحبتى وتحس نفسى بالحمام فاشجع
ويزيدنى غضب الاعادى قسوة ويمر بى عتب الصديق فاجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقيقة نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذى الهرمان من بنيانه ماقومه مايومه ماالمصرع
تتخلف الآثار عن اربابها حينا ويدركها الفناء فتتبع

ومنها :

كنا نظن بيوته عمارة ذهبا فمات وكل دار بلقع
وإذا الصوارم والمكارم والقنا وبنات أعوج كل شيء يجمع
أيموت مثل أبى شجاع فاتك ويعيش حاسده الخصى الاوكع

وهي طويلة مشهورة .

(قلت) ومثل قوله تتخلف الآثار عن اربابها قول الوزير أبى محمد بن عبدون في البسامة المشهورة :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الاشباح والصور

ثم عاتب كافوراً في القصيدة اليائية البديعة التى منها قوله :

أرى لي بقربى منك عيناً قريرة وان كان قربا بالبعاد يشاب

(قال ابن خلكان في تاريخه) : ثم بقي سنة لا يجتمع بكافور إلا إذا ركب في خدمته خوفا منه .

(وقال) في يوم عرفة سنة خمسين وثلاثمائة قصيدته الدالية يهجوه بها وأولها :

عيد بأية حال عدت ياعيد ... بما مضى أم لأمر فيه تجديد

ومنها :

ما كنت احسبني احيى الى زمن ... يسيئني كل كلب وهو محمود
من علم الاسود المخصي مكرمة ... اقوامه البيض أم آباؤه الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة ... عن الجميل فكيف الخصية السود
العبد ليس لحر صالح بأخ ... لو أنه في ثياب الحر مولود
لاتشتر العبد إلا والعصا معه ... ان العبيد لأنجاس مناكيد

وسافر أبو الطيب من مصر مستخفيا قاصدا بلاد فارس وملكها أبا شجاع عضد الدولة الآتي ذكر ترجمته ان شاء الله تعالى وذم كافوراً في طريقه بقصيدته المقصورة التي وصف بها سفره ومنازله ومطلعها :

ألا كل ماشية الخيزلى ... فدا كل ماشية الهيدبى
وكل بجاة بجاوية ... طموح وما بى حسن المشى
ومن جهلت نفسه قدره ... رأى غيره منه مالا يرى
وقد ضل قوم باصنامهم ... فاما بزق رياح فلا
وماذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا
بها نبطى من اهل السواد ... يدنس انساب كل الملا
وأسود مشفره نصفه ... يقال له انت بدر الدجى
وشعر مدحت به الكركدن ... بين القريض وبين الرقى
فما كان ذلك مدحاله ... ولكنه كان هجو الورى

(قوله) الخيزلى هي مشية للنساء فيها تثنى وتكسر والهيدبى نوع من سير

الابل والبجاوية بالموحدة والجيم الابل المنسوبة الى البجاة وهى قبيلة من السودان تجاور الواحات من اسفل ديار مصر والحبشة من ناحية المغرب وابلهم مشهورة بالجودة والسرعة وأراد أبو الطيب بالنبطى من اهل السواد أباجعفر بن الفرات وزير كافور وسنذكر بعض خبره آخر الترجمة وأراد بالكركدن كافوراً .

والكركدن كثير بارض زير باد وهى دابة بقدر الجاموس لها فى جبهتها قرن واحد تحمل الفيل على قرنها .

(اقول) هنا بحث مع صاحب القاموس رحمه الله تعالى فتأمله فانه قال في باب النون فصل الكاف الكركدن مشددة الدال والعامة تشدد النون دابة تحمل الفيل على قرنهـــا .

(قال العلامة) المحقق المدقق عمى السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه ونور ضريحه في حاشيته على القاموس ماهذا لفظه .

(اقول) في حياة الحيوان للدميرى الكركند سماه الجاحظ الكركندان ويسمى الحمار الهندي ويسمى الحريش كما تقدم ، انتهى .

وقوله كما تقدم قدقال في باب الحاء غير المعجمة الحريش نوع من الحيات ارقط كذا قال الجوهرى وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الأسد ولها قرن واحد في هامتها تسميها الناس الكركدن انتهى .

وقال السيوطي في مختصر حياة الحيوان الكركند ويسمى الكركدن بتشديد الدال وعليه اقتصر في القاموس انتهى .

والحاصل مما ذكرناه اغفال صاحب القاموس لفظ الكركند وهو ثابت لانه ذكره مثل الدميرى ونقله عن مثل الجاحظ مع زيادة الف ونون ونقله السيوطى عن الدميرى ولم يقدح فيه وقوله وعليه اقتصر في القاموس لايدل على قدح إذ يحتمل انه اراد بذلك التنبيه على اخلال صاحب القاموس بذكر الكركند بل الكركندان بزيادة الالف والنون ثابت ايضا لان نقل مثل الجاحظ حجة وقد اخل به صاحب

القاموس وقوله والعامة تشدّد النون فيه نظر أيضا لأنه جاء في شعر المتنبي المذكور وهو من احفظ أئمة اللغة ، قال في مقصورته التي من بحر المتقارب المتقدّم ذكرها يهجو كافوراً .

وشعر مدحت به الكركدن ، ولا يستقيم الوزن إلا بتشديد النون وجاء أيضا في بيتين لابن الرومي ذكرهما الثعالبي في ثمار القلوب وهما قوله في الهجو :

كان للكركدن قرن فاضحى وهو الآن عند قرنك مدرى
من يكن قرنه كقرنك هـذا فلتكن داره كايوان كسرى

ولا يستقيم البيت إلا بتشديد النون فتأمل ، وابن الرومي من أئمـــة الادب والله اعلم .

عود منبي عن ترجمة المتنبي : ولما اجتاز ابوالطيب ببغداد قاصداً بلاد المشرق جرى له مع الحاتمي احد أدبائها القصة المشهورة وهجاه جماعة من ادبائها منهم أبو عبد الله بن حجاج الشاعر المشهور قال فيه على طريقته المجونية أبياتاً أولها :

يادمية الصفع صبي على قفا المتنبي
وأنت ياريح بطني على عذاريه هبي
وياقفـــاه تقرب نحوى واجلس بجنبي
لعل اعطيك صفعا طبطب طبطب طبي
ان كنت انت نبيا فالقرد لاشك ربي

يقال انه كان سقاء للماء بالكوفة فقالـ فيه بعض الناس :

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع بالـكوفة الماء وحينا يبيع ماء المحيا

وما أحسن قول ابى الحسن الجزار في معنى البيت الآخر :

لاتلمنى في حـرفة القصاب فهى أزكى من عنبر الآداب
كان فضلي على الـكلاب فذ صرت أديباً رجوت فضل الكلاب

(وله) أيضاً في المعنى :

لاتلمني مولاى في سوء حظى عندما قد رأيتنى قصابا
كيف لا ارتضى الجزارة ماعشت دواما وأترك الآدابا
وبها صارت الكلاب يرجونى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وكتب اليه النصير الحامي يقول :

ومذ لزمت الحمام صرت به خلا يدارى من لايداريه
اعرف حس الاسى وباردة وآخذ الماء من مجاريه

فكتب اليه الجواب :

حسن التأنى مما يعين على رزق الفتى والعقول تختلف
والعبد مذ صار في جزارته يعرف من أين يؤكل الكتف

(رجع) ولما وصل أبو الطيب الى حضرة عضد الدولة قابله بالقبول ومدحه المتنبي بالقصائد المشهورة في ديوانه ومدح وزيره ابا الفضل بن العميد بالرائية المشهورة فاجازه عنها بثلاثة آلاف دينار وخلع عليه .

(وقيل) ان الصاحب الكافي أراد ان يمدحه المتنبي فلم يفعل ولم يكن الصاحب قد تقلد الوزارة فحقد عليه وانه ألف الكشف المنبي ، عن سرقات المتنبي ، وعاد أبو الطيب من بلاد العجم ليتحمل باهله الى عضد الدولة فلما بلغ الى الصافية بقرب النعمانية بالجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول وبينهما ميلان عرض له فاتك بن ابي جهل الأسدى في عدة من اصحابه ومع المتنبي جماعة من حاشيته وغلمانه فقاتلوهم ففتك به فاتك فقتل وقتل معه ابنه محمد وغلامه مفلح يوم الأربعاء لست بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة رحمه الله تعالى وللناس في شعره اختلاف فمنهم من يتعصب له غاية التعصب كأبى العلا المعري وشرح ديوانه وسماه معجز أحمد كما تقدم ويكفيه فضلا تعظيم أبى العلا له على ماحواه أبو العلا من الفضائل والعلوم ومنهم من يتعصب عليه كالشريف القاسم المرتضى وللمعري معه

واقعة بسبب المتنبي قد تقدّم ذكرها في ترجمته والحق انـه كان قليل النظير فحلا مقدما واشتهاره شاهد بسبقه فقل مااشتهر إلاالجيد ومن سعادته انها عدت معايب شعره وسقطاته لقلتها ولله در قول الشاعر :

ومن ذالذى تحصى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبـه

قالوا ان أبا تمام والبحترى والمتنبي طبقة واحـدة لم يقع الاتفاق على تفضيل بعضهم على بعض .

وقال بعض الادباء في أبي تمام والمتنبي انهما حكيمان والشاعر البحترى .

(قلت) وينبغي لأبى تمام وأبى الطيب ان يعززا بثالث أعنى إبا العلاالمعري الزاهد المجيد بل ويزاحما بأبى فراس الحمداني المشهور .

وذكر الحاتمي ان اكثر مأخذ المتنبي من أبي تمام وحظى شعر المتنبي واشتهر قال ابن خلكان بلغنى ان لديوانه أربعين شرحا .

(وحكى) السرى الرفا الشاعر المشهور ، قال حضرت مجلس الامير سيف الدولة بعد قتل المتنبي فجرى ذكره فأثنى عليه الأمير وذكر شعره وقلت ايها الأمير اقترح لي أى قصيدة أردت فأنى اعارضها بما يعلم الامير ان المتنبي قد خلف نظيره فقال لي عارض قصيدته التى مطلعها :

بعينيك مايلقى الفؤاد وما لقي وللحب مالم يبق منى وما بقي

قال فلما رجعت الى منزلي تأملت القصيدة فاذا هى ليست من مختاراته ثم مرّ لي فيها قوله :

إذا شاء ان يلهو بلحية أحمق أراه غبارى ثم قال له الحق

فعلمت انه اراده الامير وخيرة الله لي ، وقال بعض المتعصبين عليه في قوله :

تبل خـدى كلما ابتسمت من مطر برقه ثنا ياها

انها تبصق في وجهه وما أنصفه فان البيت غاية في الحسن ومما عيب عليه قوله

انى على شغفى بمـا في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

قيل ان الزنا هنا في هذا البيت أحسن من العفة وهو حق .

وظريف هنا قول ابى الند إحسان بن نمير الكلبي الدمشقي الخليع من أبيات له فيها إلمام بقول ابى الطيب :

انى لأعشق مايحويه برقعها ولستأبغض ماتحوى السراويل

ومما لم يعجبنى من شعره قوله :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى عليّ بن عبد الله بعرانا

فالمعنى قبيح وجاء جمع البعير في غاية الثقل واكثر مطالعه على غير شريطة أهل البيان كالبائية الكافورية التى أجاد في مديحها فما بعد سوء مطلعها مايتطير به والمشروط في النظم مراعاة النظير كما قدمنا ذكره في هذا الكتاب .

وأبو الفضل جعفر بن الفرات المتقدم ذكره في الترجمة ويعرف بأبى خيزابه وكان وزير كافور الاخشيدى وبقى بمصر حتى قدم القائد ابو عبد الله جعفر الرومي بجيوش مولاه الامام المعز لدين الله من بلاد المغرب فلم يؤاخذه بأشياء كانت منه من الجمع لحربه وأجراه المعز لما قدم على أحسن حال من الجميل .

ومن ظريف خبره ماحكاه المقريزى فى الخطط ، قال كان الوزير ابن الفرات يهوى النظر الى الحيات والأفاعي والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجرى هذا المجرى من الحشرات وكان في داره قاعة لطيفة مرخمة فيها سلال الحيات ولها فراش قيم وهو من الحوائين ومعه مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطها وكان كل حواء في مصر وأعمالها يصيدمايقدر عليه من الحيات ويتباهون فيذوات العجب من انواعها والكبار وفى غرابة المنظر وكان الوزير يثيبهم على ذلك أوفى ثواب ويبذل لهم الجعل حتى يجتهدوا في تحصيلها ، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ويدخل المستخدمون والحواة فيخرجون مافي السلال ويطرحونه على ذلك الرخام ويحرشون بين الهوام وهو يعجب من ذلك ويستحسنه فلما كان ذات يوم أنفذ رقعة الى الشيخ ابن المدبر الكاتب وكان من أعيان كتاب أيامه وديوانه وكان

عزيزاً عنده وكانت داره مجاورة له يقول فيها نشعر الشيخ الجليل أدام الله سلامته ان الحواء عرض علينا بالبارحة الحشرات الجارى بها العادة فانساب إلى دار الشيخ منها الحية البتراء وذات القرنين والعقرب الكبيرة وأبو صوفة وما حصلوا انا إلا بعد عناء ومشقة وبجملة بذلناها للحوائين ونحن نأمر الشيخ وفقه الله بالتقدم الى حاشيته وصبيته بصون ماوجد منها الى ان نرسل الحوائين لأخذها وردها الى سلالها فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها أتانى أمر سيدنا الوزير خلد الله نعمته ، وحرس مدته ، بما أشار اليه من أمر الحشرات والذي يعتمد عليه في ذلك ان الطلاق يلزمه ثلاثا ان بات هو أو أحد من اهله في الدار والسلام .

وذكر في جامع القرافة أيضا وهو جامع مشهور مزخرف عمرته السيدة تغريد وتدعى درزان المغربية أم العزيز بالله نزار بن المعز مايشبه هذه الغريبة .

قال حكى الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة قال : حدثنى الامير أبو علي ابن تاج الملك جوهر المعروف بالشمس الجيوشى قال اجتمعنا ليلة جمعة جماعة من امراء بنى معز الدولة صالح وحاتم وراجح وأولادهم وغلمانهم وجماعة ممن يلوذ بنا كابن الموفق والقاضى ابن داود وابى المجد بن الصيرفي وأبى الفضل روزبه وابى الحسن الرضيم وابى حفص فعملنا سماطاً وجلسنا واستدعينا بمن في المسجد فأكلنا ورفعنا الباقى إلى بيت الشيخ ابى حفص قيم الجامع ثم تحدثنا وغنا وكانت ليلة باردة فنمنا عند المنبر وإذا انسان نصف الليل ممن نام في هذا الجامع من عابرى السبيل قام قائماً وهو يلطم على رأسه ويصيح وا مالاه وا مالاه فقلنا له ويلك ماشأنك ومن الذى دهاك ومن سرقك وما سرق لك فقال ياسادتى انا رجل من اهل طرا يقال لي أبو كريت الحوا أمسى علي الليل ونمت عندكم واكلت من خيركم وسع الله عليكم ولي جمعة أجمع في سلتى من نواحى طرا والحي الكبير والجبل كل غريبة من الحيات والأفاعى مالم يقدر عليه حواء غيري وقد انفتحت السلة الساعة وخرجت الافاعى وأنا نائم ففلت له ايش تقول فقال اى والله ياآل النجدات أعينونى على قبضها فقلنا

ياعدو الله اهلكتنا ومعنا صبيان وأطفال ثم انتبه الناس جميعا وهربنا الى المنبر فطلعنا وازدحمنا فيه ومنا من طلع على قواعد العمد فتسلق وبقى واقفاً واخذ ذلك الحواء يتحسس وفي يده سلال الحيات ويقول قبضت الرقطا ثم يفتح السلة ويضع فيها ثم يقول قبضت أم قرنين ويفتح ويضع ويقول قبضت الفلانى والفلانية من الثعابين والحيات وهم معه باسماء ويقول هذا أبو زعيرة وابو تليس ونحن نقول ايه الى أن قال بس ياسادتى انزلوا مابقى علي هم ولا بقى يهمكم كبير شيء قلنا كيف قال مابقي إلا البتراء وأم رأسين انزلوا فما عليكم منهما قلنا عليك لعنة الله ياعدو الله والله لانزلنا إلى الصبح فالمغرور من تغره فصحنا بالقاضى ابى حفص القيم فأوقد الشمعة ولبس خف الخطيب خوفا على رجليه فجاء فنزلنا في الضوء وطلعنا إلى المأذنة فنمنا الى بكرة وتفرق شملنا تلك الليلة وجمع القاضى القيم حفدته ثانى يوم وأدخلوا عصياً تحت المنبر وسمعنا وشالوا الحصير فلم يظهر لهم شيء وبلغ الحديث والي القرافة ابن شملة الكتامي فأخذ الحواء فلم يزل به حتى جمع ماقدر عليه وقال ماأخليه إلا الى السلطان وكان الوزير إذ ذاك يانس الارمنى .

(قلت) الحواء نسبة الى الحية كالسقاء ونحوه واصل حية حيوة سبقت الواو الياء الساكنة فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فيها على قول أبى علي الفارسى في ان واو حيوان اصلية واشتقاق الحيوان من الحياة والحية من الحياة لطول عمرها انتهى .

ومصر في الاقليم الثالث والفيوم ولاية عظيمة منها والقرافة مقبرتها ويانس المذكور كان وزير الحافظ لدين الله صاحب مصر وقد غلطا السيد أحمد بن حميد الدين حيث قال في كتابه تلويح المشوق ان العراق هى ديار مصر ومثل ذلك لايكاد يخفى على مطلع وبين الولايتين مايزيد على أربعين ليله والهرمان بفتح أوليه من عجائب الدنيا .

(قال) العلامة السيد محمد كبريت المدنى في رحلته : حكي الحافظ ان

عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة ، منها بسائر الارض عشر وباقيها بمصر ، فمنها الهرمان وهما أطول بناء واعجبه من رآهما ظن انهما جبلان بالجيزة .

﴿ ذكر الأهرام وايوان كسرى ﴾

(قال) ابن الوردى في الخريدة : الجيزة مدينة على ضفة النهر وهى أربعون قوسا على سطر واحد وبها الاهرام التى هى من عجائب الدنيا ولم يكن مثلها بنيت بصنعة الهندسة وكانوا ينقبون الصخر من طرفه ويجعلون فيه قضيباً من الحديد وينقبون الحجر الآخر وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه في القضب وهى ثلاثة اهرامات ارتفاع كل هرم في الهواء مائة ذراع بالملكى وهي مهندمة الجوانب محددة الاعالي من أواخرها طولها على ثلاثمائة ذراع يقال ان داخل الهرم الغربى ثلاثون مخزنا من حجارة الصوان المملوءة من الجواهر النفيسة والاموال الجمة والاسلحة الفاخرة المدهونة بأدهان الحكمة فلا تصدأ فيه ابدا وفيه الزجاج الذى ينطوى ولاينكسر وفي الهرم الشرقى الهيآت الفلكية والكواكب المنقوشة فيهاما كان وما يكون الى آخر الدهر يقال ان احد الهرمين قبر هرمس والآخر قبر امرأته وقيل قبر ابنه وهرمس بلسان الحكماء هو ادريس وهوالجد الثالث لنوح وابو صاب الذى تنسب اليه الصابئة التى تعظم الكواكب .

(ويقال) ان احد الهرمين بنى بيتاً لعطارد والآخر هيكلا للجوزاء وسطح الهرم متويسع نحو مائة رجل .

وقيل ان ارسطاليس مدفون في احدهما والاسكندر في الآخر ، وقيل بنى باسمه ولم يدفن فيه وقيل وقيل :

ولم نستفد فى علمنا طول عمرنا سوى ان حفظنا منه قيل وقالوا

وقيل وفي الهرم الثالث أخبار الكهنة في توابيت من صوان مع كل كاهن لوح من الواح الحكمة وفيه عجائب صناعاته واعماله وفي الحيطان في كل جانب

اشخاص كالاصنام تعمل بايديها جميع الصناعات على المراتب ولكل هرم منها خازن

قال ابن الجوزى في صلوة الاحزان : ومن عجائب الهرمين ان سمك كل واحد منهما اربعمائة ذراع وهما من الرخام والمرمر ومكتوب فيهما انا بنيتهما بملكى فمن يدعى القوة في ملكه فليهدمهما فان الهدم ايسر من البناء .

قال المسعودى في كتاب اخبار الزمان ومن ابادهم الحدثان ، وكان المأمون لما دخل الديار المصرية ارادهدمهما فلم يقدر على ذلك فاجتهدوا نفق اموالا عظيمة حتى فتح في احدهما طاقة صغيرة فوجد خلف الطاقة من الاموال قدر الذى انفقه وكتابا فيه انا قد علمنا انك تأتى في عصر كـــذا ولم تستطع اكثر من ذلك فجعلنا قدر ماانفقت فلا تتعب فانشد المأمون يقول في ذلك :

انظر الى الهرمين واسمع منهما مايرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لخبرانا بالذى فعل الزمان باول وبآخـــر

لطيفة

يحكى ان الرشيد امر بهدم ايوان كسرى فقال له وزيره يحيى ما الحاجة الى هدم بناء يدل على قوة بانيه فقال اهدمه ولا تراجعنى فيه فحسب مقدار مايصرف على هدمه فبلغ مقداراً كثيرا استكثره الرشيد فرجع من هدمه فقال له يحيى ما كان اغناك عن اظهار عجزك عن هدم ماباناه غيرك .

(ومن ذلك) مايحكى ان المنصور لما افضت الخلافة اليه هم بنقض ايوان المدائن فوافقه اصحابه على ذلك إلا رجلا فانه قال له تعلم ياامير المؤمنين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج من تلك القرية وكان له فيها مثل ذلك المنزل وتلك الحجر فخرج اصحابه مع ضعفهم الى صاحب هذا الايوان مع عزته وصعوبة امره فاخذوه من يده قهراً وقتلوه فمن نظر اليه علم قوة صاحبه وان الذى استولى عليه انما اخذه بمدد من الله تعالى ، فلا يشك في تأييده فاتهمه المنصور لقرابة ثم اخذ في هدمه

فخرج على نقض شيء يسير جملة من المال فعدل عما كان اراده :

وارى الكثير من البرية طبعه ان يؤثر الدنيا على المطلوب

(وقد) اكثر الشعراء من ذكر الاهرام فمن ذلك ما تقدم من قول ابى الطيب المتنبي من قصيدته العينيه :

اين الذى الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع

وللصفدى وفيه تورية لطيفه :

قالوا علا نيل مصر في زيادته حتى لقد بلغ الاهرام حين طما

فقلت هـذا عجيب في ديار كم ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما

فان انهى زيادة النيل التى ينتفع بها ستة عشر ذراعا وقد يزيد نا درآ فيخل بالزرع .

(وقال) سيف الدين بن جارة :

لله اي عجيبة وغريبة في صنعة الاهـرام للالباب

اخفت عن الاسماع قصة اهلها ونضت عن الابداع كل نقاب

فكانما هي كالخيام مقامـة عن غير ماعمد ولا اطناب

(روى) سعد بن ظريف عن الاصبغ بن نباته قال اتي عمر بن الخطاب بجارية فشهد عليها شهود انها بغت وكان من قصتها انها كانت يتيمة عند رجل وكان للرجل امرأة وكان الرجل كثيراً مايغيب عن اهله فشبت اليتيمة وكانت جميلة فتخوفت المرأة ان يتزوجها زوجها إذا رجع الى منزله فدعت بنسوة من جيرانها فامسكنها ثم افتضتها باصبعها فلما قـدم زوجها سأل امرأته عن اليتيمة فرمتها بالفاحشة واقامت البينة من جيرانها علي ذلك قال فرفع الرجل ذلك الى عمر فارسلها عمر مع رجل إلى علي بن ابى طالب عليه السلام فاتوا علياً وقصوا عليه القصة فقال لامرأة الرجل ألك بينة قالت نعم هؤلاء جيرانى يشهدن عليها بماقول فاخرج علي السيف من غمده وطرحه بين يديه ثم امر بكل واحدة من الشهود فادخلت بيتا ثم دعا بامراة الرجل فادارها بكل وجه فابت ان تزول عن قولها فردها إلى البيت الذى كانت فيه ثم دعا باحدى

الشهود وجثا على ركبتيه وقال لها اتعرفيني انا علي بن ابى طالب وهذا سيفي وقد قالت امراة الرجل ماقالت ورجعت الى الحق واعطيتها الامان فاصدقيني وإلا ملأت سيفي منك فالتفتت المراة الى علي فقالت الامان على الصدق فقال لها علي فاصدق فقالت لا والله مازنت اليتيمه ولكن امرأة الرجل لما رأت حسنها وجمالها وهيئتها خافت فساد زوجها فسقتها المسكرودعتنا فامسكناها فافتضتها باصبعها فقال علي عليه السلام الله أكبر الله اكبر انا أول من فرق بين الشهود الا دانيال عليه السلام ثم حد المرأة حد القاذف وألزمها ومن ساعدها على افتضاض اليتيمة المهر لها اربعمائة درهم وفرق بين المرأة وزوجها وزوجه اليتيمة وساق عنه المهر اليها من ماله فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحدثنا ياابا الحسن بحديث دانيال عليه السلام فقال ان دانيال كان غلاما يتيما لا أب له ولا ام وان امرأة من بنى اسرائيل عجوزاً ضمته اليها وربته وان ملكا من ملوك بنى إسرائيل كان له قاضيان وكان له صديق وكان من ملوك بنى إسرائيل وكان رجلا صالحا وكانت له امرأة جميلة وكان يأتى الملك فيحدثه فاحتاج الملك الى رجل يبعثه في بعض اموره فقال للقاضيين اختارا لي رجلا ابعثه في بعض اموري فقالا فلان فوجهه الملك فقال الرجل للقاضيين اوصيكما بامرأتى خيرا فقالا نعم فخرج الرجل وكان القاضيان يأتيان باب الصديق فعشقا امرأته فراوداها عن نفسها فابت عليهما فقالا لها ان لم تفعلي شهدنا عليك عند الملك بالزنا ليرجمك فقالت افعلا ماشئتما فاتيا الملك فشهدا عليها انها بغت وكان لها ذكر حسن جميل فدخل على الملك من ذلك أمر عظيم واشتد غمه وكان بها معجبا فقال لهما ان قولكما مقبول فاجلوها ثلاثة ايام ثم ارجموها ونادى في مدينته احضروا قتل فلانة العابدة فانها قد بغت وشهد عليها القاضيان بذلك فاكثر الناس القول في ذلك فقال الملك لوزيره ماعندك في هذا حيلة فقال لا والله ما عندى فى هذا شيء فلما كان اليوم الثالث ركب الوزير وهو آخر ايامها فاذا هو بغلمان عراة يلعبون وفيهم دانيال فقال دانيال يامعاشر الصبيان تعالوا حتى أكون انا الملك وتكون انت يافلان العابدة

ويكون فلان وفلان القاضيان الشاهدين عليها ثم جمع ترابا وجعل سيفا من قصب ثم قال للغلمان خذوا بيد هذا فنحوه الى موضع كذا والوزير واقف وخذوا هذا فنحوه الى موضع كذا ثم دعا باحدهما فقال له قل حقاً فانك ان لم تقل حقاً قتلتك قال نعم والوزير يسمع قال له بم تشهد على هذه المرأة قال أشهد انها زنت قال في أى يوم قال في يوم كذا وكذا قال في أى وقت قال في وقت كذا وكذا قال في أى موضع قال في موضع كذا وكذا قال مع من قال مع فلان فقال ردوا هذا الى مكانه وهاتوا الآخر فردوه وجاؤا بالآخر فسأله عن ذلك فخالف صاحبه فى القول فقال دانيال الله أكبر الله أكبر شهدا عليها بزور ثم نادى الغلمان ان القاضيين شهدا على فلانة بالزور فاحضروا قتلهما فذهب الوزير الى الملك مبادرا فاخبره بالخبر فبعث الملك الى القاضيين فاحضرهما ثم فرق بينهما وفعل بهما كما فعل دانيال بالغلامين فاختلفا كما اختلفا فنادى فى الناس وأمر بقتلهما .

(فلما) بدا صبح سادس شعبان الذى هو عن وجه القبول مسفر ركبنا البحر من بندر الريق في سفينة الأمير سلمان بن مسفر وتوكلنا على رب الفطره ورفعنا الشراع قاصدين مدينة البصره :

فيم اقتحامك لج البحر تركبه وأنت تكفيك منه مصة الوشل

﴿ لطيفة ﴾

دخل الشيخ عبد الرزاق الشيبي فاتح بيت الله الحرام على الحسن بن أبى نمى شريف مكة المشرفة يستأذنه في السفر وركوب البحر فانشده الشريف قول الطغرائي من لاميته :

فيم اقتحامك لج البحر تركبه وأنت تكفيك منه مصة الوشل

فأنشده الشيخ على البديهة من القصيدة :

أريد بسطة كف أستعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلى

فامر له الشريف بقضاء دينه وأمر له بألف أحمر وترك الشيخ السفر .

وفي ثامن الشهر رست بنا السفينة بعون ذى المعارج في جزيرة خارج وعند هذه الجزيرة مغاص اللؤلؤ والجزيرة تتلألأ منها الأنوار وبهـا مقام مأثور يزعم أهل تلك النواحي المحمية انه قبر محمد ابن الحنفيه نجل علي بن أبي طالب عليه السلام وفي مدفنه أقوال كثيرة أوردها في ترجمته اذا وصلنا إلى ذكر الطائف ان شاء الله تعالى .

وأما هذه الجزيرة فكراماته بها ظاهرة كثيرة فقلنا ذلك اليوم في الجزيرة الى العصر ثم ركبنا الزورق وسرنا الى السفينة في البحر ورفعنا شراع السفينه وتوجهنا إلى البصرة الأمينه .

وفي عاشر تاسع الشهر أتينا ميدان علي المشتهر وهو بحر عظيم التيار وأمواجه كالجبال الكبار ، وصوته كالرعد القاصف ، إلا انه آمن من المخاوف .

وفي ضحى عاشر الشهر قطعنا ذلك البحر ، فلما أسفر صبح حادى عشر المبارك الفالح ، دخلنا البحر الحالي وخرجنا من البحر المالح ويسمونه شط العرب وهو من نهر الفرات وأصل مخرجه من أراضى أرمينية ثم يمتد الى سميساط ثم الى الرقـة والى الحلة وغير ذلك من البلدان التى حوالى البصرة ثم يختلط بنهر الدجلة وهذا الشط تدخل اليـه المراكب الهندية وغيرها وترسى فيه قبال مقام علي وجميع مياه البصرة تصب في بحر فارس فلما كان وقت العصر اتينا في ابرك الاوقات الى مقابل السبيليات وهذه السبيليات من أزهر اراضى البصرة اشجاراً واكبرها انهاراً وأطيبها ثماراً تراها كالعروس المجليه كيف لا وقد طابت بحلول السادة الرفاعيه من عطر الكون نشر شذاهم ، وملأ الخافقين نور هداهم .

فلما اسفر صبح ثانى عشر باليمن والظفر ، ركبنا في الزورق من بكره ، وسرنا قاصدين دخول البصره ، فمررنا في طريقنا بأبي الخصيب والسراجى والمناوى وما

شاكل ذلك وكل هذه الاراضى واسعه ، ذات ثمار يانعه وبساتين ونخيل ، وأنهار وظل ظليل وكلها على حافة الشط من اليمين والشمال ماحن قلبي لهوى غيرها ولامال

وحدثتني ياسعد عنها فزدتنى شجونافزدنى من حديثك ياسعد

والمناوى هـذه بها أمير عظيم ، يسمى موسى بيك وهو بها مقيم ، أقامته السلطنة ثمة لحفظ البصرة من جانب البحر ثم أتينا على مقام علي ، ذى النور الساطع الجلى ، وهو على رأس الخليج الصغير ، الذى يشق المدينة فلم نزل بالقارب نسير ، في ذلك الخليج الصغير ، الى ان انتهينا في وقت أزهر ، الى حارة السيمر ، فصلينا على شفيع الامه ، ونزلنا من ثمه ، ودخلنا مدينة البصره أسبل الله على أهلها ستره فرأيتها بلدة تشرح النفوس ، وتذهب البوس أم اليتيم وغنى المفلس العديم :

واهاً الى العود اليها واها فلا يطيب العيش فى سواهـــا

ارجو بان تقر بالعود اليها العين ، ومن أين ومن أين :

ولو ان نفسا بين جنبي أعطيت مناها ومن ذا في الدنا أعطى المنى

أتت في زمان كان يسعف مثله لي السيف ان لم يسعف العلم بالغنى

فاما قضت من موسم الجد حجها والا حكت بعض الاضاحي في منى

مدينة كانها الجنة ، للغريب المسكين جنة ، نزهة للناظرين :

كتب السعد على اكنافها ادخلوها بسلام آمنين

تسر بطلعتها القلوب ، وتزيل بحسنها الكروب :

الى البصرة الفيحاء منى تحية تعطرها ياصاح من كل جانب

مدينة أمينه ، مكينة حصينه ، بديعة مثيله ، رفيعة جليلة ، حسنة رشيقه ، نفيسة أنيقه ، غالب دورها لايخلومن حديقه ، بها القصور العالية الواسعه ، والبدور الطالعه ، والانهار الجافـة بدورها العامره ، والاسواق التى هى بالخيرات وافره ، فأما سوق الميدان التى تحت سراى الباشا فمن دخلها نال منها ماشا ، وأما سوق العطـارين ، فانه يريح القلب الحزين وأما سوق المشراق فانه من النعم في اشراق ،

وأما سوق السيمر المسعود ، فكل ماشئت فيه موجود :

وانى ان لم ألق نجدا وأهله لمحترق الاحشاء شوقا الى نجد

﴿ فائدة ـ ذكر البصرة ﴾

قال ابن اياس في نشق الازهار : البصرة من المدائن المشهورة بناها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب ومن عجائبها المدّ والجزر وذلك ان الدجلة والفرات يجتمعان من أعلى البصرة ويصيران نهراً واحداً يجرى من ناحية الشمال الى الجنوب ويسمونه جزراً ثم يرتفع من الجنوب إلى الشمال ويسمونه مـداً وذلك بحسب البلاد ويشق المدينة في كل يوم وليلة مرتين وفي ذلك يقول الشاعر :

وجاز وليس له صولة الا اذا ماهبت الريح

وهو اذا ماسكنت ساكن كأنما الريح له روح

وقال صاحب تحفة الغرائب وكان بالبصرة سبعة آلاف مسجد وبنى بها عبيد الله بن زياد الاعجم قصراً وسماه القصر الابيض وكان من عجائب الابنية وكان بها مانزيد على عشرة آلاف نهر يجرى ولكل نهر اسم يختص به وبهـا نهر يعرف بنهر الابلة وعلى جانبي هذا النهر عدة قصور وبساتين وذور ، وجنات ومتنزهات كأنها كلها بستان واحد وكأن نخلها قد غرس في يوم واحد وطول هذه البساتين اثناعشر ميلا ومسافتها مابين البصرة والأبلة كذلك ولكن ماء هـذه الانهار كلها الغالب عليه الملوحة من سباخ تلك الارض وكانت البصرة مدينة كثيرة الخيرات ، نامية البركات .

(حكى) عن بعض التجار أنه قال اشتريت من البصرة خمسمائة رطل تمـراً بدينار صوري وهو عشرة دراهم وغربى البصرة البادية وشرقيها مياه الانهار وبين قراها بطائح ماء معمورة بالزوارق والسماريات واليها ينسب الحسن البصرى وكان أوحد أهل زمانه في كل علم توفي سنة ستعشرة ومائة وعاش من العمر ثمانين وثمانين

سنة واليها ينسب الامام أبو بكر محمد بن سيرين وكان من موالي أنس بن مالك ولكن اعطاه الله تعالى علم تعبير الرؤيا وينسب اليها القاضي ابو بكر الباقلانى وكان اماماً عالماً فاضلا وبها كانت وقعة الجمل بين امير المؤمنين علي بن ابى طالب رضى الله عنه وعائشة وقتل فيها طلحة والزبير وأما اهلها فذكروا بخير ، وكفوا كل ضير ، أهل نفوس وفية أبيه ، وهمم رضية برمكيه ، وأيادى كريمـــة حاتميه ، واخلاق مرضية حسنيه :

أضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الدر ثاقبه

الكرم منهم نشا ، وحديث جودهم فى الدنيا فشا ، بيوتهم مأوى الضيوف ، وملهم مبذول بالمئين والألوف :

فأكرم بأصل هؤلاء أصوله وأكرم ببيت هؤلاء قواعده

أهل بشاشة ولطافه ، وديانة وعفافه ، وبشر واقبال ، وعز واجلال :

تزدحم الناس على بابهم والمنهل العذب كثير الزحام

ورثوا المجد كابراً عن كابر ، وحازوا الهمم والمفاخر :

صغيرهم ككبير في اقتناء علا من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم

عسى يجتمع اشملهم بشملي ، ويشتد قوي حبلهم بضعيف حبلى ، انه رؤف مالك ، وقادر على ذلك .

ومالي إلا الدعا والثنا فها أنا مذ عشت أدعو وأثنى

فاسأل القريب المجيب ، ان يسمع ويستجيب :

نسيم الصبا بلغ تحية عاشق الى البصرة الفيحاء دار البرامكه

وحى بها تلك الاراضى التى بها ثغور الاقاحى والشقائق ضاحكه

وحى بها السكان من نفحاتهم على كل من قد أمهم متدار كه

بهم قد زهت تلك الديار وأينعت وأضحت مغانيهم بهم متبار كه

فوالله لا أنسى حديث سخائهم وذكرهم بالخير لم أك تار كه

فقل للذي قد رام حصر ثنائهم اليك فهذا مطلب لست دار كه

وأما بساتينها والنخيل ، فالمسافة بينهما نحو ميل ، بساتين وخلجان ، ونخيل ورمان ، وروح وريحان ، ومن كل فاكهة زوجان ، فمن بلح ورطب ، أحلى الى القلب من رشف الضرب :

أما ترى الريح انثرت بلحا جاء نذيراً بدولة الرطب
مكاحلا من زمرد خرطت مقممات الاطراف بالذهب

وعنبها الرازقي كثير ، أرق من قلب الأسير :

ورازقي مخطف الخصور كأنه مخازن البلور
قد ضمنت مسكا الى الشطور وفي الاعالي ماء ورد جوري
لم يبق منه وهج الحرور إلا ضياء في ظروف نور
لو انه يبقى مدى الدهور قرّط آذان الحسان الحور
بلى فريداً ويلا شذور له مذاق المسل المأثور
ونكهه المسك مع الكافور ورقة الماء على الصدور

وغيره من صنوف الاعناب ، مالايعد في حساب ، ورمانها شفاء العليل ، أحلى من رشف السلسبيل :

ورمانة شبهتها إذ رأيتها بنهد كعاب أو باحقاق مرمر
ململمة خضراء تحسب حشوها ياقيت حمراً في رداء معصفر
لها لون عقبان ورأس مشرف وأوراق ريحان وأغصان عنبر
وفيها شفاء للعليل وراحة وعنها حديث للنبي المطهر
وفيها يقول الله جل جلاله حدائق رمان ونخل مسطر

وخوخها بديع الالوان ، تغار من حمرته وجنات الحسان :

أهدى الينا الزمان خوخا منظره منظر أنيق
من كل جنس مصقول لون معناه في حسنه دقيق

حمراء صفراء يستفيد بهجتها التبر والعقيق
ذات أديمين ذا بهار لمجتليه وذا شقيق

وتينها ماأفخره وأحلاه ، جل من خلقه وسوّاه :

أما ترى التين في الغصون ضحى ممزق الجلد مائل العنق
شبهته كابن نعمة سلبت أصبح بعد الجديد في الخلق

وسفرجلها لونه لون عاشق ، ناء عن الاحباب مفارق :

حاز السفرجل لذات الورى فغدا على الفواكه باللذات مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

وتفاحها ياله من تفاح ، يغنيك عن لثم خدود الملاح :

تفاحة محمرة البعض من خوفها من ألم العض
فبعضها يبكي على بعضها وبعضها يضحك من بعض

وأترجها بديع الاسلوب ، يشرح بحسن لونه القلوب :

ياحبذا يومنا ونحن على رؤوسنا يعقدوا الاكاليلا
في جنة ذللت لقاطفها ثمارها الدانيات تذليلا
سلاسل من زبرجد حملت من ذهب أصفر قناديلا

ونارنجها يحيي الروح بلونه الجادي ، وعرف زهره ينعش القلب الصادي :

كأنما النارنج لما بدا بحمرة مشعلة كاللهيب
وجنة معشوق رأى عاشقا فاحمر ثم اصفر خوف الرقيب

وموزها ماأحلاه من موز ، الهنا لمن ذاقه والفوز :

للموز احسان بلا ذنوب ليس بمعدود ولا محسوب
يكاد من موقعه المحبوب يدفعه البلع الى القلوب

وتمرها كالتبر والعقيق والسبج ، ليس على من سكر من شهده حرج :

أما ترى التمر يحكي في حسنه للنظار

مكاحلا من عقيق قد قمت بنضار
كانما زعفران فيها من الشهد جارى
تسف مثل كؤس مملوأة بعقار

وبطيخها الاصفر ، أحلى من السكر ، وأذكى من العنبر :

أتانا غلام فاق حسنا على الورى ببطيخة صفراء في لون عاشق
فشبهته بدراً يقد اهلة من الشمس مابين النجوم ببارق

وقثاؤها الرفيعه ، خلقتها بديعه ، لم أر لها نظيراً في كل البلاد ، طولها عن الذراع قد زاد :

انظر اليها أنابيباً منضدة من الزمرد خضراً مالها ورق
اذا قلبت اسمه بانت ملاحته وصار معكوسه اني بكم اثق

وفولها الاخضر ، في حلته الخضراء يتبختر :

انظر إلى الفول وزواره في منظر راقت له كل عين
زبرجد اخضر لكنه يفتر عن حالية من لجين

واما قصب السكر ، فهنيئاً لمن يمص منه ويسكر :

نزلنا على القصب السكرى نزول رجال يريدون نهبه
بحز كحز رقاب العدا بمص كمص شفاه الاحبه

واما مشمشها فهو بطلعة بهيه ، يميس في حلته الزعفرانيه :

واجاصها يختال في ثوبه الخمرى فيفرحنا من حيث ندرى ولا ندرى

واما الشاه توت ، فهو اشهى الى القلب من كل قوت ، ووردها الجورى معجب بصولته وتائه على سائر الزهور بقوة شوكته ، وعلى كل حال يا اخوان ، فالبصرة يقصر عن وصف حسنها اللسان :

قسماً بالإله رب العباد وبطه الشفيع يوم المعاد
وبآل له وصحب كرام هم غياث الانام يوم التناد

ان للبصرة الفريدة حسنا وافتخار على جميع البلاد
أهلها معدن الفضائل والخيرات والجود ملجأ الوفاد
بلدة السعد والهنا جنة الدنيا وسكانها كرام الايادى
أسأل الله ان يديم بقاهم في سعود فذاك أقصى مرادى

فأقمت فيها ، شدّ الله مبانيها وأيد بالعز اهاليها ، وما برحت معهم مقيما فى سعد وفرح ؛ سالماً من كل هم وترح ، ونزلت في حارة السيمر بدار الجناب الكريم والمآب العظيم ، الساعى فى تقويم طالع مجدى وسعدى ، الحاج محمود بن القندى ، فغمرنى بالاحسان ، وأنزلنى اعلى مكان :

فان تك أفنته الليالي وصرفها فان له ذكراً سيفنى اللياليا

وتشرفت بزيارة سيف الاسلام ، وابن عمه شفيع الانام ، الهزبر القمقام سيدنا الزبير بن العوام ، وبزيارة سيدنا طلحة .

رضى الله عنهما ورضوا عنه دوما الى قيام الساعه

واجتمعت بالعالم العلامه ، المدقق الفهامه ، الشيخ سليمان الكردى .

ورث الفضائل كابراً عن كابر كالرمح أنبوبا على انبوب

واجتمعت بصاحب الطلعة البهيه ، والكرامات الجليه ، والرتبة السميه ، السيد يعقوب الرفاعى نقيب السادة الرفاعيه .

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والافواه والمقل

وبابنه ذى الاحسان ، السيد رمضان ، وبابن أخيه الانجد ، السيد احمد ، وبابن عمه ذى المواهب ، السيد غالب .

سقيا ورعيا لقوم قد نزلت بهم كان دار اغترابى عندهم وطن

واجتمعت بذى الولاية حقيقة لامجاز ، مولانا الشيخ انس الكواز .

زكى يرى مافي الضمير بظنه كأن له عيناً على غامض السر

واجتمعت بذى الفضائل والافاده ، مولانا الملا حسين ميم زاده .

كانه شجر الاترج طاب لنا زهراً وعوداً وطاب الحمل والورق

واجتمعت بجليل المراتب ، الحاج أحمد بن عبد الرحيم الباش كاتب .

كريم الخال من سلف كريم كنصل السيف وضاح الجبين

واجتمعت بالتاجر الرئيس الافخر ، الحاج محمد بن بندر .

من كان فوق محل الشمس رتبته فليس يرفعه شيء ولا يضع

واجتمعت بالكريم عمدة التجار ، الحاج محمد حسين بن النجار .

كالبحر يمطره السحاب وماله منّ عليه لانه من مائه

واجتمعت بالتاجر النبيل الرئيس الجليل ، الحاج اسماعيل بن بنكي .

ما اسأل الا ان يدوم لنا لا أن تزيد معانيه فقد كملت

واجتمعت بالتاجر جميل الوصف والمحيا ، الحاج يحيى بن زكريا .

كلما قلت قد تناهى أرانا كرما يهتدى اليه الكرام

واجتمعت بالتاجر الكريم الوهاب ، الحاج أحمد بن سياب .

حلف الزمان بان يجيء بمثله حنثت فكفّر يازمان يمينكا

واجتمعت بالتاجر ، نسل التجار الاخيار ، الحاج محمود بن ضرار .

مازاده الالقاب معنى زائداً فكانها من صدقها أسماء

واجتمعت بالتاجر الرئيس الحاج محمود الملقب بابى الدجاج .

كالشمس في كبد السماء محلها وضياؤها في سائر الآفاق

واجتمعت بالجناب الكريم ، الرئيس العظيم ، الحاج عبد الله بسيط .

وقاه إله العرش شرّ المكاره ولادار خطب الدهر يوما بداره

واجتمعت بالكريم الذى مابعده خلف ، الحاج عبد الحسين بن خلف .

زينه الله في القلوب كما زين في عين والد ولدا

واجتمعت بالجناب الكريم النفيس ، الحاج سليمان بن خميس .

ولقد طالما شقيت ولكن أدركتنى على يديه السعاده

واجتمعت بالصديق الوافي ، الجناب الكريم ، السيد حسين الخافي .

رب المكارم والعطايا والندى لازال في نعم الإله مخلدا

وكل هؤلاء الرؤساء الكرام ، حصل منهم القبول والاكرام .

لو كنت أعلم فوق الشكر منزلة أعلى من الشكر لاستقصيتها لهم

كيف لا وهم اخلاء الوفا ، واخوان الصفا ، اكـــرموني بالمودة والقبول ، وبلغوني كل سول ، حسبة لله وقربى ، وعملا بقوله : قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى .

﴿ فائدة ﴾

قوله تعالى قل لااسألكم عليه اجراً الآية يجوز ان يكون استثناء متصلاأى لاأسألكم عليه أجرا إلا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتى ، ويجوز ان يكون منقطعا أى لاأسألكم اجـــراً قط ولكنى اسألكم ان تودّوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل إلا مودة القربى أو المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم حب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به كقولك المـال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى أومتمكنة فيها .

(قيل) انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام .

وقيل معناه ان لاتؤذونى لقرابتى فيكم ولا تهيجوا علي اذ لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قرابة .

وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تحبون الله ورسوله في تقربكم اليه بالطـاعة والعمل الصالح والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى انتهى .

﴿ لطيفة ﴾

ادعى رجل على آخر طنبورا عند بعض القضاة فانكر المدعى عليه وتوجه اليمين فقال له القاضى قل ان كان الطنبور عندى فايرك فى حر أخته قال واى يمين هذه فقال هذه يمين الدعوى اذا كانت طنبور او شبهه .

احضر رجل ولده عند القاضى فقال يامولانا ان ولدى هذا مايصلى فانكر الولد فقال ابوه انه لم يقرأ فكيف يصلى او تصح صلاته من غير قراءة فقال الولد اصلح الله مولانا القاضى انى اقرأ القرآن بالتجويد فقال القاضى ان صدقت فاقرأ حتى أسمعك فقال :

علق القلب الربابا بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق لاترى فيه ارتيابا

فقال ابوه كذب والله يامولانا القاضى انه لم يتعلم القرآن الا البارحة فانه سرق مصحفا لجيراننا وحفظ منه هذه السورة فقال القاضى قاتلكما الله كلا كما تعرفان القرآن ولم يعمل احد كما به .

(قالت ام الاسكندر) في دعائها له رزقك الله حظا تخدمك به ذوو العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى الحظوظ .

(قال الاسكندر) لابنه يا ابن الحجامة فقال اما هي فقد احسنت التخير وأما أنت فلم تحسن .

(قالت عجوز) لزوجها أماتستحي ان تزنى ولك حلال طيب فقال اما حلال فنعم واما طيب فلا .

(تنبأ رجل) في زمن المنصور فقال له أنت نبي السفلة فقال جعلت فداك كل إنسان يبعث الى شكله فاستتابه وأطلقه .

وقع في بعض العسكر هجمة فوثب خراسانى الى دابته ليلجمها فجعل اللجام

في الذنب من الدهش فقال يخاطب الفرس هب أن جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت .

(قال حكيم) من زعم انه لايحب المال فقد كذب فان علم صدقه فهو أحمق

(قدم رجل من اليمامة) فقيل له ماأحسن مارأيت فيها قال خروجي منها .

(سمع المأمون) أبا العتاهية يقول :

وانى لمحتاج الى ظل صاحب يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال المأمون اعطنى هذا الصاحب وخذ منى الخلافة .

(سأل الرشيد) الأوزاعيّ عن لبس السواد فقال لم احرمه ولكن اكرهه فقال ولم تكرهه فقال لانه لا تجلى فيه عروس ولايلبى فيه محرم ولايكفن فيه ميت فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف وقال ماتقول في السواد فقال النور في السواد ياأمير المؤمنين يعنى ان الانسان ينظر في سواد عينيه فاستحسن الرشيد قوله ثم قال وفضيلة أخرى ياأمير المؤمنين قال وماهي قال لم يكتب كلام الله عز وجل إلا به فاهتز الرشيد لقوله وأجازه .

(مات لأبي الحسين الجزار حمار) فكتب اليه بعض أصحابه :

مات حمار الاديب قلت لهم مات وقد فات فيه مافاتا

من مات في عزه استراح ومن خلف مثل الاديب ماماتا

وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره فقال له أراك تمشى بعد ان كنت راكباً فأجابه بديهة :

كم من جهول رآنى أمشى لأطلب رزقا

فقال لي صرت تمشى وكل ماش ملقى

فقلت مات حمارى تعيش أنت وتبقى

وله في حماره قصيدة رثاه بها أوّلها :

ما كل حين تنجح الاسفار نفق الحمار وبارت الاشعار

خرجي على كتفي وهما أنا دائر بين البيوت كأنني عطار
لم أدر عيبا فيه الا أنه مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ويلين في وقت المضيق ويلتوى فكأنما بيديك منه سوار
ولقد تحامته الكلاب واحجمت عنه وفيه كل ما تختار
فرعت لصاحبه حقوقا قد مضت لما علمن بانه جزار

وقد جمع بعض الافاضل مجلدة جيدة في مراثي حمار ابي الحسين الجزار .

﴿ حكى ﴾ أبو الفرج السلمي قال حدثني أبو عمرو بن العلا قال : جلس النعمان ابن المنذر يوما وعليه حلة مرصعة بالدر والجوهر واليواقيت لم ير مثلها قبل ذلك اليوم وأمر العرب بالدخول عليه وكان فيهم أوس بن حارثة قال فجعلت العرب تنظر الى الحلة وكل واحد يقول لصاحبه مارأيت مثل هذه قط قال وأوس لم ينظر اليها فقال له النعمان مالى أرى كل من دخل استحسن هذه الحلة الا انت ياأوس فمارأيتك تستحسنها فقال اوس أسعد الله الملك انى استحسنها اذا كانت في يد تاجر وأما اذا كانت على الملك وأشرق فيها وجهه فنظرى اليه لا اليها فاسترجح النعمان عقله واستحسن قوله فلما عزموا على الانصراف قال النعمان اجتمعوا غداً فانى ملبس هذه الحلة سيداً منكم فانصرفوا عنه وكل واحد يزعم انها له فلما كان من الغد تزينوا بأفخر الملابس وتقلدوا بأصلح السيوف وركبوا أجود الخيل وأتوا الى النعمان وتأخر عنه أوس فقال له اصحابه ألا تغدو مع الناس الى الملك فلعلك ان تكون صاحب الحلة فقال أوس ان كنت سيد قومى فما انا بسيد العرب عند نفسى وان حضرت ولم آخذها رجعت منقوصا وان كنت المطلوب لها فسيعرف مكاني فأمسكوا عنه قال فلما حضرت العرب بين يدى النعمان نظر الى وجوه القوم فلم ير أوساً فاستدعى بعض خواصه وقال له اذهب لتعرف خبر اوس فمضى الرسول فاستخبر بعض اصحابه فأخبره بعقالته فعاد الى النعمان وأخبره بذلك فبعث اليه النعمان فحضر أوس بثيابه التي حضر بها بالامس وكانت العرب قد استبشرت بتأخيره خوفا ان يكون هو الذي

يأخذ الحلة فلما حضرو أخذ مجلسه قال له النعمان مالي لم أرك غيرت ثيابك فالبس هذه الحلة لتتجمل بها ثم خلعها له فاشتد ذلك على العرب وحسدوه وقالوا لاحيلة لنا بهذا الا ان نرغب أحد الشعراء بمال فيهجوه فانه لايخفض رفعته الا الشعراء فجمعوا من بيوتهم خمسمائة ناقة وأتوا بها الى رجل يقال له جرول وكان اشعر العرب يومئذ وأقواهم في الهجو فقال لهم ياقوم كيف أهجو رجلا حسيباً لاتنكر أياديه كريماً لاينقطع عطاؤه شجاعا لايضام نزيله محسناً لاارى شيأ من بيتي إلا من فضله فسمع بذلك رجل يقال له بشر بن حازم وهو شاعر مجيد فرغب في المال وهجاه وذكر امه سعدى فسمع اوس بذلك فوجه في طلبه فجعل بشر بن حازم يطوف البلاد ويلتمس عزيزاً يجيره من اوس وكان كل من قصده يقول اجرتك إلا من اوس وكان اوس قد ولى عليه العيون فرآه بعض من كان يرصده فقبض عليه واتى به اوساً فلما مثل بين يديه قال له ويلك اتذكر امي فقال قد كان ذلك ايها الأمير فقال والله لأقتلنك شر قتلة ثم دخل اوس الى امه وقال لها قد اتيتك بمن هجاك وقد آليت لأقتلنه فقالت اود لك خيراً من ذلك يابني قال وما هو فقالت انه لايجد ناصراً منك ولا مجيراً عنك ونحن قوم مشهورون باصطناع المعروف فبحقي عليك إلا ما اطلقته ورددت عليه ابله واعطيته من مالك مثل ذلك ومن مالي مثله وارجعه الى اهله سالماً فانهم ايسوا منه فخرج اليه اوس وقال ماتقول انى فاعل بك قال تقتلني لامحالة قال افتستحق القتل قال ومن احق به مني فقال ان سعدى التي هجوتها قد اشارت بكذا وكذا ثم امر بحمل اكتافه واعطاه مااشارت به امه وقال له انصرف الى اهلك سالماً فرفع بشر يده الى السماء وقال اللهم انت الشاهد علي انى لااعود الى شعر إلا ان يكون مدحا في اوس وله بعد ذلك قصائد مشهورة .

(قيل) وجد مكتوبا على باب ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم والأجل معلوم ، والحريص محروم ، والبخيل مذموم ، والكريم ذكره يدوم ، والحسود مغموم ، والرازق حي قيوم .

لما اتى بلال من بلاد الحبشة الى النبي صلى الله عليه وسلم انشده بلسان الحبشة :

أره بره كنكره كرا كرى مندره

فقال عليه السلام لحسان اجعل معناه عربياً فقال حسان :

اذا المكارم في آفاقنا ذكرت فانما بك فينا يضرب المثل

ومن خطبة النبي المكرم (ص) : أيها الناس الدنيا دار بلاء ، ومنزل قلق وعناء قد نزعت عنها نفوس الأتقياء ، وانتزعت بالكره من أيدى الاشقياء ، فأسعد الناس فيها أرغبهم عنها ، وأشقاهم بها أرغبهم فيها ، هي الغاشة لمن انتصحها ، المغوية لمن أطاعها ، والهالك من هوى فيها ، طوبى لعبد اتقى فيها ربه ، ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخره ، فيصبح في بطن غبراء مدلهمه ، لايستطيع ان يزيد في حسنه ، ولا ان ينقص من سيئه ، ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها ، أو نار لاينفد عذابها .

(ومن خطبة) لامام المشارق والمغارب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أيها الناس الدنيا دار ممر ، والآخرة دار مقر ، فخذوا رحمكم الله من ممركم لمقركم ولاتهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها ابدانكم ، فللاخرة خلقتم وفى الدنيا حبستم ، ان المرء اذا هلك قالت الملائكة وما قدم ، وقالت الناس وماخلف ، فلله آباؤكم ، قدموا بعضا يكن لكم ، ولاتتركوا كلا يكن عليكم ، فانما الدنيا كمثل السم يأكله من لايعرفه .

(كان الشيخ علي) بن سهل الصوفي الاصفهاني ينفق على الفقراء والصوفية ويحسن اليهم فدخل عليه يوما جماعة منهم ولم يكن عنده شيء فذهب الى بعض اصدقائه والتمس منه شيئا للفقراء فأعطاه شيئاً من الدراهم واعتذر له من قلتها وقال اني مشتغل ببناء دار أحتاج الى خرج كثير فاعذرني فقال له علي بن سهل وكم يصير خرج هذه الدار فقال يبلغ خمسمائة درهم فقال الشيخ ادفعها الي لأنفقها على الفقراء وأنا أسلمك داراً في الجنة وأعطيك خطى وعهدى فقال الرجل ياأبا الحسن

انى لاسمعت منك خلافا قط فان ضمنت ذلك فأنا افعل ، فقال الشيخ ضمنت وكتب على نفسه كتابا بضمان دار له في الجنة فدفع الرجل الخمسمائة الدرهم اليه وأخذ الكتاب بخط الشيخ وأوصى انه إذا مات ان يجعل ذلك الكتاب في كفنه فمات الرجل في تلك السنة وفعل ما أوصى به فدخل الشيخ يوما الى مسجده لصلاة الغداة فوجد الكتاب بعينه في المحراب وعلى ظهره مكتوب بالخضرة قد اخرجناك من ضمانك وسلمنا الدار لصاحبها فكان ذلك الكتاب عند الشيخ برهة من الزمن يستشفي به المرضى من أهل اصفهان وغيرهم وكان بين كتب الشيخ فسرق صندوق كتبه وسرق ذلك الكتاب معها .

﴿ ترجمة الشريف الرضى أبى الحسن محمد بن الطاهر ذى المناقب ﴾
(أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى الكاظم)
(ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين)
(ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله)
(تعالى عليهم أجمعين)

جوهرة فاخرة يتيمه ، ترجمه الثعالبي في اليتيمه ، فقال أبدع بقول الشعر بعد ان جاوز عشرين سنة بقليل وهو اليوم ابدع أنشاء الزمان وانجب سادات العراق يتحلى من محتده الشريف ومفخره المنيف ، بادب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين ، ممن مضى منهم وممن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ، ولو قلت انه أشعر قريش لم ابعد عن الصدق وسيشهد بما خبرته شاهد عدل من شعره العالي القدح الممتنع عن القدح ، الذى يجتمع الى السلامة متانه ، والى السهولة رصانه ، وكان أبوه يتولى قديما نقابة نقباء الطالبيين ، ويحكم فيهم أجمعين ، والنظر فى المظالم والحج في الناس ثم ردت هذه الأعمال الى ولده المذكور وأبوه حى في سنة ٣٨٨ .

(فمن قوله) ما كتبه الى الامام القادر بالله أبى العباس احمـــد بن المقتدر من جملة قصيدة :

مهلا امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لانتفرق
مابيننا يوم الفخار تفاوت ابداً كلانا في المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوق

ومن جيد شعره قوله :

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل ابداً يمانع عاشقاً معشوق
وصبرت حتى نلتهن فلم اقل ضجراً دواء الفارك التطليق

وذكر ابوالفتح بن جنى النحوى في بعض مجاميعه : ان الشريف الرضى المذكور احضر الى السيرافي النحوى وهو طفل جـداً لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو فقعد معه يوما في الحلقة فذاكره بشيء من الاعراب على عادة التعليم فقال له اذا قلنا رأيت عمرو فما علامة النصب في عمرو فقال الرضى بغض على فعجب السيرافي والحاضرون من شدة حدة خاطره ، وذكر انه تلقن القرآن بعد ان دخل في الست فحفظه في مدة يسيرة وصنف كتابا في مجازات القرآن فكان نادراً وقد عنى بجمع ديوان الرضى المذكور جماعة من الافاضل واجود ماجمع الذى جمعه ابو حكيم الخبرى ومن شعره البليغ العجيب ، الذى يشتقاقه كل حكيم واديب قوله يمدح الطائع لله ويهنيه بعيد الاضحى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة :

جزاء امير المؤمنين تنائى على نعم ماتنقضي وعطاء
انام الليالي عن بقايا فريستى ولم يبق منها اليوم غيرذماء

الذماء بقية الروح في المذبوح .

وادنى اقاصى جاهه لو سائلي وشد او اخى جوده برجائى
وعلمنى كيف الطلوع الى العلى وكيف نعيم المرء بعد شقاء
وكيف ارد الدهر عن حدثانه والقى صدور الخطب اى لقاء

فمالي أغضي عن مطالب جمة ... واعلم أني عرضة لفنـــاء
وأترك سمر الخط ظمأى خلية ... وشرقنا ماكن غير رواء
إذا ماجررت الرمح لم يثنني أب ... يليح ولا أم تصيح ورائي
وشيمني قلب اذا ماأمرته ... أطاع بعزم لا يروع ورائي
أرى الناس يهوون الخلاص من الردى ... وتكلمة المخلوق طـول عناء
ويستقبحون القتل والقتل راحة ... واصعب ميت من يموت بـداء
فلست ابن ام الخيل ان لم أعدها ... سوابق لاعهد لهـــا ببطاء
وارجعها مفجوعة بحجولها ... اذا انتعلت من مارق بدماء
الى حيّ من كان الامام عدوّه ... وصبحه من أمره بقضاء
هو الليث لامستنهض عن فريسة ... ولا راجع عن فرصة لحياء
ولا عزمه في فعله بمذال ... ولا مشيه في فتكه بضراء
هو النابه النيران في كل ظلمة ... ومجرى دماء الكوم كل مساء
ومعلى حنين القوس في كل ساعة ... بسهم نصال أو بسهم علاء
فخار لو ان النجم أعطى مثله ... ترفع أن يأوي اديم سماء
ووجه لو ان البدر يحمل شبهه ... اضاء الليالي من سنا وسناء
مغارس طالت في ربى المجد فالتقت ... على انبياء الله والخلفاء
وكم صارخ ناداك لما تلببت ... به السمر في يوم بغير ذكاء
رددت عليه النفس والشمس فانثنى ... بانعم روح في أعم ضياء
وكم صدر موتور تطلع غيظه ... وقلب قولا عن لسان مرائي
يغطي على اضغانه بنفاقـه ... كذي الفقر غطى فقره بكفاء
كررت عليه الحلم حتى قتلته ... بغير طعان في الوغا ورماء
اذا حمل الناس اللواء علامة ... كفاك مثار النقع كل لواء
وجيش مضر بالفلاة كانه ... رقاب سيول او متون نهاء

كان الربى زرت عليه جيوبها وردته من بوغائها برداء
وخيل تعالى في السروج كانها صدور عوال او قداح سراء
لها السبق في المضمار والسبق وحدها اذا غطيت من نقعها بغطاء
وليس فتى من يدعى البأس وحده اذا لم يعود بأسه بسخاء
وما أنت بالمبخوس حظاً من العلى ولا قانعاً من عيشه بكفاء
نصيبك من ذا العيد مثلك وافر وسعدك فيه مؤذن ببقاء
ولو كان كل آخذاً قدر نفسه لكانت لك الدنيا بغير مراء
وما هذه الاعياد إلا كواكب تغور وتولينا قليل ثواء
فخذ من سرور ما استطعت وفزبه فللناس قسما شدة ورخاء
وبادر الى اللذات فالدهر مولع بتنغيص عيش واصطلام علاء
أبثك من ودى بغير تكلف واعطيك من نصحى بغير رياء
وأذكر ما أوليتنى من صنيعة فاصفيك رهنى طاعتى وولائى
اعنى على دهر رمانى بصرفه ورد عنانى وهو في الغلواء
وحلأنى(١) عمن أعد بعاده سقاي ومن قربى اليه شفائى
فقدت وفي فقد الاحبة غربة وهجران من أحببت اعظم ناء
فلا تطمعن يادهر في فانه ملاذى مما راعنى ووقائى
أرد به أيدى الاعادى وأتقى نوافذ شتى من أذى وبلاء
الذ بقلبي من منای تقنعى واحسن عندى من غناي غنائى
ومن كان ذا نفس تطيع قنوعة رضى بقليل من كثير ثراء
حدوا لمطايا يوم جالت عروضها ويوم التقت ركبانها برغاء
تؤمك لاتلوى الى كل روضة يصيح بها حوذانها(٢) واضاء

---

(١) حلأه عن الماء : طرده .
(٢) الاضاء : مسيح الماء .

ولا تشرب الامواه الا تعلة اذا عثرت اخفافهن بماء
لها سائق يطغى عليها بسوطه ويشدو على آثارها بحداء
غلام كاشلاء اللجام تجـــيزه صدور القنا والبيض كل فضاء
اذا بلغت ناديك قال رفاقها عريض عطاء من طويل ثناء
ومثلك من يعشى الى ضوء ناره ويلفى قراه عنـد كل خباء
وما كل فعال الندى بشبابـة ولا كل طلاب العلى بسواء

(وقوله ايضا) يرثى عمر بن عبد العزيز الاموى :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من اميـة لبكيتك
غـير انى أقول انك قـد طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك
أنت نزهتنا عن السب والقذف فلو امكن الجزاء جزيتك
ولو انى رأيت قبرك لاستحييت من ان أرى وما حييتك
وقليل لو ان بذلت دماء البدن ضربا على الذرى وسقيتك
دير سمعان لاغبك غاد خير ميت من آل مروان ميتك
أنت بالذكر بين عينى وقلبي ان تدانيت منك أوان نأتيك
واذا حرك الحشا خاطر منك توهمت انى قـد رأيتك
وعجيب انى قليت بنى مروان طـراً وانني ماقليتك
قرب العدل منك لما نأى الجور بهم فاجتويتهم واجتبيتك
ولو انى ملكت دفعا لما نابك من طارق الردى لفديتك

وقوله قدس الله روحه الطاهره متغزلا :

أيا منـازل سلمى اين سلماك من أجلها اذ بكيناها بكيناك
زرناك شوقا ولو أبدى النوى بسطت أرض الفلا جمر نيران لزرناك
ياظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه وليس يرويك إلا دمعة الباكى

هبت لنا من رياح الفوز رائحة عند الصباح عرفناها برياك
ثم انثنينا إذا ماهزنا طرب على الرحال تعللنا بذكراك
سهم أصاب ورامیه بذی سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك
حكت لحاظك ماباليم من ملح يوم اللقاء وكان الفضل للحاكى
أنت الشفاء لقلبي والعناء له فما أمرك في قلبي واحلاك
عندى رسائل شوق لست اذكرها لولا الرقيب اذن بلغتها فاك
وعد لعينك عندى ماوفيت به ياطالما كذبت عينى عيناك
سقى منى وليالى الخيف ماشربت من الغمام وحياها وحياك
اذ يلتقي كل ذى دين وماطله منا ويجتمع المشكوّ والشاكى
لما غدا السرب يعطو بين ارحلنا ماكان فيه غريم القلب إلاك
هامت بك العين لم تبغى سواك هوى من أعلم القلب ان العين ترعاك
حتى دنا النعو ماأحييت من كمد قتلى هواك ولا فاديت اسراك
ياحبذا نفحة مرت بفيك لنا أو قطعة غمست فيها ثناياك
وحبذا وقفة والركب مرتحل على ثرى ومشت فيها مطاياك
لوكانت اللمة السوداء من عددى يوم الغميم لما افلت اشراكى

(قلت) : ويعجبنى من هذا الروى والقافية قول الصفي الحلى وهو أيضاً محبوك الطرفين :

كفي القتال وفكي قيد أسراك يكفيك مافعلت بالناس عيناك
كفاك ماأنت بالعشاق فاعلة لو انصف الدهر في العشاق عزاك
كلت لحاظك مما قد فتكت بها فمن ترى في دم العشاق أفتاك
كلت أوصاف حسن غير ناقصة لو أن حسنك مقرون بحسناك
كتمت حبك حتى قال فيك فمى شعراً ولم يدر ان القلب يهواك
كيف انثنيت الى الاعداء كاشفة غوامض السر لما استنطقوا فاك

كدت المحب فماذا أنت طالبة ... فنا محبك أو اشمات اعداك
كافيتني بذنوب لست اعرفها ... فسامحي واذكري من ليس ينساك
كلفتني حمل اثقال الهوى أبدا ... وحبذا ثقلها لو كان ارضاك
كابدت اهوال قطع البيد مكتسبا ... مالا وما كنت ابغي المال لولاك
كلا ولا بت اطوي كل مقفرة ... ومهمه لم تسر فيه مطاياك
كأن فيه السما والأرض واحدة ... ونوقنا تحت نور تحت افلاك
كبت من الاين فيه ناقتي فغدت ... تشكي إلي بطرف شاخص باكي
كوماء تسحب من سقم مناسمها ... كأن ارجلها شدت باشراك
كفت عن السير للمرعى محاولة ... فقلت سيري الى مرعى الندى الزاكي
كرت وقالت الى من ذا فقلت لها ... الى ابي الفتح مولانا ومولاك
كهف الضيوف ووهاب الالوف وجداع الأنوف وامن الخائف الشاكي
كريم اصل بديع الروح منظره ... فان عوتي باذن الله احياك
كساك من سندس الانعام اردية ... حتى كأن جنان الخلد مأواك
كلى ونامي هنيئاً غير جازعة ... في مربع فيه مرعانا ومرعاك
كذا طلاب العلى يانفس ممتنع ... فان صبرت له نالته كفاك
كوابل الطل إلا ان راحته ... ان امسك القطر لم تعبأ بامساك
كف حكى وابل الأنواء وابلها ... حتى انثنى يحسد المحكي للحاكي
كل الانام لما أولاه شاكرة ... فما له غير بيت المال من شاكي

(وما أحسن) قول الشيخ تقي الدين:

لطلعة البدر جزء من محياك ... وللصباح نصيب من ثناياك
وما تبسم ثغر الكاس من حبب ... كالدر في النظم إلا خلته فاك
اهدت خدودك للورد الجني شذى ... وعلم البان ان يهتز عطفاك
وبات ظبي النقا يرنو اليك عسى ... يعيره كحل العينين عيناك

سبحان من صاغ ما في الخد من ذهب ... وجل من بكنوز الحسن اغناك
يدق معناك عن ادراك ذى نظر ... كأن معناك ياأسماء معناك
وبين جفنى وجفنيك مناسبة ... اذا همى بين سفاح وسفاك
جرى بتجريح جفنى بالبكا قلم ... من حين عدّلك البارى وسوّاك
وسال أحمر دمعي فى الهوى ذهبا ... وفي الحشا من لهيبي أي سباك
حميت برد رضاب تحته برد ... فما دنا من حماك غير مسواك
ورام قدك لما صار عامله ... لناظر فيه فتان وفتاك
في القلب منى لقد أصبحت ثاوية ... فما يضرك لو أكرمت مثواك
اعيذ ردفك بالاحقاف من زمر ... بزخرف اللوم قالوا قول افاك

ماأحلى هذا التوجيه .

اليس ترضين منا يوم كاظمة ... غيظ العذول وان القلب يرضاك
ان كنت في الناس ذا عشق وذا غزل ... فانت فتنة عباد ونساك
ان تخطرى حلوة الاعطاف حالية ... فنور حسنك في الحالين حلاك
لوجاد ناظرك الفتان لي بكرى ... طمعت انى في الاحلام ألقاك
وكل حي قتيل فيك من شغف ... تكاثرت منك فى الاحياء قتلاك
مليكة الحسن رفقاً في هواك لنا ... ولا تجورى فانا من رعاياك
زورى وان خفت صبح الثغر يفضحنا ... فصيرى في ليالي الشعر مسراك
وان تغزلت في شمس وفي قمر ... وفي غزال فان الكل اسماك
ياطفلة من بنات الترك تاركة ... اخا الضنا لهواها غير تراك
للفان ينسب فانى خدها فلذا ... منها المصائب تبدو بين أتراك
مالي ولم تدع لي قلباً اقول لها ... ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
أوقفت قلبي محرابا لحاجبها ... لما تهجد فيه طرفى الباكي
نعم ونزهتها في الحسن عن شبه ... فقلت أشهد أن لابدر إلاك

ياسلوتى ان تجلى حسن طلعتها فهو الذى من ديار القلب اخلاك
لهفى لطائر قلبي واقف أبدا من هدب أجفانها مابين اشراك
شكوت لحظاً لهاشاكي السلاح لقد عجبت لما شكا المشكو للشاكي
ياظبية قد غزانا سيف ناظرها لناظر الجيش في الأقران مغزاك

ولله در ابن المقرى في قوله :

كيف الخلاص وقلبي بعض اسراك صادته اجفانك الوسنى باشراك

ماألطف هذا الجناس المصحف :

ياسلم أين ليالينا بذى سلم مرت فما كان احلاها واحلاك

وما أحلى جناس الطباق هنا بين المرارة والحلاوة :

يفنى الزمان وماأنسى عهود هوى وثقتها بعقود من ثناياك
حاشاى انسى بروقا بالثنية من تلك الثغور وحاشا القلب ينساك
ولست أعرف ماالسلوان عنك فلا يمر بالبال ذكر غير ذكراك
لولاك ماكنت اصبو عند كل صبا له مرور بذاك السفح لولاك
آها على السفح من عيني ومن وطني وليت آها تروي غلة الباكى
أوليت ياجنتى نار الأسى خمدت فانها في حشائى وهى مثواك
أوليت عيشى وهل ليت بنافعة على تحفظه بالعطف عطفاك

وقال مصنف هذا الكتاب مقتفياً آثار ذوى البلاغة والآداب :

جرحت قلبي بلحظ منك فتاك فمن بذا ياحياة الروح أفتاك
ماكان عهدى بذا يامنتهى أملي أن تشمتى بى أعدائى واعداك
وتحرميني لذيذ الوصل منك فمن هذا الجفا والنوى ماكان اغناك
فهل تداوين قلبي باللقا كرما فما لقلبي دواء غير لقياك
لم تهجرين محباً لم يكن أبدا يهوى سواك ومن بالهجر أغراك
الى متى تسمعى عذل العذول وكم تصغى الى قول نمام وافاك

وتقطعيني بلا ذنب ولا سبب من بعدما كنت موصولا بحسناك
ما كنت أحسب يابدر البدور بأن تنسى عهود محب ليس ينساك
وتتركيني حزيناً هائماً قلقاً أشكو الفراق بطرف ساهر باكى
ان كان للناس عيد يفرحون به يانور عيني فعيدى يوم الفاك
أو كان للناس سكر يطربون به ويسكرون فسكرى من ثنايك
بالله جودى وعودى بالوصال ولا تشفي الحسود الذى قد كان أغواك
يامن غدت بالعيون النجل قاتلتى كفى القتال وفكي قيد أسراك
وارشفيني زلالا من لماك ولا تفتى بظلمى فانى من رعاياك
ولا تكونى بقتل الصب راضية حاشاك ان تقتلى مضناك حاشاك
ان كنت أذنبت يابدر الدجى فانا أستغفر الله من بالحسن أنشاك
وان يكن ذا الجفا عمداً بلا خطأ منى فيا حبذا ان كان ارضاك
والله والله أيمانا مغلظة مازلت يابدر طول الدهر أهواك

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(رجع الى ترجمة الشريف الرضى قدس الله روحه الطاهرة وعنه رضى)

وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببغداد ووفاته بها في سادس محرم سنة ست واربعمائة وعمره ست وأربعون سنة ودفن بداره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ وخربت الدار ودثر قبره ومضى أخوه الشريف المرتضى ابو القاسم علي الى مشهد موسى بن جعفر (ع) لانه لم يستطع أن ينظر الى تابوته ودفنه وصلى عليه فخر الملك في الدار مع جماعة كثيرة رحمه الله تعالى ، وأفاض وابل رحمته على ضريحه الشريف ووالى .

(من أمثال العرب) وحكاياتهم عن ألسنة الحيوانات ، لقى كلب كلباً وفي فمه رغيف محرق فقال بئس هذا الرغيف ماأردأه فقال له الكلب الذى في فمه الرغيف نعم لعن الله هذا الرغيف ولعن من يتركه قبل أن يجد ماهو خير منه .

كان انوشروان العادل يمسك عن الطعام وهو يشتهيه ويقول نترك ما نحب لئلا نقع فيما نكره .

(قيل لفيثاغورس) من الذى يسلم من معاداة الناس قال من لم يظهر منه خير ولا شر قيل وكيف ذلك قال لانه ان ظهر منه خير عاداه الاشرار وان ظهر منه شر عاداه الاخيار .

(قال عيسى) على نبينا وعليه السلام ان مرتكب الصغيرة والكبيرة سيان فقيل وكيف ذلك فقال الجرأة واحدة وما عف عن الدرة من يسرق الذرة .

(من تأويلات جمال العارفين الشيخ عبد الرزاق الكاشى) رحمه الله تعالى في قصة مريم في قوله تعالى فتمثل لها بشراً سويا قال انما تمثل لها بشراً سوى الخلق حسن الصورة لتتأثر نفسها فى الطبيعة فتتحرك على مقتضى الجبلة ويسري الأثر من الخيال في الطبيعة فتتحرك شهوتها فتنزل كما يقع في المنام من الاحتلام وانما امكن تولد الولد من نطفة واحدة لانه ثبت في العلوم الطبيعية ان منى الذكر في تولدالولد بمنزلة الانفحة فى الجبن ومنى الانثى بمنزلة اللبن أى العقد من مني الذكر والانعقاد من مني الانثى لاعلى معنى ان مني الذكر ينفرد بالقوة العاقدة ومني الانثى بالقوة المنعقدة بل على معنى ان القوة العاقدة في مني الذكر اقوى والقوة المنعقدة في مني الأنثى أقوى وإلا لم يمكن ان يتحدا شيئاً واحداً ولم ينعقد منى الذكر حتى يصير جزأ من الولد فعلى هذا اذا كان المزاج قويا ذكورياً كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس فان كان مزاج كبدها حاراً كان المنى الذى ينفصل عن كليتها اليمنى احر كثيرا من المنى الذى ينفصل عن كليتها اليسرى فاذا اجتمعا في الرحم وكان مزاج الرحم قويا في الامساك والجذب قام المنفصل من الكلية اليمنى مقام منى الرجل في شدة قوة العقد والمنفصل من الكلية اليسرى مقام منى الانثى في قوة الانعقاد فيتخلق الولد هذا وخصوصا اذا كانت النفس متأيدة بروح القدس متقوية به يسرى أثر اتصالها به الى الطبيعة والبدن والمزاج ويمد جميع القوى في افعالها بالمدد الروحاني فتصير

أقدر على افعالها بمالا ينضبط بالقياس والله بكل شيء عليم .

﴿ فائدة ﴾

عرفت ربى بفسخ العزائم لا بل عرفت فسخ العزائم بربى جل وعلا فانه سبحانه الدليل على ماسواه لا بالعكس فان الدليل اظهر من المدلول وأى شيء أظهر منه سبحانه وتعالى فهو الدليل على نفسه وعلى ماسواه فلا جرم عرفت ربى بربى وعرفت الاشياء به فالبرهان من ههنا والتفاوت بتفاوت النظر والاختلاف باختلاف النظر بل لامجال للاستدلال والبرهان ثمة اذ لاخفاء في وجوده سبحانه ولاريب في ظهوره تعالى فهو اجل البديهيات وماخفى ذلك على أحد الا لمرض في قلبه وغشاوة على بصره والاشياء محسوسة بالحواس الظاهرة ومعلوم بالضرورة ان وجودها منه تعالى وتقدس وفقدان هذا العلم للبعض بواسطة عروض المرض لايضر فى المطلوب والله بكل شيء عليم .

(فلما) كان عصر سادس صفر المقرون بالظفر عام ألف ومائة وثلاث وثلاثين من هجرة سيد النبيين ، ركبنا من البصرة وفي القلب من فراقها حسره صحبة الجناب الاجل ، والكهف الأطل ، جميل الوصف والمحيا ، الناخوده يحيى بن زكريا في مركب الأمير العظيم الشان ، المرحوم فارس خان وسرنا الى الهند في كنف الرحمن ، وكان المركب للسيد علي الشاطرى رحمه الرحمن المنان ، واستأجره الامير المذكور في ذلك الزمان ، فمررنا في طريقنا على جزيرة خارج المتقدم ذكرها ، ورسينا قبالها وأقمنا يوما ثم سرنا فأتينا على بندر أبى شهر المتقدم ذكره ، ورسينا قباله ، ستة أيام حتى حمل الناخودة متاعا كان له هناك ، ثم سرنا وقاسينا انواع الخطر في ذلك البحر ، فصبرنا والصبر عقباه الظفر .

اذا تضايق امر فانتظر فرجا فاضيق الامر أدناه الى الفرج

(فلما) كان غرة ربيع الأول ، دخلنا بندر كنج بعون من عليه المعول ، فرأيته بندراً يشرح الصدور ويزيد السرور ، ويفرح القلوب ، ويفرج الكروب

تأتى اليه النعم والفواكه من كل مكان ، من سائر الاشكال والالوان ، واهله كرام أخيار كفواشر الاغيار ، وسترهم الستار ، واجتمعت هناك بالعلامة جليل المعاني الشيخ محمد بن ماجد البحراني ، ونلت منه كل خير ، كفاه ربى كل ضير ، واقمنا في كنج اربعة ايام ، ثم سرنا الى بندر سورت بسلام ، فلم نزل ليلا ونهاراً نسير ونطلب من الله التيسير فى بحر الهند الكبير .

﴿ فائدة ـ ذكر بحر الهند ﴾

بحر الهند اعظم البحار غزرا ، وأوسعها قطرا ، وأكثرها جزائر وليس هو كالبحر الغربى فان انفصال البحر المحيط عن البحر الغربى ظاهر ، ويتشعب من هذا البحر الهندى خلجان اعظمها بحر فارس وبحر القلزم .

قال ابن الفقيه : ان بحر الهند مخالف لبحر فارس فانه عند نزول الشمس إلى برج الحوت يبدأ بالظلمة ويكثر فيه اضطراب الأمواج فلن يستطاع ركوبه من شدة ظلمته وصعوبة سلوكه فلا يزال على ذلك الى قريب الاستواء الخريفي وأشد ماتكون ظلمته وصعوبته عند نزول الشمس في برج الجوزاء ولم يزل على ذلك حتى تنزل الشمس الى برج الميزان فتقل ظلمته ويمكن سلوكه واحسن سلوكه عند نزول الشمس الى برج القوس .

(قال ابن اياس) : في (نشق الازهار) وكان في هذا البحر ما يزيد على عشرين ألف جزيرة كلها عامرة بالسكان .

(فمن جزائره) جزيرة كله وهى جزيرة عظيمة ذات أشجار وأنهار وبها معدن الرصاص والقصدير وبها شجر الكافور وهو شبيه بشجر الصفصاف إلا انه اكبر منه وربما تظل الشجر مائة رجل واكثر وبها منابت الخيزران .

(ومن جزائره) جزيرة القصر وهى جزيرة كان بها قصر أبيض من بلور له ضوء في الليل كالقمر فاذا ترآى لاهل المراكب تباشروا بالسلامة وهذا القصر

فى غاية العلو ولم يعلم بانيه من أي الملوك .

وحكى أن بعض الملوك دخل هـذا القصر فالقى الله عليه النوم والخدر فاستمر نائماً حتى مات فلما رأى أصحابه ذلك بادروا الى المراكب ورحلوا من هناك وهلك بعضهم .

(وحكى) عن ذى القرنين أنه دخل وادياً خلف هذه الجزيرة فرأى به أمماً رؤسهم كرؤس الكلاب وانيابهم طوال خارجة عن افواههم ولهم زفير كلهيب النار فلما رأي عسكر الاسكندر ذلك خرجوا من ذلك الوادى مسرعين .

(واما عجائب هذا البحر) فمنها سمكة تخرج من البحر وتسير الى البر فتصعد الاشجار فتمص فواكهها ثم تقع الى الارض كالمتخومة فيصيدها الناس ويأكلونها

(ومنها) سمكة كبيرة معروفـة عندهم يكتب الكتاب بدهنها في الورقة البيضاء مهما شاؤا فلا يظهر فيها الخط بالنهار اصلا فاذا جاء الليل يظهر فيها جميع ماكتب من الخط .

(ومنها) سمكة مدّورة يقال لها مارماهى على ظهرها شبه عمود محدد الرأس لاتقوم لهـا سمكة في البحر إلا ضربتها بذلك العمود فتقتلها ، وفيه عجائب كثيرة يطول شرحهـا .

(فلما) كان ظهر خامس وعشرين من ربيع الأول ، رسينا في البارة مرسى بندر سورت وستر الله علينا وجل .

وكان في المرسى مركب كبير للفرنج الانكليز فصدنا عن الدخول الى البندر وكان مانعا للمراكب لواقعة كانت بينه وبين حاكم البندر شيخ الاسلام خان الأعمى من جهة اخذ مركب عبد الرحمن اسحاق ولاحاجة الى بيان القصة ، وفي اليوم الثانى اتانا الفسح بدخول بندر التهانى .

(فلما) كان صبح سابع وعشرين ربيع الأول سنةالف ومائة وثلاث وثلاثين دخلنا في وقت مشكور ببندر سورت المعمور وهي اكبر بنادر الهند على شاطىء

النهر ، ماأحسن قول العلامة شيخي واستاذي السيد عبد الله بن جعفر الملقب بمدهر من آل باعلوى :

أيا ساعياً للهند يبغي به الثرى ... يجوب الفيافي نحوها الصبح والليلا
عدمت صواب الرأى فيما ترومه ... أتصبو الى هندو تجفو حمى ليلى

﴿ فائدة ـ ذكر الهند ﴾

الهند من اعمال الاقليم الثالث وهي بلاد واسعة كثيرة الخيرات كثيرة العجائب كثيرة الامم ومسافتها ثلاثة أشهر في الطول وشهران في العرض وبها عدة أنهار وجبال كثيرة وقلاع حصينة ويحمل منها البضائع الفاخرة الى سائر الاقاليم وغالب اهلها كفار مشركون على مذهب البراهمة والبهامنة وهم طوائف مختلفة فمنهم من يعبد الاصنام ومن يعبد الشمس ومن يعبد القمر ومن يعبد الماء ومن يعبد النار ومن يعبد الشجر ومن يعبد البقر ومن يعبد السيوف ومن يعبد بعضهم بعضا وألعن قوم رأيتهم في الهند من يصنع من الحجر ذكراً وفرجا ويزينونهما بالذهب والفضة وغير ذلك كل واحد على قدره ويضعون عليهما انواع الطيب والزهور ويعبدونهما على انهما ذكر آدم وفرج حوّاء فتعجبت من تلك العقول التي أضلها الشيطان ، وحمدت الله وشكرته على دين الاسلام والايمان .

وملك الهند متصل بملك الزنج وهي دار مملكة المهراج بين الهند والصين .

(وقيل) ان الهند والسند كانا أخوين من ولد يفن بن قطن بن حام بن نوح عليه السلام ، والسند هـذه مدينة عظيمة بين الهند وكرمان ، وكان بها بيت يسمى بيت الذهب وهو في الصحراء على أربع فراسخ منها وفي ذلك البيت ترصد الكواكب وأهل الهند يعظمون ذلك البيت جداً وبها نهر يقال له نهر مروان وعرضه كعرض الدجلة ومبدؤه من ظهر الجبل يخرج من هناك ويتصل بنهر جيحون ثم يصل الى ناحية ملطان على حدود سمندور ثم ان الخليفة المنصور الدوانيقي العباسي أجرى

هذا النهر الى عدّة بلاد وهـذا النهر يقالـ انه جزء من النيل واستدلوا على ذلك بظهور التماسيح فيه وهذه الارض لايقع عليها الثلج دون جوانبها .

(وبالهند) مداين كثيرة وكلها عامرة وخيراتها وافرة .

(فمنها) مدينة المتانكير وكانت اعظم مدائن الهند على بحر اللان وهو أول بحار الهند من جهة المغرب وهذه المملكة أقرب ممالك الهند الى بلاد الاسلام وهى التى كان السلطان محمود بن سبكتكين يكثر غزوها حتى فتح منها عدة بلاد كثيرة .

(ومنها) مدينة قندهار وهي على جبل عظيم صعب السلوك والارتقاء .

(ومنها) مدينة قمارى وهى من أعظم مدائن الهند على البحر الهندى واهلها يقولون بتحريم الزنا دون سائر أهل الهند واليها ينسب العود القمارى .

ومنها مدينة كابل وهى مدينة عظيمة حسنة البناء معتدلة الهواء كثيرة الزهور والثمار والمياه والاشجار وبها حصن منيع ويجلب منها الكابلى والعود الذكى الرائحه وبها معدن الحديد ويقع بنواحيها الثلج دون سائر بلاد الهند وغالب أهلها مسلمون وقليل منهم كفار ويجلب منها النوق البخاتى وكان قدما لايتم لملك من ملوك الهند بيعة إلا بها .

ومنها مدينة قاقلا وهى مدينة عظيمة حسنة على نهر صغير يصب في نهر كبير وبه جزيرة كبيرة واليها ينسب العود القاقلى وغير ذلك من أنواع الثياب والمعادن وبها مدائن كثيرة سوف يأتى ذكر البعض الذى رأيناه منها في هذا الزمان ، ان شاء الملك المنان .

فلما دخلت بندر سورت المشهور رأيته بندراً كل مافيه حسن ، الغريب فيه يسلو عن الاهل والوطن ، فيه القصور الرفيعه ، والبدور المشرقة المنيعه ، والبساتين الزاهره ، والاسواق العامره ، والمساجد المنيره ، والحمامات الشهيره ، وفيه قلعة عظيمة مكينه ، كانها مدينه ، وهي من عمل الاتراك وعلى البندر سوران قديم وحديث ، فالقديم بناه الاتراك في أوّل الزمان ، والحديث بنى أبراجه الأمير مبارز خان ،

وصرف عليه من خزانة السلطان ، ثم تمم بناء السور الأمير حيدر قلى خان .

واجتمعت هنالك بالامير ذى الاحسان ، فارس خان ، فغمرنى بالعطيه ، حماه ربى من كل بليه .

واجتمعت بابن أخت القلمدار مرزا فقيرا ، ونلت منه خيراً كثيرا ، كان الله له معينا ونصيرا .

واجتمعت بالعلامة من هو بالفضل حرى ، السيد علي الشاطرى .

واجتمعت بالقطب الشهير الولى الكبير ، من ذكره حياة النفوس ، مولانا السيد عبد الله بن الولى السيد علي العيدروس ، وبالسيد زين العيدروس وبالسيد عبدالقادر العيدروس ، والسيدمصطفى العيدروس ، والسيدمحمدالعيدروس ، والسيد صادق العيدروس والسيد أحمد العيدروس نفعنا الله باسرارهم .

واجتمعت بالرئيس التاجر ، حاوى المحامد والمفاخر ، من حديث إحسانه وكرمه غير منسى الشيخ ابراهيم بن خليل القدسى ، فغمرنى بالفضل ، ولا عجب فان يده جعفر وهو الفضل :

كريم إذا ماأمحل الغيث أمطرت أياديه جوداً منه تصفو المشارب

واجتمعت بالرئيس التاجر الكامل ، حسن الفعال والخصائل ، الجناب الكريم إبراهيم چلبي دورلى وحصل لي القبول ، بلغه الله المأمول :

هكذا هكذا وإلا فلالا إنما الجود والسخا للدورلى

واجتمعت بالتاجر الرئيس ، ذى الخلق الجميل النفيس ، الجناب الكريم أحمد جلبي نجل الحاج صالح الدرويش فحبانى بفضله ، حباه ربى بفضله :

كريم عظيم حاتمى مهذب يرى فعله الاحسان والخير مغنما

واجتمعت بالتاجر الرئيس المأنوس ، الحاج عبد الرحمن الجسوس ، وأزال عنى بجوده البؤس :

فلا زال في جاه منيع ورفعة مدى الدهر مامالت وماست ذوائب

واجتمعت بالرئيس التاجر الحاج حسن البدوى ، وعمنى بجوده لازال طالعه قوى :

جزاه الله ربى كل خير وأولاه علاء واقتدارا

واجتمعت بالتاجر ، نسل الاكابر ، عين الاعيان ، فريد الزمان ، الچلبى حسين حميدان ، ونلت من خيره مايكل عن وصفه اللسان ، جزاه الله عنى خيرالجزاء وانالله أوفر الثواب والغفران :

وهذا دعاء لايرد لأننا إذا مادعونا أمنته الملائك

واجتمعت بابن أخيه الجناب ذى الاحسان ، مصطفى حميدان ، وبالتاجرالذى يزيغ العقل من بخله ويطيش ، الحاج علي الدرويش ، وبالعالم العلامه ، الحبر الفهامه ولي الله السيد سعد الله ، وبالسيد الجليل ، النبيل الاصيل ، السيد علي مؤمن وبالامير جليل الشان صارم علي خان .

واجتمعت بالجي سلطان العجم ، ومنبع الجود والكرم ، ومعدن البر والالطاف مولانا السيد مرتضى نجل السيد علي الخفاف ، حماه الله من كل مايخاف .

(رجز) :

عرج الى الهند وساكنيها ياصاح واسمع ان تكن نبيها
فالسعد والاقبال في ناديها وكل ماتهوى بجده فيها
لم تلق فيها منظراً كريها فالله من شر العدا يحميها
قد نزهت عن العنا تنزيها من كل خير قسمها يأتيها
ما شاهدت عيني لها شبيها طوبى لمن كان مقيما فيها
ياصاح دعني وغرامي فيها فالقلب يهواها ويشتهيها

واجتمعت بحاكم بندر سورت شيخ الاسلام خان ، أخبث العميان ، وكان أعمى البصيرة والبصائر ، بخيلا أبخل من مادر ، هنديا جبانا أجبن من صافر :

لاتأمن الهندى على أمه ينكحها من قبل ان تفطمه

فالله يأخذه أخذاً وبيلا ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

﴿ فائدة ﴾

يقال ان أبا العيناء لقى جده الاكبر علياً عليه السلام فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى فكل من عمى منهم فهو صحيح النسب وأما اشراف العميان فهم النبي شعيب عليه السلام ويعقوب عليه السلام قبل ان يجيء اليه قميص يوسف ، وزهرة بن كلاب بن كعب بن مرة بن كعب بن عبد المطلب بن هاشم والعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله والحكم بن أبى العاص وأبو سفيان بن حرب والحارث بن العباس ابن عبد المطلب ومطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بن المغيرة وعتبة بن مسعود الهذلي وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة وأبو أحمد بن جحش بن مسعود الاسدى وجابر بن عبد الله الانصارى وحسان ابن ثابت الانصارى وعبد الله بن أرقم والبراء بن عازب وأبو أسيد الساعدى وقتادة بن دعامة ودريد بن الصمة العبشمى ومخرمة بن نوفل الزهرى والفاكه بن المغيرة المخزومي وخزيمة بن حازم النهشلى وأبو العباس الشاعر وعلي بن زيد بن جدعان والمغيرة بن مقسم الضبي والترمذى الحافظ الكبير والفقيه منصور الشاعر المصرى وابن سيده اللغوى وأبو العلا المعرى وبشار بن برد الشاعر وأبو البقاء العكبرى وأبو العيناء وهشام بن معاوية الضرير النحوى الكوفي صاحب الكسائى له عدة تصانيف والسهيلى صاحب الروض الانيق والشاطبي والصرصرى وأبو الحسن علي بن عبد الغنى الحصرى وأبو عبد الله بن خلصة المغربى النحوى وأبو عبد الله بن الخياط .

وزعم المنجمون ان المولود إذا ولد وأحد النيرين في الخسوف أو الكسوف فانه يولد أعمى والله أعلم .

وما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن الحاجب :

ان تغيبوا عن العيان فأنتم في قلوب حضوركم مستمر
مثل ماتثبت الحقائق في الذهن وفي خارج لها مستقـــر

وابن حزم لم يرض بهذا المعنى بل قال :

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى فقلبي عندكم أبداً مقيم
ولـكن للعيان لطيف معنى لذا ســـأل المعاينة الكليم

(قال) بعضهم أكثر أهل بلدة هيت عور فرأيت رجلا منهم صحيح العينين فقلت له ان هذا لعجيب فقال ياسيدى ان لي اخا أعمى قـــد أخذ نصيبي ونصيبه فضحكت منه .

﴿ ذكر أوصاف النساء ﴾

(قال) صلى الله عليه وسلم : خير النساء وأبركهن الحسناء الولود الودود الخفيفة المهـــر .

(وقال) صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن وهى الحسناء في منبت السوء

(وقال) عليه الصلاة والسلام توسلوا الى الله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .

(وقال) علي عليه السلام معاشر الناس لاتطيعوا النساء على حال ، ولاتأمنوهن على مال ، ولا تذروهن يدبرن العيال ، فانهن ان تركن وما أردن أوردن المهالك وعصير المالك ، إنا وجدناهن لاصبر لهن عند شهواتهن ، ولا ورع لهن عند حاجاتهن البذخ لهن ملازم وان كبرن ، والعجب لهن مداوم وان عجزن ، لايستكثرن الكثير ولا يقنعن باليسير ، ويمنعن القليل ، ولايشكرن الجليل ، ينسين الخير ، ويحفظن الشر يتهافتن بالبهتان ، ويتمادين بالطغيان ، ويتصدين للشيطان ، فداروهن على كل حال وأحسنوا لهن المال ، لعلهن يحسن الافعال .

(وقال) رسول الله ﷺ لزيد : تزوج فان التزوج بركة ولاتتزوج عشرة قال وما العشرة يارسول الله قال لاتتزوج هيفشة ، ولا عنفصة ، ولا مذبولة ، ولا شلقلقة ، ولا هندرة ، ولا شهبرة ، ولا نهنبرة ، ولا لهبرة ، ولا مدفنة ، ولا لفوتا .

(الشرح) الهيفشة القصيرة ، والعنفصة قصيرة الشعر ، والمذبولة النحيفة ، والشلقلقة الشريره ، والهندرة العقيمة ، والشهبرة العجوز ، والنهنبرة المتلفة ، واللهبرة السارقة ، والمدفنة قاتلة الولد ، واللفوت ذات الولد من الغير .

(وقال حكيم) إياك والحنانه والمنانه والحداقه والانانة وذات الدايات .

(بيان ذلك) الحنانة هى التى تحن الى ولدها من غيرك ، والمنانة التى تمن على زوجها بمالها ، والحداقة التى لاترى شيئاً إلا رمته بحدقتها فتقول اجعله لي ، والانانه التى تئن من غير وجع ، وذات الدايات التى عندها عجوز فتقول هى دايتى .

(وقيل لرجل) مات عدوّك فقال وددت لو قلتم انه تزوّج .

(وقال بعض الحكماء) النساء أربعة أقسام للرجال إمرأة كلها للرجل وامرأة نصفها للرجل ، وامرأة ثلثها للرجل وامرأة ماللرجل منها شيء بل عليه .

(فالأولى) هي التى دخل الرجل عليها وهى بكر لم تعرف غيره فألفت عليه بجملتها فكلها له .

(الثانية) هي الراجع التى مات زوجها ولها منه ولد فنصف قلبها مع ولدها وزوجها الأول .

(الثالثة) هي المطلقة ولها منه ولد فثلث قلبها مع الأول وولده .

(الرابعة) هي المطلقة من رجل تحبه ولم تحب الثانى فكل قلبها مع الأول وليس للثانى منها حظ قط ولا نصيب فاعلم ان خيارهن البكور .

(واعلم) ان من صفات النساء عشرة تشبه عشرة من الحيوانات ، كالخنزير ، كالقرد ، كالكلب ، كالحية ، كالعقرب ، كالبغلة ، كالفأرة ، كالطير ، كالثعلب ، كالغنمة

(تفسير ذلك) الخنزير هي التى لاتحسن إلا الاكل وكسر الآنية ولا تعتني

بطهارة ولاديانة ولاصلاة ولا صيام ولاحج ولاصدقة ولا معروف ولا إكرام لزوج ولا تفكر في ثواب ولا عقاب بل غافلة راقدة لاتحفظ ولداً ولا تحمد أحداً ولا تميل إلى رشد .

(والقرد) هي التى همتها في لبس الثياب الملونة من الاصفر ومن الاخضر والاحمر ولبس الجواهر والتحلى بالذهب والفضة وتفتخر على أترابها وتعظم نفسها عند زوجها وربما يكون حالها ينافي ذلك كله .

(والكلب) هي التى إذا كلمها زوجها وثبت فى وجهه كالكلب ومتى أبصرت كيس زوجها ملآناً من الذهب والفضة وبيتها بالخير والنعمة أكرمته وتقربت منه الى خاطره بالكذب عليه فتقول له أنا احبك وانالك الفداء ومتى كان الامر بضد ذلك مقتته ووثبت عليه بالسب وأهانت قدره .

(والحية) هي التى تدور في بيوت الجيران بالنميمة والغيبة والغمز وتلسم جاراتها بلسانها وتوقع العداوة بينهم وتصلى نار الفتنة بينهم .

(والعقرب) كالحية في فعلها .

(والبغلة) هي الحرونة إذا أمرت أو نهيت كالبغلة اذا أتت جسراً أو نهراً أو باباً وأمرت بالعبور عليه أو فيه حرنت وقمصت منفردة برأيها ومعجبة بنفسها.

(والفأرة) هي التى عادتها السرقة والاتلاف والضيعات تضيع مال زوجها في الاغراض الفاسدة وشأنها الخروج من بيتها بغير إذن زوجها وتبيع مايحضره من قمح وشعير على الجيران بنصف القيمة أو بالربع .

(والطير) هي التى لاتستقر في بيتها وتدور طول النهار ولاتستقر إلا فى الليل وتخاصم اذا أتت لزوجها وتقول أنت عاشق ماتستقر عندى وأنت تحب غيرى ولست معى مستقيما .

(والثعلب) هى التى تخرج زوجها من بيتها ومهما رأته أكلته ونامت وتمارضت عند الحاجة وتقول انا مريضة ولا اكلت ولاشربت فلا تصدقنى .

(والغنمة) هي الغنيمة من النساء الصالحة المباركة كلها خير كالغنمة ينفع صوفها ولبنها ولحمها وسمنها فكذلك المرأة المؤمنة الشفوقة القنوعة الراضية المحافظة على طاعة الله ورسوله وطاعة زوجها وحفظ دينها ونفسها وأولادها ومال زوجها المدبرة لأمر البيت وغيره .

(وينبغي) أن يكون الرجل صاحب حمية وغيرة على نفسه وعلى حريمه فان الحمية من الايمان والغيرة من النخوة .

(وينبغي) للمرأة أن يكون فيها الحياء وإذا دق عليها أجنبي الباب لاتلين له كلامها في جوابه بل تغلظ كلامها وتوحشه حتى يظنها الأجنبي انها عجوز فتنفر نفسه منهـــا .

(وينبغي) للمرأة أن لاتنظر الى اجنبي ولو كان اعمى فان نظر المرأة للاجنبي حرام كما ان نظره لها حرام .

(وينبغي) للمرأة ان تباشر مصلحة عيالها بنفسها ولو كانت عظيمة الشان .

(ولما روى) أن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تطحن بنفسها بالجاروشة حتى دميت انامها فشكت ذلك في بعض الايام الى علي عليه السلام فقال لها قولي لأبيك يبتاع لك خادمـة تعينك على أشغالك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى مفتقرة الى خادمة تعينني في اشغالي وتحمل بعض أثقالي فقال ألا اعلمك ماهو خير لك من ذلك ومن كل خادم وخادمة وأعز من السموات السبع والأرضين السبع فقالت بلى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين عقيب كل فريضة أربعاً وثلاثين تكبيرة وثلاثا وثلاثين تحميدة وثلاثاً وثلاثين تسبيحة .

(وينبغي) للمرأة ان تكون قنوعة صبورة كما تقدم ذكره .

(فقد روى) ان فاطمة سلام الله عليها لم يكن في بيتها إلا جلد كبش يفترشونه وعباءة يتغطون بها وهو كساء من صوف اذا غطوا رؤسهم به انكشفت أرجلهم

واذا غطوا ارجلهم انكشفت رؤسهم ولامتاع لهم في البيت غير مخدة من ليف .

(لاجرم) اذا كان يوم القيامة ينادى مناد يا أهل الموقف غضوا أبصاركم حتى تعبر سيدة النساء فاطمة الزهراء .

(وينبغي) المرأة أن تكون مالكة لهذه الصفات المذكورة قنوعة صبورة صينة حيية وفية تقية ، دينة رضية ، وقليل ماهم .

(وينبغي) للرجال أن يكونوا رحماء للنساء ولايظلموهن ولا يكلفوهن مالا طاقة لهن به فان المرأة اسيرة للرجل فيجب عليه مراعاتها ومداراتها والرفق بها فان النساء عقولهن ناقصة فلذلك جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل وحظ اثنتين بحظ واحد ودينها نصف دين .

(وينبغي) ان لايركن اليهن في تدبير العيال ولاصلاح المال ، فانهن يفسدن الحال ، ولاتتبع مشورتهن ويخالفن في التدبير يؤمن التدمير فان من اعتمد على تدبيرهن يخسر كما خسر صاحب الحكاية .

(وذلك) ان الملك خسرو أحد ملوك الفرس وقد قدمنا ذكره كان يحب السمك فأهدى اليه بعض الصيادين سمكة عظيمة فاستحسنها الملك وأمر للصياد باربعة آلاف درهم وكانت زوجته حاضرة وقد تقدم ذكرها واسمها شيرين يعني حلوة فلما انصرف الصياد قالت للملك لقد أسأت التدبير بالتبذير بدفعك للصياد أربعة آلاف درهم فاذا اعطيت غداً لبعض خواصك مثل ذلك يستحقره ويقول ماقدرى عند الملك إلا كقدر صياد جاء بسمكة فاعطاه وانعم عليه بمثل ماانعم علي فقال صدقت ولكن يقبح على الملك أن يرجع في هبته ، وقد فات الامر فقالت شيرين انا ادبرك فقال كيف ذلك قالت تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر ام انثى فان قال هي ذكر فقل انما أنا طلبت انثى وان قال انثى قل ماطلبت إلا ذكراً فتسترد المال منه ويمضي فامر الملك باحضاره وكان الصياد ذكياً فطناً فقال له الملك هذه السمكة ذكر ام انثى فقبل الصياد الارض وقال أبقى الله الملك هذه السمكة خنثى ليست بذكر ولا انثى

فضحك الملك من كلامه وامر له باربعة آلاف مثلها فقبض الصياد المال ووضعه في جراب كان معه وحمله على عاتقه وهم بالخروج فوقع منه درهم فوضع الجراب عن كتفه على الارض واخذ الدرهم والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين للملك ارأيت خسة هذاالرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فالقى الجراب عنه واخذالدرهم ولم يدعه يأخذه بعض غلمانك أو بعض الفقراء فيدعو للملك فقال صدقت فامر باعادته فعاد فقال له الملك ياساقط الهمة لست بانسان وضعت هذا المال عن عاتقك لأجل درهم واحد وأشفقت أن تتركه في مكانه ليأخذه بعض الغلمان فقبل الصياد الارض بين يديه وقال أطال الله بقاء الملك انى لم ارفع ذلك الدرهم لخسة عندي وانما رفعته عن الارض لأن صورة الملك منقوشة على وجهه فخشيت أن يأتى احد بغير علم فيضع قدمه عليه فيكون ذلك استخفافا بالملك وصورته واسمه واكون انا المأخوذ بهذا فعجب الملك منه واستحسن ماذكره وامر له باربعة آلاف درهم أخرى وامر الملك ان ينادى مناد في المدينة لايتدبر احد برأى النساء فمن تدبر برأيهن تدمر وبالجملة فكل ماينال الرجل من البلاء والهلاك والمحن فبسبب النساء كما قال الشاعر :

من فتنة النسوان قد يعصى الفتى الرحمن او يخشى من الشيطان
اللص لولا هن لم يك بائعا للروح منه بارخص الاثمان
وبهن فزع آدم مع حوّة في محكم التنزيل والقرآن
مجنون عامر هام من حب النسا في السندبان عجائب النسوان
كل الجفا منهن يأتى والوفا منهن لايأتى مدى الازمان

وقصة آدم وحوّاء ويوسف وزليخاء وقيس وليلى العامرية مشهورة ونساء الهند مشهورات بالسحر وكذلك نساء ظفار وعمان ، وما اصدق قول علي بن ابى طالب كرم الله وجهه :

دع ذكرهن فما لهن وفاء ريح الصبا وعهودهن سواء
يكسرن قلباً ثم لم يجبرنه وقلوبهن من الوفاء خلاء

وما أحسن قول الآخر :

كن حذوراً من ذات خبث ومكر واجتنب كيدها تكون عفيفا
لاتقس كيدها بكيد رجيم ان كيد الشيطان كان ضعيفا

ولله در الآخر حيث قال :

إذا رأيت أموراً منها القلوب تفتت
فتش عليها تجدها من النساء تأتت

(قيل) رأى الملك الظاهر بيبرس في النوم انه ولد له ثلاث بنات فعبر له بانه يفتح ثلاث قلاع ففتح بعد مدة يسيرة قلعة قيسارية وقلعة أرسوف وقلعة يافا .

(قال) علي بن الحسين عليهما السلام هلك من ليس له كريم يعضده .

(قيل) رفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد يحثه على أخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب الصاحب على ظهرها الخيمة قبيحة ، وان كانت صحيحة ، والميت رحمه الله واليتيم جبره الله ، والمال أعره الله ، والساعي في أكله لعنه الله .

(قال) وهب بن منبه رضى الله عنه قرأت في بعض كتب الانبياء أن الله تعالى أنطق لعيسى على نبينا وعليه السلام جمجمة فقالت يا روح الله عشت ألف سنة وافتضضت ألف بكر، وولد لي ألف ولد ، وهزمت ألف جيش ، وقتلت ألف جبار ثم صرت الى ماترى .

(وقال) وهب بن منبه رضى الله عنه قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا وكان عابداً مكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وتوفي أبو عبدالله وهب بن منبه الصنعاني سنة اربع عشرة ومائة بصنعاء وكان الغالب عليه القصص .

(قال) ذو القرنين السعيد من لايعرفنا ولا نعرفه لانا اذا عرفناه أطلنا يومه ، واطرنا نومه .

(قال) بعض الحكماء عليكم باخوان الصفاء ، وخلان الوفاء ، فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء .

رسائل اخوان الصفاء كثيرة ولكن اخوان الوفاء قليل

(قال) الشافعي رضى الله عنه من صدق في اخوة أحد قبل علله ، وسد خلله ، وغفر زلله .

(قال) الاستاذ أبو مدين رحمه الله تعالى اضر الاشياء صحبة عالم غافل ، وصوفي جاهل .

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ماالى هذا سبيل

تمسك ان ظفرت بود حر فان الحر في الدنيا قليل

(قال) بعض الحكماء وقد سئل عن الصديق فقال اسم لامعنى له :

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً لايوجدان فدع عن نفسك الطمعا

(حكى) ان المستنجد بالله يوسف بن المقتفي بامر الله محمد العباسي رأى في منامه كأن ملكا نزل عليه من السماء فكتب في كفه اربع خاآت فلما استيقظ طلب معبراً للرؤيا وقص عليه مارآه فقال له المعبر تلى الخلافة فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان الأمر كذلك .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

﴿ ترجمة الأديب الأريب اللوذعى اللبيب أحمد بن الحسين بن ﴾
(عبد الله الصباغ الصنعانى)

ترجمه صاحب نسمة السحر فقال في ترجمته : فاضل له في الأدب صبغه ، هى الى سموا القدر بلغه فهو المعاصر ، أوهو لسلاف الشعر العاصر ، كم عقيلة قاصرة الطرف له وغيره عنها قاصر مقاطيعه كمـــواصلة الأحباب ، ترتشف لتنوب عنه الرضاب ، وبلغنى حسن نغمته واهتزاز المعاطف عند رنته ، وهو مطبوع فصيح ، وشعره رائق مليح ، بل هو أشعر من في صنعاء في هذا الزمان ، يعرف هذا القاصى منهم والدان ويلقب بالرقيحى بضم الراء وفتح القاف واسكان المثناة التحتانية وبعدها حاء مهملة ثم ياء ساكنة .

(قال) صاحب نسمة السحر وسمعت من شعره عدة مقاطيع فمنها قوله :

ولما اعتنقنا سال دمعي بخده وأظهرت من سر الصبابة ماأخفى
وقال عذولي دع هواه فقد بدا سوادعلى خديه من موضع القطف
فقلت له مهلا فتلك مدامعي مسحت وآثار الصباغة في كفي

ماأحلى هذا الكلام الذى يبرىء السقام وقال :

أرشفني من لمى لسانه وقال من لطفه بحالي
قل لي مستشهداً بشعر فقلت هذا لسان حالي

ماأحلى هذه التورية العجيبة ، وقال في شخص يدعى الديك يحب شخصاً يعرف بالشقرى :

قل للفتى الديك من قد هام في رشأ يفوق ريم النقا في الدل والحور
ماأنت أول من قاسى الهوى وصبا ولا بأول ديك هام في الشقرى

هذا البيت كما قال الجاحظ مما لايقوى اللسان على التعبير عن حسنه وانما تعرفه القلوب فهو كالضرب الشهى من ذات المبسم البهى ، عند المغرم الشجى ، ولو انه لم ينظم إلا اياه كفاه لطفا ، وكشف له عن منتهى الظرف سجفا ، لان الشقرى عبارة عن فراخ الدجاج عند العامة وما كفاه حسن المعنى حتى أخرجه مخرج المثل السائر ، وجعل بابه الذى لاطاقة عليه بين الادباء دائر .

(وكتب) الى الشيخ الاديب شعبان بن سليم بسبب وسيم يعرف بالنجم :

اذا كنت ياشعبان ترضى بأننى أقيم على هون فلست بذى حلم
وانى لشمس يستضاء بنورها ولولاك لم أقنع بمنزلة النجم

(وما أحسن) قول شعبان المذكور الآتى ذكره ان شاء الله في النجم هذا وقد غشيه ليل العذار وهو هلال شوال .

لاح عذار النجم فى خده فاكثر العاذل فيه الملام
والنجم لاتشرق أنواره إلا اذا جن عليه الظلام

(وقال) أحمد الرقيحى المذكور فيمن يحب ابن البينى :

كم قد بذلت لوصل الحب حين سطت فيك اللواحظ منه خالص العين
وتشتكى البين منه قبل موقعه واليوم ياسيدى قد همت بالبين

ما ألطف هذه التورية وأنشدنى له أيضا في الخال :

ولما رأيت الخال من فوق ثغره مقيما على العذب الذى عز جانبه
تيقنت ان الخال حوليه حارس مخافة ان يسطو على الثغر شاربه

ما اعذب هذه التورية ويعجبني قول جمال الدين بن نباته في الخال :

لله خالـ على خـد الحبيب له في العاشقين كما شاء الهوى عبث
اورثته حبة القلب التى نحلت وكان عهدى بأن الخال لايرث

وقوله ايضاً واجاد :

عرج على حرم المحبوب منتصبا لقبلة الحسن واعذرنى على سهرى
وانظر الى الخال فوق الثغر تحت لمى تجد بلا لايراعى الصبح في السحر

وقال ابو إسحاق الصابىء في غلام اسود واسمه يمن :

قـد قال يمن وهو اسود للذى ببياضه يعلو علو الحائن
مافخر مثلك بالبياض وهل ترى ان قد افدت به جميع محاسنى
ولو ان منى فيـــه خالا زانه ولو انـ منه في خالا شانني

ما ابدع هذا الكلام .

(وقال) السيد الحسن بن احمد الجلال الحسينى الصنعانى :

وشادن يفتن اهل الهوى بخـــاله فابك على وارده
مذ لاح في الخد اخو امه عاينت تصحيف اخى والده

ما احلى جناس الاضمار هنا وقوله عاينت تصحيف اخي والده اى عاين الغم نعوذ بالله تعالى منه .

وقال الفيومى وأجاد :

ياذا الذي في خدّه حبة سوداءفي الخدالشديد الصفا
دعني اقبلها تزيل العنا فالحبة السوداء فيها الشفا

وقال القاضى شرف الدين الحسن بن علي بن جابر الهبل في الخال والعذار فأطرب وأظرف :

قد كتب الحسن فوق وجنته بالمسك سطرا دق معناه
فقلت للعشاق لما بـــدا صبراً على ماكتب الله

وأنشدنى أحمد بن الحسين الرقيحى له في قوّاد :

هذا الذى تختاره صاحبا يأتى بمن تهوى على مانريد
كأنه الناظـور في فعله يأتيك في الحال بقرب البعيد

ماأحسن قول مجير الدين بن قرناص في قواد أيضاً :

لي صاحب كملت جميع صفاته قد عمنى بغرائب الاحسان
لو لم يكن مثل النسيم لطافة مابات يعطف لي غصون البان

وقال وجيه الدين الدورى :

لاتبعثوا بسوى المهذب جعفر فالشيخ فى كل الامور مهذب
طوراً يغنى بالرباب وتارة تأتى على يده الرباب وزينب

الرباب الاولى آلة معروفة يعنى بها ، والثانية مليحة من العرب وزينب مثلها

وقال أبو الحسين الجزار :

ليت شعرى ماذا يقول اذا ما رمت شتمى قل لي بأى طريق
علم الله مامضيت رسولا قط من عند ابنتى لعشيق
لاولا جئت بالرجال الى بيتى وكاسرت عنهم في السوق

(رجع الى كلام الرقيحى) ومن شعره في عبد له يسمى سرور :

قلت أهلا ومرحبا بسرور حين وافي ونلت منه حبورا

وسباني بنظرة من رناه فتلقيت نظـــرة وسرورا

ما أرق هذا الكلام وله شعر كثير وموشحات مشهورة ، وفيما أوردناه كفاية والله ولي الهدايه .

﴿ ذكر ماشتهر من المجانين ونكتهم ﴾

(قيل) أول من اشتهر من المجانين الظرفاء جعيفران وهو القائل في نفسه :

ماجعفـر لأبيه ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير وكلهم يدعيـــه
هـذا يقول بنبي وذا يخاصم فيـه
والام تضحك منهم لعلمها من أبيه

وقيل انه وقف يوما على علي بن اسماعيل الهـاشمي فقال له أعطني درهما فطرده الغلمان فقال :

قد زعم الناس ولم يكذبوا أنك من غير بني هاشم

فقال لغلمانه ردوه واعطوه درهمين فأخذها وانصرف وهو يقول :

قـد كذب الله أحاديثهم ياهاشمي الاصل من آدم

(وحكى) الجاحظ قال كان جعيفران يمشي مع رجل فدفعه ذلك الرجل على كلب فقال له جعيفران ماهذا الفعل قال أحببت ان أقرنك به فقال له جعيفران كفى بك من قرين وبئس القرين .

(قيل) تشاجر رجلان في نسب رجل فقال احدهما هو من بني طفوان وقال الآخر هو من بني راسب فقال لهما جعيفران شداه من يديه ورجليه وألقياه في الدجلة فان طفا فهو من بني طفوان وان رسب فهو من بني راسب .

وأخبر عبد الله بن عثمان من غـرائبه قال كان جعيفران يأتينا في كثير من الاوقات فجاءنا في بعض الايام وهو عريان والصبيان يصيحون به وهم بين يديه ومن

خلفه فمعنا عنه وأدخلناه الدار فلما سكن روعه واستراح أنشأ يقول :

رأيت الناس يدعونى بمجنون على حالى
ومابى اليوم من جن ولا وسواس بالبال
ولكن قولهم هـــذا لإفلاسى واقلالى
ولو أصبحت ذا مال كثير ناعم البال
لكنت اليوم ذا عقل وشدت المنزل العالى
وما ذاك على حق وذاك لهيبة المال

فقلت له أيحضرك شعر آخر من هذا المعنى حتى نعلم انك من فحول الشعراء فقال:

رأيت الناس يدعونى بمجنون على عمـد
وما بى اليوم من جن ولا حل ولا عقـد
ولـكن قولهم هـذا لنا من قلة الوجـد
ولو كنت كقارون ووالى كتبه الجنـد
رأونى راجح العقل أفوق الغصن بالقـد
وما ذاك على حق ولـكن هيبة النقـد

فقلت له ان جئت بثالث على هذا المعنى أتيت لك بالطعام والشراب فأطرق ساعة وأنشأ يقول :

رأيت الناس يدعونى بوسواس والمـــام
وما كنت أخا جهل قديماً قبل تهيامى
ولـكني أرى ذاك لاقلال واعـــدام
ولو كنت أخا ملك واسراج والجام
اذن أكرمنى الناس ولم أرمى باتهامى

ثم قال هات ما شرطت فاحضرت له طعاما فاكل واستراح وقال :

رأيت الناس يرمونى على حالي بوسواس

ومن يضبط ياهـذا مقال الناس للنـاس
فـدع ما قاله النـاس وعجل صفوة الكاس
فان الناس يفتون بامثال واجناس
فلو كنت أخا ملك اتونى بين جلاسى
وعـزونى وحيونى على العينين والراس

قال فاتيته بشراب فشرب حتى طرب ثم نهض ليبول فقـال بعض من حضر مانصنع بهذا المجنون العريان والله إنا لانأمنه وهو صاح فكيف اذا سكر فقال فما رأيناه إلا وقد دخل علينا وهو مغضب وأنشأ يقول :

ونـدامى أكلونى مـذ تغيبت قليلا
كيف لااحزن اذلا حدت في الناس خليلا
ان يكن قدساء كم قولي فخلوا الى السبيلا
وأعـوا يومكم سركم الله طويلا

فاعتذرنا اليه فلم يقبل ثم خرج عنا مهزما فخرجنا خلفه فلم ندركه .

وقال بعض كتاب الكوفة دخل علينا جعيفران وقال انا جائع فاى شيء عندك فقلت له سلق بخردل فقال اشترلي بطيخاً فقلت حباً وكرامة فارسلت الجارية لتشترى البطيخ وقدمت اليه السلق والخردل فاكل حتى شبع وكانت قد أبطأت عليه الجارية فخرج واقبل الىّ مغضباً وهو يقول :

سلقتنا وخردلت ثم ولت وهرولت
وأراها بواحـد وافر الاير قد خلت

قال : فخرجت فرأيت الجارية في الدهليز نائمة مع سائس البغلة كما وصف .

﴿ ذكر البهلول ﴾

(ومن) مشاهير مجانين الكوفة البهلول ، صاحب الذهن السليم والعقل المفلول.

(قيل) انه ولدت لاسحاق بن محمد بن الصباح ابنة فساءه ذلك وامتنع من الاكل والشرب فدخل عليه البهلول يوما ولقيه على تلك الحالة فقال له ياأمير ماهذا الجزع لخلقة سوية وهبها لك الملك العلي . أيسرك أن يكون لك مكانها ولد مثلي قال فضحك الامير ودعا بالطعام والشراب وأمر الناس بالدخول عليه .

(وقيل) مر البهلول بقوم وهم تحت شجرة عالية مستظلين بها فقال بعضهم تعالوا بنا نسخر من البهلول فقال أحدهم يابهلول أتصعد هذه الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة قال نعم فأعطوه الدراهم فصرها في كمه ثم قال لهم آتوني بسلم فقالوا له لم يكن السلم في شرطنا فقال كان في شرطي دون شرطكم وأخذ الدراهم ومضى .

(وقيل) حمل عليه الاولاد يوما فألجؤه الى دار مفتوحة فدخل فوجد فيها قوما بين أيديهم مائدة وعليها من أنواع الأطعمة النفيسة فرجع الى الباب وغلقها ثم دخل وهو يقرأ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب

(وقيل) حمل عليه الأولاد يوما فألجؤه الى دار بعض الهاشميين فرأى رجلا ضخماً ذا وقار وهيبة وله ذؤابتان فقال ياذا القرنين ان ياجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا ، فخرج الرجل وغلق الباب وطرد عنه الصبيان .

(وقيل) حمل عليه الأولاد يوما فالجؤه في مضيق فكر عليهم بقصبة كانت معه وهو يقول :

اذا تضايق امر فانتظر فرجا فاضيق الضيق ادناه الى الفرج

(وقيل) انه سمع مجنوناً يقول ياأيها الناس انى رسول الله اليكم فلطمه البهلول على وجهه وقال له : لاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه .

(وقيل) جاءه بعض الناس وقال له ان الامير امر ان يعطى لكل مجنون درهمان فقال له البهلول اذهب سريعاً وخذ نصيبك قبل ان يفوتك .

(وقيل) رجمه الصبيان يوما بالاحجار حتى أدموا جسده فقال .

حسبي الله توكلت عليه من نواصى الخلق طراً في يديه
ليس للهارب من مهربه ابدا من راجيه إلا اليه
رب رام لي باحجار الاذى لم أجد بداً من العطف عليه

فقال له رجل تعطف عليهم وهم يرمونك بالحجارة فقال اسكت لعل الله يطلع على همي وغمي وفرح هؤلاء فيهبنا لبعضنا .

(وكان) اذا نظر الصبيان ولم يكن معهم آباؤهم قرص هذا ولطم هذا وعض هذا فقيل له في ذلك فقال ليس في هؤلاء من يخرج الا وهو اشد من ابيه فاذا كبروا ضربوني البتة فانا اضر بهم الساعة قبل ان ياخذوا قصاصهم مني .

(وقيل) مات أبوه وخلف له ستمائة درهم فاخذها القاضى وابقاها عنده الى ان يتضح له جنونه من عقله فجاءه بعد مدة وقال أصلح الله مولانا القاضى قد حجرت علي لما علمت اني مصاب في عقلي وانا جائع ولم أر من يتفضل علي بشيء فادفع لي مائتي درهم حتى اقعد مع اهل التجارة وابيع وأشترى فان رأيت مني رشداً فادفع إلي الباقي وان اتلفتها فالذي بقي أكثر من الذي تلف فاعطاه القاضى ماطلب فاخذها ولزم الحيرة حتى أتلفها ثم رآه القاضى بعد أيام فقال له يابهلول مافعلت بالدراهم قال أتلفتها وليلزم مولانا القاضى اعزه الله تعالى ان يزن لي مثلها من ماله ويضعها في الكيس حتى يرجع المال الى مكانه فقال له القاضى أتجحد ماأخذته مني قال كلا ولكني متى أقمت عندك بينة بأني عاقل حتى تسلمني المال فقال له القاضى صدقت وعزم ان يسلم ماذهب من المال من ماله .

وقيل انه كان يأوي الى دكان طباخ بالكوفة وكانت معه عصالا تفارقه وكان الصبيان يرصدونه الى وقته الذي يأتي فيه الى دكان الطباخ فيجتمعون عليه ويعبثون به فاذا بلغ اذاهم الى الغاية يقول للطباخ الآن قد حمي الوطيس وطاب اللقاء وأنا على بصيرة من أمري فماذا ترى فيقول له الطباخ أنت وشأنك فيثب عليهم وهو يترنم ويقول

اذاهم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ثم يشد مئزره ويقول :

قوم اذا قاتلوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت باطهار

ثم يتناول العصا ويكر عليهم وهو يترنم ويقول :

أكر على الكتيبة لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها

وكان اذا رمق الصبيان بعينه وقع بعضهم على بعض فتنكشف عورة أحدهم فيعرض عنه بوجهه ويقول عورة المؤمن حماه ولولا ذلك لهلك عمرو بن العاص بسيف علي عليه السلام يوم صفين ثم يعود الى دكان الطباخ ويلقي عصاه ويتمثل ويقول :

وألفت عصاها واستقربها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر

(وسئل البهلول) ان المجنون الى كم يؤل جنونه ؟ فقال : على عدد الصبيان وأما قصيدته المشهورة بالفياشيه ، فهي ظاهرة غير خفيه ، وها أنا اثبتها لتعلم أنه من أكابر السادة الصوفيه ، وهي :

أنا مالي فياش ايش عليا منى

أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

أنا عبد رب له قدرة يهون بها كل أمر عسير

فان كنت عبداً ضعيف القوى فربي على كل شيء قدير

« دور »

منى ايش عليا وأنا عبد مملوك

والاشيا مقضيا مافي التحقيق شكوك

ربي ينظر ليا فانا نظرى متروك

في الارحام وفي الحاش من نطفة صورني

أنا مالي فياش ايش عليا منى

اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

يقول لما شاء كن فيكون ويبدىء سبحانه ويعيد
ويفعل في حكمه ماشا ويحكم في خلقه مايريد

« دور »

في ظلمات الارحام صوّرني من نطفه
وبدأني بالانعـــام نعمه من كل صنفه
وخلق لي ما وطعام ومعايش مختلفه
وظهرت بغير قماش غطـاني وسترني
أنـا مالي فياش ايش عليا مني
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

ولا زال بي لطفه دائماً فسبحانه من حكيم كريم
ولا لي حول ولا قوة سوى بالاله العلي العظيم

« دور »

ماجئت إلا عريان ماأعرف ذا من ذا
ستر الله المنان وخلق للروح غذا
لبناً يجري بامان بشرابه نتغذا
وبسط لي الارض فراش وسما سقفا مبني
أنا مالي فياش ايش عليا مني
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

فسبحان من عمنا فضله علينا له الحمد والشكر فرض
يجود علينا بانعامه ويرزقنا من سماء وأرض

« دور »

الارض بساط الله وأنا فى أرض الله
والخلق عباد الله وأنا من خلق الله
والارزاق على الله ناكل من رزق الله
مانتخير من ذاش ونصيبي يلحقـــنى
أنا مالي فيـــاش ايش عليـــا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

تحققت بالفكر في هل أتى وقلت لقلبي كفاك الجليل
يدبر أمري ولا علم لي هوالله حسبي ونعم الوكيل

« دور »

ياقلبي ثق بالله فهو المعطى المانع
وارضى بقضاء الله انك لله راجع
هـذا في علم الله الخـيره في الواقـع
تدبيرك مايسواش عن تدبيرك دعنى
أنا مالي فياش ايش عليا مني
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

بتدبير مولاك كن راضيا ولا تنزعج أبداً من حرج
جرت عادة الله فى خلقه اذا ضاق أمر أتى بالفرج

« دور »

يا قلـبي لاتهتم واصرف هم الباطن
فالمقـدور محتـم سوف ترى وتعاين

سلم تسلم واعلم ان المقضى كائن
من سلم أمره عاش في الدنيا متهني
أنا مالى فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

وكم ليلة بت في كربة يكاد الرضيع لها ان يشيب
فما أصبح الصبح حتى أتى من الله نصر وفتح قريب

« دور »

آيات ألم نشرح أتلو تشرح بالى
وبقول الله أفرح وتحق البشرى لى
ياقلبي امسى واصبح عن ذى الدنيا سالى
وارضى بالشى وبلاش واستقنع تستغنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

اذا كنت بالعيش مستقنعا بما قد كفى لم تروع بدين
ولم يأتك المقتضى داعياً الى الحكم والقصد بالشاهدين

« دور »

نخذ الرفق دليلك واترك عنك التدبير
واستقنع بقليلك ياتيك الله بكثير
وتزود لرحيلك وبسير زمانك سير
كم عارض بعد رشاش ينهل من المزن
أنا مالي فياش ايش عليا مني

أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

بميسورك اقنع فكم عارض قوي أتى بعد ضعف الرشاش
واصبر لها ساعة تنقضي وحال يحول ودنيا ولاش

« دور »

ماالدنيا غير مزاح وأنت عليها مكبي
في لهو مسا وصباح عقلك منها مسبي
روّح روحك وارتاح من تعبك ياقلبي
ذا التعب الكل علاش واقل الشيء يغني
أنا مالي فياش ايش عليـــا مني
أقلق من رزق لاش والخالق يـــرزقني

« بيت »

رضيت بما قسم الله لي وفوّضت أمري جميعاً اليه
له الخلق والامر وهو الذي عليه اتكالي ورزقي عليه

« دور »

قالوا وقتك قد ضاق والنفقـه ماتكسب
قلت الخلاق رزاق من ذا ينفق يحسب
قالوا امشي في الاسواق وتحيل وتسبب
قلت فراخ الاعشاش رازقهم يرزقني
أنا مالي فياش ايش عليا مني
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

غنى النفس في ترك ماتشتهي ومن شؤمها شوقها للفضول

ومن لم يخالف هوى نفسه فيا ويله من حساب يطول

« دور »

قالوا لى بعض الناس ماتعقل يا بهلول
واترك عنك الوسواس واعرف ماأنت تقول
وابن الخيط على ساس ان رباطك محلول
قلت لهم بعد غواش أنصفتم لكنى
انا . مالى فياش ايش عليا منى
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

على رازق الطيرفي وكره توكلت وهو الولى الحميد
يدبر أمرى فيما قضى وليس يكون سوى مايريد

« دور »

قالوا فكرك عمر لمسائل تتوالى
قلت الخالق يبصر سبحانه وتعالى
قالوا رأيك دبر قلت لهم لا لا لا
الله خيب هشاش حتى لايطعمني
أنا مالى فياش ايش عليا مني
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

بميسور ربى أرى كل خير على خاطرى كل صعب يهون
ومادامت الناس تحت الثرى ومن أنا في الناس أومن اكون

« دور »

في الدنيا ايش أكون اذا همت بوجدى

الدنيا دون الدون ايش قيمتها عندى
ايش تقولوا مجنون وحجارتى في يدى
ايش لكم عندى آش خلونى في جـــنى
أنا مالى فيـــاش ايش عليا منى
اقلق من رزق لاش والخـالق يـرزقنى

« بيت »

وما ضرنى القول من قائل ولا كل قول له يلتفت
ومن قال خيراً يجازى به ويرحم من قاله أوصمت

« دور »

قالوا لي يامجنون لاتدخـل للجامـع
إلا بهـدأ وسكون وعلى هيئـة خاشع
قلت لهم ايش اكون حتى ما أتواضـع
يحظى منى الدرباش بالطينـه جانسى
أنا مالي فيـاش ايش عليـا منى
أقلق من رزق لاش والخـالق يـرزقنى

« بيت »

كأنى بنفسى كان لم تكن وقدلاح شيبي وحيني اقترب
وجنسى تراب ولكنني أعود ترابا رهين الترب

« دور »

التربة هى من جنسى كانت أصل الخلقه
واليها في رمسى اعضائى ملتحقـه
فيها امسى منسى وعظامى ممتحقـه
فضلة دود واحناش تربه فيهـا يرجع بدنى

أنا مالى فياش ايش عليا منى
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

من الارض كان ابتدا خلقنا وفيها نعود ومنها الخروج
وقد قيل من يتضع يرتفع ولا يرتجى للمعالى خروج

« دور »

أين تقولون اجلس أجلس ماعندى باس
باسم غير معبس بتراب الارض أداس
والدر بالة نلبس والشملة والدفاس
نهوى القدسى والشاش والديباج اليمنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

اذا كان قلبي سليما فلا أبالى بحالى ولا كيف كان
اذا كنت لم تستقم باطنا فممن يجوز لك الطيلسان

« دور »

أوصيك بتقوى الله في سرك والاعلان
وأعلمك أن الله حاضر في كل مكان
واذا ينفعك الله ليس يضرك انسان
صفيها من اغشاش ان كنت تطاوعنى
أنا مالي فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

توجه سريعاً الى وجهه ولا ترفع الرأس إلا اليه
ولا تأت بابا سوى بابه فما خاب من يتوكل عليه

« دور »

قالوا لي دور اخدم قلت الخدمه شرفى
ان لم أخدم اندم وغليلي ماأشفى
بحزامى أتحزم وأشمر عن كتفى
أخدم حتى الحماش ان كان يخدمنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
اقلق من رزقى لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

أشدّ حزاما على محزمى واخدم حتى اذوق الحمام
ولا حاجتى لابن امي ولا الى غيره من جميع الانام

« دور »

قالوا اطلب تتزوج قلت الحاجه تقبح
قالوا ما تتزوج قلت لهم مايصلح
قالوا ذا شيء اروج قلت الله لى يصلح
قالوا ماعندك باش قلت الله زوجنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
اقلق من رزقى لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

بفقرى تعايرنى زوجتى وتقهرنى باللسان الطليق
وتدعو الضرورة من اجلها لبعض الفعال التى لاتليق

« دور »

بالله ياعـذالى خلونى على حالى
ماينعـم لى بالى بجـديـد ولا بالى
ما اغنى بسؤالى التسليم اولى لى
من عتبي في آش دع بالله اتركنى
أنـا مالى فيـاش ايش عليـا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

دع الناس في حالهم واشتغل بنفسك عنهم وقل ياسلام
واياك والخوض مع خائض ومالیس يغنى كثير الكلام

« دور »

الخائض مع من خاض في هلـكاته دواس
والنمام القـراض لاتحمله الانفاس
متعرض كالمقـراض في أكل لحوم الناس
مثل الـكلب النهاش بالمقـراض يقرضنى
أنا مالى فيـاش ايش عليـا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

ولا تستمع غيبة يافتى ففيهـا وعيد شديد أتى
وغيبة من أنت تغتابه كآكك من لحمه ميتا

« دور »

يامن يزعم انه كيس عاقل أوصيك
اسلامك من حسنه تركك مالا يعنيك

والدين اسأل عنه حتى يتقوى فيك
وان ظلموك الاوباش قل لهم عن اذنى
أنا مالي فيـــاش ايش عليا منى
أقلق من رزقى لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

وكافي المسيء بخير ولا تكن مثله واصطبر للكرب
وعماتك النخل كن مثلها لرامي الحجارة ترمى الرطب

« دور »

عفوك عمن ظلمك بعض مكارم أخلاق
ومواصلتك رحمك مما ترضى الخلاق
وعطاك لمن حرمك نوروهدى مع اشراق
الدنيا الكل ولاش ياأخى زول عنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
أقلق من رزقى لاش والخالق يرزقني

« بيت »

وكم أقبلت بعد ما أدبرت وكم أدبرت بعدما أقبلت
وبعد المراتع ضاقت على غنى خزائنه قد ملت

« دور »

رب اجعلني مؤمن موصوف بالايمان
كلا منهم أحسن معروف بالاحسان
مني الحارس يامن في الدار وفي الدكان
ولا خوانى هشاش واصل من يقطعنى
أنا مالي فياش ايش عليا مني

اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

الهي سألتك بالمصطفى أقل عثرتى يامقيل العثار
ويوم القيامة لاتخزنى ولا تحرق الجسم مني بنار

« دور »

أحمد ربى وعلى خير الخلق نصلى
وعلى الآل الكملا والصحب بهم أصلى
شوق لحمى ليلى غربني عن اهلى
في المسعى قلبي طاش والقدرة زمتنى
أنا مالي فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

اذا لاح برق وهب الصبا تذكرت أيام تلك الليال
ليال السرور وأيامها من العمر صارت كطيف الخيال

« دور »

قلبي كله في الشرق وانا في الغرب غريب
واذا مالاح البرق ابقى في حال عجيب
حتى تعجب لي الخلق ممن يحضر ويغيب
والطير بلا ارياش في وكره يشبهنى
أنا مالى فياش ايش عليا منى
أقلق من رزق لاش والخالق يرزقنى

« بيت »

فيا ربنا كن لنا كلنا انلنا الرضى بالقضا والقدر

وغث والدينا وهب رحمة لمن غاب عنا ومن قد حضر

« دور »

وسلام الله اجمع يحكى المسك الفاخر
وعلى السادة اجمع اولهم والآخر
والفضل لمن يسمع من باد او حاضر
واستر جملة اغشاش والأخرى سامحنى
انا مالى فياش ايش عليا منى
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

« بيت »

اذا ما تأملت في ذا النظام يحاكي الرياض البهيج النزيه
نفذ مشية بين دوحاته وقل لو ترى العيب لاعيب فيه

« دور »

واذا تتأمل في ذا النظم وذا الاوزان
بستان تجد ألفى زهر معانيه الوان
عمله يحيي الشرفى مبدأ سيدى عثمان
سنة الخير البشاش وارباح تربحنى
أنا مالى فياش ايش عليا مني
اقلق من رزق لاش والخالق يرزقني

(وقيل) انه وصف يوما للمأمون عليان المجنون فامر باحضاره فلما مثل بين يديه ازدراه وأمر أن يجلس في مجلس العامة ثم قال له ما اسمك فقال اسمى عليان فضحك منه فقال له عليان ياأمير المؤمنين قال الله تعالى في كتابه العزيز (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون) فهابه المأمون ورفع منزلته .

ورآه بعض الناس يوما وهو يأكل في السوق فقال له كيف تأكل في السوق

قال نعم من جاع في السوق يأكل في السوق ومن جاع في البيت يأكل في البيت .

(وقيل) سأله رجل وهو لايعرفه أغريب أنت فقال له اما عن العقل فنعم وأما عن الوطن فلا .

(وقيل) ان بعض المجانين بال على باب مسجد فاجتمع الناس ليضربوه فقال لهم بالله عليكم لو رأيتم حماراً بال على باب المسجد ماذا كنتم تصنعون هل تضربونه أم لا فقالوا باجمعهم لا قال فاحسبوني مثله فضحكوا منه وانصرفوا عنه .

(وقيل) مر بعض المجانين برجل فاخذ منه عشرة دراهم واشترى بها تمراً وجلس يأكله ويبلع النوى فسألوه عن ذلك ولأى شيء ماترمي النوى فقال هكذا وزن لي البايع .

(وحكى المبرد) قال دخلت دار المجانين في بغداد فوقفت بجهة مجنون فاطلعت له لساني فحوّل وجهه عني فاتيت اليه من الناحية الاخرى فحوّل وجهه عني فلما أضجرته رفع طرفه الى السماء وقال يارب انظر لمن قيدوه ولمن خلوه .

(فلما) كان صبح غرة المعظم شعبان ، سنة ألف ومائة وثلاث وثلاثين من هجرة النبي سيد ولد عدنان ، توكلنا على الملك الديان ، ورحلنا الى بلدة عالي مهان ، صحبة السيد السند ، الصدر المعتمد ، شيخي في علوم الشريعة والطريقة ، ودليلي الى الوصول لعلم المعرفة والحقيقة ، من هو لنهج السلوك ساع وداعي ، مولانا السيد يوسف بن السيد عبد الرحيم الرفاعي :

فادرأ بها في نحور البيد جافلة معارضات مثاني اللجم بالجدل

(افهم هذه الفائدة) مثاني جمع مثنى من قولك جاء القوم مثنى مثنى اى اثنين اثنين ومثنى لاينصرف لما فيه من العدل والصفة لانه عدل به عن اثنين اثنين فالعدل فيه تحقيق قال الله تعالى أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع وقال تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة

(قال الصفدى) فى شرح لامية العجم في شرح هذا البيت وقد تمسك بعض

الملاحدة بهذه الآية فجوّز للرجل ان يتزوج بتسعة وقال ان اثنين وثلاثة واربعة جملتها تسعة ولأن النبي ﷺ مات عن تسع نسوة وهذا كلام من لم يطعم ثمرة العربية لانك اذا قلت جاء القوم مثنى وثلاث ورباع معناه جاؤا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثةواربعة اربعة بنصب ذلكعلى الحال والحال هي التي تبين هيئة الفاعل أوالمفعول فانت تريد تبين كيف كان مجيئهم فانهم لم يجيئوا جماعة ولا فرادى فالله سبحانه وتعالى أبان ماأباحه من النكاح فقال انكحوهن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة اربعةفلا يفهم من هذا الكلام الجمع بين المجموع .

(وأما النبي) صلى الله عليه وسلم فان ذلك من خواصه التي انفرد بها عن أمته ولم يشركوه فيها قال الصفدي وذكر لي بعض الافاضل ان الشيخ نجم الدين بن الرفعة ذكر له سبعين خاصيةوهذا تتبع كثير واطلاع مفرط وغالب خواصه صلى الله عليه وسلم في النكاح وأمر الزوجات ولهذا ان الفقهاء اذا ذكروها سردوها في كتاب النكاح .

(واختلف) أهل العربية هل هذاالعدل من الواحد الى العشرة اوهو مانطق به القرآن فقط الصحيح انه الى رباع حسب وقيل الى سداس وقيل الى عشار وأنشدوا في ذلك ماتضمن العدد الى عشار أورده الحريري في درة الغواص وغيره وهل يقال موحد ومثلث ومربع الى العشرة ضعيف الى الغاية .

وقال الحريري في هذا الكتاب : بعد ما أورد قول ابي الطيب المتنبي :

احاد ام سداس في أحاد لييلتنا المنوطة بالتناد

غلط ابو الطيب هنا في عدةمواضع من هذاالبيتالاول انه قال الحادوسداس ولم يسمع في الفصيح الا مثنى وثلاث ورباع والخلاف في خماسوما بعده الى عشار الثاني انه صغر ليلة على لييلة وانما تصغر على لييلية الثالث انه صغرها والتصغير دليل القلة فكانها قصيرة ثم قال المنوطة بالتناد ولا يكون شيء أطول منها حينئذ فناقض آخر كلامه أوله .

(قلت) ليس في هذا تناقض لان التصغير في كلام العرب على أربعة انواع الأول تصغير التحقير كفليس ورجيل الثانى تصغير التقريب كفويق وبعيد وقبيل ودوين الثالث تصغير التحبيب كقولك ماأميلحه وما احيسنه مااحسن قول شرف الدين عمر بن الفارض دو بيت :

عوذت حبيبى برب الطور من آفة مايجرى من المقدور
ماقلت حبيبى من التحقير بل يعذب اسم الشخص بالتصغير

الرابع تصغير التعظيم كقوله اناجذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقال الشاعر :

وكل اناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الانامل

فالمتنبي صغر الليلة هنا للتعظيم لانه استطالها حتى جعلها منوطة بالتناد ، قال النور الأسمردى مضمنا :

نديمى لاتهزأ بمشمولة وان بدا لك منها بهجة وشمائل
وراقك منها رقة فى قوامها ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل
فلا تغترر منها بلين فانها دويهية تصفر منها الانامل

(وقال) بدر الدين حسن بن علي الغزى مضمنا في الخمرة :

وصفراء حول المزج يصبغ ضوؤها اكف الندامى وهوفي الحال ناصل
وتهفو بألباب الرجال لانها دويهة تصفر منها الانامل

قررنا في طريقنا على قرية يقال لها اكليسر وهي قرية لطفية يأتى منها الكاغد الهندى الرفيع ثم اتينا على بروج وهي بلدة عظيمة على نهر كبير وبها قلعة شاهقة الى عنان السماء ويجلب منها البفتة البروجى المشهورة بها وبطيخ عجيب احلى من وصل الحبيب فاقمنا بها ثلاثة ايام ثم رحلنا فاتينا على بلدة برودة وهي بلدة عامرة انيسه ، كل احوالها نفيسه ، ويجلب منها البفتة البرودى فاقمنا بها ثلاثة ايام واجتمعت فيها بالرئيس ذى المظهر الحاج جعفرصهر الامير المبيد للاقران ، رستم على خان ، فحصل منه الاسعاد ، بلغه الله المراد ، ثم انا رحلنا فاتينا على قرية يقال لها دبوهى وكانت

في قديم الزمان ، مجمعا للاوثان ، وكل سورها مبني بالحجر الاسود ، اصغر أحجاره طول ذراعين بل ازيد ، وللقرية هذه ثلاثة أبواب منقوشة احجارها بالصور العجيبة والهياكل الغريبة ، التي يعجز عنها الوصف ويجلب من هذه القرية القماش الدندكي وبها غدير عظيم دوره نحو ميل ، بل ازيد من ميل ، وكله مرصف بالاحجار المنحوتة ومحفه الاشجار بما دار ، وهناك مزار لبعض النساء الصالحات ، العابدات الفالحات يقال لها مامادو كرى .

ومن العجائب أن على قبرها عموداً صغيراً من الحجر وبه نقب يسع رأس الانسان فاذا أتى صاحب اليمين الكاذبة وحلف وادخل رأسه في ذلك النقب اختنق ولا يخرج أبـدا حتى يتوب ويؤدى ماحلف لاجله وصاحب اليمين الصادقة يدخل رأسه ويخرجه بلا مشقة وقد جرب ذلك بحضوري مراراً لانى توليت امر الحسبة في تلك القرية مدة في ايام المحفوف بالرضوان ، مهر علي خان رحمه الله تعالى ولهـا كرامات ظاهرة ، نفعنا الله ببركة عباده الصالحين في الدنيا والآخرة ، فاقمنا في دبومى يوما ، ورحلنا فلم نزل نسير في اراضي الكفار ولم نر فيهـا من يعبد الملك الغفار .

فلما كان خامس عشر شعبان ، دخلنا بلدة عالي مهان وهي بين جبال شاهقه ، وأشجار عظيمة بالافلاك لاحقه ، وبها من الطواويس شيء بلا عدٍ ولا حساب ، بين الدروب والابواب ، وبها قرود في غاية الكبر ، يتقى الانسان من شرهم ويحذر

﴿ فائدة ـ ذكر القرود ونكتهم ﴾

قال الدميرى في حياة الحيوان :

(القرد) كنيته أبو خالد وأبو حبيب وأبو خلف وأبو ربه وابو قتيبة وجمعه قرود وقد يجمع على قردة والانثى قردة وجمعها قرد مثل قربة وقرب وهو حيوان قبيح مليح ذكي سريع الفهم يتعلم الصنعة .

(أهدي) ملك النوبة الى المتوكل العباسي قرداً خياطاً وآخر صائغاً وأهل

اليمن يعلمون القردة القيام بحوائجهم حتى أن القصاب والبقال يعلم القرد حفظ الدكان حتى يعود صاحبه ويعلمه السرقة فيسرق .

(ونقل) الشيخان عن القاضي الحسين أنه لو علم قرده النزول الى الدار واخراج المتاع فنقب وأرسل القرد وأخرج المتاع ينبغي ان لا يقطع فان للحيوان اختيارا .

(ونقل) البغوي في باب حد الزنا أن المرأة لو مكنت من نفسها قرداً فوطئها فعليها ما على واطىء البهيمة فتعزر على الاصح وتحد في قول وتقتل في قول .

وقال ابن عباس وعكرمة في قوله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه أي اتقنه وقالا ليست خلقة القرد حسنة ولكنها متقنة محكمة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم .

والفردة تلد في البطن الواحد العشرة والاثني عشر والذكر ذو غيرة على الاناث شديدة وهذا الحيوان يشبه الانسان في غالب حالاته فانه يضحك ويطرب ويقعى ويحكي ويتناول الشيء بيده وله أصابع مفصلة الى أنامل واظفار ويقبل التلقين والتعليم ويأنس بالناس ويمشي على اربع مشيته المعتادة ويمشي على رجلين حينا يسيرا ولشفر عينيه الاسفل اهداب وليس لشيء من الحيوان ذلك سواه والانسان واذا سقط في الماء غرق كالآدمي الذي لا يحسن السباحة ويأخذ نفسه بالزواج والغيرة على الاناث وهما خصلتان من مفاخر الانسان واذا زاد به الشبق استمنى بكفه وتحمل الانثى أولادها كما تحمل المرأة .

ومن سر هذا الحيوان أن الطائفة اذا أرادت النوم ينام الواحد جنب الآخر حتى يكونوا سطراً واحداً واذا تمكن النوم منها نهض أولها من الطرف الايسر فاذا قعد صاح فنهض من كان يليه وفعل كفعله حتى يكون هكذا في الليل كله فيبيت في أرض ويصبح في اخرى وفيه من قبول التأديب والتعليم مالا يخفى .

ولقد درب قرد ليزيد على ركوب الحمار فسابق به مع الخيل وفيه يقول

يزيد لما سبق بأتان ركبها فارساً :

فمن مبلغ الفرد الذى سبقت به جواد أمير المؤمنين أتان
تعلق أبا قش بها ان ركبتها فليس عليهاان هلكت ضمان

وروى ابن عدى في كامله عن أحمد بن طاهر بن حرملة بن أخى حرملة بن يحيى أنه قال رأيت بالرملة قرداً يصوغ فاذا اراد ان ينفخ أشار الى رجل حتى ينفخ له .

وفيه فى ترجمة يوسف بن محمد بن المنكدر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى القرد خر ساجداً وهو في المستدرك قبيل كتاب الجمعة ذكره شاهدا

وفيه في ترجمة صمام بن اسماعيل أنه روى عن ابى قنبل ان معاوية صعد المنبر يوم الجمعة فقال في خطبته : ايها الناس المال مالنا والفيء فيئنا من شئنا اعطيناه ومن شئنا منعناه فلم يجبه أحد ، فلما كان يوم الجمعة الثانية قال كذلك فلم يجبه احد فلما كانت الجمعة الثالثة قال كذلك فقام اليه رجل فقال كلا يامعاوية ألا ان المال مالنا والفيء فيئنا من حال بيننا وبينه حاكمناه الى الله تعالى بسيوفنا فنزل معاوية وارسل الى الرجل فادخل اليه فقال القوم هلك ثم فتح الابواب فدخل الناس عليه فوجدوا الرجل معه على السرير فقال معاوية ان هذا احيانى احياه الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون امة من بعدى يقولون فلا يرد عليهم يتقاحمون فى النار كما تتقاحم القردة وانى تكلمت اول جمعة فلم يرد على احد فخشيت ان اكون منهم ثم تكلمت الجمعة الثانية فلم يرد علي احد فقلت في نفسي انى من القوم ثم تكلمت الجمعة الثالثة فقام هذا فرد على فاحيانى فرجوت ان يخرجنى الله منهم ثم اعطاه واجازه ورواه ابن سبيع في شفاء الصدور كذلك ورواه الطبرانى في معجمه الكبير والاوسط والحافظ ابو يعلى ورجاله ثقات .

وفي عجائب المخلوقات من تصبح بوجه قرد عشرة ايام اتاه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه واحبته النساء حباً شديداً واعجبن به .

﴿ فائدة ﴾

روى أحمد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ان رجلا حمل معه خمراً في سفينة يبيعها ومعه قرد فكان الرجل اذا باع الخمر شابه بالماء ثم باعه قال فاخذ القرد الكيس فصعد به فوق الدقل قال فجعل يطرح ديناراً في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمه ورواه البيهقي عن أبي هريرة ايضا بمعناه .

(ولفظه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتشوبوا اللبن بالماء فان رجلا ممن قبلكم كان يبيع اللبن فيشوبه بالماء فاشترى قرداً وركب البحر حتى اذا لج فيه ألهم الله تعالى القرد صرة الدنانير وأخذها وصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فاخذ ديناراً فرمى به في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمها نصفين فألقى ثمن الماء في المـــاء .

(قال) ومر أبو هريرة بانسان يحمل لبناً قد خلطه بالماء فقال له ابو هريرة كيف بك يوم القيامة اذا قيل لك خلص الماء من اللبن .

﴿ فائدة اخرى ﴾

روى الحاكم في المستدرك عن الاصم عن الربيع عن الشافعي عن يحيى بن سليم عن ابن جريج عن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس وهو يقرأ في المصحف قبل ان يذهب بصره وهو يبكي فقلت له مايبكيك جعلني الله فداك قال تعرف أيلة قلت وما أيلة قال قرية كان بها ناس من اليهود حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت فكان الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا بيضا سمانا كأمثال المخاض فاذا كان غير يوم السبت لايجدونها ولا يدركونها الا بمشقة ومؤنة ثم ان رجلا منهم أخذ حوتا يوم السبت فربطه الى وتد في الساحل وتركه في الماء حتى اذا كان الغد أخذه فأكله وفعل ذلك أهل بيت منهم فاكلوا وشووا فوجدوا جيرانهم ريح الشواء ففعلوا كفعلهم وكثر ذلك فيهم فافترقوا فرقا فرقة نهت وفرقة اكلت وفرقة قالت لم تعظون قوما

الله مهلكهم فقالت الفرقة التي نهت انا نحذركم غضب الله وعقابه ان يصيبكم الله بخسف او قذف او بعض ماعنده من العذاب والله مانسا كنكم في مكان انتم فيه وخرجوا من السور ثم غدوا عليهم من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم احد فتسوّر منهم انسان فقال قردة والله لها اذناب تتعاوى ثم نزل وفتح الباب ودخل عليهم فعرفت القردة انسابها ولم تعرف الانس انسابها من القردة قال فيأتي القرد الى نسيبه وقريبه فيحتك به ويلتصق به فيقول الانسي انت فلان فيشير برأسه ان نعم ويبكي وتأتي القردة الى نسيبها وقريبها الانسي فيقول لها انت فلانة فتشير برأسها أن نعم وتبكي .

(قال) ابن عباس فاسمع الله تعالى يقول (فأنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) فما أدري مافعلت الفرقةالثالثة فكم رأينا من منكر ولم ننه عنه ، قال عكرمة فقلت فماذا ترى جعلني الله فداك انهم قد أنكروا وكرهوا حين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديداً فاعجبه قولي ذلك وامر لي ببردين غليظين فكسانيهما ثم قال هذا صحيح الاسناد .

(وفي المستدرك ايضا) عن مسلم الزنجي عن العلاء عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت بني الحكم بن العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة فما رؤى النبي صلى الله عليه وسلم بعدها مستجمعاً ضاحكا حتى مات ثم قال صحيح على شرط مسلم .

وروى الطبراني في معجمه الاوسط من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان تاتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قرداً لانه لايؤمن بالقدر .

﴿ فائدة اخرى ﴾

اختلف العلماء في الممسوخ هل يعقب اولا على قولين احدهما نعم وهو قول الزجاج والقاضي ابي بكر بن العربي المالكي وقال الجمهور لايكون ذلك .

قال ابن عباس لايعيش ممسوخ قط اكثر من ثلاثة ايام ولايأكل ولا يشرب واحتج الأولون بقوله صلى الله عليه وسلم فقدت امةمن بنى اسرائيل لاأدرى مافعلت ولا اراها الا الفأرة ألا ترونها اذا وضع لها ألبان الابل لم تشربها واذا وضع لها ألبان غيرها شربتها أخرجه مسلم عن ابى هريرة وبحديث الضب روى مسلم عن ابى سعيد وجابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى اليه بضب فأبى ان ياكله وقال لاادرى لعله من القرون التى مسخت .

قال ابو بكر بن العربى المالكى وفي البخارى عن عمرو بن ميمون انه قال رأيت في الجاهلية قردة قد زنت فاجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم ثبت في بعض نسخ من البخارى وسقط في بعضها والجواب عن ذلك ان الحميدى في الجمع بين الصحيحين قال: حكى أبومسعود الدمشقي ان لعمرو بن ميمون الأزدى في الصحيحين حكاية من رواية حصين عنه قال رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم كذا حكى ابن مسعود ولم يذكر في أى موضع أخرجه البخارى فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها مذكوراً في كتاب أيام الجاهلية وليس في رواية الفريرى أصلا شيء من هذا الخبر في القردة ولعلها من المعجمات في كتاب البخارى والذى قاله البخارى في التاريخ الكبير قال قال لي نعيم بن حماد أخبرنا هشيم عن أبى المليح وحصين عن عمرو بن ميمون قال رأيت في الجاهلية قرده اجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم وليس فيه قد زنت فان صحت هذه الرواية فانما اخرجها البخارى دليلا على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية ولم يبال بظنه الذى ظنـــه .

(وذكر) ابو عمر بن عبد البر في الاستيعاب عمرو بن ميمون ، وقال انه معدود من التابعين من الكوفيين قال وهو الذى رأى الرجم فى الجاهلية بين القردة ان صح ذلك لان رواته مجهولون .

وقد ذكر البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأزدي مختصراً قال رأيت في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها فذكره ثم قال والقصة بطولها تدور على عبد الملك عن عيسى بن مسلم بن حطان وليسا ممن يحتج بهما وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر اضافة الزنا الى غير مكلف واقامة الحدود على البهائم ولو صح لكانوا من الجن لان العبادات والتكليف في الجن والانس دون غيرهما انتهى .

وعمرو بن ميمون المذكور خرج له أهل الكتب الستة وحج ستين حجة وتوفي سنة خمس وسبعين وكان من الذين اذا رأوا ذكر الله .

(وأما حديث) الضب والفأرة فكان ذلك قبل ان يوحى اليه ان الله لم يجعل لممسوخ نسلا فلما أوحى اليه زال عنه ذلك التخوف وعلم ان الضب والفأرة ليسا مما مسخ فعند ذلك اخبرنا بقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن القردة والخنازير أهي مما مسخ قال ان الله تعالى لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك وهذا نص صريح رواه عبد الله بن مسعود أخرجه مسلم في كتاب القدر وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته وعلى مائدته ولم ينكره فدل ذلك على صحة ماقلناه .

(وعن مجاهد) في تفسير آية المسخ في بني إسرائيل انما مسخت قلوبهم فقط وردت افهامهم كافهام القردة وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين .

(الحكم) أكل القرد حرام عندنا وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد والحسن وابن حبيب من المالكية وقال مالك وجمهور اصحابه ليس بحرام .

(وأما بيعه) فيجوز لانه يقبل التعليم فيمسك الشمعة ويحفظ الأمتعة .

وقال ابن عبد البر في أوائل التمهيد لااعلم بين علماء المسلمين خلافا ان القرد لايؤكل ولايجوز بيعه لانه مما لامنفعة فيه وماعلمت أحداً رخص في أكله والكلب والفيل وذو الناب عندي كله مثله والحجة فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قول غيره وما يحتاج للقرد ومثله ان نهى عنه لانه ينهى عن نفسه يزجر الطباع

والنفوس لنا عنه ولم يبلغنا عن العرب ولاعن غيرهم أكله .

(وروى) الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحم القرد .

(الامثال) منها قولهم :

واسجد لقرد السوء في زمانه ودارِه مادمت في سلطانه

(وقالوا) ازنى من قرد واحكى من قرد لانه يحكى الانسان في أفعاله سوى المنطق ، قال ابو الطيب المتنبي :

يرومون شأوى في الكلام وانما ٠ يحاكي الفتى فيما خلاالمنطق القرد

(وقالوا) أقبح من قرد واولع من قرد لانه اذا رأى الانسان تولع بفعل شيء أخذ يفعل مثله ٠

(الخواص) اذا علق سنه على الانسان لم يغلبه النوم ولا الفزع بالليل وأكل لحمه ينفع عن الجذام وجلده اذا علق على شجرة دفع عنها ضرر البرد واذا اتخذ من جلده غربال وغربل به الزريعة وزرعت سلمت من آفات الجراد واذا سقى انسان من دم قرد وهو حار خرس من وقته واذا رأى القرد طعاما مسموما خاف وصاح واذا جعل شعره تحت رأس نائم رأى في منامه أهوالا مفزعة انتهى كلام الدميرى رحمه الله تعالى ٠

وبهذه القرية قلعة شاهقة الى السماء لاحقة وسلطانها يسمى ودى سنك وهو كافر بالظاهر ومسلم بالباطن لان أقاربه واهله كلهم كفرة لئام عبدة الاصنام ، فلهذا اخفى اسلامه عنهم حذراً منهم ٠

ولقد اجتمعت به في خلوة وقرأعليّ سورة يس والرحمن ، واخذمني الاجازة في دعاء السيفي وبعض اسماء الرحمن ، وكان قد طلب مني الاقامة عنده فلم اقبل ، وذلك لأمر غريب ، وخبر عجيب ، سمعته عنه من الناس انه كان يعتقد عقيدة تامة في فقير يسمى شاه غريب ، وكان عالماً زاهداً صالحاً فمكث عنده مدة من الزمان وعلمه القرآن ، ثم طلب منه ان يأذن له في المسير الى الاوطان فما أذن إلا بعد علاج

شديد وذلك لاعتقاده فيه ثم انه بعدان سار الفقيرارسل خلفه رجالا فقتلوه ، واليه حملوه ، فدفنه عنده وجعل عليه ضريحاً عظيما وله زيارة عظيمة ينفق فيها أموالا جسيمة للقناديل والطباخ والصدقات على المساكين وذوى البيوت وهذا من قوة اعتقاده فيه فلذا لم أرض بالاقامة هناك خيفة من القتل والهلاك فاقمنا هناك خمسة أيام ، بعزوا كرام ، وغمرنى بالعطايا الجسام ، ثم رحلنافاتينا على قرية تسمى كركون وهى أول حدود نظربار وهذه البلدة طيبة انيسة ، مليحة نفيسة ، وبها شجر التامول بغير حساب وربما اكله الدواب ، يباع بالبيسة الفورقة من الابيض الرقيق الكبار وربما يباع بعض الاحيان ازيد من هذا المقدار .

﴿ فائدة ﴾

قال في القاموس التامول التانبول وهو ضرب من اليقطين الهندى طعم ورقه كالقرنفل يمضغون ورقه بقليل من كلس .

(قلت) ويضعون مع الكلس قليلا من الفوفل ايضا وهو مشهى مطرب مبهى مقوى للثة والمعدة والكبد وهو خمر الهند يمازج العقل قليلا وهو ينبت كالوبيا ويرتقى في الشجر وعامة العرب تسميه التنبل والهنود يسمونه بانا فاقمنا هناك يوما ورحلنا فاتينا على بلدة عظيمة تسمى الجبور وهى على نهر عظيم وبهذه البلدة قبة عظيمة ومدفون بها رجل يقال له بيتى بجوت اى ناكح ابنته وله مزار عظيم .

(قيل) ان ابنته هذه كانت بديعة الجمال ، والقد والاعتدال ، فمضى ابوها الى القاضى وكان من اجهل الجهال ، فقال له اصلح الله القاضى انى غرست شجرة تفاح بدارى واجتهدت على تربيتها ليلي ونهاري الى ان كبرت وانتشت واثمرت فاتت لي بتفاحة واحدة فاردت اكلها فمنعتنى زوجتى فهل يجوز لي اكلها ام لا؟ فقال له قاضى المغفلين كلها ولا تخف انك من الآمنين فذهب ذلك اللعين الى داره ، ونكح ابنته ولم يخف ان يحرقه الله بناره فسمى بهذا الاسم واهل هذه البلدة يعتقدون

فيه اعتقاداً يجل عن البيان ويزعمون انه من اهل الكشف والبرهان فانظر الى هذه الامة الكافرة الجاحدة وعقيدتها الباطلة الفاسدة وحاكم هذه البلدة عوض خان صهر الوزير نظام الملك وهو بالبخل معروف ومذكور وفي الطمع في جمع الدنيا أطمع من اشعب المشهور ٠

﴿ لطيفة ـ ذكر بعض الطماعين ﴾

قيل لاشعب الطماع مابلغ من طمعك قال ما كنت في جنازة فرأيت اثنين يتساران الا قلت هما يتحدثان في شيء أوصى به الميت لي .

(قلت) وأخذ هذا المعنى ابو نواس فقال :

تركتني الوشاة نصب المشيرين وأحدوثة بكل مكان
ماأرى خاليين في الناس الا قلت مايخلوان الا لشاني

وقيل لاشعب مابلغ من طمعك فقال ماقلت هذا الكلام إلا وقد خبأت لي شيأ تريد ان تعطيني اياه .

وقيل له يوما مابلغ من طمعك قال مارأيت عروساً بالمدينة تزف الا كنست بيتي ورششته طمعاً في أن تزف الي ٠

(ووقف اشعب) على رجل يعمل طبق خيزران فقال له اشعب وسمه قليلا فقال الخيزراني وماتريد بذلك كانك تريد ان تشتريه قال لا ولكن يشتريه بعض الاشراف فيهدى لي فيه شيأ ٠

وقيل له يوما هل رأيت اطمع منك قال نعم كلب أم حومل تبعني فرسخاً وانا أمص كندر ٠

وقيل له ايضاً هل رأيت اطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لي فنزلنا ببعض الديور فتخاصمنا فقلت لرفيقي ابر هذا الراهب الذى في الدير في حرأم الكاذب فلم نشعر إلا وقد طلع الراهب وهو مقوّم احليله ويقول أيكما الكاذب .

(ويقال) ان اشعب مر يوما على صبيان يلعبون فجعلوا يعبثون به وزادوا في أذاه فقال لهم ويحكم ان سالم بن عبد الله يفرق تمراً من صدقة عمر قال فمر الصبيان يركضون الى دار سالم وركض أشعب معهم ايضاً وقال مايدريني لعله يكون حقا .

(ويقال) ان بعض الطماعين اجتاز بدار فسمع صاحبها يقول لزوجته ياقحبة ان لم أحمل اليك الف رجل فما أنا برجل فجلس على الباب الى ان ضجر ثم قام وضرب الباب فاطلع عليه صاحب الدار فقال له ماتريد قال تحمل على هذه القحبة والا تمضى فى حالنـــا .

(قيل) أتى بعض الفقراء الى دكان خياط في يوم شديد البرد ولم يكن عنده غير قميص واحد فنزعه ودفعه الى الخياط ليخيط فتقا كان فيه ووقف وهو في أشد تعب من البرد ينتظر فراغه فلما فرغ الخياط من الثوب طواه ووضعه تحته وأطال في ذلك فقال له أجير كان عنده ماتدفع الثوب الى صاحبه فقال اسكت عساه ينساه ويروح .

(قلت) هذا اطمع من أشعب .

(قيل) ان بعضهم تمنى فى منزله فقال ليت لنا لحما فنطبخ مرقا فما لبث أن جاءه ابن جاره بصحفة وقال اغرفوا لنا فيها قليلا من المرق فقال ان جيراننا يشمون رائحة الأماني .

(فلما) بدا هلال شهر رمضان ، الذى أنزل فيه القرآن ، دخلنا بعون الملك الصبور ، بلدة برهانبور ونزلنا بدار الامير المكرم الرئيس ، المقدام اذا تقابل الخميس بالخميس ، مولانا السيد احمد الدمشقي كنوال البلاد يعنى محتسبها الملقب بزين الدين خان ، لازال ركنا لكل انسان ، فاكرمنا غاية الاكرام ، وحبانا بجزيل الانعام ، وأقمنا بداره خير مقام ، عشرة أيام .

واجتمعت بابناء أخيه السيد نور الدين والسيد حسين والسيد جعفر والسيد

علي وحصل لي منهم القبول وبلوغ المأمول .

وأما پرهانبور هذه فهى بلدة مكينة أنيسة حسينة أمينة حصينة ، ما احلاها من مدينة بها القصور المشيدة والبدور المشرقة السعيدة ، والاسواق العامرة ، والبساتين الزاهرة ، والحمامات النظيفه ، والمساجد الشريفه ، وسورها رفيع البنا ، ينال الغريب فيها كل المنى ، ويحفها نهر كبير ، وبها العنب الفخرى ومن رخصه ربما يعلف به الحمير ، ثم توكلنا على من عرض على السموات والارض والجبال الأمانه .

ورحلنا الى أرض كوندوانه ، فمرّرنا على قرية يقال لها آسير كر بفتح الالف ومدها وفتح السين المهملة وسكون الياء التحتانية وفح الكاف العجمية وسكون الراء وبها جبل شاهق ، بالافلاك لاحق ، وعليه قلعة فريدة الوجود ليس مثلها على وجه الارض بموجود وعليها ثلاثة أسوار اثنان مبنيان بالاحجار الكبار والثالث منقور من الصخر الاصم قطعة واحدة ودوره نحو ميل وطوله نحو ثلاث قامات بقامة الرجل الطويل .

قيل لي انه من عمل الجان ، للنبي سليمان ، وبهذه القرية عنب لايحصيه إلا الرحمن في غاية الرقة والحلاوة ونهاية الرخص فاقمنا هناك يوما ورحلنا فاتينا على بلدة تسمى مكرانى وبهاقلعة رفيعة السماك لاحقة بالافلاك ، وسلطانها من عبدة الاصنام يسمى مهان سنك فأضافنا عنده واكرمنا فاقمنا هناك يوما ورحلنا .

(فلما) كان غرة ذى القعدة دخلنا بلاد كوندوانه ، اعز الله سلطانها وأعانه وتسمى هذه البلدة ديوكر چانده يعنى قلعة العفاريت فنزلنا بدار سلطانها النجيب الكريم ، الشجاع الشهيم ، الراجه بخت بلند أيده الله وقوى ساعده والزند فاكرمنا غاية الاكرام ، وانزلنا في خير مقام .

واجتمعت هناك بالسيد الكريم صاحب الفضل العميم والخلق العظيم ، والخلق الوسيم ، الرئيس الاجل الكهف الاطل ، شيخى واستاذى ، ومعمدتى وملاذى ، دليلي الى الله في طريقة الرفاعية ، وكذلك القادرية ، مولانا الذى لم أزل لإحسانه

شاكراً ولجنابه بالدوام داعى ، السيد بدر بن السيد غالب الموسوى الرفاعى فاخذنى من السلطان وأنزلنى بداره دار الفرح والسعد والأمان لان هذا السلطان ، كان قديما من عبدة الاوثان وهذا السيد بدرهو الذى أنقذه من ورطة الشيطان وهداه الى عبادة الملك القديم السلطان ، فهو شيخهم وهاديهم على كل حال وله عليهم في كل سنة جملة من الاموال وله هناك قرى وبلدان ومحاصيل عظيمة فاقمت عندهم في نعيم مقيم وجاه عظيم ، وعز وافر وتمكين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ فائدة ـ ذكر العلوم النقلية وحقائق ذات الادراك ﴾

العلوم النقلية تشتمل على ثلاث مقالات :

(الاولى) في الشرعيات وفيها خمسة فنون : علم الكلام ، علم التفسير ، علم الحديث ، علم أصول الفقه ، علم الفقه .

(الثانية) في العربيات وفيها خمسة فنون : علم اللغة ، علم التصريف ، علم الاشتقاق ، علم النحو ، علم الخط .

(الثالثة) في الادبيات وفيها خمسة فنون : علم المعانى ، علم البيان ، علم البديع ، علم العروض ، علم القافية .

(والعلوم العقلية) تشتمل أيضا على ثلاث مقالات :

(الاولى) في النظريات وفيها خمسة فنون : علم المنطق ، علم آداب البحث ، العلم الأعلى ، العلم الرياضى ، العلم الطبيعى .

(الثانية) في العمليات وفيها خمسة فنون : علم الاخلاق ، علم تدبير المنزل ، علم الموسيقى وهو يونانى معناه تأليف الالحان ، علم السياسة ، علم الطب .

(الثالثة) في الفرعيات وفيها خمسة فنون : علم التشريح ، علم الحساب ، علم الغبار ، علم الهندسة ، علم الهيئة انتهى تفصيله .

(وجه انحصار العلوم) اما أن يستند الى النقل أولا الأول مافي الأول والثانى مافي الثانى.

(والنقل) ان كان عن الشارع فشرعى وهو مافي المقالة الاولى أو عن العرب فعربى وهو مافي الثانية أو عن متتبعى كلامهم فادبىّ وهو مافي الثالثة .

(والشرعى) ان بحث فيه عن المعلومات من حيث تعلقها بذات الله تعالى وصفاته فعلم الكلام أو عن كلامه من حيث الامر والنهى فالتفسير أو عن كلام النبى ﷺ من صحة الاسناد وعدمه فالحديث أو عن أدلة الفقه الاجمالية وما يتعلق بها فالاصول أو عن افعال المكلف صحة وفساداً فالفقه ٠

(والعربى) ان بحث فيه عن الكلمات من حيث الجوهر والمادة فاللغة أو عن بنية الكلم فالتصريف أو الاصالة وعدمها فالاشتقاق أو الاعراب والبناء فالنحو أو عن كيفية الكتابة فالخط ٠

(والادبى) ان بحث فيه عن الكلمات من حيث مطابقتها الحال وعدمها فالمعانى أو ايراد المعنى بطرق مختلفة فالبيان أو عن وجوه التحسين بعدها فالبديع أو عن أوزان المنظوم فالعروض أو عن أواخر الابيات فالقافية ٠

(والعقلى) ان بحث فيه عن الموجودات التى لادخل لقدرتنا فيها فنظرى وهو مافى المقالة الاولى أو عما لها دخل فيه فعملى وهو في الثانية أو عما يتفرع على ذلك ففرعى وهو في الثالثة .

(والنظرى) اما مقصود بالذات أو وسيلة ٠

(والوسيلة) ان بحث فيها عما يعصم مراعاته الذهن عن الخطأ فالمنطق أو عن كيفية تقرير الادلة ورفع الشبهة فآداب البحث ٠

(والمقصود) ان بحث فيه عن أحوال الموجودات لامن حيث المادة فالالهى أومن حيث المادة لكن لامن حيث المخالطة فالرياضى أومن حيث المخالطة فالطبيعى

(والعملى) ان بحث فيه عن اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل أولا ٠

(الأول) ان تعلق بشخص فعلم الاخلاق أو باشخاص فعلم تدبير المنزل أو بالرئيس والمرؤس فعلم السياسة ٠

(والثانى) ان بحث فيه عن كيفية تأليف الالحان فالمويسقي أو عن بدن الانسان صحة ومرضا فالطب .

(والفرعى) ان بحث فيه عن أعضاء الانسان فالتشريح أو عن استخراج المجهولات العددية فالحساب .

(ثم) ان لم يكن بتخليط فالمفتوح وإلا فالغبار أوعن خواص المقادير فالهندسة أوعن الاجرام البسيطة فالهيئة وقد علم بذلك حد كل واحد منها .

﴿ فائدة ﴾

حقائق ذات الادراك ثلاثة : الأول سرعليم ومعانى تفصيلية يقال لها العقول الالهية وشأنها تحقيق مراتب الوجود وبيان احاطتها .

(الثانى) أمر حكيم ومعانى تفصيلية تسمى عقولا نظرية ومعيشيه وشأنها تقدير مراتب الامكان بما هى نظرية وبيان أحكام الحال والمعاد من صلاح وفساد بما هي معيشية .

(الثالث) قهر بهيم ومعانى تفصيلية تسمى قوى طبيعية وشأنها تحليل وتركيب في كون وفساد فالنفوس المدركة زجاجة بالتجسيم في مشكاة فيها مصباح السر العليم عالقة في فتيلة الامر الحكيم ، الفعال به في مادة القهر البهيم فلا بقاء لتعين النور فى المشكاة إلا بان يفعل الامر الحكيم في معانى القهر البهيم ويؤثر فيها التصعيد والتلطيف بحكمته المستهلكة للقوى الطبيعية في السر العلمى بواسطة التلبس باحكام صلاح الحال والمعاد والتعرى عن مفسداتهما ومتى باشر النور المألوه بلاء الفتيلة انعدم تعينه هكذا متى ماشعرت القوى الطبيعية وحقيقتها البهيميه بالسر العليم بلا واسطة الامر الحكيم فنى حكمه فيها وتمحضت مطبقتها موثوقة فى ظلمتها وكثافتها ومن هنا ضلت أوهام أخذت التحقيق حسبانا وتقليداً مع عدم التجرد عن مراتبها الطبيعية وعدم تمسكهم بالامر الحكيم وربانيته وديانيته فتصير النفس المغلوبة لهذا الوهم بهيما مطبوقا وحجاباً

مظلما موبوقا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم فمتى غلب الامر الحكيم على القهر البهيم لطفت مراتبه فان افناها تمحضت النفس المدركة بعد تجريدها سراً عليما وان ابقاها في لطافتها تمحضت أمراً حكيما فافهم والله بكل شيء عليم انه بكل شيء محيط ٠

﴿ فائدة ﴾

أول المقامات الانتباه وهو اليقظة من سنة الغفلة ثم التوبة وهو الرجوع الى الله تعالى بهذا الاباق ثم الورع والتقوى لكن ورع أهل الشريعة عن المحرمات وورع أصحاب الطريقة عن الشبهات ثم المحاسبة وهي تعداد ماصدر عن الانسان بينه وبين نفسه وبينه وبين بني الدنيا وحقيقته التبرى عن غير المولى ثم الفقر وهو تخلية القلب عما خلت عنه اليد والفقير من عرف انه لايقدر على شيء ثم الصدق وهو استواء الظاهر والباطن ثم التصبر وهو حمل النفس على المكاره ثم الصبر وهو ترك الشكوى وقمع النفس ثم الرضى وهو التلذذ بالبلوى ثم الاخلاص وهو اخراج الخلق عن معاملة الحق ثم التوكل وهو الاعتماد في كل اموره عليه سبحانه وتعالى مع العلم بان الخير فيما اختاره ٠

(وورد في الخبر) عن سيد البشر انه قال لو توكل أحدكم على الله حق اتكاله لرزقه كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ٠

(وفي سنة) تسع وعشرين وألف خامس عشر ربيع الأول توفي الامام القاسم ابن المنصور بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الامير حسين بن علي بن يحيى بن يوسف الملقب بالاشل بن القاسم بن الامام يوسف الداعي بن الامام المنصور يحيى بن الامام الناصر أحمد بن الامام الهادي بن يحيى بن الحسين بن القاسم ابن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٠

(قال السيد روح الدين) عيسى بن لطف الله بن المطهر في كتابه الانفاس اليمنية في الدولة المحمدية ، اعلم أن هذا الامام يعنى القاسم ما كان لآبائه وأجداده في الرياسة التى هى قود الجنود ، وخفق البنود قدم ولا قدم ، ولا لاسلافه علامة ولا علم ، وكان أبوه من عسكر والدنا المطهر بن شرف الدين وله رزق يجرى عليه من جملة العسكر الذين هم غير مرابطين وشهد مع والدنا الحرب التى جرت بينه وبين الوزير الاعظم سنان وذلك في قاع حوسان وكان مولد القاسم سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ولما بلغ الاحتلام قرأ القرآن وكانت فيه قوة وفطنة ولازم الامام الحسن الذى ادخله الوزير حسن باشا الروم وأقام عنده في بلاد الاهنوم ، وبعد سفر الامام الحسن فارق تلك البلاد ، وحال عنها وحاد ، ومابرح يتنقل في البلدان ، ويطلب العلم من مكان الى مكان ، ولما ادرك طرفا من العلوم ، دعته نفسه الى ان ينهض ويقوم ، فقام على فترة من الفتن ونومة منها في اقليم اليمن ، وذلك انه علم ان البلاد التى كانت لوالدى لطف الله بن المطهر قد خلت من واليها وتعطلت من كاليها ، فدعا وقام لثلاث بقين من محرم الحرام سنة ست والف في محل يقال له حديد قاره من اعمال شام الشرق فانتقدت عند ذلك الجمرة وطلع نجم الفتن ، وعم الناس الويل والحزن ، واستمر الامام القاسم والياً وحار به الباشا وحصره في حصن شهارة وأتعبه كل يوم بالغارة فخرج منه متنكراً ولم يشعر به احد وبقى ولده محمد الى ان عجز وضاق حاله فخرج بالامان على أن يكون فراره عند صاحب كوكبان وخرج باخوانه واهله وقبض الباشا حصن شهاره الى أن مات الامام القاسم باجله وخلف أربعة أولاد المؤيد محمد والحسن والمخلوع أحمد واسماعيل فقام من بينهم محمد بعد أبيه وجدد الصلح بينه وبين الوزير محمد باشا على ما كان عليه في زمان والده والله أعلم .

تم الجزء الأول من (نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس) ويليه :

الجزء الثانى أوله ترجمة الحرضي صاحب المقامات المشهورة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرست الجزء الأول

من نزهة المجالس ومنية المجالس الأديب الأنيس

صفحة	مواضيع الكتاب

١ ـ ٣١ حياة المؤلف والتعريف بالكتاب

١ خطبة الكتاب

٧ الكلام على الآل وتفسير قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)

١٣ = فائدة : الصحابي من صحب النبي «ص» إلخ

١٧ = فائدة : وي منفصلة عن كأن عند البصريين إلخ

٢١ فائدة : التاريخ سنة ماضية إلخ

٢٢ فائدة : في عمر سيدنا آدم عليه السلام

٢٢ فائدة : في وفيات بعض العلماء والمؤلفين

٢٤ فائدة : ذكر مكة وحدودها وعيونها

٣٢ في قلة الماء يوم عرفة

٤٤ فائدة : (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) أي أنشق وتشربي

٤٧ فائدة : في سفينة نوح عليه السلام

٥٠ ترجمة والد المؤلف وذكر جمل من اشعاره

٥٩ ذكر المدينة المنورة

٦٣ ذكر مقامة الزرندي المسماة المرور بين العلمين الى المفاخرة بين الحرمين

٧٥ الكلام مشتق من الكلم إلخ

صفحة	مواضيع الكتاب
٧٨	ترجمة عم المؤلف وذكر جمل من اشعاره
٨١	مسألة منظومة : رجل له امرأتان أولد واحدة بنتاً وأخرى ولداً
٨٢	لغز في الدملج ليحيى بن الجراح المصرى
٨٥	لغز في مدينة طوس . وغيرها
٨٨	من الكلام المرموز ان زمن الربيع لايعدم من العالم
٩١	فائدة : ارض نجد عظيمة واسعة كثيرة الفواكه والثمار
٩٣	في ذكر العشق وما ورد فيه مدحه وذمه
١٠٢	فائدة : التجريد سرعة العود الى الوطن الاصلي
١٠٣	ذكر الامام علي وأولاده عليهم السلام
١٠٥	الكوفة من المدائن الكبار المشهورة
١٠٦	الحيرة مدينة قديمة بناها النعمان
١٠٧	فائدة : قوله صلى الله عليه وآله وسلم . العلماء ورثة الانبياء عليهم السلام
١٠٨	ذكر أرض مصر
١٠٩	فائدة مصر غير منصرف للعلمية والعجمية
١٠٩	فائدة : فرعون علم لمن هلك من العمالقة
١١٠	(سؤال) ان قيل كيف عاب الله تعالى على المشركين والمنافقين إلخ مع الجواب
١١١	ترجمة جد المؤلف السيد نور الدين علي بن ابى الحسن عليه الرحمة
١١٤	ذكر العروض والقافية
١٢٣	ترجمة الخليل الفراهيدى البصرى
١٢٧	فائدة : هل العلم أفضل أم العقل ؟
١٢٧	فائدة : ذكر الحريرى في درة الغواص عن المبرد واقوال العلماء

صفحة	مواضيع الكتاب
١٣١	ارجوزة للمؤلف فى جده الحسين بن علي وأولاده عليهم السلام
١٣٦	فائدة : عن الصولي في أمر الخلافة
١٣٧	فائدة : في أصحاب العاهات من الملوك
١٤٠	ترجمة عم المؤلف السيد محمد بن علي بن حيدر
١٥٣	مقامة لعم المؤلف سماها مذاكرة ذوى الراحة والعنا . في المفاخرة بين الفقـــر والغنى .
١٦٨	فائدة : ان العرب ألحقت بباب المثنى اشياء الخ
١٧٠	فائدة : لايستغنى عنها كل شاعر ماهر . وأديب بليغ بنظم الجواهر
١٧٦	عود الى ذكر بغداد
١٧٧	فائدة : في تسمية بغداد الزوراء ودار السلام
١٨٢	فائدة : ماقال العلامة السيد محمد كبريت المدني في رحلته الطاعون يونانى
١٨٣	فائدة : في ذكر مدائن كسرى ، وسامراء ، والبصرة ، والكوفة وغيرها
١٨٤	فائدة : في الذين رزقوا السعادة بأشياء لم ينلها غيرهم
١٨٦	لطيفة فيمن لعب بالشطرنج وعاقبتها
١٨٦	ترجمة ابن عم المؤلف السيد محمد حيدر . وذكر جمل من اشعاره
٢٠٤	فائدة ذكر كرمان شاه ومن بناها
٢٠٦	مسألة رفيقان في طريق مع احدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة الخ
٢٠٦	في ركة تمتلىء من نهر في يومين ، ومن نهر ثلاثة
٢٠٨	فائدة : البندق ينفع اكله من لدغ العقرب
٢٠٩	فائدة : في اصحاب النوادر
٢١٠	فائدة : فيمن يشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

صفحة مواضيع الكتاب

٢١٠ فائدة : اجواد الاسلام مع ترجمة السيد عبد المطلب المكي
٢١٣ ذكر الياقوت وأنواعه وخاصيته
٢١٦ ذكر السمند وقول الصفدى عنه
٢١٨ فائدة : في أسماء الشهور عند العرب
٢٢٣ فائدة : في اسماء البستان في اللغة
٢٢٤ فائدة : في مدينة اصفهان وما جاورها
٢٣٠ مسألة : (مايقول الفقيه ايده الله)
٢٣١ فائدة : قول النحاة . ان غربت الشمس آتيك
٢٣٣ ذكر ظرف وقعت مع الرشيد العباسي
٢٣٥ ظريفة لبعض اولاد الملوك إذا سكر
٢٤٠ ترجمة الشيخ أحمد بن علان
٢٤٧ قصيدة في مدح صاحب مصر رامى باشا
٢٥١ في الديوان المنسوب الى علي عليه السلام
٢٥٣ لطيفة لملك الروم في ايام خلافة عمر (رض)
٢٥٣ حكمة ثلاثة لاتستغني عن ثلاثة
٢٥٤ في المثل المضروب قولهم : سيف الفرزدق
٢٥٨ فائدة : من الاحياء العالم قسمان مؤمن ، وكافر
٢٥٩ فائدة : في القوة المتخيلة وفعلها باليقظة دون المنام
٢٦٧ تواشيح في اللمى في البعد والقرب . في البغيض
٢٧٠ فائدة : للعلامة السيد محمد كبريت المدنى في رحلته
٢٧٥ رثاء المؤلف حين بلغه خبر موته

صفحة مواضيع الكتاب

٢٧٦ فائدة : الجامع الأزهر . اول مسجد أسس بالقاهرة
٢٧٦ فائدة : علم الطلسمات يعرف بتمزيج القوى العالية
٢٧٧ قصة سواد بن قارب مع عمر بن الخطاب « رض »
٢٧٩ ترجمة الشيخ سالم بن أحمد الصفدى الشماع
٢٨٠ قصيدة من نظمه معارضاً حائية ابن النحاس
٢٨٢ قوله مادحاً القائد سنبل ومعارضاً كافية بهاء الدين العاملي
٢٨٤ قوله مادحاً ابن نمى شريف مكة ومعارضاً قصيدة الخطيب بن داريا
٢٨٦ وله (الحمينى) الهذلي اللطيف
٢٩١ ايام الاسبوع في الجاهلية وأولها الأحد
٢٩٢ فائدة : في تشبيه الهلال بما يقارب السبعين
٢٩٥ فائدة : العراق مدينة خصبة مشهورة
٢٩٨ ترجمة الاديب عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليم الوزير
٣٠٠ فائدة : قول يوسف بن المؤيد في (ناديتها لما سمعت هديلها)
٣٠١ ولأبي المميثل فى حمامة تنوح قرب الرى عند السحر
٣٠٥ وصول المؤلف لبندر سورت . وارسال السيد علي الشاطرى ابيات مع نسخة قلائد العقيان
٣٠٩ حكاية خالد بن برمك وطلبه لتقليد الوزارة
٣١١ لطيفة لاعرابي مع زوجته لما اراد السفر
٣١٣ قول الخنساء لأمها ، ماأمر بأحد إلا وبزق في وجهي
٣١٤ رثاء محمد بن يعقوب الانبارى لمحمد بن بقية وزير عضد الدولة
٣١٨ فائدة : ذكر جماعة من اعيان المصلوبين وأول مصلوب صلب في الاسلام

صفحة | مواضيع الكتاب

٣٢٠ ترجمة السيد الجليل السيد عليخان وذكر جمل من اشماره
٣٢٢ في وفاة السيد المذكور بحيدر آباد سنة خمس وثمانين والف رحمه الله تعالى
٣٢٢ رجع إلى ترجمة ولده المذكور
٣٢٤ في الجناس اللفظي والمقلوب
٣٢٧ قول الاصبهاني اول من اول اشجع إلى الرشيد الفضل بن الربيع الحاجب
٣٣٤ في سنة ألف ومائة اتفق بالمدينة حادثة التاجر الهندى وفقده صندوقاً داخل الدار
٣٣٧ في قول يوسف لجبريل هل لك علم بيعقوب
٣٣٨ ترجمة الاديب ابراهيم بن محمد سعيد المنوفي ، وذكر بعض أشعاره
٣٣٩ وله المزدوجة العجيبة لقصة بين فتاة وفتى جميلين
٣٤٩ قوله مستجيراً بسيد الرسل عليه وآله الصلاة والسلام
٣٥٣ (غريبة) الفرائد المنظمة في اخبار مكة المعظمة
٣٥٤ صوره كتاب يعقوب الى يوسف عليهم السلام
٣٥٤ صورة شرط لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام
٣٥٥ كتاب حاكم قلعة ألموت علاء الدين بن الكيا
٣٥٦ في الأمثال العامة (أو للبط ، تهدد بالشط)
٣٥٧ كتاب سلطان بن سيف ملك عمان الى المتوكل على الله اسماعيل
٣٥٩ كتاب سلطان مصر الى شريف مكة شرفها الله
٣٥٩ كتاب الشاه اسماعيل ملك العجم الى الملك قايتباى الأيوبي ملك مصر
٣٦٢ كتاب يحيى بن خالد البرمكي الى هارون الرشيد وهو في السجن وذكر اشعاره
٣٦٧ ترجمة أبي الفتح محمد الشهرستاني
٣٧٠ فائدة : ذكر كرمان وهرات

صفحة مواضيع الكتاب

٣٧٠ إرجوزة بديعة الابيات لوصف الهرات للشيخ بهاء الدين العاملي
٣٧٢ مقدمة : في وصفها على الاجمال شعراً
٣٧٣ فصل : في وصف هوائها و مائها
٣٧٤ فصل : في وصف نسائها وفجارها
٣٧٥ فصل : في وصف عنبها واسماءها
٣٧٦ فصل : في وصف بطيخها ووصف مدرسة المرزا ووصف كازركاه
٣٧٧ ترجمة بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني وذكر بعض اشعاره
٣٧٩ ارجوزته المسماة برياض الارواح (ألا ياخائضاً بحر الاماني)
٣٨٠ اشارة الى أسماء الكتب المشهورة نضماً
٣٨٠ اشارة الى نبذ من تصدي للتدريس
٣٨١ وقوله وهي قصيدة وموعظة من سوانح الحجاز
٣٨٢ معارضة لقصيدة والده المشهورة (ياناديمي بمهجتي أفديك)
٣٨٣ (وعارضها) السيد أحمد بن أبي بكر شيخان (بزمام الغرام كن نسيك)
٣٨٤ وقال اخوه السيد شيخان (فاح عرف الشميم من ناديك)
٣٨٥ وقال عمر بن محمد علي بن سليم الوزير (قسماً بالهوى وما يرضيك)
٣٨٥ وقال الشيخ اسماعيل الدمشقي (كلما لامني عذولي فيك)
٣٨٦ وقال الشيخ عبد اللطيف بن الفقيه سعيد (اترى من بقتلي يغريك)
٣٨٧ وقال السيد هاشم الازراري (فض ختم الدنان من هاتيك)
٣٨٨ وقال الشيخ على الابيض « لذة العيش ظبية تسقيك »
٣٩٠ وقال السيدعلي خان بن السيد أحمد معصوم « كوكب الصبح قد بدا يحكيك »

صفحة | مواضيع الكتاب

٣٩١ وقال العلامة الرحلة الحسين بن عبد الصمد «فاح نشر الصبا وصاح الديك»
٣٩٢ وقال المؤلف لهذا الكتاب « لست أسلو هواك لا وأبيك »
٣٩٣ فائدة : في النغم الحسيني شعبة من الشعب الاربع والعشرين
٣٩٥ حكاية خروج معن بن زائدة للصيد وعطشه
٣٩٦ فائدة : ذكر خراسان ونيسابور وطوس
٣٩٧ فائدة : نيسابور مدينة شهيرة وينسب اليها رضى الدين النيسابورى
٣٩٨ فائدة : طوس من اشهر البلدان وبها قبر علي بن موسى الرضى الشهيد (ع)
٤٠١ قول ابى نؤاس حين عوتب على عدم مدح الامام (قيل لي أنت افصح الناس طراً)
٤٠٦ ترجمة الفاضل اسماعيل المتوكل على الله بن القاسم امام اليمن وذكر بعض الاشعار
٤٠٨ (نكتة) : في أسباب رفع الغضب ودفعه التوحيد الحقيقى
٤٠٩ في قول النبى (ص) ان احبكم إلي واقربكم مني يوم القيامة أحاسنكم اخلاقاً
٤١٠ فائدة : عند قوله تعالى (يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل)
٤١١ في سنة ٤٨٨ توفي ابو القاسم محمد بن عباد ملك أشبيلية
٤١٧ قصة سيف بن ذى يزن وخروجه الى الروم ورجوعه الى كسرى ابرويز ملك فارس .
٤١٩ ترجمة أبى العلا المعرى اللغوى الشاعر
٤٢٩ ذكر حاتم الطائى ، ومادر ، وقس ، وباقل
٤٢٩ قول الامام علي عليه السلام (ماازهد كثيراً من الناس في الخير)
٤٣١ فائدة وتبصرة : فرعون موسى «ع» هو مصعب بن الوليد
٤٣٢ تبصرة أن المرتبات في ايام كافور الاخشيدى بلغت خمسمائة الف دينار في السنة

صفحة	مواضيع الكتاب
٤٣٣	قول مهيار الشاعر في السيد احمد بن عبد المطلب حين تولى مكة
٤٣٦	قصة سخط كسرى على بزر جمهر وحبسه في بيت مظلم
٤٣٧	ترجمة ابى محمد حيدر اغا بن محمد الرومى اليمنى ، وذكر جمل من اشعاره
٤٤١	فائدة : من عجائب الكادى ان طلعه لا يفتح إلا إذا استصبح بشمعة البرق ليلا
٤٤٦	فائدة : ذكر من بنى الاسكندرية وعمود السوارى
٤٤٧	نكتة : قول السيوطي ورأيته هذا العمود في رحلته
٤٤٨	ذكر مدينة شيراز وأول من بناها ومن نسب اليها من العلماء والكتاب والشعراء
٤٥٣	ذكر غريب ، جارية المأمون العباسى
٤٥٦	ترجمة ابى علي الحسن بن هانى المكنى بأبى نؤاس وذكر جمل من نوادره واشعاره
٤٦٢	فائدة : السراويل معرب عند الجمهور (فائدة) ان ابليس كوسج في حنكه شعرات
٤٧١	صورة العهد الذى كتبه النصارى لعمر بن الخطاب (رض)
٤٧٢	حكاية الطفيلي الذى مرّ على الخباز واستشهاده بآية « إنما إلهكم واحد »
٤٧٣	قصة سجاح مع مسيلمة الكذاب
٤٧٤	ذكر من ولد من الانبياء مختونا وعدد نزول الوحي عليهم
٤٧٥	فائدة : في نزول جبريل على آدم بالوحى ، عاش آدم ابو البشر تسعمائة وستاً وثلاثين سنة
٤٧٦	ذكر كازرون وبحر فارس
٤٧٧	فائدة : بحر فارس يسمى البحر الأخضر وهو شعبة من بحر الهند الاكبر
٤٧٨	حكاية ذى القرنين ونزوله الجزيرة الخ ، ومن جزائره جزيرة العباد
٤٨٠	قول الشبلي لما رأى امرأة في الطواف تقول هذا بيت ربي هذا بيت محبوبي
٤٨١	حكاية المملوك بالبصرة وفيه ثلاثة عيوب

صفحة — مواضيع الكتاب

٤٨٢ حكاية الغلام الذى هرب وجاء بدرهم الى مولاه
٤٨٥ ترجمة الشيخ فتح الله بن النحاس نزيل المدينة المنورة واشعاره
٤٨٨ مدح السيد احمد بن امام اليمن بمدينة تعز المحمية عام الف ومائة واربعة واربعين
٤٩٣ وصف ابن حبيب في نسيم الصبا في وصف جارية حسناء
٤٩٨ فائدة : للفيروزج وخواصه وهو نافع عن الغرق
٥٠١ خبر في ذكر من صبر ، والرفق بالرعية وأخذ الحق منهم بغير عنف
٥٠٢ حكاية من صبر من الملوك واقبال الدنيا عليه
٥٠٥ ترجمة أبى الطيب المتنبى الشاعر
٥١٠ قصة بشر بن عوانة ومبارزته للأسد ، واشعاره بذلك
٥١٣ حكاية عجيبة وقعت فى الطريق لزيارة قبر الحسين بن علي عليهم السلام
٥٢٤ ذكر الاهرام وايوان كسرى
٥٢٥ لطيفة المرشيد مع وزيره يحيى بهدم ايوان كسرى
٥٢٨ لطيفة للشيخ عبد الرزاق الشيبي فاتح بيت الله الحرام مع شريف مكة
٥٣١ فائدة : ذكر البصرة ومن بناها وعجائبها المدّ والجزر
٥٣٨ فائدة : قوله تعالى (قل لاأسألكم عليه اجراً) الآية
٥٣٩ لطيفة : ادعى رجل على آخر طنبوراً عند بعض القضاة
٥٤٣ من خطبة الامام أمير المؤمنين علي بن ابى طالب عليه السلام في الدنيا
٥٤٤ ترجمة الشريف الرضى ابى الحسن محمد بن طاهر قدس الله روحه الطاهرة
٥٥٤ من تأويلات جمال العارفين الشيخ عبد الرزاق الكاشي رحمه الله تعالى
٥٥٥ فائدة : عرفت ربي بفسخ العزائم لا بل عرفت فسخ العزائم بربي جل وعلا
٥٥٦ فائدة : ذكر بحر الهند وجزائره

صفحة	مواضيع الكتاب
٥٥٨	فائدة : ذكر الهند وهو الاقليم الثالث وكثرة عجائبه
٥٦٢	قصة ابو الميناء مع علي عليه السلام ودعاء الامام عليه بالعمى
٥٦٣	ذكر اوصاف النساء في اقوال النبي (ص) وعلي عليه السلام
٥٦٦	قصة فاطمة الزهراء عليها السلام أدمت انامِلها من الطحن
٥٧٩	ذكر البهلول وقصيدته المشهورة بالفيافية
٥٩١	قصة عليان المجنون مع المأمون العباسي
٥٩٢	قصة المبرد ودخوله دار المجانين في بغداد ووقوفه على مجنون
٥٩٥	فائدة : ذكر القرود ونكتهم
٥٩٨	في سبب بكاء ابن عباس قبل ذهاب بصره والسؤال عن إبلة
٥٩٩	فائدة : في اختلاف العلماء في المسوخ هل يعقب أم لا
٦٠٣	فائدة : في التامول التانبول وهو ضرب من اليقطين الهندي
٦٠٤	لطيفة : ذكر بعض الطماعين وظرفهم
٦٠٧	ذكر العلوم النقلية وحقائق ذات الإدراك